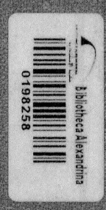
تفسير القرآن الجليل

المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل

تأليف



اهداءات ١٩٩٩

مكتبة

أ.د عبد الحميد بدوي

القاضي بمحكمة العدل الدولية

وزارة المعارف العمومية

تفسير القرآن الجليل

المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل

تأليف

الإمام الجليل العلامة أبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى

عليه سحائب الرحمة والرضوان آمين

قال فى كشف الظنون :

(مدارك التنزيل ، وحقائق التأويل) للإمام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفى المتوفى سنة ٧٠١ وقيل عشر وسبعمائة . أوله الحمد لله المنزه بذاته عن إشارة الأوهام الخ . وهو كتاب وسط فى التأويلات ، جامع لوجوه الإعراب والقراءات ، متضمن لدقائق علم البديع والإشارات ؛ موشح بأقاويل أهل السنة والجماعة ، خال عن أباطيل أهل البدع والضلالة ؛ ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل (اهـ)

المجلد الثالث

طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق بالقاهرة ، سنة ١٩٤٢

تباع مطبوعات الحكومة بصالة البيع بوزارة المالية ، أما المكاتبات الخاصة بهذه المطبوعات فترسل رأسا إلى قلم النشر بالمطبعة الأميرية ببولاق بالقاهرة

ثمن النسخة ... ... ٣٠٠ مليم

لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ[(١)] وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ[(٢)] يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ[(٣)] ٱلرَّحِيمُ[(٤)] ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ[(٥)] لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ[(٦)]

"كذبت" . فناحبه على عشر قلائص من كلّ واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين . فأخبر أبو بكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقال عليه السلام "زد فى الخطر وأبعد فى الأجل" . فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين . ومات أبىّ من جرح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية أو يوم بدر ، فأخذ أبو بكر الخطر من ذرّيّة أبىّ ، فقال عليه السلام "تصدّق به" . وهذه آية بيّنة على صحّة نبوّته وأنّ القرآن من عند الله لأنّها إنباء عن علم الغيب . وكان ذلك قبل تحريم القمار. عن قتادة . ومن مذهب أبى حنيفة ومحمّد أنّ العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة فى دار الحرب بين المسلمين والكفّار . وقد احتجّا على صحّة ذلك بهذه القصّة .

(١) أى من قبل كلّ شىء ومن بعد كلّ شىء. أو حين غلبوا وحين يغلبون . كأنّه قيل. من قبل كونهم غالبين — وهو وقت كونهم مغلوبين — ومن بعد كونهم مغلوبين — وهو وقت كونهم غالبين . يعنى أنّ كونهم مغلوبين أوّلا وغالبين آخرا ليس إلّا بأمر الله وقضائه (وتلك الأيّام نداولها بين الناس) .

(٢) ويوم تغلب الروم على فارس ويحلّ ما وعد الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له ، وغيظ من شمت بهم من كفّار مكّة . وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم . والباء يتّصل بـ(يفرح) فيوقف على (الله) لا على (المؤمنون) .

(٣) الغالب على أعدائه .

(٤) العاطف على أوليائه .

(٥) مصدر مؤكّد لأنّ قوله (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) وعد من الله للمؤمنين . فقوله (وعد الله) بمنزلة وعد الله المؤمنين وعدا .

(٦) (لا يخلف الله وعده) بنصر الروم على فارس .

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[1] ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ[2] ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا[3] وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ[4] ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم[5] مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ[6] إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى[7]

(١) (لا يعلمون) ذلك .

(٢) بدل من (لايعلمون) . وفيه بيان أنّه لافرق بين عدم العلم الذى هو الجهل و بين وجود العلم الذى لايتجاوز عن تحصيل الدنيا .

(٣) يفيد أنّ للدنيا ظاهرا و باطنا . فظاهرها ما يعرفه الجهّال من التمتّع بزخارفها . و باطنها أنّها مجاز إلى الآخرة يتزوّد منها إليها بالطاعة و بالأعمال الصالحة . وتنكير الظاهر يفيد أنّهم لا يعلمون إلّا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها .

(٤) (هم) الثانية مبتدأ . و(غافلون) خبره. والجملة خبر(هم) الأولى . وفيه بيان أنّهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرّها .

(٥) يحتمل أن يكون ظرفا. كأنّه قيل (أو لم) يثبتوا التفكّر فى أنفسهم أى فى قلوبهم الفارغة من الفكر . والتفكّر لايكون إلّا فى القلوب ولكنّه زيادة تصوير لحال المتفكّر كقوله اعتقده فى قلبك . وأن يكون صلة للتفكّر نحو تفكّر فى الأمر وأجال فيه فكره . ومعناه على هذا (أولم يتفكّروا فى أنفسهم) التى هى أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبّروا ما أودعها الله ظاهرا و باطنا من غرائب الحكمة الدالّة على التدبير دون الإهمال وأنّه لا بدّ لها من الانتهاء إلى وقت تجازى فيه على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها، حتّى يعلموا عند ذلك أنّ سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة فى التدبير وأنّه لا بدّ لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت .

(٦) متعلّق بالقول المحذوف . معناه (أو لم يتفكّروا) فيقولوا هذا القول . وقيل معناه فيعلموا لأنّ فى الكلام دليلا عليه .

(٧) أى ما خلقها باطلا وعبثا بغير حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة . إنّما خلقها مقرونة بالحقّ مصحوبة بالحكمة و بتقدير أجل مسمّى لابدّ لها من أن تنتهى إليه . وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب . ألا ترى إلى قوله (أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثا وأنّكم إلينا لا ترجعون) كيف سمّى تركهم غير راجعين إليه عبثا .

وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ(١) لَكَٰفِرُونَ(٢) ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ(٣) كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ(٤) وَعَمَرُوهَآ(٥) أَكْثَرَ(٦) مِمَّا عَمَرُوهَا(٧) وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ(٨) فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ(٩) وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(١٠) ۝ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ(١١) ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ(١٢)

---

(١) بالبعث والجزاء .

(٢) لجاحدون . وقال الزجّاج أى لكافرون بلقاء ربّهم .

(٣) هو تقرير لسيرهم فى البلاد ونظرهم إلى آثار المدمَّرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية . ثمّ وصف حالهم فقال (كانوا أشدّ منهم قوّة) .

(٤) وحرثوها .

(٥) أى المدمَّرون .

(٦) صفة مصدر محذوف .

(٧) ما مصدريّة أى من عمارة أهل مكّة .

(٨) وتقف عليها لحق الحذف . أى فلم يؤمنوا فأهلكوا .

(٩) فما كان تدميره إيّاهم ظلما لهم .

(١٠) ولكنّهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم .

(١١) بالنصب شامىّ وكوفىّ .

(١٢) تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أنّ الحسنى تأنيث الأحسن . ومحلّها رفع على أنّها اسم (كان) عند من نصب (عاقبة) على الخبر، ونصب عند من رفعها . والمعنى أنّهم عوقبوا فى الدنيا ثمّ كانت عاقبتهم السوأى — إلّا أنّه وضع المظهر وهو (الذين أساءوا) موضع المضمر — أى العقوبة التى هى أسوأ العقوبات فى الآخرة وهى النار التى أعدّت للكافرين .

أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ[1] ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ[2] ثُمَّ يُعِيدُهُۥ[3] ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[4] ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ[5] ٱلْمُجْرِمُونَ[6] ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ[7] شُفَعَـٰٓؤُاْ[8] وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ[9] ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ[10] ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ[11] يُحْبَرُونَ[12] ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآىِٕ ٱلْـَٔاخِرَةِ[13]

(١) لـ (أن كذّبوا) أو بـ (أن) . وهو يدلّ على أنّ معنى (أساءوا) كفروا. يعنى ثمّ كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها .

(٢) ينشئهم .

(٣) يحييهم بعد الموت .

(٤) وبالياء أبو عمرو وسهل .

(٥) ييئس ويتحيّر . يقال ناظرته فأبلس إذا لم ينبس ويئس من أن يحتجّ .

(٦) المشركون .

(٧) من الذين عبدوهم من دون الله .

(٨) كتب فى المصحف بواو قبل الألف كما كتب (علمؤا بنى إسرائيل) — وكذلك كتبت (السوأى) بالألف قبل الياء — إثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها .

(٩) أى يكفرون بآلهتهم ويجحدونها ، أو (وكانوا) فى الدنيا (كافرين) بسببهم .

(١٠) الضمير فى (يتفرقون) للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه .

(١١) أى بستان . وهى الجنّة . والتنكير لإبهام أمرها وتفخيمه .

(١٢) يسرّون . يقال حبره إذا سرّه سرورا تهلّل له وجهه وظهر فيه أثره . ثمّ اختلف فيه لاحتمال وجوه المسارّ فقيل يكرمون وقيل يحلّون وقيل هو السماع فى الجنّة .

(١٣) أى البعث .

فَأُولَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ(١) ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ(٢) حِينَ تُمْسُونَ(٣) وَحِينَ تُصْبِحُونَ(٤) ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ(٥) وَعَشِيًّا(٦) وَحِينَ تُظْهِرُونَ(٧) ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ(٨) وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ(٩) وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ(١٠) بَعْدَ مَوْتِهَا(١١)

(١) مقيمون لا يغيبون عنه ولا يخفّف عنهم كقوله (وما هم بخارجين منها) .

(٢) لمّا ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجى من الوعيد، فقال : (فسبحان الله). والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تنزيه به الله من السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الأوقات لما يتجدّد فيها من نعمة الله الظاهرة. أو الصلاة. فقيل لابن عباس : هل نجد الصلوات الخمس فى القرآن؟ فقال نعم، وتلا هذه الآية. وهو نصب على المصدر. والمعنى نزّهوه عمّا لا يليق به أو صلّوا لله .

(٣) صلاة المغرب والعشاء .

(٤) صلاة الفجر .

(٥) اعتراض . وقوله (وعشيّاً) متّصل بقوله (حين تمسون) . ومعناه أنّ على المميّزين كلّهم من أهل السموات والأرض أن يحمدوه . و (فى السموات) حال من (الحمد) .

(٦) صلاة العصر . وهو معطوف على (حين تمسون) .

(٧) صلاة الظهر . أظهر أى دخل فى وقت الظهيرة. والقول الأكثر أنّ الصلوات الخمس فرضت بمكّة .

(٨) الطائر من البيضة أو الإنسان من النطفة أو المؤمن من الكافر .

(٩) أى البيضة من الطائر أو النطفة من الإنسان أو الكافر من المؤمن. و (الميت) بالتخفيف فيهما مكّىّ وشامىّ وأبو عمرو وأبو بكر وحمّاد ، و بالتشديد غيرهم .

(١٠) (و يحيى الأرض) بالنبات .

(١١) يبسها .

وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ(١) ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ(٢) أَنْ خَلَقَكُم(٣) مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ(٤) تَنتَشِرُونَ(٥) ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا إِلَيْهَا(٦) وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً(٧) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٨) ۝

(١) (تَخرُجون) حمزة وعليّ وخلف . أى ومثل ذلك الإخراج (تخرجون) من قبوركم . والكاف فى محلّ النصب بتخرجون . والمعنى أن الإبداء والإعادة يتساويان فى قدرة من هو قادر على إخراج الميّت من الحيّ وعكسه . روى ابن عباس رضى الله عنهما أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال " من قرأ (فسبحان الله حين تمسون) إلى الثلاث وآخر سورة (والصافّات) دبر كلّ صلاة كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر الأمطار وورق الأشجار وتراب الأرض. فإذا مات أجرى له بكل حرف عشر حسنات فى قبره" . قال عليه السلام "من قرأ حين يصبح (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) إلى قوله (وكذلك تخرجون) أدرك مافاته فى يومه . ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته " .

(٢) ومن علامات ربوبيّته وقدرته .

(٣) أى أباكم .

(٤) أى آدم وذرّيّته .

(٥) تتصرّفون فيما فيه معاشكم، و (إذا) للفاجأة. وتقديره (ثمّ) فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الأرض .

(٦) أى حوّاء خلقت من ضلع آدم عليه السلام. والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال، أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر. وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الإلف والسكون ، وما بين الجنسين المختلفين من التنافر . يقال سكن إليه إذا مال اليه .

(٧) أى (جعل بينكم) التوادّ والتراحم بسبب الزواج. وعن الحسن المودّة كناية عن الجماع، والرحمة عن الولد . وقيل المودّة للشابة ، والرحمة للعجوز . وقيل المودّة والرحمة من الله ، والفرك من الشيطان ، أى بغض المرأة زوجها و بغض الزوج المرأة .

(٨) (إنّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكّرون) فيعلمون أنّ قوام الدنيا بوجود التناسل .

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ[١] وَأَلْوَٰنِكُمْ[٢] إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ[٣] ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ[٤] إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ[٥] ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ[٦] ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا[٧] وَيُنَزِّلُ[٨] مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً[٩]

(١) أى اللغات أو أجناس النطق وأشكاله .

(٢) كالسواد والبياض وغيرهما . ولاختلاف ذلك وقع التعارف وإلّا فلو تشاكلت واتّفقت لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت المصالح . وفى ذلك آية بيّنة حيث ولدوا من أب واحد وهم على الكثرة التى لا يعلمها إلّا الله متفاوتون .

(٣) (للعالَمين) جمع عالَم . وبكسر اللام حفص جمع عالِم . ويشهد للكسر قوله تعالى (وما يعقلها إلّا العالمون) .

(٤) هذا من باب اللفّ . وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار . إلّا أنّه فصل بين القرينين الأوّلين بالقرينين الآخرين . أو المراد منامكم فى الزمانين وابتغاؤكم فيهما . والجمهور على الأول لتكرّره فى القرآن . وأسدّ المعانى ما دلّ عليه القرآن .

(٥) أى يسمعون سماع تدبّر بآذان واعية .

(٦) فى (يريكم) وجهان إضماران كما فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه ، وإنزال الفعل منزلة المصدر . وبهما فسّر المثل "تسمع بالمعيدى خير من أن تراه" أى أن تسمع أو سماعك .

(٧) (خوفا) من الصاعقة أو من الإخلاف (وطمعا) فى الغيث . أو (خوفا) للمسافر (وطمعا) للحاضر. وهما منصوبان على المفعول له على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه — أى إرادة خوف وإرادة طمع ؛ أو على الحال أى خائفين وطامعين .

(٨) وبالتخفيف مكّى وبصرى .

(٩) مطرا .

فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَعْقِلُونَ[١] ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ[٢] ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ[٣] ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةٗ مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ[٤] ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ[٥] ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ[٦] ثُمَّ يُعِيدُهُۥ[٧] وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ[٨]

---

(١) يتفكّرون بعقولهم .

(٢) تثبت بلا عمد .

(٣) أى بإقامته وتدبيره وحكمته .

(٤) (ثمّ إذا دعاكم) للبعث (دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) من قبوركم . هذا كقوله (يريكم) فى إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى. كأنّه قال (ومن آياته) قيام السموات والأرض واستمساكها بغير عمد ثمّ خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة : يأهل القبور اخرجوا. والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقّف . و إنّما عطف هذا على قيام السموات والأرض بثمّ بيانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول يأهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأوّلين والآخرين إلّا قامت تنظر كما قال (ثمّ نفخ فيه أخرى فإذاهم قيام ينظرون) . و (إذا) الأولى للشرط والثانية للفاجأة وهى تنوب مناب الفاء فى جواب الشرط . و (من الأرض) متعلّق بالفعل لا بالمصدر . وقولك دعوته من مكان كذا يجوز أن يكون مكانك ويجوز أن يكون مكان صاحبك .

(٥) منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه أو مقرّون بالعبوديّة .

(٦) أى ينشئهم .

(٧) (ثمّ يعيده) للبعث .

(٨) أى البعث أيسر (عليه) عندكم ، لأن الإعادة عندكم أسهل من الإنشاء . فلم انكرتم

وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ (١)

الإعادة ؟ وأخرت الصلة فى قوله (وهو أهون عليه) وقدمت فى قوله (وهو علىّ هيّن) لقصد الاختصاص هناك وأمّا هنا فلا معنى للاختصاص . وقال أبو عبيدة والزجّاج وغيرهما الأهون بمعنى الهيّن فيوصف به الله عزّ وجلّ وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله أكبر أى كبير . والإعادة فى نفسها عظيمة ولكنّها هوّنت بالقياس إلى الإنشاء. أو (هو أهون) على الخلق من الإنشاء . لأنّ قيامهم بصيحة واحدة أسهل من كونهم نطفا ثمّ علقا ثمّ مضغا إلى تكميل خلقهم.

(١) أى (وله) الوصف الأعلى الذى ليس لغيره وقد عرف به ووصف (فى السموات والأرض) على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل . وهو أنّه القادر الذى لا يعجز عن شىء من إنشاء و إعادة وغيرهما من المقدورات. ويدلّ عليه قوله (وهو العزيز) أى القاهر لكلّ مقدور (الحكيم) الذى يجرى كلّ فعل على قضايا حكمته وعلمه . وعن ابن عباس رضى الله عنهما المثل الأعلى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) . وعن مجاهد هو قول لا إله إلّا الله . ومعناه (وله) الوصف الأرفع الذى هو الوصف بالوحدانية . ويعضده قوله (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) فهذا مثل ضربه الله عزّ وجلّ لمن جعل له شريكا من خلقه . و(من) للابتداء . كأنّه قال : أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شىء منكم وهى أنفسكم . (هل لكم) معاشر الأحرار (ممّا ملكت أيمانكم) عبيدكم — و (من) للتبعيض — (من شركاء) ؟ (من) مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى . ومعناه هل ترضون لأنفسكم — وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر ، وعبيد كعبيد — أن يشاركم بعضهم (فيما رزقناكم) من الأموال وغيرها (فأنتم) معاشر الأحرار والعبيد فى ذلك الرزق (سواء) من غير تفصلة بين حرّ وعبد ، يحكم مماليككم كحكمكم

كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ[١] ۝ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟[٢] أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ[٣] فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ[٤] وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ[٥] ۝ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ[٦] حَنِيفًا[٧]

(تخافونهم) حال من ضمير الفاعل فى (سواء). أى متساوون خائفا بعضكم بعضا مشاركته فى المال. والمعنى تخافون معاشر السادة عبيدكم فيها فلا تمضون فيها حكما دون إذنهم خوفا من لائمة تلحقكم من جهتهم (كخيفتكم أنفسكم) يعنى كما يخاف بعض الأحرار بعضا فيما هو مشترك بينهم. فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لربّ الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء.

(١) موضع الكاف نصب أى مثل هذا التفصيل (نفصّل الآيات) نبيّنها لأنّ التمثيل ممّا يكشف المعانى ويوضحها (لقوم يعقلون) يتدبّرون فى ضرب الأمثال.

(٢) لمّا لم ينزجروا أضرب عنهم فقال (بل اتّبع الذين ظلموا) أنفسهم بما أشركوا كما قال الله تعالى (إنّ الشرك لظلم عظيم).

(٣) أى اتّبعوا (أهواءهم) جاهلين.

(٤) أى أضلّه الله تعالى.

(٥) (وما لهم من ناصرين) من العذاب.

(٦) فقوّم وجهك له وعدّله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا. وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه واهتمامه بأسبابه. فإنّ من اهتمّ بالشىء عقد عليه طرفه، وسدّد إليه نظره وقوّم له وجهه.

(٧) حال من المأمور أو من الدين.

فِطْرَتَ ٱللَّهِ(١) ٱلَّتِى فَطَرَ(٢) ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ(٣) وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٤) ۝ مُنِيبِينَ(٥) إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ(٦)

(١) أى الزموا (فطرة الله) والفطرة الخلقة . ألا ترى إلى قوله (لا تبديل لخلق الله). فالمعنى أنّه خلقهم قابلين للتوحيد والإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتّى لو تركوا لمـا اختاروا عليه دينا آخر . ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الجنّ والإنس . ومنه قوله عليه السلام "كلّ عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بى غيرى"، وقوله عليه السلام "كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه همـا اللذان يهوّدانه وينصّرانه" . وقال الزجّاج معناه أنّ الله تعـالى فطر الخلق على الإيمـان به، على ما جاء فى الحديث "إنّ الله عزّ وجلّ أخرج من صلب آدم كالذرّ وأشهدهم على أنفسهم بأنّه خالقهم" فقال (وإذ أخذ ربّك) إلى قوله (قالوا بلى) . وكلّ مولود هو من تلك الذريّة التى شهدت بأنّ الله تعالى خالقها . فمعنى (فطرة الله) دين الله .

(٢) أى خلق .

(٣) (لا تبديل لخلق الله) أى ما ينبغى أن تبدّل تلك الفطرة أو تغيّر . وقال الزجّاج : معناه لا تبديل لدين الله . ويدلّ عليه ما بعده وهو قوله (ذلك الدين القيّم) أى المستقيم .

(٤) (لا يعلمون) حقيقة ذلك .

(٥) راجعين إليه . وهو حال من الضمير فى الزموا — وقوله (واتّقوه، وأقيموا، ولا تكونوا) معطوف على هـذا المضمر . أو من قوله (فأقم وجهك) لأنّ الأمر له عليه السلام أمر لأمّته فكأنّه قال فأقيموا وجوهكم (منيبين إليه) . أو التقدير كونوا (منيبين) . دليله قوله (ولا تكونوا) .

(٦) أى أدّوها فى أوقاتها .

وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١) ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ (٢) فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ (٣) وَكَانُوا۟ شِيَعًا (٤) كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥) ۝ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ (٦) دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً (٧) إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٨) ۝ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٩) ۝ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا (١٠) فَهُوَ يَتَكَلَّمُ (١١)

---

(١) ممن يشرك به غيره فى العبادة .

(٢) بدل من (المشركين) بإعادة الجار .

(٣) جعلوا أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم . (فارقوا) حمزة وعلىّ . وهى قراءة علىّ رضى الله عنه . أى تركوا دين الإسلام .

(٤) فرقا كلّ واحدة تشايع إمامها الذى أضلّها .

(٥) (كلّ حزب) منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا .

(٦) شدّة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك .

(٧) أى خلاصا من الشدّة .

(٨) (يشركون) فى العبادة .

(٩) (ليكفروا) ـــ هذه لام كى . وقيل لام الأمر للوعيد ـــ (بما آتيناهم) من النعم (فتمتّعوا) بكفركم قليلا ـــ أمر وعيد ـــ (فسوف تعلمون) وبال تمتعكم .

(١٠) حجّة .

(١١) وتكلّمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن . ومعناه الشهادة . كأنّه قال فهو يشهد بشركهم و بصحّته .

بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ (١) ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً (٢) فَرِحُوا۟ بِهَا (٣) وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ (٤) بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ (٥) إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٦) ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧) ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ (٨) وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ (٩) ذَٰلِكَ

(١) ما مصدرية أى بكونهم بالله (يشركون) . أو موصولة ويرجع الضمير إليها أى فهو يتكلم بالأمر الذى بسببه يشركون .

أو معنى الآية (أم أنزلنا عليهم) ذا سلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون .

(٢) أى نعمة من مطر أو سعة أو صحة .

(٣) بطروا بسببها .

(٤) أى بلاء من جدب أو ضيق أو مرض .

(٥) بسبب شؤم معاصيهم .

(٦) (إذا هم يقنطون) من الرحمة . و (إذا) لمفاجأة جواب الشرط نابت عن الفاء لتآخيهما فى التعقيب .

(٧) أنكر عليهم بأنهم قد علموا بأنه القابض الباسط فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون إليه تائبين عن المعاصى التى عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد إليهم رحمته .

(٨) لما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك فقال (فآت ذا القربى) أعط قريبك (حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) نصيبهما من الصدقة المسماة لهما . وفيه دليل وجوب النفقة للمحارم كما هو مذهبنا .

(٩) أى إيتاء حقوقهم .

خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ [١] وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ [٢] عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ [٣] ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ [٤] سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝

---

(١) أى ذاته أى يقصدون بمعروفهم إيّاه خالصا .

(٢) يريد وما أعطيتم أكلة الربا (من ربا ليربوا) فى أموالهم، فلا يزكو عندالله ولا يبارك فيه. وقيل هو من الربا الحلال، أى وما تعطونه من الهديّة لتأخذوا أكثر منها (فلا يربوا عند الله) لأنكم لم تريدوا بذلك وجه الله (أتيتم من ربا) بلا مدّ مكّىّ. أى وما غشيتموه من إعطاء ربا. (لِتُرْبوا) مدنىّ . أى لتزيدوا فى أموالهم .

(٣) (وما آتيتم من) صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء ولا سمعة ، (فأولئك هم) ذوو الإضعاف من الحسنات . ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار . وقوله (فأولئك هم المضعفون) التفات حسن لأنه يفيد التعميم كأنه قيل : من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين والمعنى (المضعفون) به لأنه لا بدّ له من ضمير يرجع إلى (ما) الموصولة . وقال الزجّاج فى قوله (فأولئك هم المضعفون) أى فأهلها (هم المضعفون) أى هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر أمثالها .

(٤) أشار إلى عجز آلهتهم فقال (الله الذى خلقكم) — مبتدأ وخبر — أى هو المختصّ بالخلق والرزق والإماتة والإحياء (هل من شركائكم) أى أصنامكم التى زعمتم أنهم شركاء لله (من يفعل من ذلكم) أى من الخلق والرزق والإماتة والإحياء (من شىء) أى شيئا من تلك الأفعال . فلم يجيبوا عجزا . فقال استبعادا : (سبحانه وتعالى عمّا يشركون) . و(من) الأولى والثانية والثالثة كلّ واحدة منهنّ مستقلّة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم .

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ(١) ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ(٢) مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ(٣) لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ(٤) يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ(٥) ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ(٦) ﴿٤٤﴾

---

(١) (ظهر الفساد فى البرّ والبحر) — نحو القحط وقلّة الأمطار والريع فى الزراعات والربح فى التجارات ووقوع الموتان فى الناس والدوابّ وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات من كل شىء — بسبب معاصيهم وشركهم — كقوله (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) — (ليذيقهم) وبال بعض أعمالهم فى الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها فى الآخرة — وبالنون عن قنبل — (لعلّهم يرجعون) عمّا هم عليه من المعاصى . ثمّ أكّد تسبيب المعاصى لغضب الله ونكاله بقوله . (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) حيث أمرهم بأن يسيروا فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم .

(٢) البليغ الاستقامة الذى لا يتأتّى فيه عوج .

(٣) هو مصدر بمعنى الردّ .

(٤) يتعلّق بـ (يأتى) . والمعنى (من قبل أن يأتى) من الله يوم لا يردّه أحد كقوله تعالى (فلا يستطيعون ردّها) . أو بـ (مردّ) على معنى لا يردّه هو بعد أن يجىء به ولا ردّ له من جهته .

(٥) يتصدّعون أى يتفرّقون .

(٦) أشار إلى غناه عنهم فقال (من كفر فعليه كفره) أى وبال كفره (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) أى يسوّون لأنفسهم ما يسوّيه لنفسه الذى يمهد لنفسه فراشه

لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ(١) مِن فَضْلِهِۦٓ(٢) إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾(٣) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ(٤) أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٥) ﴿٤٦﴾

ويوطّئه لئلا يصيبه فى مضجعه ما ينغّص عليه مرقده من نتوء وغيره . والمعنى أنّه يمهد لهم الجنة بسبب أعمالهم فأضيف إليهم . وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على أنّ ضرر الكفر لا يعود إلاّ على الكافر ، ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تجاوزه .

(١) (ليجزى) متعلّق بـ (يمهدون) وتعليل له . وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وترك الضمير إلى الصريح ، لتقرير أنّه لا يفلح عنده إلاّ المؤمن .

(٢) أى عطائه .

(٣) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس .

(٤) أى ومن آيات قدرته .

(٥) (الرياح) هى الجنوب والشمال والصبا . وهى رياح الرحمة . وأمّا الدبور فريح العذاب . ومنه قوله عليه السلام "اللّهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا" . وقد عدّد الفوائد فى إرسالها فقال (مبشّرات) أى أرسلها للبشارة بالغيث ، (وليذيقكم من رحمته) ولإذاقة الرحمة وهى نزول المطر ، وحصول الخصب الذى يتبعه ، والرَّوح الذى مع هبوب الريح ، وزكاء الأرض ، وغير ذلك — (وليذيقكم) معطوف على (مبشّرات) على المعنى . كأنّه قيل ليبشّركم وليذيقكم ، (ولتجرى الفلك) فى البحر عند هبوبها (بأمره) أى بتدبيره أو بتكوينه كقوله (إنما أمره إذا أراد شيئا) الآية ، (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر ، (ولعلّكم تشكرون) ولتشكروا نعمة الله فيها .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَٰتِ (١) فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَٰحَ (٢) فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى السَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ (٣) يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ (٤) فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ (٥) إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٦) ۝

(١) (فجاءوهم بالبيّنات) أى فآمن بهم قوم وكفر بهم قوم . ويدلّ على هذا الإضمار قوله (فانتقمنا من الذين أجرموا) — أى كفروا — بالإهلاك فى الدنيا ، (وكان حقّا علينا نصر المؤمنين) أى وكان نصر المؤمنين حقّا علينا بإنجائهم مع الرسل .

وقد يوقف على (حقّا) . ومعناه (وكان) الانتقام منهم (حقّا) . ثمّ تبتدئ (علينا نصر المؤمنين) . والأوّل أصحّ .

(٢) (الرِّيحَ) مكّىّ .

(٣) (فيبسطه) أى السحاب (فى السماء) أى فى سَمت السماء وشقّها — كقوله (وفرعها فى السماء) — و(كيف يشاء) من ناحية الشمال أو الجنوب أو الدبور أو الصبا (ويجعله كسفا) قطعا جمع كسفة أى يجعله منبسطا يأخذ وجه السماء مرّة ، ويجعله قطعا متفرقة غير منبسطة مرّة — (كِسْفا) يزيد وابن ذكوان — (فترى الودق) المطر (يخرج) فى التارتين جميعا (من خلاله) وسطه .

(٤) بالودق .

(٥) يريد إصابة بلادهم وأراضيهم .

(٦) يفرحون .

وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ (١) ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ (٢) رَحْمَتِ ٱللَّهِ (٣) كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ (٤) بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ (٥) لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ (٦) ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٧) ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا (٨) فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ (٩) مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾

---

(١) (وإن كانوا من قبل أن ينزّل عليهم) المطر — (من قبله) كرّر للتأكيد كقوله (فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها) . ومعنى التوكيد فيها الدلالة على أنّ عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم يأسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك — (لمبلسين) آيسين .

(٢) شاميّ وكوفيّ غير أبي بكر . وغيرهم (أثَر) .

(٣) أي المطر .

(٤) (كيف يحيي الأرض) بالنبات وأنواع الثمار .

(٥) أي الله .

(٦) يعني أنّ ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم . فهذا استدلال بإحياء الموات على إحياء الأموات .

(٧) أي (وهو على كلّ شيء) من المقدورات قادر . وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء .

(٨) أي الدبور .

(٩) (فرأوه) أي أثر رحمة الله — لأنّ رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات . ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه . لأنّ معنى آثار الرحمة النبات . واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنّه مصدر سمّي به ما ينبت — (مصفرّا) بعد اخضراره . وقال (مصفرّا) لأنّ تلك صفرة حادثة . وقيل (فرأوا السحاب مصفرّا) لأنّ السحاب الأصفر لا يمطر . واللام في (لئن) موطّئة للقسم

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ[1] وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ[2] ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ[3] إِن تُسْمِعُ[4] إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ[5] ﴿٥٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ[6] ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً[7]

دخلت على حرف الشرط . وسدّ مسدّ جوابى القسم والشرط (لظلوا) ومعناه ليظلّنّ (من بعده) أى من بعد اصفراره أو من بعد الاستبشار (يكفرون) . ذمّهم الله تعالى بأنّه إذا حبس عنهم المطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين . فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا . فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجّوا وكفروا بنعمة الله . فهم فى جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة وكان عليهم أن يتوكّلوا على الله وفضله ، فقنطوا ؛ وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ، ففرحوا ؛ وأن يصبروا على بلائه ، فكفروا .

(١) أى موتى القلوب أو هؤلاء فى حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك .

(٢) (ولا يَسمَع الصُّمّ) — مكّى — (الدعاء إذا ولّوا مدبرين) . فإن قلت : الأصمّ لا يسمع مقبلا أو مدبرا . فما فائدة هذا التخصيص ؟ قلت هو إذا كان مقبلا يفهم بالرمز والإشارة . فإذا ولّى لا يسمع ولا يفهم بالإشارة .

(٣) أى عمى القلوب . (وما أنت تهدى العمى) — حمزة — أى لا يمكنك أن تهدى الأعمى إلى طريق قد ضلّ عنه بإشارة منك له إليه .

(٤) ما تسمع .

(٥) منقادون لأوامر الله تعالى .

(٦) من النطف كقوله (من ماء مهين) .

(٧) يعنى حال الشباب وبلوغ الأشد .

ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ(١) يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ(٢) وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ(٣) ۝ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ(٤) يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ(٥) مَا لَبِثُواْ(٦) غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ(٧) ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ(٨)

---

(١) يعنى حال الشيخوخة والهرم .

(٢) من ضعف وقوة وشباب وشيبة .

(٣) (وهو العليم) بأحوالهم (القدير) على تغييرهم . وهذا الترديد فى الأحوال أبين دليل على الصانع العليم القدير .

فتح الضاد فى الكل عاصم وحمزة، وضم غيرهما وهو اختيار حفص . وهما لغتان والضم أقوى فى القراءة لما روى عن ابن عمر قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم (من ضَعف) فأقرأنى (من ضُعف) .

(٤) أى القيامة . سميت بذلك لأنها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا ، أو لأنها تقع بغتة كما تقول "فى ساعة" لمن تستعجله . وجرت علما لها كالنجم للثريا .

(٥) يحلف الكافرون . ولا وقف عليه ، لأن (مالبثوا) جواب القسم .

(٦) (مالبثوا) فى القبور أو فى الدنيا (غير ساعة) . استقلوا مدة لبثهم فى القبور أو فى الدنيا لهول يوم القيامة وطول مقامهم فى شدائدها ، أو ينسون ، أو يكذبون .

(٧) أى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق إلى الكذب فى الدنيا ويقولون (ما هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) .

(٨) هم الأنبياء والملائكة والمؤمنون .

لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ[1] وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ[2] ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ[3] ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟[4] مَعْذِرَتُهُمْ[5] وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ[6] ۝ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ[7] ۝

---

(1) (لقد لبثتم) فى علم الله المثبت فى اللوح ، أو فى حكم الله وقضائه (إلى يوم البعث). ردّوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة . ثمّ وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث). والفاء لجواب شرط يدلّ عليه الكلام تقديره إن كنتم منكرين البعث (فهذا يوم البعث) الذى أنكرتموه .

(2) (ولكنّكم كنتم) فى الدنيا (لا تعلمون) أنّه حقّ لتفريطكم فى طلب الحقّ واتّباعه .

(3) بالياء ، كوفىّ .

(4) كفروا .

(5) عذرهم .

(6) أى لا يقال لهم أرضوا ربّكم بتوبة . من قولك "استعتبنى فلان فأعتبته" أى استرضانى فأرضيته .

(7) أى ولقد وصفنا لهم كلّ صفة كأنّها مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كلّ قصّة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصّتهم ومايقولون وما يقال لهم ومالا ينفع من اعتذارهم ولايسمع من استعتابهم . ولكنّهم لقسوة قلوبهم إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل .

كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١) فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ (٢) وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٣)

(١) أى مثل ذلك الطبع — وهو الختم — يطبع الله على قلوب الجهلة الذين علم الله منهم اختيار الضلال حتّى يسمّوا المحقّين مبطلين . وهم أعرق خلق الله فى تلك الصفة .

(٢) (فاصبر) على أذاهم أو عداوتهم (إنّ وعد الله) بنصرتك على أعدائك و إظهار دين الإسلام على كلّ دين (حقّ) لا بدّ من إنجازه والوفاء به .

(٣) أى لا يحملنّك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفّة والعجلة فى الدعاء عليهم بالعذاب . أو لا يحمُلنّك على الخفّة والقلق جزعا ممّا يقولون و يفعلون . فانّهم ضُلّال شاكّون لا يستبدع منهم ذلك . (ولا يستخفّنْك) بسكون النون عن يعقوب . والله الموفّق للصواب .

سورة لقمان مكّيّة

وهى ثلاث أو أربع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ (١) ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٢) ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى (٣) مِّن رَّبِّهِمْ (٤) وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٥) ۝

(١) ذى الحكمة . أو وصف بصفة الله عزّ وجلّ على الإسناد المجازىّ .

(٢) (هدى ورحمة) حالان من الآيات . والعامل معنى الإشارة فى (تلك) . حمزة بالرفع على أنّ (تلك) مبتدأ و (آيات الكتاب) خبره و (هدى) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف . أى هو أو هى (هدى ورحمة للمحسنين) للذين يعملون الحسنات المذكورة فى قوله (الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون) . ونظيره قول أوس .

الألمعى الذى يظنّ بك الظنّ كأن قد رأى وقد سمعا

أو للذين يعملون جميع ما يحسن . ثمّ خصّ منهم القائمين بهذه الثلاثة لفضلها .

(٣) مبتدأ وخبر .

(٤) صفة لهدى .

(٥) عطف عليه .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ(١) لِيُضِلَّ(٢) عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ(٣) بِغَيْرِ عِلْمٍ(٤) وَيَتَّخِذَهَا(٥) هُزُوًا(٦) أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ(٧) ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا(٨)

(١) نزلت في النضر بن الحرث . وكان يشترى أخبار الأكاسرة من فارس ويقول إنّ محمّداً يقصّ طرفا من قصّة عاد وثمود . فأنا أحدّثكم بأحاديث الأكاسرة . فيميلون إلى حديثه ويتركون استماع القرآن . واللهو كلّ باطل ألهى عن الخير وعمّا يعنى . ولهو الحديث نحو السمر بالأساطير التى لا أصل لها والغناء . وكان ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما يحلفان أنّه الغناء . وقيل : الغناء مفسدة للقلب منفدة للمال مسخطة للربّ . وعن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم "ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلّا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتّى يكون هو الذى يسكت". والاشتراء من الشراء كما روى عن النضر، أو من قوله (اشتروا الكفر بالإيمان) أى استبدلوه منه واختاروه عليه . أى يختارون حديث الباطل على حديث الحقّ . وإضافة اللهو إلى الحديث للتبيين بمعنى من لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبيّن بالحديث . والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء فى الحديث "الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش" . أو للتبعيض كأنّه قيل ومن الناس من يشترى بعض الحديث الذى هو اللهو منه .

(٢) أى ليصدّ الناس عن الدخول فى الإسلام واستماع القرآن . (ليَضلّ) مكّىّ وأبو عمرو أى ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ويزيد فيه .

(٣) عن دين الإسلام والقرآن .

(٤) أى جهلا منه بما عليه من الوزر به .

(٥) أى السبيل . بالنصب ، كوفىّ غير أبى بكر ، عطفا على (ليضلّ) . ومن رفع عطفه على (يشترى) .

(٦) بسكون الزاى والهمزة ، حمزة . وبضمّ الزاى بلا همز ، حفص . وغيرهم بضمّ الزاى والهمزة .

(٧) أى يهينهم — و (مَن) لإبهامه يقع على الواحد والجمع — أى النضر وأمثاله .

(٨) أعرض عن تدبّرها متكبّرا رافعا نفسه عن الإصغاء إلى القرآن .

كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا(١) كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا(٢) فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا(٣) وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا(٤) وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ(٥) ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ(٦) تَرَوْنَهَا(٧) وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ(٨) أَن تَمِيدَ بِكُمْ(٩) وَبَثَّ(١٠) فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ(١١)

(١) يشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها . وهو حال من (مستكبرا) . والأصل كأنه . والضمير ضمير الشأن .

(٢) ثقلا . وهو حال من (لم يسمعها) . (أذنيه) نافع .

(٣) لا وقف على (لهم جنات النعيم) . لأنّ (خالدين فيها) حال من الضمير فى (لهم) .

(٤) مصدران مؤكّدان. الأوّل مؤكّد لنفسه. والثانى مؤكّد لغيره. إذ (لهم جنّات النعيم) فى معنى وعدهم الله جنّات النعيم . فأكد معنى الوعد بالوعد . و(حقّا) يدلّ على معنى الثبات . فأكد به معنى الوعد . ومؤكّدهما (لهم جنّات النعيم) .

(٥) (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شىء فيهين أعداءه بالعذاب المهين ، (الحكيم) بما يفعل فيثيب أولياءه بالنعيم المقيم .

(٦) جمع عماد .

(٧) الضمير للسموات. وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله (بغير عمد) . كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح ترانى . ولا محلّ لها من الإعراب لأنّها مستأنفة . أو فى محلّ الجرّ صفة لعمد أى بغير عمد مرئيّة. يعنى أنّه عمدها بعمد لا ترى . وهى إمساكها بقدرته .

(٨) جبالا ثوابت .

(٩) لئلا تضطرب بكم

(١٠) ونشر .

(١١) صنف .

كَرِيمٍ ﴿١٠﴾[١] هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ[٢] بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ[٣] ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ[٤] ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ[٥]

---

(١) حسن .

(٢) (هذا) — إشارة إلى ماذكر من مخلوقاته — (خلق الله) أى مخلوقه (فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) يعنى آلهتهم . بكّتهم بأنّ هذه الأشياء العظيمة ممّا خلقه الله فأرونى ما خلقته آلهتكم حتّى استوجبوا عندكم العبادة .

(٣) أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورّط فى ضلال ليس بعده ضلال .

(٤) هو لقمان بن باعوراء، ابن أخت أيّوب أو ابن خالته . وقيل كان من أولاد آزر . وعاش ألف سنة . وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم . وكان يفتى قبل مبعث داود عليه السلام . فلمّا بعث قطع الفتوى . فقيل له . فقال : ألا أكتفى إذا كُفيت ؟ وقيل كان خيّاطا . وقيل نجّارا . وقيل راعيا . وقيل كان قاضيا فى بنى إسرائيل . وقال عكرمة والشعبىّ كان نبيّا . والجمهور على أنّه كان حكيما ولم يكن نبيّا . وقيل خُيّر بين النبوّة والحكمة . وهى الإصابة فى القول والعمل . وقيل تتلمذ لألف نبىّ وتتلمذ له ألف نبىّ .

(٥) (أن) مفسّرة . والمعنى أى (اشكر لله) لأنّ إيتاء الحكمة فى معنى القول . وقد نبّه الله تعالى على أنّ الحكمة الأصليّة والعلم الحقيقىّ هو العمل بهما ، وعبادة الله والشكر له ، حيث فسّر إيتاء الحكمة بالحثّ على الشكر . وقيل لا يكون الرجل حكيما حتّى يكون حكيما فى قوله وفعله ومعاشرته وصحبته . وقال السرىّ السقطىّ الشكر ألّا نعصى الله بنعمه . وقال الجنيد : ألّا نرى معه شريكا فى نعمه . وقيل : هو الإقرار بالعجز عن الشكر . والحاصل أنّ شكر القلب المعرفة ، وشكر اللسان الحمد ، وشكر الأركان الطاعة . ورؤية العجز فى الكلّ ، دليل قبول الكلّ .

وَمَن يَشْكُرْ(٣) فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ(١) وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ(٢) ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ(٤) يَـٰبُنَىَّ(٥) لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ(٦) ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ(٧) وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ(٨) أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ(٩) إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ(١٠) ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ(١١)

(١) لأنّ منفعته تعود إليه فهو يريد المزيد .

(٢) (ومن كفر) النعمة (فإنّ الله غنىّ) غير محتاج إلى الشكر (حميد) حقيق بأن يحمد و إن لم يحمده أحد .

(٣) أى (و) اذكر (إذ) .

(٤) أنعم أواشكم .

(٥) بالإسكان ، مكىّ . (يا بنىّ) ، حفص بفتحه فى كلّ القرآن

(٦) لأنّه تسوية بين من لا نعمة إلّا وهى منه ومن لا نعمة له أصلا .

(٧) أى (حملته) تهن (وهنا على وهن) أى تضعف ضعفا فوق ضعف ، أى يتزايد ضعفها ويتضاعف . لأنّ الحمل كلّما ازداد أو عظم ازدادت ثقلا وضعفا .

(٨) أى فطامه عن الرضاع لتمام عامين .

(٩) هو تفسير ل(ووصّينا) أى وصّيناه بشكرنا و بشكر والديه . وقوله (حملته أمّه وهنا على وهن وفصاله فى عامين) اعتراض بين المفسّر والمفسّر، لأنّه لمّا وصّى بالوالدين ذكر ما تكابده الأمّ وتعانيه من المشاقّ فى حمله وفصاله هذه المدّة الطويلة تذكيرا بحقّها العظيم مفردا . وعن ابن عيينة : "من صلّى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين فى أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما" .

(١٠) أى مصيرك إلىّ وحسابك علىّ .

(١١) أراد بنفى العلم به نفيه . أى لا تشرك بى ما ليس بشىء ، يريد الأصنام .

فَلَا تُطِعْهُمَا(١) وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا(٢) وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ(٣) ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ(٤) فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(٥) ۝ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ(٦) إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ(٧) ۝

(١) (فلا تطعهما) فى الشرك .

(٢) صفة مصدر محذوف . أى صحابا (معروفا) حسنا بخلق جميـل وحلم واحتمال و برّ وصلة .

(٣) أى (واتّبع سبيل) المؤمنين فى دينك ولا تتّبع سبيلهما فيـه و إن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما فى الدنيا . وقال ابن عطاء : "صاحب من ترى عليه أنوار خدمتى" .

(٤) أى مرجعك ومرجعهما .

(٥) فأجازيك على إيمـانك وأجازيهما على كفرهما .

وقد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد تأكيدا لمـا فى وصيّة لقمان من النهى عن الشرك. يعنى إنّا وصّيناه بوالديه وأمرناه ألّا يطيعهما فى الشرك، و إن جهدا كلّ الجهد، لقبحه .

(٦) (مثقال) بالرفع، مدنىّ. والضمير للقصّة. وأنّث المثقال لإضافته إلى الحبّة كما قال :

* كما شرقت صدر القناة من الدم * وكان تامّة . والباقون بالنصب . والضمير للهنة من الإساءة والإحسان . أى إن كانت مثلا فى الصغر كحبّة خردل ، فكانت مع صغرها فى أخفى موضع وأحرزه بجوف الصخرة ، أو حيث كانت فى العالم العلوىّ أو السفلىّ — والأكثر على أنها التى عليها الأرض وهى السجّين يكتب فيها أعمـال الفجّار . وليست من الأرض — (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها .

(٧) (إنّ الله لطيف) بتوصّـل علمه إلى كلّ خفىّ (خبير) عالم بكنهه . أو (لطيف) باستخراجها (خبير) بمستقرّها .

يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ[١] إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ[٢] ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ[٣] وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا[٤] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ[٥] فَخُورٍ[٦] ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ[٧]

---

(١) (على ما أصابك) من الأذى إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر. أو (على ما أصابك) من المحن، فانّها تورث المنح.

(٢) (إنّ ذلك) الذى وصّيتك به ممّا عزمه الله من الأمور أى قطعه قطع إيجاب و إلزام أى أمر به أمرا حتما. وهو من تسمية المفعول بالمصدر. وأصله من معزومات الأمور أى مقطوعاتها ومفروضاتها. وهذا دليل على أنّ هذه الطاعات كانت مأمورا بها فى سائر الأمم.

(٣) أى ولا تعرض عنهم تكبّرا. (تُصَاعِر)، أبو عمرو ونافع وحمزة وعلىّ. وهو بمعنى (تصعّر). والصعر داء يصيب البعير يلوى منه عنقه. والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولّهم شقّ وجهك وصفحته كما يفعله المتكبّرون.

(٤) أى تمرح (مرحا). أو أوقع المصدر موقع الحال أى مرحا. أو (ولا تمش) لأجل المرح والأشر.

(٥) متكبّر.

(٦) من يعدّد مناقبه تطاولا.

(٧) القصد التوسّط بين العُلوّ والتقصير أى اعدل فيه حتّى يكون مشيا بين مشيين لا تدبّ دبيب المتماوتين ولا تثب وثوب الشطّار. قال عليه السلام "سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن". وأما قول عائشة فى عمر رضى الله عنه: "كان إذا مشى أسرع"، فإنّما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت. وعن ابن مسعود رضى الله عنه "كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى ولكن مشيا بين ذلك" وقيل: معناه وانظر موضع قدميك متواضعا.

وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ[1] إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ[2] ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ[3] وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ[4] وَأَسْبَغَ[5] عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ[6] ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً[7] وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ[8] بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾

---

(١) وانقص منه أى اخفض صوتك .

(٢) أى (إنّ) أوحشها (لصوت الحمير) لأن أوّله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار. وعن الثورىّ صياح كلّ شيء تسبيح إلّا الحمار فإنّه يصيح لرؤية الشيطان . ولذلك سمّاه الله منكرا . وفى تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق تنبيه على أنّ رفع الصوت فى غاية الكراهة . يؤيّده ما روى أنّه عليه السلام كان يعجبه أن يكون الرجل خفيض الصوت ويكره أن يكون مجهور الصوت. وإنّما وحّد صوت الحمير ولم يجمع لأنّه لم يرد أن يذكر صوت كلّ واحد من آحاد هذا الجنس حتّى يجمع، بل المراد أنّ كلّ جنس من الحيوان له صوت وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده .

(٣) يعنى الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك .

(٤) يعنى البحار والأنهار والمعادن والدوابّ وغير ذلك .

(٥) وأتمّ .

(٦) مدنىّ وأبو عمرو وسهل وحفص. (نعمته)(*) غيرهم. والنعمة كلّ نفع قصد به الإحسان.

(٧) (ظاهرة) بالمشاهدة (وباطنة) ما لا يعلم إلّا بدليل . ثمّ قيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة ، والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك . ويروى فى دعاء موسى عليه السلام : إلهى دلّنى على أخفى نعمتك على عبادك . فقال أخفى نعمتى عليهم النفس . وقيل تخفيف الشرائع وتضعيف الذرائع ، والخلق والخلق، ونيل العطايا وصرف البلايا ، وقبول الخلق ورضا الربّ . وقال ابن عباس : الظاهرة ما سوّى من خلقك، والباطنة ما ستر من عيوبك .

(٨) نزلت فى النضر بن الحرث . وقد مرّ فى الحجّ .

(*) نِعْمَةً .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (١) ۝ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ (٢) فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ (٣) وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ (٤) ۝ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ (٥) إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ (٦) إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٧) ۝ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٨) ۝

---

(١) معناه (أ) يتّبعونهم (ولو كان الشيطان يدعوهم) أى فى حال دعاء الشيطان إيّاهم إلى العذاب .

(٢) عدّى هنا بإلى وفى (بلى من أسلم وجهه لله) باللام. فمعناه مع اللام أنّه جعل وجهه — وهو ذاته ونفسه — سالما لله أى خالصا . ومعناه مع إلى أنّه سلم إليه نفسه كما يسلّم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه . والمراد التوكّل عليه والتفويض إليه .

(٣) (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن) فيما يعمل (فقد) تمسّك وتعلّق (بالعروة) هى ما يعلّق به الشىء (الوثقى) تأنيث الأوثق . مثّل حال المتوكّل بحال من أراد أن يتدلّى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه .

(٤) أى هى صائرة إليه فيجازى عليها .

(٥) (ومن كفر) ولم يسلم وجهه لله (فلا يحزنك كفره) من حزَن (يُحزِنك) نافع من أحزن . أى لا يهمّنّك كفر من كفر .

(٦) فنعاقبهم على أعمالهم .

(٧) (إنّ الله) يعلم ما فى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه .

(٨) (نمتّعهم) زمانا (قليلا) بدنياهم (ثمّ نضطرهم) نلجئهم (إلى عذاب غليظ) شديد. شبه إلزامهم التعذيب و إرهاقهم إيّاه باضطرار المضطرّ إلى الشىء . والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة . والمراد الشدّة والثقل على المعذّب .

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ[1] بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[2] ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ[3] ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ[4] أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ

(١) إلزام لهم على إقرارهم بأنّ الذى خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنّه يجب أن يكون له الحمد والشكر وألّا يعبد معه غيره .

(٢) (لا يعلمون) أنّ ذلك يلزمهم . و إذا نبّهوا عليه لم يتنبهوا .

(٣) (الغنيّ) عن حمد الحامدين (الحميد) المستحّق للحمد و إن لم يحمدوه .

(٤) قال المشركون إنّ هذا — أى الوحى — كلام سينفد. فأعلم الله أنّ كلامه لا ينفد . (والبحرَ) بالنصب، أبو عمرو ويعقوب ، عطفا على اسم أنّ وهو (ما) . والرفع على محلّ (أنّ) ومعمولها . أى ولو ثبت كون الأشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة أبحر. أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار أقلام فى حال كون البحر ممدودا . وقرئ (يمِدّه).وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو أنّ الشجر أقلام والبحر مداد . لكن أغنى عن ذكر المداد قوله (يمدّه) لأنّه من قولك مدّ الدواة وأمدّها . جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر السبعة مملوءة مدادا فهى تصبّ فيه مدادها أبدا صبّا لا ينقطع. والمعنى: ولو أنّ أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر، وكُتبتْ بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله، لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام والمداد . كقوله (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربّى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّى) . فإن قلت زعمت أنّ قوله (والبحر يمدّه) حال فى أحد وجهى الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذى الحال. قلت هو كقولك جئت والجيش مصطفّ وما أشبه ذلك من الأحوال التى حكمها حكم الظروف . و إنّما ذكر شجرة على التوحيد لأنّه أريد تفصيل الشجر وتقصّيها شجرة شجرة حتّى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلّا وقد بريت أقلاما . وآوثر الكلمات وهى جمع قلّة على الكلم وهى جمع كثرة لأنّ معناه أنّ كلماته لا تفى بكتبتها البحار ، فكيف بكلمه ؟

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١) مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ (٢) إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ (٤) وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ (٥) كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى (٦) وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ (٧) خَبِيرٌ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ (٨) مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ

---

(١) (إنّ الله عزيز) لا يعجزه شيء (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شيء فلا تنفد كلماته وحكمه .

(٢) (ما خلقكم ولا بعثكم) إلّا كخلق نفس واحدة و بعث نفس واحدة، فحذف للعلم به. أى سواء فى قدرته القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن .

(٣) (إنّ الله سميع) لقول المشركين إنّه لا بعث (بصير) بأعمالهم فيجازيهم .

(٤) يدخل ظلمة الليل فى ضوء النهار إذا أقبل الليل .

(٥) (وسخّر الشمس والقمر) لمنافع العباد .

(٦) أى كلّ واحد من الشمس والقمر (يجرى) فى فلكه و يقطعه (إلى أجل مسمّى) إلى يوم القيامة . أو إلى وقت معلوم — الشمس إلى آخر السنة ، والقمر إلى آخر الشهر.

(٧) و بالياء عيّاش .

دلّ أيضا — بتعاقب الليل والنهار، وزيادتهما ونقصانهما، وجرى النيّرين فى فلكيهما على تقدير وحساب ، وبإحاطته بجميع أعمال الخلق — على عظم قدرته وكمال حكمته .

(٨) (يدعون) بالياء عراقىّ غير أبى بكر . أى ذلك الوصف الذى وصف به — من عجائب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذى يدعونه من دون الله — إنّما هو بسبب أنّه هو الحقّ الثابت الإلهيّة وأنّ من دونه باطل الإلهيّة وأنّه (هو العلىّ) الشأن (الكبير) السلطان .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ[1] تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ[2] لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ[3] إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ[4] ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم[5] مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ[6] دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ[7] وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ[8] إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ[9] كَفُورٍ[10] ﴿٣٢﴾

---

(١) وقرئ (الفُلُك) . وكلّ فُعْل يجوز فيه فُعُل كما يجوز فى كلّ فُعُل فُعْل .

(٢) بإحسانه ورحمته . أو بالريح لأنّ الريح من نعم الله .

(٣) (ليريكم من) عجائب قدرته فى البحر إذا ركبتموها .

(٤) (صبّار) على بلائه (شكور) لنعمائه . وهما صفتا المؤمن . فالإيمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر . فكأنّه قال (إنّ فى ذلك لآيات لكلّ) مؤمن .

(٥) أى الكفار .

(٦) الموج يرتفع فيعود مثل الظلل . والظلّة كلّ ما أظلّك من جبل أو سحاب أو غيرهما .

(٧) أى باق على الإيمان والإخلاص الذى كان منه ولم يعد إلى الكفر . أو (مقتصد) فى الإخلاص الذى كان عليه فى البحر. يعنى أنّ ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قطّ . والمقتصد قليل نادر .

(٨) أى بحقيقتها .

(٩) غدّار . والختر أقبح الغدر .

(١٠) (كفور) لربّه .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ (١)
وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا (٢) إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٣) (٤) ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ (٥)
وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ (٦) وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ (٧) وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا (٨)

---

(١) لا يقضى عنه شيئا . والمعنى (لا يجزى) فيه لحذف .

(٢) وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ماهو معطوف عليه . لأنّ الجملة الإسمية آكد من الجملة الفعليّة . وقد انضمّ إلى ذلك قوله (هو) ، وقوله (مولود) . والسبب فى ذلك أنّ الخطاب للمؤمنين . وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر . فأريد حسم أطماعهم أن ينفعوا آباءهم بالشفاعة فى الآخرة . ومعنى التأكيد فى لفظ المولود أنّ الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لأجداده . إذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنّه لمن ولد منك ، كذا فى الكشّاف .

(٣) (إنّ وعد الله) بالبعث والحساب والجزاء (حقّ فلا تغرّنّكم الحياة الدنيا) بزينتها فإنّ نعمتها دانية ، ولذّتها فانية .

(٤) الشيطان أو الدنيا أو الأمل .

(٥) أى وقت قيامها .

(٦) بالتشديد شامىّ ومدنىّ وعاصم . وهو عطف على مايقتضيه الظرف من الفعل تقديره (إنّ الله) يثبت (عنده علم الساعة وينزّل الغيث) فى إبانه من غير تقديم ولا تأخير .

(٧) (ويعلم مافى الأرحام) أذكر أم أنثى وتامّ أم ناقص .

(٨) (وماتدرى نفس) برّة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شرّ . وربّما كانت عازمة على خير فعملت شرّا ، وعازمة على شرّ فعملت خيرا .

وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ[(١)] إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ[(٢)] ﴿٣٤﴾

(١) أى(وما تدرى نفس) أين تموت . وربّما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها فترمى بها مرامى القدر حتّى تموت فى مكان لم يخطر ببالها . روى أنّ ملك الموت مرّ على سليمان بجعل ينظر إلى رجل من جلسائه. فقال الرجل من هذا ؟ قال له ملك الموت. قال كأنّه يريدنى . وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح و يلقيه ببلاد الهند ففعل . ثمّ قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى إليه تعجّبا منه لأنّى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهوعندك . وجعل العلم لله والدراية للعبيد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة . والمعنى أنّها لاتعرف وإن أعملت حيلها ما يختصّ بها. ولا شىء أخصّ بالإنسان من كسبه وعاقبته. فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان ما عداهما أبعد . وأمّا المنجّم الذى يخبر بوقت الغيث والموت فإنّه يقول بالقياس والنظر فى الطالع . وما يدرك بالدليل لايكون غيبا . على أنّه مجرّد الظنّ والظنّ غير العلم . وعن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم "مفاتح الغيب خمس" وتلا هذه الآية . وعن ابن عباس رضى الله عنهما "من ادّعى علم هذه الخمسة فقد كذب". ورأى المنصور فى منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدّة عمره. فأشار بأصابعه الخمس فعبّرها المعبّرون بخمس سنوات و بخمسة أيام . فقال أبو حنيفة رضى الله عنه هو إشارة إلى هذه الآية فإنّ هذه العلوم الخمسة لا يعلمها إلّا الله .

(٢) (إنّ الله عليم) بالغيوب (خبير) بما كان و يكون . وعن الزهرىّ رضى الله عنه : "أكثروا قراءة سورة لقمان فإنّ فيها أعاجيب" . والله أعلم .

سورة السجدة مكّيّة

وهى ثلاثون آية مدنىّ وكوفىّ وتسع وعشرون آية بصرىّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ[1] قَوْمًا[2] مَّآ أَتَىٰهُم[3] مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ

(١) (الٓمٓ) – على أنّها اسم السورة – مبتدأ وخبره (تنزيل الكتاب). وإن جعلتها تعديدا للحروف ارتفع (تنزيل) بأنّه خبر مبتدأ محذوف . أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) . أو يرتفع بالابتداء وخبره (من ربّ العالمين) و(لا ريب فيه) اعتراض لا محلّ له . والضمير فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنّه قيل لا ريب فى ذلك أى فى كونه منزلا من ربّ العالمين لأنّه معجز للبشر ومثله أبعد شىء من الريب . ثمّ أضرب عن ذلك إلى قوله (أم يقولون افتراه) — أى اختلقه محمد — لأنّ (أم) هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة . معناه بل أيقولون افتراه ، إنكارا لقولهم وتعجيبا منهم لظهور أمره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه . ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنّه (الحقّ من ربّك) ولم يفتره محمّد صلّى الله عليه وسلّم كما قالوا تعنّتا وجهلا .

(٢) أى العرب .

(٣) (ما) للنفى . والجملة صفة لـ (قوما) .

لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ(١) ۝ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ(٢) مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ(٣) مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ(٤) أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ(٥) ۝ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ(٦) ۝ ذَٰلِكَ عَـٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(٧) ۝ الَّذِىٓ أَحْسَنَ(٨) كُلَّ شَىْءٍ

(١) على الترجّى من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما كان (لعلّه يتذكّر) على الترجّى من موسى وهرون .

(٢) استولى عليه بإحداثه .

(٣) من دون الله .

(٤) أى إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم وليا أى ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم .

(٥) تتّعظون بمواعظ الله .

(٦) أى (يدبّر) أمر الدنيا (من السماء إلى الأرض) إلى أن تقوم الساعة (ثمّ يعرج إليه) ذلك الأمر كله أى يصير إليه ليحكم فيه (فى يوم) — وهو يوم القيامة — (كان مقداره ألف سنة ممّا تعدّون) من أيّام الدنيا . ولا تمسّك للمشبّهة بقوله (إليه) فى إثبات الجهة لأنّ معناه إلى حيث يرضاه أو أمره ، كما لا تشبّث لهم بقوله : (إنّى ذاهب إلى ربّى) . (إنّى مهاجر إلى ربّى) . (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله) .

(٧) أى ذلك الموصوف بما مرّ (عالم) ما غاب عن الخلق وما شاهدوه (العزيز) الغالب أمره (الرحيم) البالغ لطفه وتيسيره . وقيل لا وقف عليه لأنّ (الذى) صفته .

(٨) أى حسّنه لأنّ كلّ شىء مرتّب على ما اقتضته الحكمة .

خَلَقَهُۥ (١) وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ (٢) مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ (٣) مِن سُلَٰلَةٍ (٤) مِّن مَّآءٍ (٥) مَّهِينٍ (٦) ۞ ثُمَّ سَوَّىٰهُ (٧) وَنَفَخَ (٨) فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ (٩) وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ (١٠) قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (١١) ۞ وَقَالُوٓاْ (١٢) أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ (١٣) أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ (١٤) ۞

(١) كوفىّ ونافع وسهل على الوصف أى كلّ شىء خلقه فقد أحسن. (خَلْقَه) غيرهم على البدل أى أحسن خلق كلّ شىء .

(٢) آدم .

(٣) ذريّته .

(٤) من نطفة .

(٥) أى منىّ . بدل من (سلالة) .

(٦) ضعيف حقير .

(٧) قوّمه كقوله (فى أحسن تقويم) .

(٨) أدخل .

(٩) الإضافة للاختصاص كأنّه قال ونفخ فيه من الشىء الذى اختصّ هو به وبعلمه .

(١٠) (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا .

(١١) أى تشكرون قليلا .

(١٢) القائل أبىّ بن خلف . ولرضاهم أسند إليهم .

(١٣) ضللنا أى صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا نتميّز منه كما يضلّ الماء فى اللبن . أو غبنا فى الأرض بالدفن فيها . وقرأ علىّ (ضلِلنا) بكسر اللام يقال ضَلّ يضِلّ وضلّ يضَلّ . وانتصب الظرف فى (أئذا ضللنا) بما يدلّ عليه (أئنّا لفى خلق جديد) وهو نبعث .

(١٤) جاحدون . لمّا ذكر كفرهم بالبعث أضرب عنه إلى ما هو أبلغ وهو أنّهم كافرون بجميع ما يكون فى العاقبة لا بالبعث وحده .

قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ[١] ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ[٢] إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ[٣] نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ[٤] عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا[٥] نَعْمَلْ صَٰلِحًا[٦] إِنَّا مُوقِنُونَ[٧] ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا[٨]

---

(١) أى (يتوفاكم ملك الموت الذى وكّل) بقبض أرواحكم (ثمّ) ترجعون (إلى ربّكم) بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء. وهذا معنى لقاء الله. والتوفّى استيفاء النفس وهى الروح كملا أى يقبض أرواحكم أجمعين. من قولك توفّيت حقّى من فلان إذا أخذته وافيا كملا من غير نقصان. وعن مجاهد "حُوِّيت لملك الموت الأرضُ وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء". وقيل ملك الموت يدعو الأرواح فتجيبه ثمّ يأمر أعوانه بقبضها والله تعالى هو الآمر لذلك كلّه وهو الخالق لأفعال المخلوقات. وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله (توفّته رسلنا) وقوله (الله يتوفّى الأنفس حين موتها).

(٢) الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو لكلّ أحد. ولو امتناعية. والجواب محذوف أى لرأيت أمراً عظيما.

(٣) هم الذين قالوا (أئذا ضللنا فى الأرض). ولو وإذ للمضىّ. وإنّما جاز ذلك لأنّ المترقّب من الله بمنزلة الموجود. ولا يقدر لـ (ترى) مايتناوله، كأنّه قيل (ولو) تكون منك الرؤية. و(إذ) ظرف له.

(٤) (ناكسوا رءوسهم) من الذّل والحياء والندم.

(٥) (عند) حساب (ربّهم). ويوقف عليه لحقّ الحذف، إذالتقدير يقولون (ربّنا أبصرنا) صدق وعدك ووعيدك (وسمعنا) منك تصديق رسلك. أو كنّا عميا وصمّا فأبصرنا وسمعنا (فارجعنا). إلى الدنيا.

(٦) أى الإيمان والطاعة.

(٧) (إنّا موقنون) بالبعث والحساب الآن.

(٨) (ولو شئنا لآتينا كلّ نفس هداها) فى الدنيا. أى لو شئنا أعطينا كلّ نفس ما عندنا من اللطف الذى لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا لكن لم نعطهم ذلك اللطف لما علمنا منهم

وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى[١] لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ[٢] إِنَّا نَسِينَٰكُمْ[٣] وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ[٤] بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[٥] ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا[٦] خَرُّوا۟ سُجَّدًا[٧] وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ[٨] وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ[٩] ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ[١٠]

اختيار الكفر و إيثاره وهو حجّة على المعتزلة. فإنّ عندهم شاء الله أن يعطى كلّ نفس ما به اهتدت. وقد أعطاها . لكنّها لم تهتد . وهم أوّلوا الآية بمشيئة الجبر. وهو تأويل فاسد لما عرف فى تبصّر الأدلّة .

[١] (ولكن) وجب (القول منّى) بما علمت أنّه يكون منهم ما يستوجبون به جهنّم. وهو ما علم منهم أنّهم يختارون الرّدّ والتكذيب . وفى تخصيص الإنس والجنّ إشارة إلى أنّه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنّم .

[٢] (فذوقوا) العذاب بما تركتم من عمل لقاء (يومكم هذا) وهو الإيمان به .

[٣] تركناكم فى العذاب كالمنسىّ .

[٤] أى العذاب الدائم الذى لا انقطاع له .

[٥] (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصى .

[٦] أى وعظوا بها .

[٧] سجدوا لله تواضعا وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الإسلام .

[٨] ونزّهوا الله عمّا لا يليق به وأثنوا عليه حامدين له .

[٩] (وهم لا يستكبرون) عن الإيمان والسجود له .

[١٠] ترتفع وتتنحّى عن الفرش ومضاجع النوم. قال سهل : وهب لقوم هبة وهو أن أذن لهم فى مناجاته وجعلهم من أهل وسيلته . ثمّ مدحهم عليه. فقال (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) .

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ[1] خَوْفًا وَطَمَعًا[2] وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ[3] ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم[4] مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[5] ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ[6] ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ[7]

(١) داعين (ربّهم) عابدين له .

(٢) مفعول له . أى لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم فى رحمته . وهم المتهجّدون . وعن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فى تفسيرها " قيام العبد من الليل" . وعن ابن عطاء " أبت جنوبهم أن تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القربة" يعنى صلاة الليل . وعن أنس "كان أناس من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يصلّون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الأخيرة فنزلت فيهم" . وقيل هم الذين يصلّون صلاة العَتَمة لا ينامون عنها .

(٣) (وممّا رزقناهم ينفقون) فى طاعة الله تعالى .

(٤) (ما) بمعنى الذى . (أخفى) على حكاية النفس(*) ، حمزة ويعقوب .

(٥) أى لا يعلم أحد ما أعدّ لهؤلاء من الكرامة (جزاء) مصدر . أى جوزوا (جزاء بما كانوا يعملون). عن الحسن رضى الله عنه " أخفى القوم أعمالا فى الدنيا فأخفى الله لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت" . وفيه دليل على أنّ المراد الصلاة فى جوف الليل ليكون الجزاء وفاقا .

(٦) بيّن أنّ من كان فى نور الطاعة والإيمان لا يستوى مع من هو فى ظلمة الكفر والعصيان بقوله (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) . أى كافرا وهما محمولان على لفظ (من) ، وقوله (لا يستوون) على المعنى بدليل قوله (أمّا الذين آمنوا) الآيتين .

(٧) هى نوع من الجنان تأوى اليها أرواح الشهداء . وقيل هى عن يمين العرش .

(*) قوله على حكاية النفس أى بأن يقرأ (أخفى) بصيغة المضارع .

نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١) ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ (٢) كُلَّمَآ أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَآ أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ (٣) ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٤) ۝ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٥) ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ (٦) إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٧) ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ (٨)

---

(١) عطاء بأعمالهم . والنزل عطاء النازل ثمّ صار عامّا .

(٢) أى ملجؤهم ومنزلهم .

(٣) أى يقول لهم خزنة النار .

(٤) وهذا دليل على أنّ المراد بالفاسق الكافر إذ التكذيب يقابل الإيمـان .

(٥) أى (ولنذيقنّهم من) عذاب الدنيا من الأسر وما محنوا به من السـنة سبع سنين (دون) عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيـا قبل أن يصلوا إلى الآخرة — وعن الدارانى العذاب الأدنى الخذلان والعذاب الأكبر الخلود فى النيران وقيل العذاب الأدنى عذاب القبر — لعلّ المعذّبين بالعذاب الأدنى يتوبون عن الكفر .

(٦) (ومن أظلم ممّن) وعظ (بآيات ربّه) — بالقرآن — فتولّى عنها ولم يتدبّر فيها . و(ثمّ) للاستبعاد . أى أنّ الإعراض عن مثل هذه الآيات فى وضوحها و إنارتهـا و إرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بهامستبعد فى العقل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثمّ لم تنتهزها استبعاداً لتركه الانتهاز .

(٧) ولم يقل منه لأنّه إذا جعله أظلم كلّ ظالم ثمّ توعّد المجرمين عامّة بانتقام منهم فقـد دلّ على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام . ولو قال بالضمير لم يفد هذه الفائدة .

(٨) التوراة .

فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ[1] مِّن لِّقَآئِهِۦ[2] وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى[3] لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً[4] يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟[5] وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ[6] ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ[7] ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ[8] يَهْدِ لَهُمْ كَمْ[9] أَهْلَكْنَا

---

(١) شكّ .

(٢) من لقاء موسى الكتاب . أو من لقائك موسى ليلة المعراج ، أو يوم القيامة ، أو لقاء موسى ربّه فى الآخرة . كذا عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

(٣) وجعلنا الكتاب المنزل على موسى (هدى) لقومه .

(٤) بهمزتين كوفىّ وشامىّ .

(٥) (يهدون) الناس ويدعونهم إلى ما فى التوراة من دين الله وشرائعه (بأمرنا) إيّاهم بذلك حين صبروا على الحقّ بطاعة الله . أو عن المعاصى (لما صبروا) . حمزة وعلىّ أى لصبرهم عن الدنيا . وفيه دليل على أنّ الصبر ثمرته إمامة الناس .

(٦) (وكانوا بآياتنا) — التوراة — يعلمون علما لا يخالجه شكّ .

(٧) (إنّ ربّك هو) يقضى بين الأنبياء وأممهم أو بين المؤمنين والمشركين (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيظهر المحقّ من المبطل .

(٨) الواو للعطف على معطوف عليه منوىّ من جنس المعطوف. أى (أ) لم يدع (ولم يهد) يبيّن — والفاعل الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب (نهد) — لأهل مكّة .

(٩) لا يجوز أن يكون (كم) فاعل (يهد) ، لأنّ (كم) للاستفهام فلا يعمل فيه ماقبله . ومحلّه نصب بقوله (أهلكنا) .

مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ(١) يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ(٢) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ(٣) ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ(٤) إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ(٥) فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ(٦) أَفَلَا يُبْصِرُونَ(٧) ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ(٨) ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ(٩) ﴿٢٩﴾

---

(١) كعاد وثمود وقوم لوط .

(٢) أى أهل مكة يمرون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم .

(٣) (أفلا يسمعون) المواعظ فيتّعظوا .

(٤) نجرى المطر والأنهار .

(٥) أى الأرض التى جرز نباتها أى قطع إما لعدم الماء أو لأنه رعى . ولا يقال للتى لاتنبت كالسباخ جرز بدليل قوله (فنخرج به زرعا) .

(٦) (فنخرج) بالماء (زرعا تأكل منه) من الزرع (أنعامهم) من عَصْفه (وأنفسهم) من حبّه .

(٧) (أفلا يبصرون) بأعينهم فيستدلّوا على إحياء الموتى .

(٨) (الفتح) النصر أو الفصل بالحكومة من قوله (ربّنا افتح بيننا) . وكان المسلمون يقولون إنّ الله سيفتح لنا على المشركين . أو يفتح بيننا وبينهم . فإذا سمع المشركون ذلك ، قالوا (متى هذا الفتح) أى فى أىّ وقت يكون (إن كنتم صادقين) فى أنه كائن .

(٩) أى يوم القيامة — وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ، ويوم نصرهم عليهم . أو يوم بدر . أو يوم فتح مكّة — (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون) .

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ[١] ﴿٣٠﴾

وهـذا الكلام لم ينطبق جوابا على سؤالهم ظاهرا . ولكن لمّا كان غرضهم فى السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء أجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم فى سؤالهم فقيل لهم لاتستعجلوا به ولا تستهزئوا فكأنّى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم فلاينفعكم الإيمان أو استنظرتم فى إدراك العذاب فلم تنظروا . ومن فسّره بيوم الفتح أو بيوم بدر فهو يريد المقتولين منهم فإنّهم لاينفعهم إيمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند الغرق .

(١) (وانتظر) النصرة وهلاكهم (إنّهم منتظرون) الغلبة عليكم وهلاككم . وكان عليه السلام لاينام حتّى يقرأ (ألم تنزيل) السجدة و(تبارك الذى بيده الملك). وقال من قرأ (ألم تنزيل) فى بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: سورة (ألم تنزيل) هى المانعة تمنع من عذاب القبر. والله أعلم .

سورة الأحزاب مدنيّة

وهى ثلاث وسبعون آية(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ(٢) ٱتَّقِ ٱللَّهَ(٣) وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾

(١) قال أبىّ بن كعب رضى الله عنه لزرّ : كم تعدّون سورة الأحزاب؟ قال ثلاثا وسبعين : قال فوالذى يحلف به أبىّ إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول . ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة (نكالا من الله والله عزيز حكيم) . أراد أبىّ أنّ ذلك من جملة ما نسخ من القرآن . وأمّا ما يحكى أنّ تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة رضى الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض .

(٢) وبالهمزة نافع ، أى يأيّها المخبر عنّا المأمون على أسرارنا المبلغ خطابنا إلى أحبابنا . وإنّما لم يقل يامحمد كما قال (يا آدم) (يا موسى) تشريفا له وتنويها بفضله . وتصريحه باسمه فى قوله (محمد رسول الله) ونحوه لتعليم الناس بأنّه رسول الله .

(٣) أثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه فهو باب لا يدرك مداه .

(٤) ولا تساعدهم على شىء واحترس منهم فإنّهم أعداءالله والمؤمنين . وروى أنّ أباسفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبا الأعور السلمىّ قدموا المدينة بعد قتال أحد فنزلوا على عبدالله بن أبىّ وأعطاهم النبىّ الأمان على أن يكلّموه . فقالوا ارفض ذكر آلهتنا وقل إنّها تنفع وتشفع . ووازرهم المنافقون على ذلك . فهمّ المسلمون بقتلهم . فنزلت . أى (اتّق الله) فى نقض العهد (ولا تطع الكافرين) من أهل مكّة (والمنافقين) من أهل المدينة فيما طلبوا (إنّ الله كان عليما) بخبث أعمالهم (حكيما) فى تأخير الأمر بقتالهم .

وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١) ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ (٢) وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٣) ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ (٤)

(١) (واتّبع مايوحى إليك من ربّك) فى الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين (إنّ الله) الذى يوحى إليك لم يزل عالمـا بأعمالهم وأعمالكم . وقيل إنمـا جمع لأنّ المراد بقوله (اتّبع) هو وأصحابه . وبالياء أبو عمرو أى بمـا يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم .

(٢) أسند أمرك إليه وكله إلى تدبيره .

(٣) حافظا موكولا إليـه كلّ أمر . وقال الزجّاج لفظه وإن كان لفظ الخبر فالمعنى اكتف بالله وكيلا .

(٤) أى ماجمع الله قلبين فى جوف ولازوجيّة وأمومة فى امرأة ولا بنوّة ودعوة فى رجل. والمعنى أنّه تعالى كما لم يجعل لإنسان قلبين — لأنّه لا يخلو إمّا أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليه، و إمّا أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدّى إلى اتّصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالمـا ظانّا موقنا شاكّا فى حالة واحدة — لم يحكم أيضا أن تكون المرأة الواحدة أمّا لرجل وزوجا له ، لأنّ الأمّ مخدومة والمرأة خادمة وبينهما منافاة ، وأن يكون الرجل الواحد دَعِيّاً لرجل وابنا له لأن البنوّة أصالة فى النسب والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لاغير، ولا يجتمع فى الشىء الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل. وهذا مثل ضربه الله تعالى فى زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبى صغيرا فاشتراه حكيم ابن حزام لعمّته خديجـة . فلمـا تزوّجها رسول الله صلّى الله عليه وسـلّم وهبته له فطلبه أبوه وعمّه فخيّر فاختار رسول الله صلّى الله عليه وسـلّم فأعتقه وتبنّاه . وكانوا يقولون زيد بن محمد ، فلمّا تزوّج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوّج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه . فأنزل الله هـذه الآية . وقيل كان المنافقون يقولون لمحمّد قلبان قلب معكم

ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ (١) فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ (٢)

وقلب مع أصحابه . وقيل كان أبو معمر أحفظ العرب فقيل له ذو القلبين فأكذب الله قولهم وضربه مثلا فى الظهار والتبنّى . والتنكير فى (رجل) وإدخال (من) الاستغراقية على (قلبين) وذكر الجوف ، للتأكيد . (اللائى) بياء بعد الهمزة حيث كان كوفىّ وشامىّ . (اللاءِ) نافع ويعقوب وسهل . وهى جمع التى . (تُظَاهِرون) عاصم من ظاهر إذا قال لامرأته أنت علىّ كظهر أمّى . (تَظَاهَرون) علىّ وحمزة وخلف . (تَظّاهَرون) شامىّ من اظّاهر بمعنى تظاهر . غيرهم (تَظّهّرون) من اظّهّر بمعنى تظهّر . وعدّى بمن لتضمّنه معنى البعد لأنّه كان طلاقا فى الجاهليّة ونظيره آلى من امرأته لمـّا ضمّن معنى التباعد عدّى بمن . وإلّا ، فآلى فى أصله الذى هو معنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه . والدعىّ فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولدا . وقيل كان الرجل فى الجاهليّة إذا أعجبه ولد الرجل ضمّه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال فلان بن فلان . وجمع على أفعلاء شاذًا — لأنّ بابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقىّ وأتقياء وشقىّ وأشقياء ولا يكون ذلك فى نحو رمىّ وسمىّ — للتشبيه اللفظىّ .

(١) أى أنّ قولكم للزوجة هى أمّ وللدعىّ هو ابن قول تقولونه بألسنتكم لا حقيقة له إذ الابن يكون بالولادة وكذا الأمّ (والله يقول الحقّ) أى ماحقّ ظاهره وباطنه (وهو يهدى السبيل) أى سبيل الحقّ . ثمّ قال ما هو الحقّ وهدى إلى ما هو سبيل الحقّ وبيّن أنّ دعاءهم لآبائهم هو أدخل الأمرين فى القسط والعدل وهو قوله (ادعوهم لآبائهم هو أقسط) أعدل (عند الله).

ثمّ انظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجملة الطلبيّة ثمّ فصل الخبريّة عنها ووصل بينها ثمّ فصل الاسميّة عنها ووصل بينها ثمّ فصل بالطلبيّة .

(٢) فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم إليهم ، فهم إخوانكم فى الدين وأولياؤكم فى الدين فقولوا هذا أخى وهذا مولاى ويا أخى ويا مولاى يريد الأخوّة فى الدين والولاية فيه .

وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ[1] وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا[2] ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ[3] وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ[4] وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ[5]

(١) أى لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهى ولكن الإثم عليكم فيما تعمّدتموه بعد النهى ، أو لا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يابنىّ على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه متعمّدين . و(ما) فى موضع الجرّ عطف على (ما) الأولى . ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على سبيل العموم ثمّ تناول لعمومه خطأ التبنّى وعمده.

وإذا وجد التبنّى فان كان المتبنّى مجهول النسب وأصغر سنّا منه ثبت نسبه منه ، وعتق إن كان عبدا له . وإن كان أكبر سنّا منه لم يثبت النسب وعتق عند أبى حنيفة رضى الله عنه . وأمّا المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبنّى، وعتق إن كان عبدا .

(٢) لا يؤاخذكم بالخطأ ويقبل التوبة من المتعمّد .

(٣) أى أحقّ بهم فى كلّ شىء من أمور الدين والدنيا وحكمه أنفذ عليهم من حكمها. فعليهم أن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه. أو هو أولى بهم أى أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله (بالمؤمنين رءوف رحيم). وفى قراءة ابن مسعود (النبىّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وهو أب لهم. وقال مجاهد كلّ نبىّ أبو أمّته. ولذلك صار المؤمنون إخوة لأنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أبوهم فى الدين .

(٤) (وأزواجه أمّهاتهم) فى تحريم نكاحهنّ ووجوب تعظيمهنّ وهنّ فيما وراء ذلك كالإرث ونحوه كالأجنبيّات ولهذا لم يتعدّ التحريم إلى بناتهنّ .

(٥) وذوو القرابات (بعضهم أولى ببعض) فى التوارث . وكان المسلمون فى صدر الإسلام يتوارثون بالولاية فى الدين وبالهجرة لا بالقرابة . ثمّ نسخ ذلك وجعل التوارث بحقّ القرابة.

فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ[1] وَٱلْمُهَٰجِرِينَ[2] إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا[3] كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا[4] ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ[5] وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا[6] ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ

---

(١) فى حكمه وقضائه أو فى اللوح المحفوظ أو فيما فرض الله .

(٢) يجوز أن يكون بيـانا لأولى الأرحام: أى الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضا من الأجانب، وأن يكون لابتداء الغاية: أى أولو الأرحام بحقّ القرابة أولى بالميراث من المؤمنين من الأنصار بحقّ الولاية فى الدين ومن المهاجرين بحقّ الهجرة .

(٣) الاستثناء من خلاف الجنس: أى لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفا جائز. وهو أن توصوا لمن أحببتم من هؤلاء بشيء، فيكون ذلك بالوصـية لا بالميراث . وعدّى (تفعلوا) بإلى لأنّه فى معنى تسدوا . والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية فى الدين .

(٤) أى التوارث بالأرحام كان مسطورا فى اللوح .

(٥) (و) اذكر حين (أخذنا من النبيّين ميثاقهم) بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيّم (ومنك) خصوصا . وقدّم رسول الله على نوح ومن بعده لأنّ هـذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لأنّهم أولو العزم وأصحاب الشرائع. فلمّا كان محمد صلّى الله عليه وسلّم أفضل هؤلاء قدّم عليهم. ولولا ذلك لقدّم من قدّمه زمانه .

(٦) (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) وثيقا — وأعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف إليه — وإنّما فعلنا ذلك (ليسأل) الله (الصادقين) أى الأنبياء (عن صدقهم) عمّا قالوه لقومهم . أو (ليسأل) المصدّقين للأنبياء عن تصديقهم . لأنّ من قال للصادق صـدقت كان صادقا فى قوله . أو (ليسأل) الأنبياء ما الذى أجابتهم أممهم . وهو كقوله (يوم يجمع الله الرسل فيقول ما ذا أجبتم) .

وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا[١] ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ[٢] إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ[٣] فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا[٤] وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا[٥] وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا[٦] ﴿٩﴾

---

(١) (وأعدّ للكافرين) بالرسل (عذابا أليما) . وهو عطف على (أخذنا) لأنّ المعنى أنّ الله أكّد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين (وأعدّ للكافرين عذابا أليما) . أو على مادلّ عليه (ليسأل الصادقين) كأنّه قال فأثاب المؤمنين (وأعدّ للكافرين) .

(٢) أى ما أنعم الله به عليكم يوم الأحزاب. وهو يوم الخندق. وكان بعد حرب أحد بسنة .

(٣) أى الأحزاب . وهم قريش وغطفان وقريظة والنضير .

(٤) أى الصبا . قال عليه السلام (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) .

(٥) وهم الملائكة . وكانوا ألفا . بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فأخصرتهم وأسفت التراب فى وجوههم . وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبّرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فانهزموا من غير قتال . وحين سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بإقبالهم ، ضرب الخندق على المدينة بإشارة سلمان . ثمّ خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم . وأمر بالذرارى والنسوان فرفعوا فى الآطام . واشتدّ الخوف . وكانت قريش قد أقبلت فى عشرة آلاف من الأحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبوسفيان . وخرج غطفان فى ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن . وضامّتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلّا الترامى بالنبل والحجارة حتّى أنزل الله النصر .

(٦) أى (وكان الله) بعملكم أيّها المؤمنون من التحصّن بالخندق والثبات على معاونة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم (بصيرا) . وبالياء أبو عمرو أى بما يعمل الكفّار من البغى والسعى فى إطفاء نور الله .

إِذْ جَآءُوكُم(١) مِّن فَوْقِكُمْ(٢) وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ(٣) وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ(٤) وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ(٥) وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠(٦) ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ(٧) وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا(٨) ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ(٩)

(١) بدل من (إذ جاءتكم) .

(٢) أى من أعلى الوادى من قبل المشرق . بنو غطفان .

(٣) من أسفل الوادى من قبل المغرب . قريش .

(٤) مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة . أو عدلت عن كلّ شىء فلم تلتفت إلّا الى عدوّها لشدّة الروع .

(٥) الحنجرة رأس الغلصمة وهى منتهى الحلقوم . والحلقوم مدخل الطعام والشراب . قالوا إذا انتفخت الرئة من شدّة الفزع أو الغضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة . وقيل هو مثل فى اضطراب القلوب و إن لم تبلغ الحناجر حقيقة . روى أنّ المسلمين قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم هل من شىء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال "نعم . قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا" .

(٦) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والأقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف، والمنافقون . فظنّ الأوّلون بالله أنّه يبتليهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال. وأمّا الآخرون فظنّوا بالله ما حكى عنهم. قرأ أبو عمرو وحمزة (الظنون) بغير ألف فى الوصل والوقف . وهو القياس . و بالألف فيهما مدنىّ وشامىّ وأبو بكر إجراء للوصل مجرى الوقف . و بالألف فى الوقف مكىّ وعلىّ وحفص ومثله الرسولا والسبيلا . زادوها فى الفاصلة كما زادها فى القافية من قال : أقلى اللوم عاذل والعتابا * وهنّ كلّهنّ فى الإمام بالألف .

(٧) امتحنوا بالصبر على الإيمان .

(٨) وحرّكوا بالخوف تحريكا بليغا .

(٩) عطف على الأوّل .

وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ(١) مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا(٢) ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ(٣) يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ(٤) لَا مُقَامَ لَكُمْ(٥) فَٱرْجِعُوا۟(٦) وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ(٧) يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ(٨) وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا(٩) ﴿١٣﴾

(١) قيل هو وصف المنافقين بالواو كقوله :

إلى الملك القَرْم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحَم

وقيل هم قوم لا بصيرة لهم فى الدين كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشبه عليهم .

(٢) روى أنّ مُعَتِّب بن قُشَير حين رأى الأحزاب قال : يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرّز فرقا . ما هذا إلّا وعد غرور .

(٣) من المنافقين وهم عبد الله بن أبىّ وأصحابه .

(٤) هم أهل المدينة .

(٥) وبضمّ الميم حفص . أى لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه أو تقيمون .

(٦) (فارجعوا) عن الإيمان إلى الكفر . أو من عسكر رسول الله إلى المدينة .

(٧) أى بنو حارثة .

(٨) أى ذات عورة .

(٩) العورة الخلل . والعوِرة ذات العورة . وهى قراءة ابن عباس يقال عوِر المكان عورا إذا بدا منه خلل يخاف منه العدوّ والسارق . ويجوز أن يكون (عورة) تخفيف عوِرة . اعتذروا أنّ بيوتهم عرضة للعدوّ والسارق لأنّها غير محصّنة فاستأذنوه ليحصّنوها ثمّ يرجعوا إليه . فأكذبهم الله بأنّهم لا يخافون ذلك وإنّما يريدون الفرار من القتال .

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا (١) ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ (٢) لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ (٣) وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا (٤) ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٥) ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ (٦)

---

(١) (ولو دخلت عليهم) المدينة أو بيوتهم — من قولك دخلت على فلان داره — من جوانبها . أى ولو دخلت هذه العساكر المتحزّبة التى يفرّون خوفا منها مدينتهم أو بيوتهم من نواحيها كلّها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين (ثمّ سئلوا) عند ذلك الفزع (الفتنة) أى الردّة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين (لآتوها) لأعطوها . (لأتوها) بلا مدّ حجازىّ أى لجاءوها وفعلوها (وما تلبّثوا) بإجابتها (إلّا يسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقّف . أو ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم (إلّا يسيرا) فإنّ الله يهلكهم . والمعنى أنّهم يتعلّلون بإعوار بيوتهم ليفرّوا عن نصرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين وعن مصافّة الأحزاب الذين ملئوهم هولا ورعبا . وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وما تعلّلوا بشىء . وما ذلك إلّا لمقتهم الإسلام وحبّهم الكفر .

(٢) أى بنو حارثة من قبل الخندق أو من قبل نظرهم إلى الأحزاب .

(٣) (لا يولّون الأدبار) منهزمين .

(٤) مطلوبا مقتضى حتّى يوفى به .

(٥) أى إن كان حضر أجلكم لم ينفعكم الفرار وإن لم يحضر وفررتم لم تمتّعوا فى الدنيا إلّا قليلا وهو مدّة أعماركم وذلك قليل . وعن بعض المروانيّة أنّه مرّ بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال : ذلك القليل نطلب .

(٦) أى ممّا أراد الله إنزاله بكم .

إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا(١) أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً(٢) وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا(٣) ۝ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ(٤) وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ(٥) هَلُمَّ إِلَيْنَا(٦) وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ(٧) إِلَّا قَلِيلًا(٨) ۝ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ(٩)

(١) (إن أراد بكم سوءا) فى أنفسكم من قتل أو غيره .

(٢) أى إطالة عمر فى عافية وسلامة . أى من يمنع الله من أن يرحمكم إن أراد بكم رحمة لما فى العصمة من معنى المنع .

(٣) ناصرا .

(٤) أى من يعوّق عن نصرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أى يمنع . وهم المنافقون .

(٥) (والقائلين لإخوانهم) فى الظاهر من المسلمين .

(٦) أى قرّبوا أنفسكم إلينا ودعوا محمدا . وهى لغة أهل الحجاز فإنهم يسوّون فيه بين الواحد والجماعة . وأمّا تميم فيقولون هلمّ يارجل وهلمّوا يارجال . وهو صوت سمّى به فعل متعدّ نحو أحضر وقرّب .

(٧) أى الحرب .

(٨) إلا إتيانا قليلا أى يحضرون ساعة رياء و يقفون قليلا مقدار ما يُرى شهودُهم ثمّ ينصرفون .

(٩) جمع شحيح وهو البخيل . نصب على الحال من الضمير فى (يأتون) . أى يأتون الحرب بخلاء (عليكم) بالظفر والغنيمة (فإذا جاء الخوف) من قبل العدوّ أو منه عليه السلام (رأيتهم ينظرون إليك) فى تلك الحالة ((تدور أعينهم) يمينا وشمالا كما ينظر المغشىّ عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولواذا بك .

فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ[1] أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ[2] أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ[3] فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ[4] وَكَانَ ذَٰلِكَ[5] عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا[6] ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ[7] وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ[8] يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ[9] يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ[10] وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا[11] ﴿٢٠﴾

---

(١) (فإذا) زال ذلك الخوف وأمنوا وحيزت الغنائم خاطبوكم مخاطبة شديدة وآذوكم بالكلام . خطيب مِسْلَق فصيح ورجل مِسْلَاق مبالغ فى الكلام ، أى يقولون وفّروا قسمتنا فإنّا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم و بمكاننا غلبتم عدوّكم .

(٢) أى خاطبوكم أشحّة على المال والغنيمة . و (أشحّة) حال من فاعل (سلقوكم) .

(٣) (لم يؤمنوا) فى الحقيقة بل بالألسنة .

(٤) أبطل بإضمارهم الكفر ما أظهروه من الأعمال .

(٥) إحباط أعمالهم .

(٦) هينا .

(٧) أى لجبنهم يظنّون أنّ الأحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع أنّهم قد انصرفوا .

(٨) (وإن يأت الأحزاب) كرّة ثانية .

(٩) البادون جمع البادى . أى يتمنّى المنافقون لجبنهم أنّهم خارجون من المدينة إلى البادية حاصلون بين الأعراب ليأمنوا على أنفسهم و يعتزلوا ممّا فيه الخوف من القتال .

(١٠) (يسألون) كلّ قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعمّا جرى عليكم .

(١١) (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال (ما قاتلوا إلّا قليلا) رياء وسمعة .

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ[١] لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ[٢] وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا[٣] ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ[٤] وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا[٥] ﴿٢٢﴾

---

(١) (أسوة) بالضمّ حيث كان، عاصم. أى أنّه فى نفسه (أسوة حسنة) — أى قدوة. وهو المؤتسى به أى المقتدى به — كما تقول فى البيضة عشرون منًّا حديدا، أى هى فى نفسها هذا المبلغ من الحديد. أو فيه خصلة من حقّها أن يؤتسى بها حيث قاتل بنفسه .

(٢) أى يخاف الله ويخاف اليوم الآخر. أو يأمل ثواب الله ونعيم اليوم الآخر. قالوا (لمن) بدل من (لكم). وفيه ضعف. لأنّه لا يجوز البدل من ضمير المخاطب. وقيل يتعلّق بحسنة. أى (أسوة حسنة) كائنة (لمن كان).

(٣) أى (وذكر الله كثيرا) فى الخوف والرجاء والشدّة والرخاء .

(٤) وعدهم الله أن يزلزلوا حتّى يستغيثوه ويستنصروه بقوله (أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) إلى قوله (قريب). فلمّا جاء الأحزاب واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وعلموا أنّ الغلبة والنصرة قد وجبت لهم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لأصحابه إنّ الأحزاب سائرون إليكم فى آخر تسع ليال أو عشر. فلمّا رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك. و (هذا) إشارة إلى الخطب والبلاء .

(٥) (وما زادهم) ما رأوا من اجتماع الأحزاب عليهم ومجيئهم (إلّا إيمانا) بالله وبمواعيده (وتسليما) لقضائه وقدره .

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ (١) فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ (٢) وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ (٣) وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا (٤) ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ (٥) إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ (٦) بِغَيْظِهِمْ (٧) لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا (٨)

(١) أى فيما عاهدوه عليه . فحذف الجار كما فى المثل "صَدَقنى سِنَّ بَكْرِه" أى صدقنى فى سنّ بكره بطرح الجارّ وإيصال الفعل . نذر رجال من الصحابة أنّهم إذا لقوا حربا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثبتوا وقاتلوا حتّى يُستشهَدوا . وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعد بن زيد وحمزة ومصعب وغيرهم .

(٢) أى مات شهيدا كحمزة ومصعب . وقضاء النحب صار عبارة عن الموت، لأنّ كلّ حىّ من المحدثات لابدّ له أن يموت فكأنّه نذر لازم فى رقبته فإذا مات فقد قضى نحبه أى نذره.

(٣) (ومنهم من ينتظر) الموت أى على الشهادة كعثمان وطلحة .

(٤) (وما بدّلوا) العهد (تبديلا) ولا غيّروه لا المستشهَد ولا من ينتظر الشهادة . وفيه تعريض لمن بدّلوا من أهل النفاق ومرضى القلوب كما مرّ فى قوله تعالى (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأدبار) .

(٥) (ليجزى الله الصادقين) بوفائهم بالعهد (ويعذّب المنافقين إن شاء) إذا لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) إن تابوا (إنّ الله كان غفورا) بقبول التوبة (رحيما) بعفو الحوبة. جعل المنافقين كأنّهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لأنّ كلا الفريقين مسوق إلى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنّهما استويا فى طلبها والسعى فى تحصيلها.

(٦) الأحزاب .

(٧) حال . أى مغيظين كقوله (تنبت بالدهن) .

(٨) (لم ينالوا) ظفرا أى لم يظفروا بالمسلمين. وسمّاه خيرا بزعمهم. وهو حال أى غير ظافرين.

وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ(١) وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا(٢) ۝ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم(٣) مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ(٤) مِن صَيَاصِيهِمْ(٥) وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ(٦) فَرِيقًا تَقْتُلُونَ(٧) وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا(٨) ۝ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ(٩)

---

(١) (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة .

(٢) قادرا غالبا .

(٣) عاونوا الأحزاب .

(٤) من بنى قريظة .

(٥) من حصونهم . الصيصية ماتُحصّن به . روى أنّ جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، صبيحة الليلة التى انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم ، على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج . فقال ماهذا ياجبريل ؟ قال من متابعة قريش . فجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه . فقال يا رسول الله : إنّ الملائكة لم تضع السلاح . إنّ الله يأمرك بالمسير إلى بنى قريظة وأنا عامد إليهم فإنّ الله داقّهم دقّ البيض على الصفا و إنّهم لكم طعمة . فأذّن فى الناس أنْ من كان سامعا مطيعا فلا يصلّى العصر إلّا فى بنى قريظة . فحاصروهم خمسا وعشرين ليلة . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تنزلون على حكمى . فأبوا . فقال على حكم سعد بن معاذ . فرضوا به . فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم . فكبّر النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة. ثمّ استنزلهم وخندق فى سوق المدينة خندقا وقدّمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة . وقيل كانوا ستّمائة مقاتل وسبعمائة أسير .

(٦) الخوف . و بضم العين شامىّ وعلىّ .

(٧) (فريقا) نصب بقوله (تقتلون) وهم الرجال .

(٨) وهم النساء والذرارى .

(٩) أى المواشى والنقود والأمتعة . روى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار وقال لهم إنّكم فى منازلكم .

وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا[(١)] وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا[(٢)] ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا[(٣)] فَتَعَالَيْنَ[(٤)] أُمَتِّعْكُنَّ[(٥)] وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا[(٦)] ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ[(٧)] أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ[(٨)]

(١) (وأرضا لم تطئوها) بقصد القتال . وهى مكّة . أو فارس والروم . أو خيبر . أو كلّ أرض تفتح إلى يوم القيامة .

(٢) قادرا .

(٣) أى السعادة وكثرة الأموال .

(٤) أصل تعال أن يقوله من فى المكان المرتفع لمن فى المكان المستوطئ. ثمّ كثر حتّى استوت فى استعماله الأمكنة . ومعنى (تعالين) أقبلن بإرادتكنّ واختياركنّ لأحد الأمرين ولم يرد نهوضهنّ إليه بأنفسهنّ كقوله قام يهددنى .

(٥) أعطكنّ متعة الطلاق . وتستحب لكلّ مطلقة إلّا المفوّضة قبل الوطء .

(٦) وأطلقكنّ (سراحا جميلا) لا ضرار فيه .

أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغاير ن . فغمّ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فنزلت . فبدأ بعائشة رضى الله عنها وكانت أحبّهنّ إليه نخيّرها وقرأ عليها القرآن . فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثمّ اختار جميعهنّ اختيارها . وروى أنّه قال لعائشة : إنّى ذاكر لك أمرا ولا عليك أن تعجلى فيه حتّى تستأمرى أبويك . ثم قرأ عليها القرآن . فقالت أفى هـذا أستأمر أبوىّ ! فإنّى أريد الله ورسوله والدار الآخرة .

وحكم التخيير فى الطلاق أنّه إذا قال لها اختارى، فقالت اخترت نفسى أن تقع تطليقة بائنة . وإذا اختارت زوجها لم يقع شىء. وعن علىّ رضى الله عنه إذا اختارت زوجها فواحدة رجعيّة . وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة .

(٧) من للبيان لا للتبعيض .

(٨) سيّئة بليغة فى القبح .

مُّبَيِّنَةٍ[1] يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ[2] ضِعْفَيْنِ[3] وَكَانَ ذَٰلِكَ[4] عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا[5] ۝ وَمَن يَقْنُتْ[6] مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ[7] أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ[8] وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا[9] ۝ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ[10] مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ[11]

---

(١) ظاهر فحشها . من بيّن بمعنى تبيّن . وبفتح اليـاء مكيّ وأبو بكر . قيل هى عصيانهنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونشوزهنّ . وقيل الزنا . والله عاصم رسوله من ذلك .

(٢) (نُضعّف لها العذابَ) مكّيّ وشاميّ ، (يُضعَّف) أبو عمرو ويزيد ويعقوب .

(٣) ضعفى عذاب غيرهنّ من النساء لأنّ ماقبح من سائر النساء كان أقبح منهنّ فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل . وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبى صلّى الله عليه وسلّم . ولذا كان الذمّ للعاصى العالم أشدّ من العاصى الجاهل لأنّ المعصية من العالم أقبح . ولذا فضل حدّ الأحرار على العبيد . ولا يرجم الكافر .

(٤) أى تضعيف العذاب عليهنّ .

(٥) هيّنا .

(٦) القنوت الطاعة .

(٧) وبالياء فيهما حمزة وعليّ .

(٨) مثلى ثواب غيرها .

(٩) (رزقا كريمـا) جليل القدر . وهو الجنّة .

(١٠) أى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء إذا تقصّيت أمّة النساء جماعة جماعة لم توجد منهنّ جماعة واحدة تساويكنّ فى الفضل . وأحد فى الأصل بمعنى وحد وهو الواحد . ثمّ وضع فى النفى العامّ مستويا فيه المذكر والمؤنّث والواحد وما وراءه .

(١١) إن أردتنّ التقوى أو إن كنتنّ متّقيات .

فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ (١) فَيَطْمَعَ (٢) ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ (٣) وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٤) ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ (٥) فِى بُيُوتِكُنَّ (٦) وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ (٧) وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ (٨) ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ (٩) ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾

(١) أى إذا كلمتنّ الرجال من وراء الحجاب فلا تجئن بقولكنّ خاضعا أى ليّنا خنثا مثل كلام المريبات .

(٢) بالنصب على جواب النهى .

(٣) ريبة وفجور .

(٤) حسنا مع كونه خشنا .

(٥) مدنى وعاصم غير هبيرة، وأصله اقررن. فحذفت الراء تخفيفا وألقيت فتحتها على ماقبلها أو من قار يقار إذا اجتمع . والباقون (قِرن) من وقر يقر وقارا، أو من قرّ يقِرّ حذفت الأولى من راءى اقررن فرارا من التكرار ، ونقلت كسرتها إلى القاف .

(٦) بضمّ الباء بصرىّ ومدنىّ وحفص .

(٧) أى القديمة. والتبرّج التبختر فى المشى أو إظهار الزينة. والتقدير (ولا تبرّجن) تبرّجا مثل تبرّج النساء فى الجاهليّة الأولى . وهى الزمان الذى ولد فيه إبراهيم أو مابين آدم ونوح عليهما السلام ، أو زمن داود وسليمان . والجاهليّة الأخرى مابين عيسى ومحمد عليهما السلام . أو الجاهليّة الأولى الكفر قبل الإسلام ، والجاهليّة الأخرى جاهليّة الفسوق والفجور فى الإسلام .

(٨) خصّ الصلاة والزكاة بالأمر ثمّ عمّ بجميع الطاعات تفضيلا لهما لأنّ من واظب عليهما جرّتاه إلى ما وراءهما .

(٩) نصب (أهل) على النداء أو على المدح. وفيه دليل على أنّ نساءه من أهل بيته. وقال (عنكم) لأنّه أريد الرجال والنساء من آله بدلالة (ويطهّركم تطهيرا) من نجاسة الآثام . بيّن أنّه إنّما نهاهنّ وأمرهنّ ووعظهنّ لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المآثم وليتصوّنوا

وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ (١) وَٱلْحِكْمَةِ (٢) إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣) ۝ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ (٤) وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ (٥) وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ (٦) وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ (٧) وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ (٨) وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ (٩) وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ (١٠)

عنها بالتقوى . واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لأنّ عرض المقترف للقبّحات يتلوث بها كما يتلوث بدنه بالأرجاس . وأمّا المحسنات فالعرض منها نقى كالثوب الطاهر . وفيه تنفير لأولى الألباب عن المناهى وترغيب لهم فى الأوامر .

(١) القرآن .

(٢) أى السنّة أو بيان معانى القرآن .

(٣) (إن الله كان لطيفا) عالما بغوامض الأشياء (خبيرا) عالما بحقائقها . أى هو عالم بأفعالكنّ وأقوالكنّ ، فاحذرن مخالفة أمره ونهيه ومعصية رسوله .

(٤) لمّا نزل فى نساء النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شىء. فنزلت : المسلم الداخل فى السلم بعد الحرب ، المنقاد الذى لا يعاند . أو المفوّض أمره إلى الله المتوكّل عليه ، من أسلم وجهه إلى الله .

(٥) المصدّقين بالله ورسوله وبما يجب أن يصدّق به .

(٦) القائمين بالطاعة .

(٧) (والصادقين) فى النيّات والأقوال والأعمال .

(٨) (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن السيّئات .

(٩) المتواضعين لله بالقلوب والجوارح أو الخائفين .

(١٠) (والمتصدّقين والمتصدّقات) فرضا ونفلا (والصائمين والصائمات) فرضا ونفلا . وقيل من تصدّق فى كلّ أسبوع بدرهم فهو من المتصدّقين . ومن صام البيض من كلّ شهر فهو من الصائمين .

وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (١) ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ (٢) وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا (٣) ﴿٣٦﴾

---

(١) (والحافظين فروجهم) عمّا لا يحلّ (والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير. وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر. والمعنى (والحافظات) فروجهنّ (والذاكرات) الله. فحذف لدلالة ما تقدّم عليه. والفرق بين عطف الإناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين أنّ الأوّل نظير قوله (ثيّبات وأبكارا) فى أنّهما جنسان مختلفان واشتركا فى حكم واحد فلم يكن بدّ من توسّط العاطف بينهما. وأمّا الثانى فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع. ومعناه أنّ الجامعين والجامعات لهذه الطاعات (أعدّ الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) على طاعاتهم .

(٢) خطب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زينب بنت جحش بنت عمّته أميمة على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله . فنزلت . أى وما صحّ لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (إذا قضى الله ورسوله) أى رسول الله (أمرا) من الأمور، أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا . بل من حقّهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره . فقالا رضينا يا رسول الله فأنكحها إيّاه وساق عنه إليها مهرها . وإنّما جمع الضمير فى (لهم) وإن كان من حقّه أن يوحّد لأنّ المذكورين وقعا تحت النفى فعمّا كلّ مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير إلى المعنى لا إلى اللفظ . و(يكون) بالياء كوفىّ . والخيرة ما يتخيّر . ودلّ ذلك على أنّ الأمر للوجوب .

(٣) فإن كان العصيان عصيان ردّ وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر، وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق .

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ (١) وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ (٢) وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ (٣) فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا (٤) زَوَّجْنَٰكَهَا

(١) (وإذ تقول للذى أنعم الله عليه) بالإسلام الذى هو أجلّ النعم (وأنعمت عليه) بالإعتاق والتبنّى — فهو متقلّب فى نعمة الله ونعمة رسوله . وهو زيد بن حارثة : (أمسك عليك زوجك) زينب بنت جحش . وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبصرها بعد ما أنكحها إيّاه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلّب القلوب. وذلك أنّ نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها . وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنّى أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك؟ أرابك منها شيء؟ قال لا والله ما رأيت منها إلّا خيرا ولكنّها تتعظّم علىّ لشرفها وتؤذينى فقال له (أمسك عليك زوجك واتق الله) فلا تطلقها — وهو نهى تنزيه إذ الأولى ألّا يطلق أو (واتّق الله) فلا تذمّها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج .

(٢) أى تخفى فى نفسك نكاحها إن طلقها زيد وهو الذى أبداه الله تعالى . وقيل الذى أخفى فى نفسه تعلّق قلبه بها ومودّة مفارقة زيد إيّاها .

(٣) أى (وتخشى) قالة الناس إنّه نكح امرأة ابنه .

والواو فى (وتخفى فى نفسك ، وتخشى الناس ، والله أحقّ) ، واو الحال. أى تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا فى نفسك إرادة ألّا يمسكها ، وتخفى خاشيا قالة الناس ، وتخشى الناس حقيقا فى ذلك بأن تخشى الله . وعن عائشة رضى الله عنها لو كتم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شيئا ممّا أوحى إليه لكتم هذه الآية .

(٤) الوطر الحاجة ، فإذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همّة قيل قضى منه وطره . والمعنى (فلمّا) لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همّته وطلّقها وانقضت عدّتها (زوّجناكها) . روى أنّها لمّا اعتدت قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لزيد ما أجد أحدا أوثق فى نفسى منك. اخطب علىّ زينب. قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب أبشرى إنّ رسول الله صلّى الله

لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا (١) وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا (٢) ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ (٣) سُنَّةَ ٱللَّهِ (٤) فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ (٥) وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (٦) ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ (٧) وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا (٨) ﴿٣٩﴾

عليه وسلّم يخطبك . ففرحت وتزوجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ودخل بها . وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها : ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتّى امتدّ النهار .

(١) قيل قضاء الوطر إدراك الحاجة وبلوغ المراد منه .

(٢) (وكان أمر الله) الذى يريد أن يكوّنه مكوّنا لا محالة . وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زينب .

(٣) أحلّ له وأمر له وهو نكاح زينب امرأة زيد . أو قدّر له من عدد النساء .

(٤) اسم موضوع موضع المصدر — كقولهم ترابا وجندلا — مؤكّد لقوله (ما كان على النبيّ من حرج) . كأنّه قيل سنّ الله ذلك سنّة فى الأنبياء الماضين وهو ألّا يُحرج عليهم فى الإقدام على ما أباح لهم ووسّع عليهم فى باب النكاح وغيره . وقد كانت تحتهم المهائر والسرارى وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سُرّية ولسليمان ثلثمائة حرّة وسبعمائة سُرّية .

(٥) فى الأنبياء الذين مضوا من قبل .

(٦) (قدرا مقدورا) قضاء مقضيّا وحكما مبتوتا . ولا وقف عليه إن جعلت (الذين يبلّغون رسالات الله) بدلا من (الذين) الأوّل . وقف إن جعلته فى محلّ الرفع أو النصب على المدح أى هم (الذين يبلّغون) أو أعنى (الذين يبلّغون) .

(٧) وصف الأنبياء بأنّهم لا يخشون إلّا الله تعريض بعد التصريح فى قوله (وتخشى الناس والله أحقّ أن تخشاه) .

(٨) كافيا للمخاوف ، أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة ، فكان جديرا بأن تخشى منه .

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ (١) وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ (٢) وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٣) ﴿٤٢﴾

---

(١) أى لم يكن أبا رجل منكم حقيقة حتّى يثبت بينه و بينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح — والمراد من رجالكم البالغين . والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ . والطاهر والطيّب والقاسم و إبراهيم توفّوا صبيانا — (ولكن) كان (رسول الله) . وكلّ رسول أبو أمّته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه، لا فى سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء . وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه كحكمكم . والتبنّى من باب الاختصاص والتقريب لا غير .

(٢) بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع . أى آخرهم . يعنى لا ينبّأ أحد بعده . وعيسى ممن نبّئ قبله . وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلّى الله عليه وسلّم كأنّه بعض أمّته . وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم . وتقوّيه قراءة ابن مسعود (ولكن نبيّاً ختم النبيّين) .

(٣) أثنوا عليه بضروب الثناء وأكثروا ذلك (وسبّحوه بكرة) أوّل النهار (وأصيلا) آخر النهار . وخصّا بالذكر لأنّ ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما . وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلىّ العظيم . والفعلان أى اذكروا الله وسبّحوه موجّهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصلّ يوم الجمعة . والتسبيح من جملة الذكر . وإنّما اختصّ من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة إبانة لفضله على سائر الأذكار، لأنّ معناه تنزيه ذاته عمّا لا يجوز عليه من الصفات . وجاز أن يراد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والعبادات فإنّها من جملة الذكر . ثمّ خصّ من ذلك التسبيح (بكرة) وهى صلاة الفجر (وأصيلا) وهى صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أو صلاة الفجر والعشاءين .

هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ[١] لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ[٢] وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا[٣] ﴿﴾ تَحِيَّتُهُمْ[٤] يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ[٥] سَلَٰمٌ[٦] وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا[٧] ﴿﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا[٨] وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا[٩] ﴿﴾

---

(١) لمّا كان من شأن المصلّى أن ينعطف فى ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوّا عليه وترؤّفا كعائد المريض فى انعطافه عليه والمرأة فى حنوّها على ولدها . ثمّ كثر حتّى استعمل فى الرحمة والترؤّف . ومنه قولهم صلّى الله عليك، أى ترحّم عليك وترأّف . والمراد بصلاة الملائكة قولهم اللّهم صلّ على المؤمنين . جعلوا لكونهم مستجابى الدعوة كأنّهم فاعلون الرحمة والرأفة . والمعنى هو الذى يترحّم عليكم ويترأّف حين يدعوكم إلى الخير ويأمركم بإكثار الذكر والتوفّر على الصلاة والطاعة .

(٢) من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة .

(٣) هو دليل على أنّ المراد بالصلاة الرحمة . وروى أنّه لمّا نزل (إنّ الله وملائكته يصلّون على النبىّ) قال أبو بكر ما خصّك الله يارسول الله بشرف إلّا وقد أشركنا فيه فنزلت .

(٤) من إضافة المصدر إلى المفعول أى تحيّة الله لهم .

(٥) يرونه .

(٦) يقول تبارك وتعالى السلام عليكم .

(٧) يعنى الجنّة .

(٨) (شاهدا) على من بعثت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم . أى مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحكم . وهو حال مقدّرة كما تقول مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أى مقدّرا به الصيد غدا .

(٩) (ومبشّرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار (وداعيا إلى الله بإذنه)

وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (١) ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ (٢) وَدَعْ أَذَىٰهُمْ (٣) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ (٤) ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ

بأمره أو بتيسيره — والكلّ منصوب على الحال — (وسراجا منيرا) جلا به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالّون كما يجلّى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به . والجمهور على أنّه القرآن . فيكون التقدير وذا سراج منير. أو وتاليا سراجا منيرا. ووصف بالإنارة لأنّ من السرج مالا يضىء إذا قلّ سليطه ودقّت فتيلته . أو (شاهدا) بوحدانيّتنا (ومبشّرا) برحمتنا ، (ونذيرا) بنقمتنا ، (وداعيا إلى) عبادتنا ، (وسراجا) وحجّة ظاهرة لحضرتنا .

(١) ثوابا عظيما .

(٢) المراد التهييج أو الدوام والثبات على ما كان عليه .

(٣) (ودع أذاهم) بمعنى الإيذاء. فيحتمل أن يكون مضافا إلى الفاعل أى اجعل إيذاءهم إيّاك فى جانب ولا تبال بهم ولا تخف من إيذائهم. أو إلى المفعول أى دع إيذاءك إيّاهم مكافأة لهم (وتوكّل على الله) فإنّه يكفيكهم وكفى به مفوّضا إليه .

وقيل إنّ الله تعالى وصفه بخمسة أوصاف وقابل كلّا منها بخطاب مناسب له . قابل الشاهد بقوله (وبشّر المؤمنين) لأنّه يكون شاهدا على أمّته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم وهو الفضل الكبير ؛ والمبشّر بالإعراض عن الكافرين والمنافقين لأنّه إذا أعرض عنهم أقبل جميع إقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة ؛ والنذير بـ(دع أذاهم) لأنّه إذا ترك أذاهم فى الحاضر، والأذى لا بدّ له من عقاب عاجل أو آجل، كانوا منذرين به فى المستقبل؛ والداعى إلى الله بتيسيره بقوله (وتوكّل على الله) فإنّ من توكّل على الله يسّر عليه كلّ عسير؛ والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لأنّ من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بأن يكتفى به عن جميع خلقه.

(٤) أى تزوجتم . والنكاح هو الوطء فى الأصل . وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث إنّه طريق إليه كتسمية الخمر إثما لأنّها سببه وكقول الراجز * أسنمة الآبال فى سحابه *

ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ (١) فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا (٢) فَمَتِّعُوهُنَّ (٣) وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ (٥) وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ (٦) وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ (٧)

سمّى الماء بأسمنة الآبال لأنّه سبب سمن الآبال وارتفاع أسمنتها . ولم يرد لفظ النكاح فى كتاب الله تعالى إلّا فى معنى العقد لأنّه فى معنى الوطء من باب التصريح به . ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسّة والقربان والتغشّى والإتيان . وفى تخصيص المؤمنات مع أنّ الكتابيّات تساوى المؤمنات فى هذا الحكم إشارة إلى أنّ الأولى بالمؤمن أن ينكح مؤمنة .

(١) والخلوة الصحيحة كالمسّ .

(٢) فيه دليل على أنّ العدة تجب على النساء للرجال . ومعنى (تعتدّونها) تستوفون عددها — تفتعلون من العدّ .

(٣) والمتعة تجب للتى طلّقها قبل الدخول بها ولم يسمّ لها مهر دون غيرها .

(٤) أى لا تمسكوهنّ ضرارا وأخرجوهنّ من منازلكم إذ لا عدّة لكم عليهنّ .

(٥) مهورهنّ إذ المهر أجر على البضع . ولهذا قال الكرخىّ إنّ النكاح بلفظ الإجارة جائز وقلنا التأبيد من شرط النكاح والتأقيت من شرط الإجارة و بينهما منافاة . و إيتاؤها إعطاؤها عاجلا ، أو فرضها وتسميتها فى العقد .

(٦) وهى صفيّة وجويرية فأعتقهما وتزوّجهما .

(٧) (مع) ليس للقران بل لوجودها فحسب ، كقوله (وأسلمت مع سليمان) . وعن أمّ هانئ بنت أبى طالب خطبنى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فاعتذرت فعذرنى فأنزل الله هذه الآية فلم أحلّ له لأنّى لم أهاجر معه .

وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ (١) إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا (٢) خَالِصَةً لَّكَ (٣) مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ (٤) وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ (٥) لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ (٦)

(١) وأحللنا لك من وقع لهـا أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات إن اتّفق ذلك . ولذا نكّرها . قال ابن عباس هو بيان حكم المستقبل ولم يكن عنده أحد منهنّ بالهبة . وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحرث أو زينب بنت خزيمة أو أمّ شريك بنت جابر أو خولة بنت حكيم. وقرأ الحسن (أن) بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام. وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه بغير (إن) .

(٢) استنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه . وقيل نكح واستنكح بمعنى . والشرط الثانى تقييد للشرط الأوّل . شرط فى الإحلال هبتها نفسها . وفى الهبة إرادة استنكاح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كأنّه قال أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن إرادته هى قبول الهبة وما به تتمّ. وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأمّته سواء فى الأحكام إلّا فيما خصّه الدليل .

(٣) (خالصة لك) بلا مهر — حال من الضمير فى (وهبت) أو مصدر مؤكّد أى خلص لك إحلال ما أحللنا لك (خالصة) بمعنى خلوصا . والفاعلة فى المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة (من دون المؤمنين) بل يجب المهر على غيرك وإن لم يسمّه أو نفاه .

عدل عن الخطاب إلى الغيبة فى قوله (إن أراد النبيّ) . ثمّ رجع إلى الخطـاب ليؤذن أنّ الاختصاص تكرمة له لأجل النبوّة . وتكريره أى تكرير النبيّ تفخيم له .

(٤) أى ما أوجبنا من المهور على أمّتك فى زوجاتهم أو ما أوجبنا عليهم فى أزواجهم من الحقوق .

(٥) (وما ملكت أيمـانهم) بالشراء وغيره من وجوه الملك .

(٦) ضيق . متّصل بـ (خالصة لك من دون المؤمنين) وقوله (قد علمنا مافرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم) جملة اعتراضيّة .

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١) ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ (٢) وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ (٣) ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ (٤) وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ (٥)

---

(١) (وكان الله غفورا رحيما) بالتوسعة على عباده .

(٢) (ترجى) بلا همز، مدنى وحمزة وعلى وخلف وحفص . وبهمز، غيرهم . تؤخر (من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء) تضم . بمعنى تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء . أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء. أولا تقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن شئت. أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت . وهـذه قسمة جامعة لما هو الغرض، لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك، فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم . وإذا طلق وعزل فإما أن يخلى المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها . وروى أنه أرجى منهن جويرية وسودة وصفية وميمونة وأم حبيبة. وكان يقسم لهن ماشاء كما شاء . وكانت ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب . أرجى خمسا وآوى أربعا . وروى أنه كان يسوى مع ما أطلق له وخير فيه إلا سودة. فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لاتطلقنى حتى أحشر فى زمرة نسائك .

(٣) أى ومن دعوت إلى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالإرجاء فلا ضيق عليك فى ذلك، أى ليس إذا عزلتها لم يجز لك ردها إلى نفسك. و(من) رفع بالابتداء وخبره (فلا جناح) .

(٤) (ذلك) التفويض إلى مشيئتك أقرب إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا، لأنهن إذا علمن أن هذا التفويض من عند الله اطمأنت نفوسهن وذهب التغاير وحصل الرضا وقرت العيون . (كلهن) بالرفع تأكيد لنون (يرضين) وقرئ (ويرضين كلهن بما آتيتهن) على التقديم . وقرئ شاذا (كلهن) بالنصب تأكيدا لهن فى (آتيتهن) .

(٥) فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسوله .

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا[1] ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ[2] لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ[3] وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٍ[4] وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ[5] إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ[6] وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ رَّقِيبًا[7] ﴿٥٢﴾

---

(١) (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتّقى ويحذر.

(٢) بالتاء أبو عمرو ويعقوب. وغيرهما بالتذكير. لأنّ تأنيث الجمع غير حقيقىّ، وإذا جاز بغير فصل فمع الفصل أجوز .

(٣) من بعد التسع لأنّ التسع نصاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الأزواج، كما أنّ الأربع نصاب أمّته .

(٤) (ولا أن تبدّل بهنّ) بالطلاق . والمعنى ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلّهن أو بعضهنّ كرامة لهنّ وجزاء على ما اخترن ورضين. فقصر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليهن . وهنّ التسع التى مات عنهنّ عائشة ، حفصة ، أمّ حبيبة ، سودة ، أمّ سلمة ، صفيّة ، ميمونة ، زينب بنت جحش ، جويرية . و(من) فى (من أزواج) لتأكيد النفى. وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم .

(٥) فى موضع الحال من الفاعل وهو الضمير فى (تبدّل) أى تتبدّل، لا من المفعول الذى هو (من أزواج) لتوغّله فى التنكير. وتقديره مفروضا إعجابك بهنّ . وقيل هى أسماء بنت عُميس امرأة جعفر بن أبى طالب . فإنّها ممن أعجبه حسنهنّ. وعن عائشة وأمّ سلمة : ما مات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتّى أحلّ له أن يتزوّج من النساء ماشاء. يعنى أنّ الآية نسخت. ونسخها إمّا بالسنة أو بقوله (إنّا أحللنا لك أزواجك) وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف .

(٦) استثنى ممن حرم عليه الإماء ومحلّ (ما) رفع بدل من (النساء) .

(٧) حافظا. وهو تحذير عن مجاوزة حدوده .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ[1] وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ[2] وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ[3] لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ[4]

---

(١) (أن يؤذن لكم) فى موضع الحال أى (لاتدخلوا) إلّا مأذونا لكم . أو فى معنى الظروف تقديره إلّا وقت أن يؤذن لكم . و (غير ناظرين) حال من (لاتدخلوا) . وقع الاستثناء على الحال والوقت معا . كأنّه قيل (لاتدخلوا بيوت النبىّ) إلّا وقت الإذن ولاتدخلوها إلّا (غير ناظرين) ، أى غير منتظرين . وهؤلاء قوم كانوا يتحيّنون طعام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه . ومعناه (لاتدخلوا) يأيّها المتحيّنون للطعام (إلّا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه) . و إنى الطعام إدراكه . يقال أنى الطعام إنى كقولك قلاه قلى . وقيل إناه وقته أى (غير ناظرين) وقت الطعام وساعة أكله . وروى أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج ويخرج ثمّ يدخل فوج ، إلى أن قال يارسول الله دعوت حتّى ما أجد أحدا أدعوه . فقال ارفعوا طعامكم وتفرّق الناس وبقى ثلاثة نفر يتحدّثون فأطالوا فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليخرجوا فطاف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالحجرات وسلّم عليهنّ ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدّثون . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولّى . فلمّا رأوه متوليّا خرجوا . فرجع ونزلت .

(٢) فتفرّقوا .

(٣) هو مجرور معطوف على (ناظرين) أو منصوب أى (ولا) تدخلوها (مستأنسين) . نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدّثه به .

(٤) من إخراجكم .

وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ(١) وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ(٢) مَتَٰعًا(٣) فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ(٤) وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا(٥) إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا(٦) ۝ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا(٧) ۝ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ(٨) وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ

---

(١) يعنى أنّ إخراجكم حقّ ماينبغى أن يستحيا منه . ولمّا كان الحياء ممّا يمنع الحيّ من بعض الأفعال قيل (لايستحيي من الحقّ) أى لايمتنع منه ولا يتركه ترك الحيّ منكم . هذا أدب أدّب الله به الثقلاء . وعن عائشة رضى الله عنها حسبك فى الثقلاء أنّ الله تعالى لم يحتملهم وقال (فإذا طعمتم فانتشروا) .

(٢) الضمير لنساء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لدلالة بيوت النبيّ لأنّ فيها نساءه .

(٣) عارية أو حاجة .

(٤) (فاسألوهنّ) المتاع (من وراء حجاب . ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ) من خواطر الشيطان وعوارض الفتن . وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال . وكان عمر رضى الله عنه يحبّ ضرب الحجاب عليهنّ ويودّ أن ينزل فيه ، وقال يارسول الله يدخل عليك البرّ والفاجر فلو أمرت أمّهات المؤمنين بالحجاب فنزلت .

(٥) ذكر أنّ بعضهم قال أننهى أن نكلّم بنات عمّنا إلّا من وراء حجاب؟ لئن مات محمد لأتزوجنّ فلانة فنزل. أى وما صحّ لكم إيذاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولانكاح أزواجه من بعد موته .

(٦) أى ذنبا عظيما .

(٧) (إن تبدوا شيئا) من إيذاء النبى صلى الله عليه وسلم أو من نكاحهنّ (أو تخفوه) فى أنفسكم (فإنّ الله كان بكلّ شىء عليما) فيعاقبكم به .

(٨) لمّا نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يارسول الله أونحن أيضا نكلمهنّ

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا [(١)] ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا [(٢)] ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ [(٣)]

من وراء حجاب؟ فنزل (لاجناح عليهنّ فى آبائهنّ ولا أبنائهنّ ولا إخوانهنّ ولا أبناء إخوانهنّ ولا أبناء أخواتهنّ ولانسائهنّ) أى نساء المؤمنات (ولا ما ملكت أيمانهنّ) أى لا إثم عليهنّ فى ألا يحتجبن من هؤلاء . ولم يذكر العمّ والخال لأنّهما يجريان مجرى الوالدين . وقد جاءت تسمية العمّ أبا . قال الله تعالى (وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق) وإسماعيل عمّ يعقوب . وعبيدهنّ عند الجمهور كالأجانب . ثمّ نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب وفى هذا النقل فضل تشديد كأنّه قيل (واتّقين الله) فيما أمرتنّ به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحى من الاستتار واحتطن فيه .

(١) عالما . قال ابن عطاء الشهيد الذى يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح .

(٢) (صلّوا عليه) أى قولوا اللّهم صلّ على محمد أو صلّى الله على محمد (وسلّموا تسليما) أى قولوا اللّهم سلّم على محمد أو انقادوا لأمره وحكمه انقيادا . وسئل عليه السلام عن هذه الآية فقال "إنّ الله وكل بى ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلّى علىّ إلّا قال ذانك الملكان غفر الله لك، وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين . ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلّى علىّ إلّا قال ذانك الملكان لاغفر الله لك، وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين" . ثمّ هى واجبة مرّة عند الطحاوىّ ، وكلّما ذكر اسمه عند الكرخىّ . وهو الاحتياط وعليه الجمهور . وإن صلّى على غيره على سبيل التبع كقوله صلّى الله على النبىّ وآله فلا كلام فيه . وأمّا إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فمكروه وهو من شعائر الروافض .

(٣) أى يؤذون رسول الله . وذكر اسم الله للتشريف . أو عبّر بإيذاء الله ورسوله عن فعل مالا يرضى به الله ورسوله كالكفر وإنكار النبوّة ، مجازا . وإنّما جعل مجازا فيهما وحقيقة الإيذاء يتصوّر فى رسول الله لئلا يجتمع المجاز والحقيقة فى لفظ واحد .

لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا[1] ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟[2] فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا[3] ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا[4] ﴿٥٩﴾

(١) طردهم الله عن رحمته فى الدارين (وأعدّ لهم) فى الآخرة (عذابا مهينا) .

(٢) أطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات لأنّ ذاك يكون غير حقّ أبدا . وأمّا هذا فمنه حقّ — كالحدّ والتعزير — ومنه باطل . قيل نزلت فى ناس من المنافقين يؤذون عليّا رضى الله عنه ويسمعونه ، وقيل فى زناة كانوا يتبعون النساء وهنّ كارهات . وعن الفضيل لا يحلّ لك أن تؤذى كلبا أو خنزيرا بغير حقّ فكيف إيذاء المؤمنين والمؤمنات .

(٣) (فقد) تحمّلوا (بهتانا) عظيما (وإثما) ظاهرا .

(٤) الجلباب ما يستر الكلّ مثل الملحفة ، عن المبرّد . ومعنى (يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ) يرخينها عليهنّ ويغطين بها وجوههنّ وأعطافهنّ ، يقال إذا زلّ الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك على وجهك . و(من) للتبعيض أى ترخى بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنّع حتّى تتميّز من الأمة . أو المراد أن يتجلببن ببعض مالهنّ من الجلابيب وألّا تكون المرأة متبذلة فى درع وخمار كالأمة ولها جلبابان فصاعدا فى بيتها . وذلك أنّ النساء كنّ فى أوّل الإسلام على هجّيراهنّ فى الجاهليّة متبذّلات تبرز المرأة فى درع وخمار لا فصل بين الحرّة والأمة . وكان الفتيان يتعرّضون للإماء إذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهنّ فى النخيل والغيطان ، وربّما تعرّضوا للحرّة لحسبان الأمة . فأمرن أن يخالفن بزيّهنّ عن زىّ الإماء بلبس الملاحف وستر الرءوس والوجوه فلا يطمع فيهنّ طامع . وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أى أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرّض لهنّ (وكان الله غفورا) لما سلف منهنّ من التفريط (رحيما) بتعليمهنّ آداب المكارم ،

لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ[١] وَٱلْمُرْجِفُونَ[٢] فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ[٣] بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ[٤] فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا[٥] ۝ مَّلْعُونِينَ[٦] أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ[٧] أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا[٨] ۝ سُنَّةَ[٩] ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ[١٠]

(١) (والذين فى قلوبهم) فجور ، وهم الزناة . من قوله (فيطمع الذى فى قلبه مرض) .

(٢) هم أناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين . يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة ، لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت ، من الرجفة وهى الزلزلة .

(٣) لنأمرنّك بقتالهم أو لنسلطنّك عليهم .

(٤) (ثمّ لا يجاورونك) فى المدينة . وهو عطف على (لنغرينّك) لأنّه يجوز أن يجاب به القسم لصحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك . ولمّا كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصيبوا به عطف بثمّ لبعد حاله عن حالة المعطوف عليه .

(٥) (إلّا) زمانا (قليلا) .

والمعنى (لئن لم ينته المنافقون) عن عداوتهم وكيدهم ، والفسقة عن فجورهم (والمرجفون) عمّا يؤلّفون من أخبار السوء لنأمرنّك بأن تفعل الأفعال التى تسوءهم ثمّ بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى ألّا يساكنوك فيها إلّا زمانا قليلا ريثما يرتحلون . فسمّى ذلك إغراء — وهو التحريش — على سبيل المجاز .

(٦) نصب على الشتم أو الحال . أى (لا يجاورونك) إلّا (ملعونين) . فالاستثناء دخل على الظرف والحال معا كما مرّ . ولا ينتصب عن (أخذوا) لأنّ ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها .

(٧) وجدوا .

(٨) التشديد يدلّ على التكثير .

(٩) فى موضع مصدر مؤكّد . أى سنّ الله فى الذين ينافقون الأنبياء أن يقتّلوا أينما وجدوا .

(١٠) مضوا .

مِن قَبۡلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا[1] ﴿٦٢﴾ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا[2] ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا[3] ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا[4] لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا[5] ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ[6] يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠[7] ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا[8] وَكُبَرَآءَنَا[9]

---

(١) أى لايبدّل الله سنّته بل يجريها مجرى واحدا فى الأمم .

(٢) كان المشركون يسألون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء ، واليهود يسألونه امتحانا لأنّ الله تعالى عمّى وقتها فى التوراة وفى كلّ كتاب . فأمر رسوله بأن يجيبهم بأنّه علم قد استأثر الله به ، ثمّ بيّن لرسوله أنّها قريبة الوقوع تهديداً للمستعجلين وإسكاتا للمتحنين بقوله (قل إنّما علمها عند الله وما يدريك لعلّ الساعة تكون قريبا) شيئا قريبا . أو لأنّ الساعة فى معنى الزمان .

(٣) (وأعدّ لهم) نارا شديدة الاتّقاد . ولاوقف على (سعيراً) لأنّ قوله (خالدين فيها) حال من الضمير فى (لهم) .

(٤) هذا يردّ مذهب الجهميّة لأنّهم يزعمون أن الجنّة والنار تفنيان .

(٥) ناصرا يمنعهم .

(٦) اذكر (يوم تقلّب وجوههم فى النار) تصرّف فى الجهات كما ترى البضعة تدور فى القدر إذا غلت . وخصّصت الوجوه لأنّ الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده . أو يكون الوجه عبارة عن الجملة .

(٧) (يقولون) — حال — (يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فنتخلّص من هذا العذاب. فتمنّوا حين لا ينفعهم التمنّى .

(٨) جمع سيّد . (ساداتنا) شامىّ وسهل و يعقوب جمع الجمع . والمراد رؤساء الكفرة الذين لقّنوهم الكفر وزيّنوه لهم .

(٩) ذوى الأسنان منّا أو علماءنا .

فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ [١] ۝ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ [٢] وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا [٣] ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ [٤] وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا [٥] ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [٦]

---

[١] يقال ضلّ السبيل وأضلّه إيّاه . وزيادة الألف لإطلاق الصوت . جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر . وفائدتها الوقف والدلالة على أنّ الكلام قد انقطع وأنّ ما بعده مستأنف .

[٢] للضلال والإضلال .

[٣] بالباء عاصم ليدلّ على أشدّ اللعن وأعظمه . وغيره بالثاء تكثيرا لأعداد اللعائن .

[٤] نزل فى شأن زيد وزينب وماسمع فيه من قالة بعض الناس (يأيّها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله ممّا قالوا) ما مصدريّة أو موصولة . وأيّهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤدّاه وهو الأمر المعيب . وأذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التى أرادها قارون على قذفه بنفسها ، أو اتّهامهم إيّاه بقتل هرون فأحياه الله تعالى فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كما برأ نبينا عليه السلام بقوله (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) .

[٥] ذا جاه ومنزلة مستجاب الدعوة . وقرأ ابن مسعود والأعمش (وكان عبداً لله وجيها).

[٦] (وقولوا قولا سديدا) صدقا وصوابا أو قاصدا إلى الحقّ والسداد القصد إلى الحقّ والقول بالعدل . والمراد نهيهم عمّا خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل فى القول والبعث على أن يسدّدوا قولهم فى كلّ باب لأنّ حفظ اللسان وسداد القول رأس كلّ خير . ولا تقف على (سديدا) لأنّ جواب الأمر قوله (يصلح لكم أعمالكم) يقبل طاعتكم أو يوفّقكم لصالح العمل (ويغفر لكم ذنوبكم) أى يمحها . والمعنى راقبوا الله فى حفظ

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (1) ﴿٧٢﴾

ألسنتكم وتسديد قولكم فانكم إن فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبّل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها . وهذه الآية مقرّرة للتى قبلها بنيت تلك على النهى عمّا يؤذى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهذه على الأمر باتّقاء الله فى حفظ اللسان ليترادف عليهم النهى والأمر مع إتباع النهى ما يتضمّن الوعيد من قصّة موسى عليه السلام و إتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعى إلى تركه .

(1) لما علق بالطاعة الفوز العظيم بقوله (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أتبعه قوله (إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها) . وهو يريد بالأمانة الطاعة لله وبحمل الأمانة الخيانة . يقال فلان حامل الأمانة ومحتمل لها أى لا يؤدّيها إلى صاحبها حتّى تزول عن ذمّته ، إذ الأمانة كأنّها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال ركبته الديون ولى عليه حقّ ، فإذا أدّاها لم تبق راكبة له ولا هو حامل لها . يعنى أنّ هذه الأجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله انقياد مثلها وهو ما يتأتّى من الجمادات ، وأطاعت له الطاعة التى تليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته و إرادته إيجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوّعة ، كما قال (ثمّ استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وأخبر أنّ الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوابّ يسجدون لله و إنّ من الحجارة لما يهبط من خشية الله . وأمّا الإنسان فلم تكن حاله فيما يصحّ منه من الطاعة و يليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصحّ منها و يليق بها من الانقياد وعدم الامتناع وهذا معنى قوله (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) أى أبين الخيانة فيها وألّا يؤدّينها وخفن من الخيانة فيها (وحملها الإنسان) أى خان فيها وأبى إلّا أن يكون محتملا لها لا يؤدّيها

لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ (١) وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢) ﴿٧٣﴾

(إنّه كان ظلوما) لكونه تاركا لأداء الأمانة (جهولا) لإخطائه مايساعده مع تمكّنه منه وهو أداؤها . قال الزّجاج الكافر والمنافق حملا الأمانة أى خانا ولم يطيعا . ومن أطاع من الأنبياء والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما جهولا .

وقيل معنى الآية أنّ ماكلّفه الإنسان بلغ من عظمه أنّه عرض على أعظم ماخلق الله من الإجرام وأقواه فأبى حمله وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه (إنّه كان ظلوما جهولا) حيث حمل الأمانة ثمّ لم يف بها وضمنها ثمّ خاس بضمانه فيها. ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب وما جاء القرآن إلّا على أساليبهم . من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوّى العوج .

(١) اللام للتعليل لأنّ التعذيب هنا نظير التأديب فى قولك ضربته للتأديب . فلا تقف على (جهولا) وقرأ الأعمش (ويتوبُ الله) بالرفع ليجعل العلّة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ (ويتوبُ الله) . ومعنى المشهورة ليعذّب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لأنّه إذا تيب على الوافى كان نوعا من عذاب الغادر . أو للعاقبة أى حملها الإنسان فآل الأمر إلى تعذيب الأشقياء وقبول توبة السعداء .

(٢) (وكان الله غفورا) للتائبين (رحيما) بعباده المؤمنين والله الموفّق للصواب .

سورة سبأ مكّيّة

وهى أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ[١] لِلَّهِ ٱلَّذِى[٢] لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ[٣] وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ[٤] وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ[٥] ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ[٦] ٱلْغَفُورُ ۝

[١] إن أجرى على المعهود، فهو بما حمد به نفسه محمود . وإن أجرى على الاستغراق ، فله لكلّ المحامد الاستحقاق .

[٢] بلام التمليك لأنّه خالق ناطق الحمد أصلا ، فكان بملكه مالك الحمد للتحميد أهلا .

[٣] و (له ما فى السموات وما فى الأرض) خلقا وملكا وقهرا ، فكان حقيقا بأن يحمد سرّا وجهرا .

[٤] (وله الحمد فى الآخرة) كما هو له فى الدنيا. إذ النعم فى الدارين من المولى . غير أنّ الحمد هنا واجب لأنّ الدنيا دار تكليف ، وثمّ لا ، لعدم التكليف . وإنّما يحمد أهل الجنّة سرورا بالنعيم ، وتلذّذا بما نالوا من الأجر العظيم ، بقولهم (الحمد لله الذى صدقنا وعده)، (الحمد لله الذى أذهب عنّا الحزن) .

[٥] (وهو الحكيم) بتدبير ما فى السماء والأرض ، (الخبير) بضمير من يحمده ليوم الجزاء والعرض .

[٦] (يعلم) — مستأنف — ما يدخل (فى الأرض) من الأموات والدفائن ، (وما يخرج منها) من النبات وجوهر المعادن ، (وما ينزل من السماء) من الأمطار وأنواع البركات ، (وما) يصعد إليها من الملائكة والدعوات (وهو الرحيم) بإنزال ما يحتاجون إليه ، (الغفور) لما يجترئون عليه .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟[(١)] لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ[(٢)] قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ[(٣)] لَا يَعْزُبُ[(٤)] عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ[(٥)] فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ[(٦)] مُّبِينٍ ۝

---

(١) أى منكرو البعث .

(٢) نفى للبعث وإنكار لمجىء الساعة .

(٣) أوجب ما بعد النفى بـ(بلى) على معنى أن ليس الأمر إلّا إتيانها . ثمّ أعيد إيجابه مؤكّدا بما هو الغاية فى التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عزّ وجلّ . ثمّ أمدّ التوكيد القسمىّ بما أتبع المقسم به من الوصف بقوله (عالم الغيب) لأنّ عظمة حال المقسم به تؤذن بقوّة حال المقسم عليه ، وبشدّة ثباته واستقامته لأنّه بمنزلة الاستشهاد على الأمر . وكلّما كان المستشهد به أرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد ، والمستشهد عليه أثبت وأرسخ . ولمّا كان قيامة الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها فى الخفية ، كان الوصف بما يرجع إلى علم الغيب أولى وأحقّ . (عالمُ الغيب) مدنىّ وشامىّ ، أى هو (عالم الغيب). (علّام الغيب) حمزة وعلىّ على المبالغة .

(٤) وبكسر الزاى علىّ . يقال عزب يعزُب ويعزِب إذا غاب وبعد .

(٥) مقدار أصغر نملة .

(٦) (ولا أصغر) من مثقال ذرّة (ولا أكبر) من مثقال ذرّة إلّا فى اللوح المحفوظ . (ولا أصغر ، ولا أكبر) بالرفع عطف على (مثقال ذرّة) . ويكون (إلّا) بمعنى لكن . أو رفعا بالابتداء والخبر (فى كتاب) .

لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝

---

(١) اللام متعلّق بلتأتينّكم تعليلا له .

(٢) (أولئك لهم مغفرة) لما قصروا فيه من مدارج الإيمان (ورزق كريم) لما صبروا عليه من مناهج الإحسان .

(٣) (والذين) جاهدوا فى ردّ القرآن مسابقين ظانّين أنّهم يفوتوننا . (مُعَجِّزين) مكى وأبو عمرو أى مثبّطين الناس عن اتّباعها وتأمّلها ، أو ناسبين الله إلى العجز .

(٤) برفع (أليم) مكّى وحفص ويعقوب صفة لعذاب أى عذاب أليم من سيّئ العذاب . قال قتادة الرجز سوء العذاب . وغيرهم بالجرّ صفة لرجز .

(٥) (ويرى) فى موضع الرفع بالاستئناف . أى ويعلم (الذين أوتوا العلم) — يعنى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومن يطأ أعقابهم من أمّته ، أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه — (الذى أنزل إليك من ربّك) — يعنى القرآن . المفعول الأوّل ليرى — (هو الحقّ) أى الصدق . و(هو) فصل ، و(الحقّ) مفعول ثان . أو فى موضع النصب معطوف على (ليجزى) . أى وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنّه الحقّ علما لا يزاد عليه فى الإيقان .

(٦) (ويهدى) الله أو الذى أنزل إليك (إلى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ (١) هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ (٢) إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٣) أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ (٤) بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ (٥) أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ (٦) ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ (٧)

(١) (وقال) قريش بعضهم لبعض .

(٢) يعنون محمدا صلّى الله عليه وسلّم . وإنّما نكّروه مع أنّه كان مشهورا علما فى قريش وكان إنباؤه بالبعث شائعا عندهم، تجاهلا به وبأمره . وباب التجاهل فى البلاغة وإلى سحرها .

(٣) أى يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب أنّكم تبعثون وتنشئون خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا ويمزّق أجسادكم البلى (كلّ ممزق) أى يفرقكم كلّ تفريق . فالممزق مصدر بمعنى التمزيق والعامل فى (إذا) مادلّ عليه (إنّكم لفى خلق جديد) أى تبعثون . والجديد فعيل بمعنى فاعل عند البصريين ، تقول جد فهو جديد كقل فهو قليل ولا يجوز أنّكم بالفتح للّام فى خبره .

(٤) أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك ؟ — والهمزة للاستفهام وهمزة الوصل حذفت استغناء عنها — (أم به) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه .

(٥) قال سبحانه وتعالى ليس محمد من الافتراء والجنون فى شيء وهو مبرأ منهما. بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون فى عذاب النار وفيما يؤدّيهم إليه من الضلال عن الحقّ. وهم غافلون عن ذلك. وذلك أجنّ الجنون . جعل وقوعهم فى العذاب رسيلا لوقوعهم فى الضلال كأنّهما كائنان فى وقت واحد لأنّ الضلال لمّا كان العذاب من لوازمه جعلا كأنّهما مقترنان . ووصف الضلال بالبعيد من الإسناد المجازى لأنّ البعيد صفة الضالّ إذا بعد عن الجادّة .

(٦) وبالإدغام على "للتقارب بين الفاء والباء . وضعّفه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء.

(٧) الثلاثة بالياء كوفىّ غير عاصم، لقوله (أفترى على الله كذبا) .

عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ(١) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ(٢) ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ(٣) أَوِّبِى(٤) مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ(٥) وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ(٦) ۝ أَنِ(٧) ٱعْمَلْ

(١) (كسَفا) حفص .

أى أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض وأنّهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عمّا هم فيه من ملكوت الله ، ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة .

(٢) (إنّ فى ذلك) النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما تدلّان عليه من قدرة الله تعالى ، لدلالة (لكلّ عبد) راجع إلى ربه مطيع له ، إذ المنيب لا يخلو من النظر فى آيات الله على أنّه قادر على كلّ شىء من البعث ومن عقاب من يكفر به .

(٣) بدل من (فضلا) أو من (آتينا) بتقدير قولنا (ياجبال) أوقلنا (ياجبال) .

(٤) من التأويب . رجّعى معه التسبيح . ومعنى تسبيح الجبال أنّ الله يخلق فيها تسبيحا فيسمع منها كما يسمع من المسبّح معجزة لداود عليه السلام .

(٥) (والطيرَ) عطف على محلّ الجبال ، (والطيرُ) عطف على لفظ الجبال .

وفى هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين إذا أمرهم بالطاعة أطاعوا وإذا دعاهم أجابوا إشعارا بأنّه ما من حيوان وجماد إلاّ وهو منقاد لمشيئة الله تعالى. ولو قال آتينا داود منّا فضلا تأويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه الفخامة.

(٦) وجعلناه له لينا كالطين المعجون يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة. وقيل لان الحديد فى يده لما أوتى من شدّة القوّة .

(٧) (أن) بمعنى أى . أو أمرناه (أن اعمل) .

سَـٰبِغَـٰتٍ[١] وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ[٢] وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[٣] ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ[٤] غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ[٥] وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ[٦] وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ[٧] وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ[٨] ﴿١٢﴾

---

[١] دروعا واسعة تامة. من السبوغ. وهو أوّل من اتّخذها. وكان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدّق على الفقراء . وقيل كان يخرج متنكّرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون فى داود؟ فيثنون عليه . فقيّض الله له ملكا فى صورة آدمىّ فسأله على عادته . فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه وهو أنّه يطعم عياله من بيت المال . فسأل عند ذلك ربّه أن يسبّب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلّمه صنعة الدروع .

[٢] لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا نتفصم الحلق . والسرد نسج الدروع .

[٣] (واعملوا) — الضمير لداود وأهله — خالصا يصلح للقبول (إنّى بما تعملون بصير) فأجازيكم عليه .

[٤] أى (و) سخّرنا (لسليمان الريح) وهى الصبا . ورفع (الريح) أبو بكر وحمّاد والفضل، أى (لسليمان الريح) مسخّرة .

[٥] جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشىّ كذلك . وكان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر فارس وبينهما مسيرة شهر ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع . وقيل كان يتغدّى بالرىّ ويتعشّى بسمرقند .

[٦] أى معدن النحاس . فالقطر النحاس وهو الصُفر ولكنّه أساله وكان يسيل فى الشهر ثلاثة أيّام كما يسيل الماء وكان قبل سليمان لا يذوب . وسمّاه عين القطر باسم ما آل إليه .

[٧] (مَن) فى موضع نصب. أى (و) سخّرنا (من الجنّ من يعمل بين يديه) بأمر (ربّه) .

[٨] ومن يعدل (منهم عن أمرنا) الذى أمرنا به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب) الآخرة. وقيل كان معه ملك بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان عليه السلام ضربه ضربة أحرقته .

يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ(١) وَتَمَٰثِيلَ(٢) وَجِفَانٍ(٣) كَٱلْجَوَابِ(٤) وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ(٥) ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا(٦) وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ(٧) ٱلشَّكُورُ(٨) ﴿١٣﴾

---

(١) أى مساجد أو مساكن .

(٢) أى صور السباع والطيور . روى أنّهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيّه ونسرين فوقه. فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما . وإذا قعد أظلّه النسران بأجنحتهما . وكان التصوير مباحا حينئذ .

(٣) جمع جفنة .

(٤) جمع جابية. وهى الحياض الكبار. قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل. (كالجوابى) فى الوصل والوقف مكّىّ ويعقوب وسهل. وافق أبو عمرو فى الوصل. الباقون بغير ياء اكتفاء بالكسرة .

(٥) ثابتات على الأثافىّ لا تنزل عنها لعظمها . وقيل إنّها باقية باليمن .

(٦) وقلنا لهم (اعملوا آل داود شكرا) أى ارحموا أهل البلاد واسألوا ربّكم العافية ، عن الفضيل. و(شكرا) مفعول له أو حال أى شاكرين. أو اشكروا شكرا لأنّ (اعملوا) فيه معنى اشكروا من حيث إنّ العمل للنعم شكر له . أو مفعول به، يعنى إنّا سخّرنا لكم الجنّ يعملون لكم ماشئتم فاعملوا أنتم شكرا . وسئل الجنيد عن الشكر فقال "بذل المجهود ، بين يدى المعبود" .

(٧) بسكون الياء حمزة ، وغيره بفتحها .

(٨) المتوفّر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا . وعن ابن عباس رضى الله عنه "من يشكر على أحواله كلّها" . وقيل من يشكر على الشكر . وقيل من يرى عجزه عن الشكر . وحكى عن داود عليه السلام أنّه جزّأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات إلّا وإنسان من آل داود قائم يصلّى .

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ[1] ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ[2] عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ[3] تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ[4] فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ[5] ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ[6] فِى مَسْكَنِهِمْ[7] ءَايَةٌ[8] جَنَّتَانِ[9]

(١) أى على سليمان .

(٢) أى الجنّ وآل داود .

(٣) أى الأَرَضَة وهى دويّبة يقال لها سرفة . والأرض فعلها ، فأضيفت إليه . يقال أرِضت الخشبة أرْضا إذا أكلتها الأرضة .

(٤) العصا تسمّى منسأة لأنّه ينسأ بها أى يطرد . (ومنساته) بغير همز مدنى وأبو عمرو.

(٥) (فلمّا) سقط سليمان علمت (الجنّ) كلّهم علما بيّنا بعد التباس الأمر على عامّتهم وضعفتهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (فى العذاب المهين) . وروى أنّ داود عليه السلام أسّس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمّه فوصّى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه . فلمّا بقى من عمره سنة سأل ربّه أن يعمّى عليهم موته حتّى يفرغوا منه ، ولتبطل دعواهم علم الغيب . وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة . ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقى فى ملكه أربعين سنة . وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه . وروى أنّ أفريدون جاء ليصعد كرسيّه ، فلمّا دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعده أن يدنو منه .

(٦) بالصرف بتأويل الحىّ ، وبعدمه أبو عمرو بتأويل القبيلة .

(٧) حمزة وحفص . (مسكِنهم) علىّ وخلف . وهو موضع سكناهم . وهو بلدهم وأرضهم التى كانوا مقيمين فيها باليمن . أو مسكن كلّ واحد منهم . غيرهم (مساكنهم) .

(٨) اسم كان .

(٩) بدل من (آية). أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية (جنّتان) . ومعنى كونهما آية أنّ أهلهما لمّا أعرضوا عن شكر الله سلبهم الله النعمة ليعتبروا ويتّعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا من الكفر وغمط النعم. أو جعلهما آية أى علامة دالّة على قدرة الله وإحسانه ووجوب شكره .

عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ [(١)] كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ [(٢)] بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ [(٣)] وَرَبٌّ غَفُورٌ [(٤)] ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ [(٥)] فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ [(٦)] وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ [(٧)]

---

(١) أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها . وكلّ واحدة من الجماعتين فى تقاربها وتضامّها كأنّها جنّة واحدة كما تكون بساتين البلاد العامرة . أو أراد بستانى كلّ رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله .

(٢) حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم ، أو لما قال لهم لسان الحال ، أو هم أحقّاء بأن يقال لهم ذلك .

(٣) ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حيّة ومن يمرّ بها من الغرباء يموت قمله لطيب هوائها .

(٤) أى هذه البلدة التى فيها رزقكم (بلدة طيّبة) وربّكم الذى رزقكم وطلب شكركم (ربّ غفور) لمن شكره . قال ابن عباس كانت سبأ على ثلاثة فراسخ من صنعاء وكانت أخصب البلاد تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل ممّا يتساقط فيه من الثمر .

(٥) (فأعرضوا) عن دعوة أنبيائهم فكذّبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة .

(٦) أى المطر الشديد ، أو العرم اسم الوادى ، أو هو الجرذ الذى نقب عليهم السكر . لما طغوا سلّط الله عليهم الجرذ فنقبه من أسفله فغرّقهم .

(٧) (وبدّلناهم بجنتيهم) المذكورتين (جنّتين) وتسمية البدل (جنّتين) للمشاكلة وازدواج الكلام كقوله (وجزاء سيّئة سيّئة مثلها) .

ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ (١) وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ (٢) قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ (٣) وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ (٤) ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً (٥) وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ (٦)

---

(١) الأكل الثمر يثقّل ويخفّف . وهو قراءة نافع ومكّىّ. والخمط شجر الأراك . وقيل كلّ شجر ذى شوك . ووجه من نوّن الأكل — وهو غير أبى عمرو — أن أصله ذواتى أكلٍ أكلِ خمطٍ فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه . أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل ذواتى أكل بشع . ووجه أبى عمرو أنّ أكل الخمط فى معنى البَرِير — وهو ثمر الأراك إذا كان غضّا — فكأنّه قيل ذواتى برير .

(٢) الأثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا . والأثل والسدر معطوفان على (أكل) لا على خمط ، لأن الأثل لا أكل له . وعن الحسن قلّل السدر لأنّه أكرم ما بدّلوا لأنّه يكون فى الجنان .

(٣) أى جزيناهم ذلك بكفرهم ، فهو مفعول ثان مقدّم .

(٤) كوفىّ غير أبى بكر . (وهل يُجازَى إلّا الكفورُ)، غيرهم. يعنى (وهل نجازى) مثل هذا الجزاء إلّا من كفر النعمة ولم يشكرها أو كفر بالله . أو هل يعاقب . لأنّ الجزاء وإن كان عامّا يستعمل فى معنى المعاقبة وفى معنى الإثابة لكن المراد الخاصّ وهو العقاب .

وعن الضحاك كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما السلام .

(٥) (وجعلنا) بين سبأ (وبين القرى التى باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها فى النعم والمياه — وهى قرى الشام — (قرى) متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة لأعين الناظرين . أو (ظاهرة) للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتّى تخفى عليهم . وهى أربعة آلاف وسبعمائة قرية متّصلة من سبأ إلى الشام .

(٦) أى جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم يقيل المسافر فى قرية ويروح فى أخرى إلى أن يبلغ الشام .

سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ[١][٢] ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا[٣] وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ[٤] فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ[٥] وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ[٦] إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ[٧] ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ[٨] فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ[٩] ﴿٢٠﴾

---

(١) وقلنا لهم (سيروا) . ولا قول ثمّة ولكنّهم لمّا مكّنوا من السير وسوّيت لهم أسبابه فكأنّهم أمروا بذلك .

(٢) أى (سيروا فيها) إن شئتم بالليل ، وإن شئتم بالنهار . فإنّ الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات . أى سيروا فيها (آمنين) لا تخافون عدوّا ولا جوعا ولا عطشا وإن تطاولت مدّة سفركم وامتدت أيّاما وليالى .

(٣) قالوا يا ليتها كانت بعيدة فنسير على نجائبنا ونربح فى التجارات ونفاخر فى الدوابّ والأسباب . بطروا النعمة وملّوا العافية فطلبوا الكدّ والتعب . (بعّد) مكّى وأبو عمرو .

(٤) (وظلموا) بما قالوا (أنفسهم) .

(٥) يتحدّث الناس بهم ويتعجّبون من أحوالهم .

(٦) وفرّقناهم تفريقا اتّخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا أيدى سبا وتفرّقوا أيادى سبا . فلحق غسّان بالشام وأنمار بيثرب ، وجذام بتهامة والأزد بعمان .

(٧) (إنّ فى ذلك لآيات لكلّ صبّار) عن المعاصى (شكور) للنعم . أو لكلّ مؤمن لأنّ الإيمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر .

(٨) (صدّق) بالتشديد كوفى أى حقّق عليهم ظنّه ، أو وجده صادقا . وبالتخفيف غيرهم أى صدق فى ظنّه . الضمير فى (عليهم) و (اتّبعوه) لأهل سبأ أو لبنى آدم .

(٩) قلّل المؤمنين لقلّتهم بالإضافة إلى الكفّار (ولا تجد أكثرهم شاكرين) .

وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ[١] مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ[٢] ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ[٣] ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ[٤]

---

[١] (وما كان) لإبليس على الذين صار ظنّه فيهم صدقا من تسليط واستيلاء بالوسوسة (إلّا لنعلم) موجودا ما علمناه معدوما . والتغيّر على المعلوم لا على العلم .

[٢] محافظ عليه . وفعيل ومفاعل متآخيان .

[٣] (قل) لمشركى قومك (ادعوا الذين) زعمتموهم آلهة من دون الله . فالمفعول الأوّل الضمير الراجع إلى الموصول . وحذف كما حذف فى قوله (أهذا الذى بعث الله رسولا) استخفافا لطول الموصول بصلته . والمفعول الثانى آلهة . وحذف لأنّه موصوف صفته (من دون الله) والموصوف يجوز حذفه و إقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوما . فإذا مفعولا زعم محذوفان بسببين مختلفين . والمعنى (ادعوا الذين) عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسمّيتموهم باسمه والتجئوا إليهم فيما يعروكم كما تلتجئون إليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته . ثمّ أجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثقال ذرّة) من خير أو شرّ أو نفع أو ضرّ (فى السموات ولا فى الأرض وما لهم) فى هذين الجنسين من شركة فى الخلق ولا فى الملك (وما له) تعالى من آلهتهم من عَوين يعينه على تدبير خلقه . يريد أنّهم على هذه الصفة من العجز ، فكيف يصحّ أن يدعوا كما يدعى و يرجوا كما يرجى ؟

[٤] أى (أَذن له) الله يعنى إلّا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله . وهى اللام الثانية فى قولك أذن لزيد لعمرو أى لأجله . وهذا تكذيب لقولهم (هؤلاء شفعاؤنا) عند الله . (أُذن له) كوفىّ غير عاصم إلّا الأعشى .

حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ[١] وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ[٢] ۝ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ[٣] ۝

---

(١) أى (حتّى إذا) كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلّم بها ربّ العزّة فى إطلاق الإذن . و(فزّع) شامىّ أى الله تعالى . والتفزيع إزالة الفزع . و(حتّى) غاية لما فهم من أنّ ثمّ انتظارا للإذن وتوقّفا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن لهم . كأنّه قيل يتربصون ويتوقّعون مليّا فزعين (حتّى إذا فزّع عن قلوبهم قالوا) سأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربّكم قالوا) قال (الحقّ) أى القول الحقّ . وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى .

(٢) ذو العلوّ والكبرياء ليس لملك ولا نبىّ أن يتكلّم ذلك اليوم إلّا بإذنه وأن يشفع إلّا لمن ارتضى .

(٣) أمره بأن يقرّرهم بقوله (من يرزقكم) . ثمّ أمره بأن يتولّى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم (الله) . وذلك للإشعار بأنّهم مقرّون به بقلوبهم إلّا أنّهم ربّما أبوا أن يتكلّموا به لأنّهم إن تفوّهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم : فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق ؟ وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذى — إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم — لم يتقاصر عنه : (وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) . ومعناه وإنّ أحد الفريقين من الموحّدين ومن المشركين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال . وهذا من الكلام المنصف الذى كلّ من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك . وفى درجه بعد تقدمة ماقدّم من التقرير دلالة غير خفيّة على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين، ولكن التعريض أوصل بالمجادل إلى الغرض . ونحوه قولك للكاذب إن أحدنا لكاذب . وخولف بين حرفى الجرّ الداخلين على الهدى والضلال لأنّ صاحب الهدى كأنّه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء ، والضال كأنّه ينغمس فى الظلام لا يرى أين يتوجّه .

قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ[١] ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ[٢] ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ[٣] كَلَّا[٤] بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ[٥] ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ[٦] بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[٧] ﴿٢٨﴾

---

(١) هذا أدخل فى الإنصاف من الأوّل حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين وهو مزجور عنه محظور ، والعملَ إلى المخاطَبين وهو مأمور به مشكور .

(٢) (قل يجمع بيننا ربّنا) يوم القيامة (ثمّ) يحكم (بيننا) بلا جور ولا ميل (وهو) الحاكم (العليم) بالحكم .

(٣) أى (أرونى الذين) ألحقتموهم بالله (شركاء) فى العبادة معه . ومعنى قوله (أرونى) — وكان يراهم — أن يريهم الخطأ العظيم فى إلحاق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الإشراك به .

(٤) ردع وتنبيه ، أى ارتدعوا عن هذا القول وتنبّهوا عن ضلالكم .

(٥) (بل هو) الغالبُ فلا يشاركه أحد — و(هو) ضمير الشأن — (الحكيم) فى تدبيره .

(٦) (إلّا) إرسالة عامّة لهم محيطة بهم لأنّها إذا شملتهم فقد كفّتهم أن يخرج منها أحد منهم . وقال الزجّاج معنى الكافّة فى اللغة الإحاطة ؛ والمعنى أرسلناك جامعا للناس فى الإنذار والإبلاغ بجعله حالا من الكاف . والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية والعلّامة .

(٧) (وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيرا) بالفضل لمن أقرّ (ونذيرا) بالعدل لمن أصرّ . (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك .

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ(١) إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ(٢) لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ(٣) ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟(٤) لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ(٥) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ(٦) يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟(٧)

(١) أى القيامة المشار إليها فى قوله (قل يجمع بيننا ربّنا) .

(٢) الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان . وهو هنـا الزمان ويدلّ عليه قراءة من قرأ (ميعادٌ يومٌ) فأبدل منه اليوم . وأما الإضافة فإضافة تبيين كما تقول بعير سانية .

(٣) أى لا يمكنكم التأخّر عنه بالاستمهال ، ولا التقدّم إليه بالاستعجال . ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم أنّهم سألوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتا لا استرشادا ، فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا للسؤال على سبيل الإنكار والتعنّت ، وأنّهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدّما عليه .

(٤) أى أبو جهل وذووه .

(٥) أى ما نزل قبل القرآن من كتب الله . أو القيامة والجنّة والنار . والمعنى أنّهم جحدوا أن يكون القرآن من الله ، وأن يكون لمـا دلّ عليه من الإعادة للجزاء حقيقة .

(٦) (ولو ترى إذ الظالمون) محبوسون يردّ (بعضهم إلى بعض القول) فى الجدال . أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم فى الآخرة فقال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو للمخاطب : ولو ترى فى الآخرة موقفهـم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم ، لرأيت العجب . فحذف الجواب .

(٧) أى الأتباع .

لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟[١] لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ[٢] ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ[٣] بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم[٤] بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ[٥] ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟[٦] بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا[٧]

---

(١) أى للرءوس والمقدّمين .

(٢) (لولا) دعاؤكم إيّانا إلى الكفر (لكنّا مؤمنين) بالله ورسوله .

(٣) أولى الاسم أى (نحن) حرف الإنكار ، لأن المراد إنكار أن يكونوا هم الصادّين لهم عن الإيمان ، وإثبات أنّهم هم الذين صدّوا بأنفسهم عنه ، وأنّهم أتوا من قِبل اختيارهم .

(٤) إنّما وقعت (إذ) مضافا إليها وإن كانت إذ وإذا من الظروف اللازمة للظرفية لأنّه قد اتّسع فى الزمان مالم يتّسع فى غيره فأضيف إليها الزمان .

(٥) (بل كنتم) كافرين لاختياركم وإيثاركم الضلال على الهدى لا بقولنا وتسويلنا .

(٦) لم يأت بالعاطف فى (قال الذين استكبروا) وأتى به فى (وقال الذين استضعفوا) لأنّ الذين استضعفوا مرّ أولّا كلامهم فجىء بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف . ثمّ جىء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأوّل .

(٧) بل مكركم بنا بالليل والنهار . فاتّسع فى الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه . أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازىّ ، أى الليل والنهار مكرا بطول السلامة فيهما حتّى ظننّا أنّكم على الحقّ (إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له) أشباها . والمعنى أنّ المستكبرين لمّا أنكروا بقولهم (أنحن صددناكم) أن يكونوا هم السبب فى كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم (بل كنتم مجرمين) أنّ ذلك بكسبهم واختيارهم ، كرّ عليهم المستضعفون بقولهم (بل مكر الليل والنهار) . فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم . كأنّهم قالوا ما كان الإجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا ، وحملكم إيّانا على الشرك واتّخاذ الأنداد .

وَأَسَرُّواْ[1] ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ[2] وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ[3] هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ[4] ۝ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ۝ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[5] ۝

---

(١) أضمروا أو أظهروا وهو من الأضداد . وهم الظالمون فى قوله (إذ الظالمون موقوفون) . يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم ، والمستضعفون على ضلالهم واتّباعهم المضلّين .

(٢) الجحيم .

(٣) أى فى أعناقهم . فجاء بالصريح للدلالة على ما استحقّوا به الأغلال .

(٤) (هل يجزون إلّا ما كانوا يعملون) فى الدنيا .

(٥) (وما أرسلنا فى قرية من) نبىّ (إلّا قال) متنعّموها ورؤساؤها (إنّا بما أرسلتم به كافرون). هذه تسلية للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم ممّا منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به ، وأنّه لم يرسل قطّ إلى أهل قرية من نذير إلّا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم أهل مكّة ، وافتخروا بكثرة الأموال والأولاد كما قال (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذّبين) . أرادوا أنّهم أكرم على الله من أن يعذّبهم نظرا إلى أحوالهم فى الدنيا وظنّوا أنّهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله . ولولا أنّ المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم . فأبطل الله ظنهم بأنّ الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء . فربما وسّع على العاصىّ وضيّق على المطيع . وربّما عكس وربّما وسّع عليهما أو ضيّق عليهما فلا ينقاس عليه أمر الثواب. وذلك قوله (قل إنّ ربّى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) — قدر الرزق تضييقه قال الله تعالى (ومن قدر عليه رزقه) — (ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون) ذلك .

وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ[١] إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ[٢] بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ[٣] ءَامِنُونَ[٤] ۝ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ[٥] أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ[٦] ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم[٧] مِّن شَىْءٍ[٨] فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ[٩]

(١) أى وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم (بالتى تقربكم) . وذلك أن الجمع المكسّر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التأنيث . والزلفى والزلفة كالقربى والقربة . ومحلّها النصب على المصدر . أى تقرّبكم قربة كقوله (أنبتكم من الأرض نباتا) .

(٢) الاستثناء من "كم" فى (تقربكم). يعنى أنّ الأموال لا تقرّب أحدا إلّا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله، والأولاد لا تقرّب أحدا إلّا من علّمهم الخير وفقّههم فى الدين ورشّحهم للصلاح والطاعة . وعن ابن عباس (إلّا) بمعنى لكن . و(مَن) شرط جوابه (فأولئك لهم جزاء الضعف) وهو من إضافة المصدر إلى المفعول. أصله (فأولئك لهم أن يجازَوا الضعفَ، ثمّ جزاءٌ الضعفَ ، ثمّ جزاءُ الضعف . ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا . وقرأ يعقوب (جزاءً الضعفُ) ، على (فأولئك لهم) الضعف جزاء بأعمالهم .

(٣) أى غرف منازل الجنّة . (الغرفة) حمزة .

(٤) (آمنون) من كلّ هائل وشاغل .

(٥) فى إبطالها .

(٦) يوسّع .

(٧) ما شرطيّة فى موضع النصب .

(٨) بيانه .

(٩) (فهو) يعوّضه. لا معوّض سواه إمّا عاجلا بالمال، أو آجلا بالثواب . جواب الشرط.

وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١) ۝ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ (٢) لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ (٣) ۝ قَالُوا۟ (٤) سُبْحَٰنَكَ (٥) أَنتَ وَلِيُّنَا (٦) مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ (٧) أَكْثَرُهُم (٨) بِهِم (٩) مُّؤْمِنُونَ ۝

(١) المطعمين لأنّ كلّ ما رزق غيره من سلطان أو سيّد أو غيرهما فهو من رزق الله أجراه على أيدى هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التى بها ينتفع المرزوق بالرزق . وعن بعضهم الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى . فكم من مشته لايجد ، وواجد لايشتهى .

(٢) وبالياء فيهما حفص ويعقوب .

(٣) هـذا خطاب للملائكة وتقريع للكفّار وارد على المثل السائر * إيّاك أعنى واسمعى ياجاره * ونحوه قوله : (أأنت قلت للناس اتّخذونى) الآية .

(٤) أى الملائكة .

(٥) تنزيها لك أن يعبد معك غيرك .

(٦) الموالاة خلاف المعاداة وهى مفاعلة من الولى وهو القرب . والولىّ يقع على الموالى والموالَى جميعا . والمعنى أنت الذى نواليه (من دونهم) إذ لاموالاة بيننا وبينهم . فبيّنوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفّار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأنّ من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك .

(٧) أى (بل كانوا يعبدون) الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله . أو كانوا يدخلون فى أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها . أو صوّرت لهم الشياطين صور قوم من الجنّ وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها .

(٨) أكثر الإنس أو الكفّار .

(٩) بالجنّ .

فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا (١) وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (٢) ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا (٣) بَيِّنَٰتٍ (٤) قَالُوا۟ (٥) مَا هَٰذَآ (٦) إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ (٧) إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٨) ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا (٩)

(١) لأنّ الأمر فى ذلك اليوم لله وحده لايملك فيه أحد منفعة ولا مضرّة لأحد ، لأنّ الدار دار ثواب وعقاب . والمثيب والمعاقب هو الله . فكانت حالهـا خلاف حال الدنيا التى هى تكليف والناس فيها مخلًّى بينهم يتضارّون ويتنافعون . والمراد أنّه لاضارّ ولا نافع يومئذ إلّا هو .

(٢) ذكر عاقبة الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) بوضع العبادة فى غير موضعها — معطوف على (لا يملك) — (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا .

(٣) أى إذا قرئ عليهم القرآن .

(٤) واضحات .

(٥) أى المشركون

(٦) أى محمد

(٧) أى القرآن

(٨) أى وقالوا — والعدول عنه دليل على إنكار عظيم وغضب شديد — للقرآن أو لأمر النبوّة كلّه (لمّا جاءهم) وعجزوا عن الإتيان بمثله (إن هـذا) أى الحقّ (إلّا سحر مبين) . بتّوه على أنّه سحر ثمّ بتّوه على أنّه بيّن ظاهر كلّ عاقل تأمّله سمّاه سحرا .

(٩) أى ما أعطينا مشركى مكّة كتبا يدرسونها فيها برهان على صحّة الشرك .

وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ [١] ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ [٢] ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ [٣]

---

(١) ولا أرسلنا إليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا .

(٢) توعّدهم على تكذيبهم . أى وكذّب الذين تقدّموهم من الأمم الماضية والقرون الخالية الرسل كما كذّبوا . وما بلغ أهل مكّة عشر ما أوتى الأوّلون من طول الأعمار وقوّة الأجرام وكثرة الأموال والأولاد (فكيف كان نكير) للمكذّبين الأوّلين . فليحذروا من مثله — وبالياء فى الوصل والوقف يعقوب — أى فحين كذّبوا رسلهم جاءهم إنكارى بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم مستظهرون . فما بال هؤلاء ؟ وإنّما قال (فكذّبوا) وهو مستغنى عنه بقوله (وكذّب الذين من قبلهم) ، لأنّه لمّا كان معنى قوله (وكذّب الذين من قبلهم) وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه ، جعل تكذيب الرسل مسبّبا عنه . وهو كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم.

(٣) (إنّما أعظكم) بخصلة واحدة . وقد فسّرها بقوله (أن تقوموا) على أنّه عطف بيان لها ، وقيل هو بدل . وعلى هذين الوجهين هو فى محلّ الجرّ . وقيل هو فى محلّ الرفع على تقدير هى (أن تقوموا) ، أو النصب على تقدير أعنى . وأراد بقيامهم القيام عن مجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وتفرّقهم عن مجتمعهم عنده . أو قيام القصد إلى الشىء دون النهوض والانتصاب . والمعنى إنّما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحقّ وتخلصتم . وهى (أن تقوموا لله) أى لوجه الله خالصا — لا لحميّة ولا عصبيّة بل لطلب الحقّ — اثنين اثنين وفردا فردا (ثمّ تتفكّروا) فى أمر محمّد صلّى الله عليه وسلّم وما جاء به .

مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ (١) إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ (٣) إِنْ أَجْرِىَ (٤) إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٥) ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ (٦)

أمّا الاثنان فيتفكّران ويعرض كلّ واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والإنصاف حتّى يؤدّيهما النظر الصحيح إلى الحقّ. وكذلك الفرد يتفكّر فى نفسه بعدل ونصفة ويعرض فكره على عقله . ومعنى تفرّقهم مثنى وفرادى أنّ الاجتماع مما يشوّش الخواطر ، ويعمى البصائر ، ويمنع من الرويّة ، ويقلّ الإنصاف فيه ، ويكثر الاعتساف ، ويثور عجاج التعصب ، ولا يسمع إلّا نصرة المذهب . و(تتفكّروا) معطوف على (تقوموا) .

(١) (ما بصاحبكم) يعنى محمّدا صلّى الله عليه وسلّم (من) جنون. والمعنى (ثمّ تتفكّروا) فتعلموا (ما بصاحبكم من جنّة) .

(٢) قدّام (عذاب شديد) . وهو عذاب الآخرة. وهو كقوله عليه السلام بعثت بين يدى الساعة .

(٣) بيّن أنّه لا يطلب أجرا على الإنذار بقوله (قل ما سألتكم من أجر) على إنذارى وتبليغى الرسالة (فهو لكم) جزاء الشرط . تقديره أىّ شىء سألتكم من أجر (فهو لكم) كقوله (ما يفتح الله للناس من رحمة) . ومعناه نفى مسألة الأجر رأسا نحو مالى فى هذا فهو لك، أى ليس لى فيه شىء .

(٤) مدنىّ وشامىّ وأبو بكر وحفص . وبسكون الياء غيرهم .

(٥) (وهو على كلّ شىء شهيد) فيعلم أنّى لا أطلب الأجر على نصيحتكم ودعائكم إليه إلّا منه .

(٦) بالوحى . والقذف توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد ، ويستعار لمعنى الإلقاء . ومنه : (وقذف فى قلوبهم الرعب) . (أن اقذفيه فى التابوت) . ومعنى (يقذف بالحقّ) يلقيه وينزله إلى أنبيائه أو يرمى به الباطل فيدمغه ويزهقه .

عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ (١) ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ (٢) وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٣) ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ (٤) إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥) ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ (٦) إِذْ فَزِعُوا۟ (٧) فَلَا فَوْتَ (٨)

(١) مرفوع على البدل من الضمير فى (يقذف) . أو على أنّه خبر مبتدأ محذوف .

(٢) الإسلام والقرآن .

(٣) أى زال الباطل وهلك . لأنّ الإبداء والإعادة من صفات الحىّ فعدمهما عبارة عن الهلاك . والمعنى جاء الحق وزهق الباطل ، كقوله : (جاء الحقّ وزهق الباطل) . وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم مكّة وحول الكعبة أصنام فجعل يطعنها بعود معه ويقول : جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا . جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد . وقيل الباطل الأصنام . وقيل إبليس لأنّه صاحب الباطل ، أو لأنّه هالك . كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك . أى لا يخلق الشيطان ولا الصنم أحدا ولا يبعثه ، فالمنشئ والباعث هو الله .

(٤) لمّا قالوا قد ضللت بترك دين آبائك قال الله تعالى (قل إن ضللت) عن الحقّ (فإنّما أضلّ على نفسى) إن ضللت فمنّى وعلىّ ، (وإن اهتديت) فبتسديده بالوحى إلىّ . وكان قياس التقابل أن يقال (وإن اهتديت) فإنّما أهتدى لها كقوله : (فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها) . ولكن هما متقابلان معنى ، لأنّ النفس كلّ ما عليها وضارّ لها فهو بها وبسببها لأنّها الأمّارة بالسوء ، وما لها ممّا ينفعها فبهداية ربّها وتوفيقه . وهذا حكم عامّ لكلّ مكلّف . وإنّما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه لأنّ الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محلّه وسداد طريقته كان غيره أولى به .

(٥) (إنّه سميع) لما أقوله لكم (قريب) منّى ومنكم يجازينى ويجازيكم .

(٦) جوابه محذوف أى لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة .

(٧) (إذ فزعوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر .

(٨) فلا مهرب ، أو فلا يفوتون الله ولا يسبقونه .

وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ (١) وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ (٢) وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝ (٣) وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ (٤) وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝ (٥)

(١) عطف على (فزعوا) أى فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم . أو على (لا فوت) على معنى (إذ فزعوا) فلم يفوتوا (وأخذوا من مكان قريب) من الموقف إلى النار إذا بعثوا . أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا . أو من صحراء بدر إلى القليب .

(٢) (وقالوا) حين عاينوا العذاب إنّا (آمنّا) بمحمّد عليه السلام لمرور ذكره فى قوله : (ما بصاحبكم من جنّة) ، أو بالله .

(٣) التناوش التناول . أى كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم . يريد أنّ التوبة كانت تقبل منهم فى الدنيا ، وقد ذهبت الدنيا و بعدت من الآخرة . وقيل هذا تمثيل لطلبهم مالا يكون . وهو أن ينفعهم إيمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم فى الدنيا . مثّلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناول الآخر من قيس ذراع . (التناؤش) بالهمزة أبو عمرو وكوفى غير حفص. همزت الواو لأنّ كلّ واو مضمومة ضمتها لازمة إن شئت أبدلتها همزة و إن شئت لم تبدل نحو قولك أدور وتقاوم و إن شئت قلت أدؤر وتقاؤم . وعن ثعلب التناؤش بالهمز التناول من بعد ، وبغير همز التناول من قرب .

(٤) من قبل العذاب أو فى الدنيا .

(٥) معطوف على (قد كفروا) على حكاية الحال الماضية . يعنى وكانوا يتكلّمون بالغيب أو بالشيء الغائب يقولون لابعث ولا حساب ولا جنّة ولا نار (من مكان بعيد) عن الصدق أو عن الحقّ والصواب . أو هو قولهم فى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شاعر ساحر كذّاب . وهـذا تكلّم بالغيب والأمر الخفىّ ، لأنّهم لم يشاهـدوا منه سحرا ولا شـعرا ولا كذبا . وقد أتوا بهـذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لأنّ أبعد شيء ممّا جاء به السحر والشعر وأبعد شيء من عادته التى عرفت بينهم وجربت الكذب . (و يقذفون بالغيب) عن أبى عمرو على البناء للمفعول أى تأتيهم به شياطينهم و يلقنونهـم إيّاه . و إن شئت فعلّقه بقوله (وقالوا

وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ[1] كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم[2] مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ[3] ﴿٥٤﴾

آمنّا به) على أنّه مثّلهم فى طلبهم تحصيل ما عطّلوه من الإيمـان فى الدنيا بقولهم آمنا فى الآخرة، وذلك مطلب مستبعد ، بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظانّ فى لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا . ويجوز أن يكون الضمير فى (آمنّا به) للعذاب الشديد فى قوله : (بين يدى عذاب شديد). وكانوا يقولون وما نحن بمعذّبين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذّبنا قائسين أمر الآخرة على أمر الدنيا. فهذا كان قذفهم بالغيب. وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة، لأنّ دار الجزاء لا تقاس على دار التكليف .

(١) وحجز (بينهم و بين ما يشتهون) من نفع الإيمـان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنّة . أو من الردّ إلى الدنيا كما حكى عنهم بقوله (أرجعنا نعمل صالحا) . والأفعال التى هى فزعوا وأخذوا وحيل كلّها للمضى . والمراد بها الاستقبال ، لتحقّق وقوعه .

(٢) بأشباههم من الكفرة .

(٣) (إنّهم كانوا فى شكّ) من أمر الرسل والبعث (مريب) موقع فى الريبة من أرابه إذا أوقعه فى الريبة . هذا ردّ على من زعم أنّ الله لايعذّب على الشكّ والله أعلم .

سورة فاطر مكّيّة

وهى خمس وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ (١) فَاطِرِ (٢) ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا (٣) أُو۟لِىٓ (٤) أَجْنِحَةٍ (٥) مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ (٦) يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ (٧) إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٨) ﴿١﴾

(١) حمد ذاته تعليما وتعظيما .

(٢) مبتدئها ومبتدعها. قال ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت أدرى معنى الفاطر حتّى اختصم إلىّ أعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها .

(٣) (رسلا) إلى عباده .

(٤) ذوى . اسم جمع لذو . وهو بدل من (رسلا) أو نعت له .

(٥) جمع جناح .

(٦) صفات لأجنحة. وإنّما لم تنصرف لتكرّر العدل فيها . وذلك أنّها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صيغ إلى صيغ أخر، كما عدل عمر عن عامر، وعن تكرير إلى غير تكرير . وقيل للعدل والوصف . والتعويل عليه . والمعنى أنّ الملائكة طائفة أجنحتهم اثنان اثنان أى لكلّ واحد منهم جناحان ، وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة — ولعلّ الثالث يكون فى وسط الظهر بين الجناحين يمدّهما بقوّة ، وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة .

(٧) أى يزيد فى خلق الأجنحة وغيره ما يشاء . وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن والخطّ الحسن والملاحة فى العينين . والآية مطلقة تتناول كلّ زيادة فى الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام فى الأعضاء وقوّة فى البطش وحصافة فى العقل وجزالة فى الرأى وذلاقة فى اللسان ومحبّة فى قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك .

(٨) قادر .

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ [1] وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ [2] ٱلْحَكِيمُ [3] ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ [4] ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ [5]

---

(١) نكرت الرحمة للإشاعة والإبهام. كأنه قال (ما يفتح الله للناس من) أية (رحمة) رزق أو مطر أو صحة أو غير ذلك، فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها. واستعير الفتح للإطلاق والإرسال. ألا ترى إلى قوله (وما يمسك) يمنع ويحبس (فلا مرسل له) مطلق له (من بعده) من بعد إمساكه. وأنث الضمير الراجع إلى الاسم المتضمن معنى الشرط على معنى الرحمة. ثم ذكره حملا على اللفظ المرجع إليه إذ لا تأنيث فيه لأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير. ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير. وعن معاذ مرفوعا " لا تزال يد الله مبسوطة على هذه الأمة ما لم يرفق خيارهم بشرارهم، ويعظم برهم فاجرهم وتعن قراؤهم أمراءهم على معصية الله. فإذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم ".

(٢) الغالب القادر على الإرسال والإمساك.

(٣) الذى يرسل ويمسك ما تقتضى الحكمة إرساله وإمساكه.

(٤) (اذكروا) باللسان والقلب (نعمة الله عليكم) وهى التى تقدمت من بسط الأرض كالمهاد، ورفع السماء بلا عماد، وإرسال الرسل لبيان السبيل دعوة إليه، وزلفة لديه، والزيادة فى الخلق، وفتح أبواب الرزق. ثم نبه على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله (هل من خالق غير الله) برفع (غير) على الوصف لأن (خالق) مبتدأ خبره محذوف أى لكم. بالجر على وحمزة على الوصف لفظا.

(٥) (يرزقكم من السماء) بالمطر (والأرض) بأنواع النبات: يجوز أن يكون مستأنفا. ويجوز أن يكون صفة لخالق.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ (١) فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٢) ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ (٣) وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٤) ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا (٥) وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٦) ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) ﴿٧﴾

---

(١) جملة مفصولة لا محل لها .

(٢) فبأى وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك .

(٣) نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها ، وسلى رسوله بأن له فى الأنبياء قبله أسوة . ولهذا نكر (رسل) أى رسل ذوو عدد كثير، وأولو آيات ونذر، وأهل أعمار طوال، وأصحاب صبر وعزم . لأنه أسلى له . وتقدير الكلام (وإن يكذبوك) فتأس بتكذيب الرسل من قبلك لأن الجزاء يتعقب الشرط . ولو أجرى على الظاهر يكون سابقا عليه . ووضع (فقد كذبت رسل من قبلك) موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أى بالتكذيب عن التأسى .

(٤) كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه . (ترجع) بفتح التاء شامى وحمزة وعلى ويعقوب وخلف وسهل .

(٥) (إن وعد الله) بالبعث والجزاء كائن فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله .

(٦) (ولا يغرنكم) الشيطان فإنه يمنيكم الأمانى الكاذبة ويقول إن الله غنى عن عبادتك وعن تكذيبك .

(٧) (إن الشيطان لكم عدو) ظاهر العداوة . فعل بأبيكم ما فعل وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بأحواله (فاتخذوه عدوا) فى عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته فى سركم وجهركم . ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذى يؤمه فى دعوة شيعته هو أن يوردهم مورد الهلاك بقوله (إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) .

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ (١) إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ (٢) ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ (٣) فَتُثِيرُ (٤) سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ (٥)

ثم كشف الغطاء فبنى الأمر كله على الإيمان وتركه فقال : (الذين كفروا لهم عذاب شديد) أى فمن أجابه حين دعاه فله عذاب شديد لأنه صار من حزبه أى أتباعه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يجيبوه ولم يصيروا من حزبه بل عادوه (لهم مغفرة وأجر كبير) لكبر جهادهم

(١) لمّا ذكر الفريقين قال لنبيّه عليه السلام (أفمن زيّن له سوء عمله) بتزيين الشيطان ، كمن لم يزيّن له . فكأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لا ، فقال (فإنّ الله يضلّ من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) . وذكر الزجّاج أنّ المعنى (أفمن زيّن له سوء عمله) ذهبت نفسك عليه حسرة . فحذف الجواب لدلالة (فلا تذهب نفسك) عليه . أو أفمن زيّن له عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة (فانّ الله يضلّ من يشاء ويهدى من يشاء) عليه . (فلا تُذهب نفسَك) يزيد . أى لاتهلكها (حسرات) مفعول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات . و(عليهم) صلة (تذهب) كما تقول هلك عليه حبّا ومات عليه حزنا . ولا يجوز أن يتعلّق بحسرات لأنّ المصدر لا تتقدّم عليه صلته .

(٢) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم .

(٣) (الرّيح) مكّىّ وحمزة وعلىّ .

(٤) إنّما قيل (فتثير) لتحكى الحال التى تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدالّة على القدرة الرّبانيّة. وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تميز وخصوصيّة بحال تستغرب . ولمّا كان سوق السحاب إلى البلد الميّت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل فى الاختصاص وأدلّ عليه .

(٥) بالتشديد مدنىّ وحمزة وعلىّ وحفص . وبالتخفيف غيرهم .

فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا (١) كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ (٢) ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ (٣)

---

(١) (فأحيينا) بالمطر — لتقدّم ذكره ضمنا — (الأرض بعد موتها) يبسها .

(٢) الكاف فى محلّ الرفع أى مثل إحياء الموات، نشور الأموات . قيل يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش تنبت منه أجساد الخلق .

(٣) أى العزّة كلّها مختصّة بالله عزّة الدنيا وعزّة الآخرة . وكان الكافرون يتعزّزون بالأصنام كما قال (واتّخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّا). والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعزّزون بالمشركين كما قال : (الذين يتّخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزّة فإنّ العزّة لله جميعا) . فبيّن أن لا عزّة إلّا لله . والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله (لله العزّة جميعا) موضعه استغناء عنه به لدلالته عليه لأنّ الشيء لا يطلب إلّا عند صاحبه ومالكه. ونظيره قولك لمن أراد النصيحة "فهى عند الأبرار" تريد فليطلبها عندهم. إلّا أنّك أقمت مايدلّ عليه مقامه . وفى الحديث "إنّ ربّكم يقول كلّ يوم أنا العزيز فمن أراد عزّ الدارين فليطع العزيز". ثمّ عرّف أنّ مايطلب به العزّة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله (إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه) ومعنى قوله (إليه) إلى محلّ القبول والرضا وكلّ ما اتّصف بالقبول وصف بالرفعة والصعود . أو إلى حيث لا ينفذ فيه إلّا حكمه. و(الكلم الطيّب) كلمات التوحيد أى لا إله إلا الله . وكان القياس الطيّبة. ولكن كلّ جمع ليس بينه وبين واحده إلا التاء يذكّر ويؤنّث . (والعمل الصالح) العبادة الخالصة . يعنى (والعمل الصالح يرفعه) الكلم الطيّب . فالرافع الكلم . والمرفوع العمل. لأنّه لا يقبل عمل إلّا من موحّد . وقيل الرافع الله والمرفوع العمل . أى (العمل الصالح يرفعه) الله . وفيه إشارة إلى أنّ العمل يتوقّف على الرفع . والكلم الطيّب يصعد بنفسه . وقيل العمل الصالح يرفع العامل ويشرّفه. أى من أراد العزّة فليعمل عملا صالحا فإنّه هو الذى يرفع العبد .

وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ (١) لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢) وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ (٣) ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم (٤) مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا (٥) وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ (٦) وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ (٧)

(١) هى صفة لمصدر محذوف أى المكرات (السيّئات) لأنّ مكر فعل غير متعدّ لا يقال مكر فلان عمله . والمراد مكر قريش به عليه السلام حين اجتمعوا فى دار الندوة كما قال الله تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) الآية .

(٢) (لهم عذاب شديد) فى الآخرة .

(٣) (ومكر أولئك) مبتدا (هو) فصل (يبور) خبر . أى (ومكر أولئك) الذين مكروا (هو) خاصّة (يبور) أى يفسد و يبطل دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكّة ، وقتلهم ، وأثبتهم فى قليب بدر . فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقّق فيهم قوله تعالى : (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) . وقوله : (ولا يحيق المكر السيّئ إلّا بأهله) .

(٤) أى أباكم .

(٥) (ثمّ) أنشأكم (من نطفة ثمّ جعلكم أزواجا) أصنافا أو ذكرانا وإناثا .

(٦) هو فى موضع الحال أى إلّا معلومة له .

(٧) أى (وما يعمّر من) أحد — وإنّما سمّاه معمّرا بما هو صائر إليه — (ولا ينقص من عمره إلّا فى كتاب) يعنى اللوح أو صحيفة الإنسان . (ولا يَنْقُص) زيد . فإن قلت الإنسان إمّا معمّر أى طويل العمر أو منقوص العمر أى قصيره . فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صحّ قوله (وما يعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره)؟ قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة فى تأويله بأفهام السامعين واتّكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وأنّه لا يلتبس عليهم إحالة

إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (١) ۝ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢) ۝

الطول والقصر فى عمر واحد . وعليه كلام الناس . يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلّا بحق . أو تأويل الآية أنّه يكتب فى الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثمّ يكتب فى أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتّى يأتى على آخره فذلك نقصان عمره . وعن قتادة المعمّر من يبلغ ستّين سنة . والمنقوص من عمره من يموت قبل ستّين سنة .

(١) (إنّ) إحصاءه أو زيادة العمر ونقصانه (على الله) سهل .

(٢) (وما يستوى البحران) أحدهما (عذب فرات) شديد العذوبة — وقيل هو الذى يكسر العطش — (سائغ شرابه) مرىء سهل الانحدار لعذوبته وبه ينتفع شرّابه . (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة . وقيل هو الذى يحرق بملوحته . ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر . ثمّ قال على سبيل الاستطراد فى صفة البحرين وما علّق بهما من نعمته وعطائه (ومن كلٍّ) ومن كلّ واحد منهما (تأكلون لحما طريّا) وهو السمك (وتستخرجون حلية تلبسونها) وهى اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك) فى كلّ شواقّ للماء بجريها — يقال مخرت السفينة الماء أى شقّته . و (مواخر) جمع ماخرة — (لتبتغوا) من فضل الله — ولم يجر له ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها . ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه — (ولعلّكم تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله .

ويحتمل غير طريقة الاستطراد . وهو أن يشبّه الجنسين بالبحرين ثمّ يفضّل البحر الأجاج على الكافر بأنّه قد شارك العذب فى منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه ، والكافر

يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ (١) وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ (٢) كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى (٣) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (٤) ۝ إِن تَدْعُوهُمْ (٥) لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ (٦) وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ (٧) وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ (٨)

خلو من النفع . فهو فى طريقة قوله تعالى : (ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشدّ قسوة). ثم قال :(وإنّ من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهار وإنّ منها لما يشّقق فيخرج منه الماء وإنّ منها لما يهبط من خشية الله) .

(١) يدخل من ساعات أحدهما فى الآخر حتّى يصير الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعا .

(٢) أى ذلّل أضواء صوره ، لاستواء سيره .

(٣) أى يوم القيامة ينقطع جريهما .

(٤) (ذلكم) مبتدأ (الله ، ربكم ، له الملك) أخبار مترادفة . أو (الله ربّكم) خبر إنّ . و(له الملك) جملة مبتدأة واقعة فى قران قوله (والذين تدعون من دونه) يعنى الأصنام التى تعبدونها من دون الله — (يدعون) قتيبة — (ما يملكون من قطمير) هى القشرة الرقيقة الملتفّة على النواة

(٥) أى الأصنام .

(٦) لأنّهم جماد .

(٧) (ولو سمعوا) على سبيل الفرض (ما استجابوا لكم) لأنّهم لا يدّعون ما تدّعون لهم من الإلهيّة ويتبرّءون منها .

(٩) بإشراككم لهم وعبادتكم إيّاهم ويقولون : (ما كنتم إيّانا تعبدون) .

وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١) ﴿١٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ (٢) وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ (٣) ﴿١٥﴾

(١) ولا ينبّئك أيّها المفتون بأسباب الغرور ، كما ينبّئك الله الخبير بخبايا الأمور . وتحقيقه ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به . يريد أنّ الخبير بالأمر وحده هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به . والمعنى أنّ هذا الذى أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحقّ لأنّى خبير بما أخبرت به .

(٢) قال ذو النون الخلق محتاجون إليه فى كلّ نفس وخطرة ولحظة وكيف لا ووجودهم به وبقاؤهم به .

(٣) (والله هو الغنىّ) عن الأشياء أجمع ، المحمود بكلّ لسان .

ولم يسمّهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء . ولهذا وصف نفسه بالغنىّ الذى هو مطعم الأغنياء . وذكر (الحميد) ليدلّ به على أنّه الغنىّ النافع بغناه خلقه ، والجواد المنعم عليهم ، إذ ليس كلّ غنىّ نافعا بغناه إلّا إذا كان الغنىّ جوادا منعما . وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم . قال سهل لمّا خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر . فمن ادّعى الغنى حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصله فقره إليه . فينبغى للعبد أن يكون مفتقرا بالسرّ إليه ، ومنقطعا عن الغير إليه ، حتّى تكون عبوديّته محضة . فالعبوديّة هى الذلّ والخضوع . وعلامته ألّا يسأل من أحد . وقال الواسطىّ من استغنى بالله لا يفتقر . ومن تعزّز بالله لا يذلّ . وقال الحسين على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غنيّا بالله . وكلّما ازداد افتقارا ازداد غنى . وقال يحيى الفقر خير للعبد من الغنى . لأنّ الذلّة فى الفقر ، والكبر فى الغنى . والرجوع إلى الله بالتواضع والذلّة ، خير من الرجوع إليه بتكثير الأعمال . وقيل صفة الأولياء ثلاثة الثقة بالله فى كلّ شىء ، والفقر إليه فى كلّ شىء ، والرجوع إليه من كلّ شىء . وقال الشبلى الفقر بحرّ البلاء . وبلاؤه كلّه عزّ .

إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝[١]
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ[٢] وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ
وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ[٣]

---

[١] (إن يشأ يذهبكم) كلكم إلى العدم، فإن غناه بذاته لا بكم فى القدم؛ (و يأت بخلق جديد)، وهو بدون حمدكم حميد . وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا (وما ذلك) الإنشاء والإفناء (على الله) بممتنع .

[٢] ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى . والوزر والوقر أخوان . ووزر الشىء إذا حمله . والوازرة صفة للنفس . والمعنى أنّ كلّ نفس يوم القيامة لا تحمل إلّا وزرها الذى اقترفته لا تؤاخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولىّ بالولىّ والجار بالجار . وإنّما قيل (وازرة) ولم يقل (ولا تزر) نفس (وزر أخرى) لأنّ المعنى أنّ النفوس الوازرات لا ترى منهنّ واحدة إلّا حاملة وزرها لا وزر غيرها . وقوله (وليحملنّ أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) ، وارد فى الضالّين المضلّين . فإنّهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم . وذلك كلّه أوزارهم ما فيها شىء من وزر غيرهم . ألا ترى كيف كذّبهم الله تعالى فى قولهم : (اتّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) ، بقوله : (وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء) .

[٣] (وإن تدع) نفس مثقلة بالذنوب أحدا (إلى) ثِقلها أى ذنوبها ليتحمّل عنها بعض ذلك (لا يحمل منه شىء ولو كان) المدعوّ — وهو مفهوم من قوله (وإن تدع) — (ذا قربى) ذا قرابة قريبة كأب أو ولد أو أخ . والفرق بين معنى قوله : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، ومعنى : (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء) ، أنّ الأوّل دالّ على عدل الله فى حكمه وألّا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها ، والثانى فى بيان أنّه لا غياث يومئذ لمن استغاث حتّى إنّ نفسا قد أثقلتها الأوزار لو دعت إلى أن يخفّف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وإن كان المدعوّ بعض قرابتها .

إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ(١) وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ(٢) وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ(٣) ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ(٤) ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ(٥) ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ(٦) ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ(٧) إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن(٨) فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

(١) (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أى يخشون ربّهم غائبين عن عذابه. أو يخشون عذابه غائبا عنهم . وقيل (بالغيب) فى السرّ حيث لا اطّلاع للغير عليه ، أى إنّما ينتفع بإنذارك هؤلاء (الذين يخشون ربّهم بالغيب وأقاموا الصلاة) فى مواقيتها .

(٢) (ومن) تطهّر بفعل الطاعات وترك المعاصى (فإنّما يتزكّى لنفسه) . وهو اعتراض مؤكّد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنّهما من جملة التزكّى .

(٣) المرجع . وهو وعد للتزكّى ، بالثواب .

(٤) مثل للكافر والمؤمن أو للجاهل والعالم .

(٥) مثل للكفر والإيمان .

(٦) الحقّ والباطل . أو الجنّة والنار . والحرور الريح الحارّ كالسموم إلّا أنّ السموم تكون بالنهار ، والحرور بالليل والنهار ، عن الفرّاء .

(٧) مثل للذين دخلوا فى الإسلام والذين لم يدخلوا فيه. وزيادة "لا" لتأكيد معنى النفى. والفرق بين هذه الواوات أن بعضها ضمّت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر .

(٨) يعنى أنّه قد علم من يدخل فى الإسلام ممّن لا يدخل فيه فيهدى من يشاء هدايته . وأمّا أنت فخفىّ عليك أمرهم . فلذلك تحرص على إسلام قوم مخذولين . شبّه الكفّار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم .

إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ[١] ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ[٢] بَشِيرًا وَنَذِيرًا[٣] وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ[٤] ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ[٥] ﴿٢٥﴾

---

(١) أى ما عليك إلّا أن تبلغ . فإن كان المنذَر ممّن يسمع الإنذار نفع . وإن كان من المصرّين فلا عليك .

(٢) حال من أحد الضميرين يعنى محقّا أو محقّين أو صفة للصدر أى إرسالا مصحوبا (بالحقّ) .

(٣) (بشيرا) بالوعد (ونذيرا) بالوعيد .

(٤) وما (من أمّة) قبل أمّتك (إلّا) مضى(فيها نذير) يخوفهم وخامة الطغيان، وسوء عاقبة الكفران . واكتفى بالنذير عن البشير فى آخر الآية بعد ما ذكرهما لأنّ النذارة مشفوعة بالبشارة فدلّ ذكر النذارة على ذكر البشارة . والأمّة الجماعة الكثيرة (وجد عليه أمّة من الناس). ويقال لأهل كلّ عصر أمّة . والمراد هنا أهل العصر . وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلم تخل تلك الأمم من نذير . وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام .

(٥) (وان يكذّبوك فقد كذّب الذين من قبلهم) رسلهم (جاءتهم رسلهم) — حال . و"قد" مضمرة . — بالمعجزات وبالصحف (وبالكتاب المنير) التوراة والإنجيل والزبور . ولمّا كانت هذه الأشياء فى جنسهم أسند المجىء بها اليهم إسنادا مطلقا ، وإن كان بعضها فى جميعهم وهى البيّنات ، وبعضها فى بعضهم وهى الزبر والكتاب . وفيه مسلاة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ(١) ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا(٢) وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ(٣) بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ(٤) سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ(٥) إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟(٦)

(١) (ثمّ) عاقبت (الذين كفروا) بأنواع العقوبة (فكيف كان) إنكارى عليهم وتعذيبى لهم.

(٢) (فأخرجنا) بالماء (ثمرات مختلفا) أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها ممّا لا يحصر. أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها .

(٣) طرق مختلفة اللون جمع جدّة كمدّة ومدد . ولا بدّ من تقدير حذف المضاف ، أى (ومن الجبال) ذو جدد بيض وحمر وسود ، حتّى يؤول إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه ، كما قال (ثمرات مختلفا ألوانها) .

(٤) (وغرابيب) جمع غربيب . وهو تأكيد للأسود يقال أسود غربيب . وهو الذى أبعد فى السواد وأغرب فيه . ومنه الغراب . وكان من حقّ التأكيد أن يتبع المؤكّد كقولك أصفر فاقع إلّا أنّه أضمر المؤكّد قبله . والذى بعده تفسير للمضمر . وإنّما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدلّ على المعنى الواحد من طريق الإظهار والإضمار جميعا .

(٥) يعنى ومنهم بعض (مختلف ألوانه) كاختلاف الثمرات والجبال .

(٦) لمّا قال (ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء) وعدّد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدلّ به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (إنّما يخشى الله من عباده العلماء) أى العلماء به الذين علموه بصفاته فعظّموه . ومن ازداد علما به ازداد منه خوفا . ومن كان علمه به أقلّ كان آمن . وفى الحديث «أعلمكم بالله أشدّكم له خشية» . وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن أنّ معناه أنّ الذين يخشون الله من عباده العلماء دون

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (١) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢) ۝ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ (٣)

غيرهم . ولو عكس لكان المعنى أنّهم لا يخشون إلّا الله كقوله : (ولا يخشون أحدا إلّا الله) . وبينهما تغاير ففي الأوّل بيان أنّ الخاشين هم العلماء، وفي الثاني بيان أنّ المخشيّ منه هو الله تعالى . وقرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين رضى الله عنهم (إنّما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ) . والخشية فى هذه القراءة استعارة . والمعنى إنّما يعظم الله من عباده العلماء .

(١) تعليل لوجوب الخشية لدلالتـه على عقوبة العصاة وقهرهم ، وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم . والمعاقب المثيب حقّه أن يخشى .

(٢) (إنّ الذين) يداومون على تلاوة القرآن (وأقاموا الصلاة وأنفقوا ممّا رزقناهم) مسرّين النفل ومعلنين الفرض . يعنى لا يقتنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به (يرجون) — خبر إنّ — (تجارة) — هى طلب الثواب بالطاعة — (لن تبور) لن تكسد يعنى تجارة ينتفى عنها الكساد وتنفُق عند الله (ليوفّيهم) متعلّق بلن تبـور أى (ليوفّيهم) بنفاقها عنده (أجورهم) ثواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله) بتفسيح القبور أو بتشفيعهم فيمن أحسن إليهم ، أو بتضعيف حسناتهم ، أو بتحقيق وعد لقائه . أو يرجون فى موضع الحال أى راجين. واللام فى (ليوفّيهم) تتعلّق بيتلون وما بعده . أى فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق لهذا الغرض. وخبر (إنّ) : (إنّه غفور شكور) أى (غفور) لفرطاتهم (شكور) لأعمالهم . أى يعطى الجزيل على العمل القليل .

(٣) أى القرآن . و (من) للتبيين .

هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا(١) لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ(٢) إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ(٣) ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ(٤)

(١) حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق .

(٢) لما تقدمه من الكتب .

(٣) (إن الله بعباده لخبير بصير) فعلمك وأبصر أحوالك ورآك أهلا لأن يوحى إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب .

(٤) أى أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه من بعدك — أى حكمنا بتوريثه الذين اصطفينا من عبادنا وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة . لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسله . ثم رتبهم على مراتب فقال : (فمنهم ظالم لنفسه) وهو المرجأ لأمر الله . (ومنهم مقتصد) وهو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا . (ومنهم سابق بالخيرات) . وهذا التأويل يوافق التنزيل فإنه تعالى قال : (والسابقون الأولون من المهاجرين) الآية ، وقال بعد (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) الآية ، وقال بعد (وآخرون مرجون لأمر الله) الآية ؛ والحديث : فقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال على المنبر بعد قراءة هـذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له » ، وعنه عليه السلام «السابق يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة ، وأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن أنه لا ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة» . رواه أبو الدرداء ؛ والأثر : فعن ابن عباس رضى الله عنهما السابق المخلص ، والمقتصد المرائى ، والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة ؛ وقول السلف فقـد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبائر ، والمقتصد صاحب الصغائر ، والسابق المجتنب لهما ؛ وقال الحسن البصرى الظالم من رجحت سيئاته ، والسابق من رجحت حسناته ، والمقتصد من اسـتوت حسناته وسيئاته ؛ وسئل أبو يوسف

بِإِذْنِ اللَّهِ (١) ذَٰلِكَ هُوَ (٢) الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا (٣) يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا (٤) وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٥) ۝

رحمه الله عن هذه الآية فقال كلّهم مؤمنون وأمّا صفة الكفّار فبعد هذا وهو قوله . (والذين كفروا لهم نار جهنّم) . وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فإنّه قال فمنهم ومنهم ومنهم والكلّ راجع الى قوله (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أهل الإيمان وعليه الجمهور . وإنّما قدم الظالم للإيذان بكثرتهم ، وأنّ المقتصدين قليل بالإضافة إليهم . والسابقون أقلّ من القليل . وقال ابن عطاء إنّما قدم الظالم لئلا ييأس من فضله . وقيل إنّما قدّمه ليعرّفه أنّ ذنبه لا يبعده من ربّه . وقيل إنّ أول الأحوال معصية ثمّ توبة ثمّ استقامة . وقال سهل السابق العالم ، والمقتصد المتعلّم والظالم الجاهل . وقال أيضا السابق الذى اشتغل بمعاده ، والمقتصد الذى اشتغل بمعاشه ومعاده ، والظالم الذى اشتغل بمعاشه عن معاده . وقيل الظالم الذى يعبده على الغفلة والعادة والمقتصد الذى يعبده على الرغبة والرهبة ، والسابق الذى يعبده على الهيبة والاستحقاق . وقيل الظالم من أخذ الدنيا حلالا كانت أو حراما ، والمقتصد من يجتهد ألّا يأخذها إلّا من حلال ، والسابق من أعرض عنها جملة . وقيل الظالم طالب الدنيا ، والمقتصد طالب العقبى ، والسابق طالب المولى .

(١) بأمره أو بعلمه أو بتوفيقه .

(٢) أى إيراث الكتاب .

(٣) (جنّات) خبر ثان لذلك . أو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ والخبر (يدخلونها) أى الفرق الثلاثة . (يُدْخَلونها) أبو عمرو .

(٤) (أساور) جمع أسورة جمع سوار (من ذهب ولؤلؤ) أى من ذهب مرصع باللؤلؤ . (ولؤلؤا) بالنصب والهمزة نافع وحفص . عطفا على محلّ (من أساور) أى يحلّون أساور ولؤلؤا .

(٥) لما فيه من اللذّة والزينة .

وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ[١] إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ[٢] شَكُورٌ[٣] ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ[٤] مِن فَضْلِهِۦ[٥] لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ[٦] وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ[٧] ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا[٨] كَذَٰلِكَ[٩] نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ[١٠] ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ[١١] فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم[١٢] مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ

(١) خوف النار أو خوف الموت أو هموم الدنيا .

(٢) يغفر الجنايات وإن كثرت .

(٣) يقبل الطاعات وإن قلّت

(٤) أى الإقامة لا نبرح منها ولا نفارقها يقال أقمت إقامة ومقاما ومقامة .

(٥) من عطائه وإفضاله لا باستحقاقنا .

(٦) تعب ومشقّة .

(٧) إعياء من التعب وفترة . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى (لغوب) بفتح اللام. وهو شىء يلغب منه . أى لا نتكلّف عملا يُلغبنا .

(٨) (فيموتوا) جواب النفى ونصبه بإضمار أن. أى (لا يقضى عليهم) بموت ثان فيستريحوا . (ولا يخفّف عنهم) من عذاب نار جهنّم .

(٩) مثل ذلك الجزاء .

(١٠) (يُجزى كلُّ كفور) أبو عمرو .

(١١) يستغيثون . فهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد ومشقّة . واستعمل فى الاستغاثة لجهر صوت المستغيث .

(١٢) يقولون (ربّنا أخرجنا) من النار ردّنا إلى الدنيا نؤمن بدل الكفر ونطيع بعد المعصية . فيجاوبون بعد قدر عمر الدنيا (أو لم نعمّركم) يجوز أن يكون (ما) نكرة موصوفة

وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ(١) فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ(٢) ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ(٣) إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ(٤) ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا(٥) ﴿٣٩﴾

أى تعميرا (يتذكّر فيه من تذكّر) . وهو متناول لكلّ عمر تمكّن فيه المكلّف من إصلاح شأنه وإن قصر . إلّا انّ التوبيخ فى المتطاول أعظم . ثمّ قيل هو ثمان عشرة سنة. وقيل أربعون . وقيل ستّون سنة .

(١) الرسول عليه السلام أو المشيب . وهو عطف على معنى (أو لم نعمركم) لأنّ لفظه استخبار ومعناه إخبار . كأنّه قيل قد عمّرناكم (وجاءكم النذير) .

(٢) (فذوقوا) العذاب (فما للظالمين) ناصر يعينهم .

(٣) ما غاب فيهما عنكم .

(٤) كالتعليل . لأنّه إذا علم ما فى الصدور ، وهو أخفى ما يكون ، فقد علم كلّ غيب فى العالم . وذات الصدور مضمراتها . وهى تأنيث ذو فى نحو قول أبى بكر رضى الله عنه "ذو بطنِ خارجةَ جاريةٌ" أى مافى بطنها من الحَبَل . لأنّ الحَبَل يصحب البطن . وكذا المضمرات تصحب الصدور . وذو موضوع لمعنى الصحبة .

(٥) يقال للمستخلَف خليفة. ويجمع على خلائف . والمعنى أنّه جعلكم خلفاء فى أرضه قد ملّككم مقاليد التصرّف فيها وسلّطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة . (فمن كفر) منكم وغمط مثل هذه النعمة السنيّة، فوبال كفره راجع عليه . وهو مقت الله وخسار الآخرة كما قال : (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربّهم إلّا مقتا) . وهو أشدّ البغض . (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلّا خسارا) ، هلاكا وخسرانا .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ (١) ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ (٢) أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ (٣) أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ (٤) بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٥) ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ (٦) إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٧) ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ (٨)

(١) آلهتكم التى أشركتموهم فى العبادة .

(٢) (أرونى) بدل من (أرأيتم) لأنّ معنى (أرأيتم) أخبرونى . كأنّه قيل أخبرونى عن هؤلاء الشركاء وعمّا استحقّوا به الشركة . (أرونى) أىّ جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله .

(٣) أم لهم مع الله شركة فى خلق السموات .

(٤) أى معهم كتاب من عند الله ينطق بأنّهم شركاؤه فهم على حجّـة وبرهان من ذلك الكتاب . (بيّنات) علىّ وابن عامر ونافع وأبو بكر .

(٥) ما (يعد الظالمون بعضهم) — بدل من (الظالمون) وهم الرؤساء — (بعضا) أى الأتباع (إلّا غرورا) هو قولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) .

(٦) يمنعهما من (أن تزولا) لأنّ الإمساك منع (ولئن زالتا) على سبيل الفرض ما أمسكهما (من أحد) من بعد إمساكه . و(من) الأولى مزيدة لتأكيد النفى ، والثانية للابتداء .

(٧) غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدّاهدّاً لعظم كلمة الشرك كما قال : (تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض) الآية .

(٨) نصب على المصدر أى إقساما بليغا . أو على الحال أى جاهدين فى أيمانهم .

لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ[1] وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ[2] فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا[3] ﴿٤٣﴾

---

(١) بلغ قريشا قبل مبعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ أهل الكتاب كذّبوا رسلهم . فقالوا لعن الله اليهود والنصارى . أتتهم الرسل فكذّبوهم. فو الله لئن أتانا رسول (لنكوننّ أهدى من إحدى الأمم) أى من الأمّة التى يقال فيها هى إحدى الأمم ، تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة ، كما يقال للداهية العظيمة هى إحدى الدواهى . فلمّا بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (مازادهم) مجىء الرسول صلّى الله عليه وسلّم إلّا تباعدا عن الحقّ — وهو إسناد مجازىّ — (استكبارا فى الأرض) مفعول له . وكذا (ومكرالسيّئ). والمعنى و(ما زادهم إلّا نفورا) للاستكبار (ومكر السيّئ) . أو حال يعنى مستكبرين وما كرين برسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وأصل قوله (ومكر السيّئ) وأن مكروا السيّئ أى المكر السيّئ ثم ومكرا السيّئ ثم ومكر السيّئ . والدليل عليه قوله (ولا يحيق المكر السيّئ إلّا بأهله). يحيط و ينزل. ولقد حاق بهم يوم بدر . وفى المثل "من حفر لأخيه جبّا ، وقع فيه مكبّا" .

(٢) وهو إنزال العذاب على الذين كذّبوا برسلهم من الأمم قبلهم . والمعنى (فهل ينظرون) بعد تكذيبك إلّا أن ينزل بهم العذاب مثل الذى نزل بمن قبلهم من مكذّبى الرسل . جعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم .

(٣) بيّن أن سنّته التى هى الانتقام من مكذّبى الرسل سنّة لايبدّلها فى ذاتها ولا يحوّلها عن أوقاتها وأنّ ذلك مفعول لامحالة .

أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً (١) وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ (٢) مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٣) ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ (٤) مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا (٥) مِن دَآبَّةٍ (٦) وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى (٧) فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا (٨) ﴿٤٥﴾

---

(١) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه فى مسايرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (وكانوا أشدّ) من أهل مكة اقتدارا فلم يتمكّنوا من الفرار .

(٢) (وما كان الله) ليسبقه و يفوته أى شىء .

(٣) (إنّه كان عليما) بهم قادرا عليهم .

(٤) بما اقترفوا من المعاصى .

(٥) على ظهر الأرض لأنّه جرى ذكر الأرض فى قوله : (ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض) .

(٦) من نسمة تدبّ عليها .

(٧) إلى يوم القيامة .

(٨) أى لم تخف عليه حقيقة أمرهم وحكمة حكمهم . والله الموفّق للصواب .

سُورة يسٓ مكّية

وهى ثلاث وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ (١) ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ (٢) ۝ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣) ۝ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤) ۝ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (٥) ۝

(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما : معناه يا إنسان فى لغة طيء. وعن ابن الحنفيّة : يا محمّد . وفى الحديث : إنّ الله تعالى سمّانى فى القرآن بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزّمّل والمدّثّر وعبد الله . وقيل : ياسيّد . (يس) بالإمالة علىّ وحمزة وخلف وحمّاد ويحيى .

(٢) قسم .

(٣) ذى الحكمة . أو لأنّه دليل ناطق بالحكمة . أو لأنّه كلام حكيم . ووصف بصفة المتكلّم به .

(٤) جواب القسم . وهو ردّ على الكفّار حين قالوا (لست مرسلا) .

(٥) خبر بعد خبر . أو صلة للمرسلين . أى الذين أرسلوا (على صراط مستقيم) أى طريقة مستقيمة وهو الإسلام .

(٦) بنصب اللام شامىّ وكوفىّ غير أبى بكر ، على اقرأ (تنزيل) أو على أنّه مصدر أى نزّل (تنزيل) . وغيرهم بالرفع على أنّه خبر مبتدأ محذوف أى هو (تنزيل) . والمصدر بمعنى المفعول .

(٧) الغالب بفصاحة نظم كتابه أوهام ذوى العناد .

(٨) الجاذب بلطافة معنى خطابه أفهام أولى الرشاد .

لِتُنذِرَ قَوْمًا [1] مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ [2] فَهُمْ غَٰفِلُونَ [3] ۝ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [4] ۝ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ [5] فَهُم مُّقْمَحُونَ [6] ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا [7]

---

(١) اللام متّصل بمعنى (المرسلين) أى أرسلت (لتنذر قوما) .

(٢) (ما) نافية عند الجمهور أى (قوما) غير منذر آباؤهم على الوصف بدليل قوله (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) . أو موصولة منصوبة على المفعول الثانى . أى العذاب الذى أنذره آباءهم كقوله (إنّا أنذرناكم عذابا قريبا) . أو مصدريّة أى لتنذر قوما إنذار آبائهم أى مثل إنذار آبائهم .

(٣) إن جعلت (ما) نافية فهو متعلّق بالنفى. أى لم ينذروا (فهم غافلون) . و إلّا فهو متعلّق بقوله (إنّك لمن المرسلين لتنذر) كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنّه غافل أو فهو غافل .

(٤) يعنى قوله (لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين) أى تعلّق بهم هـذا القول وثبت عليهم ووجب لأنّهم ممّن علم أنّهم يموتون على الكفر .

(٥) مثّل تصميمهم على الكفر وأنّه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنّهـم لا يلتفون إلى الحقّ ولا يعطفون أعناقهـم نحوه ولا يطأطئون رءوسهم له ، وكالحاصلين بين سدّين لا يبصرون ما قدّامهم ولا ما خلفهم فى ألّا تأمّل لهم ولا تبصّر وأنّهم متعامون عن النظر فى آيات الله بقوله (إنّا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان) معناه فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة اليها .

(٦) مرفوعة رءوسهم يقال قمح البعير فهو قامح إذا روى فرفع رأسه ، وهذا لأنّ طوق الغلّ الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيهـا رأس العمود خارجا من الحلقة إلى الذقن فلا يخلّيه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا .

(٧) بفتح السين حمزة وعلىّ وحفص . وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح ، وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضمّ .

فَأَغْشَيْنَٰهُمْ(١) فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ(٢) ۝ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(٣) ۝ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ(٤) وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ(٥) فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ(٦) وَأَجْرٍ كَرِيمٍ(٧) ۝ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ(٨) وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟(٩) وَءَاثَٰرَهُمْ(١٠)

(١) فأغشينا أبصارهم أى غطّيناها وجعلنا عليها غشاوة .

(٢) (فهم لايبصرون) الحقّ والرشاد .

وقيل نزلت فى بنى مخزوم . وذلك أنّ أبا جهل حلف لئن رأى محمّدا يصلّى ليرضخنّ رأسه . فأتاه وهو يصلّى ومعه حجر ليدمغه به فلمّا رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتّى فكّوه عنها بجهد. فرجع الى قومه فأخبرهم . فقال مخزومىّ آخر : أنا أقتله بهذا الحجر. فذهب فأعمى الله بصره .

(٣) أى سواء عليهم الإنذار وتركه . والمعنى من أضلّه الله هـذا الإضلال لم ينفعه الإنذار . وروى أنّ عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على غيلان القـدرىّ فقال كأنى لم أقرأها أشهدك أنّى تائب عن قولى فى القدر . فقال عمر : اللّهم إن صدق فتب عليه . وإن كذب فسلّط عليه من لايرحمه . فأخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق .

(٤) أى إنّما ينتفع بإنذارك من اتّبع القرآن .

(٥) وخاف عقاب الله ولم يره .

(٦) وهى العفو عن ذنوبه .

(٧) أى الجنّة .

(٨) نبعثهم بعد مماتهم أو نخرجهم من الشرك الى الإيمان .

(٩) ما أسلفوا من الأعمال الصالحات وغيرها .

(١٠) ما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علّموه ، أو كتاب صنّفوه أو حبيس حبسوه أو رباط أو مسجد صنعوه. أو سيّئ كوظيفة وظّفها بعض الظلمة . وكذلك كلّ سنّة حسنة، أو سيّئة يستنّ بها ونحوه قوله تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخّر) قدم من أعماله وأخّر من آثاره . وقيل هى خطاهم إلى الجمعة أو إلى الجماعة .

وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ[1] فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ[2] ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا[3] أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ[4] جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ[5] ﴿١٣﴾ إِذْ[6] أَرْسَلْنَآ[7] إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ[8]

---

(١) عددناه وبيّناه .

(٢) يعنى اللوح المحفوظ لأنّه أصل الكتب ومقتداها .

(٣) ومثّل لهم . من قولهم عندى من هذا الضرب كذا أى من هذا المثال . وهذه الأشياء على ضرب واحد أى على مثال واحد. والمعنى (واضرب لهم مثلا) مثل أصحاب القرية أى أنطاكية أى اذكر لهم قصّة عجيبة قصّة أصحاب القرية . والمثل الثانى بيان للأول .

(٤) بدل من أصحاب القرية .

(٥) رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها . بعثهم دعاة إلى الحقّ وكانوا عبدة أوثان .

(٦) بدل من (إذ) الأولى .

(٧) أى أرسل عيسى بأمرنا .

(٨) صادقا وصدوقا . فلمّا قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النّجار فسأل عن حالهما . فقالا : نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن . فقال : أمعكما آية ؟ فقالا : نشفى المريض ، ونبرئ الأكمه والأبرص . وكان له ابن مريض مدّة سنتين . فمسحاه فقام.فآمن حبيب . وفشا الخبر فشفى على أيديهماخلق كثير . فدعاهما الملك وقال لهما : ألنا إله سوى آلهتنا ؟ قالا نعم . من أوجدك وآلهتك . فقال : حتّى أنظر فى أمركما . فتبعهما الناس وضربوهما . وقيل حبسا. ثمّ بعث عيسى شمعون فدخل متنكّرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به . فقال له ذات يوم : بلغنى أنّك حبست رجلين . فهل سمعت قولهما ؟ قال لا . فدعاهما . فقال شمعون : من أرسلكما ؟ قالا الله الذى خلق كلّ شىء ورزق كلّ حىّ وليس له شريك . فقال : صفاه وأوجزا، قالا : يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . قال : وما آيتكما ؟ قالا : ما يتمنّى الملك . فدعا بغلام أكمه . فدعوا الله فأبصر الغلام . فقال له شمعون : أرأيت لو سألت إلهك حتّى يصنع مثل هذا فيكون

فَكَذَّبُوهُمَا(١) فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ(٢) فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ(٣) ﴿١٤﴾ قَالُوا۟(٤) مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا(٥) وَمَآ أَنزَلَ(٦) ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ(٧) ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ(٨) ﴿١٦﴾

لك وله الشرف؟ قال الملك: ليس لى عنك سرّ. إنّ إلهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضرّ ولا ينفع. ثمّ قال: إن قدر إلهكما على إحياء ميّت آمنا به. فدعوا بغلام مات من سبعة أيّام فقام. وقال إنّى أدخلت فى سبعة أودية من النار لما متّ عليه من الشرك وأنا أحذّركم ما أنتم فيه. فآمنوا. وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شابًّا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة. قال الملك ومن هم؟ قال شمعون وهذان فتعجّب الملك. فلمّا رأى شمعون أنّ قوله قد أثّر فيه نصحه فآمن وآمن قوم. ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا.

(١) فكذّب أصحاب القرية الرسولين.

(٢) فقوّيناهما — (فعزَزنا) أبو بكر من عزّه يعزّه إذا غلبه. أى فغلبنا وقهرنا — (بثالث) وهو شمعون. وترك ذكر المفعول به لأنّ المراد ذكر المعزّز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتّى عزّ الحق وذلّ الباطل. واذا كان الكلام منصبًّا الى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجّهه إليه كأنّ ما سواه مرفوض.

(٣) أى قال الثلاثة لأهل القرية.

(٤) أى أصحاب القرية.

(٥) رفع (بشر) هنا ونصب فى قوله (ما هذا بشرا) لانتقاض النفى بإلّا فلم يبق لما شبه بليس وهو الموجب لعمله.

(٦) أى وحيا.

(٧) ما أنتم إلّا كذبة.

(٨) أكّد الثانى باللام دون الأوّل، لأنّ الأوّل ابتداء إخبار والثانى جواب عن إنكار فيحتاج إلى زيادة تأكيد. و(ربّنا يعلم) جار مجرى القسم فى التوكيد. وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله.

وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ(١) ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ(٢) لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ(٣) ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ(٤) أَئِن(٥) ذُكِّرْتُم(٦) بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ(٧) ﴿١٩﴾

---

(١) أى التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحّته .

(٢) تشاءمنا بكم ، وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم . وعادة الجهال أن يتيمّنوا بكلّ شيء مالوا إليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه . فإن أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة ذلك . وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك .

(٣) (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه لنقتلنّكم أو لنطردنّكم أو لنشتمنّكم وليصيبنّكم عذاب النار وهو أشدّ عذاب .

(٤) أى سبب شؤمكم (معكم) وهو الكفر .

(٥) بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفىّ وشامىّ . (آين) بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو . و(أين) بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكىّ ونافع .

(٦) وعظتم ودعيتم إلى الإسلام وجواب الشرط مضمر . وتقديره تطيّرتم .(ذكرتم) بالتخفيف يزيد .

(٧) مجاوزون الحدّ فى العصيان . فمن ثمّ أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم . أو بل أنتم مسرفون فى ضلالكم وغيّكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرّك به من رسل الله .

وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[1] ۝ ءَأَتَّخِذُ[2] مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً[3] إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ[4] ۝ إِنِّىٓ إِذًا[5] لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ[6] ۝ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ[7]

---

(١) (وجاء من أقصى المدينة رجل) هو حبيب النجّار وكان فى غار من الجبل يعبد الله فلمّا بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال : أتسألون على ما جئتم به أجرا ؟ قالوا لا . (قال يا قوم اتّبعوا المرسلين اتّبعوا من لا يسألكم أجرا) على تبليغ الرسالة (وهم مهتدون) أى الرسل . فقالوا : أو أنت على دين هؤلاء ؟ فقال (وما لى لا أعبد الذى فطرنى) خلقنى (و إليه ترجعون) و إليه مرجعكم . (ومالى) حمزة .

(٢) بهمزتين كوفىّ .

(٣) يعنى الأصنام .

(٤) (إن يردن الرحمن بضرّ) شرط جوابه (لا تغن عنّى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) من مكروه. (ولا ينقذونى فاسمعونى) فى الحالين يعقوب .

(٥) أى اذا اتّخذت .

(٦) ظاهر بيّن .

(٧) لمّا نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم (إنّى آمنت بربّكم فاسمعون) أى اسمعوا إيمانى لتشهدوا لى به . ولمّا قتل (قيل) له (ادخل الجنّة) وقبره فى سوق أنطاكية . ولم يقل قيل له لأنّ الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما . وفيه دلالة أنّ الجنّة مخلوقة . وقال الحسن : لمّا أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله إليه وهو فى الجنّة ولا يموت إلّا بفناء السموات والأرض .

قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ (١) بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢) ۝ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ (٣) ۝ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٤) ۝ أَلَمْ يَرَوْا۟ (٥) كَمْ أَهْلَكْنَا (٦) قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ

---

(١) فلمّا دخل الجنّة ورأى نعيمها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) أى بمغفرة ربّى لى أو بالذى غفر لى (وجعلنى من المكرمين) بالجنّة .

(٢) (ما) نافية. (على قومه) قوم حبيب (من بعده) أى من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لتعذيبهم (وما كنّا منزلين) وما كان يصحّ فى حكمتنا أن ننزل فى إهلاك قوم حبيب جندا من السماء ، وذلك لأنّ الله تعالى أجرى هلاك كلّ قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك .

(٣) (إن كانت) الأخذة أو العقوبة (إلّا صيحة) صاح جبريل عليه السلام صيحة (واحدة فإذا هم خامدون) ميّتون كما تخمد النار . والمعنى أنّ الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق .

(٤) الحسرة شدّة الندم . وهذا نداء الحسرة عليهم كأنّما قيل لها تعالى ياحسرة فهذه من أحوالك التى حقّك أن تحضرى فيها وهى حال استهزائهم بالرسل . والمعنى أنّهم أحقّاء بأن يتحسّر عليهم المتحسّرون ويتلهّف على حالهم المتلهّفون . أو هم متحسّر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين .

(٥) ألم يعلموا .

(٦) (كم) نصب بأهلكنا. و(يروا) معلّق عن العمل فى (كم) لأنّ (كم) لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لأنّ أصلها الاستفهام. إلّا أنّ معناه نافذ فى الجملة .

أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (١) ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٢) ﴿٣٢﴾
وَءَايَةٌ (٣) لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا (٤) وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا (٥) فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٦) ﴿٣٣﴾
وَجَعَلْنَا فِيهَا (٧) جَنَّٰتٍ (٨) مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ (٩) ﴿٣٤﴾

(١) بدل من (كم أهلكنا) على المعنى لا على اللفظ، تقديره (ألم يروا) كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم .

(٢) (لمّا) بالتشديد شاميّ وعاصم وحمزة بمعنى إلّا (وإن) نافية . وغيرهم بالتخفيف على أنّ (ما) صلة للتأكيد (وإن) مخفّفة من الثقيلة . وهى متلقّاة اللام لا محالة . والتنوين فى (كلّ) عوض من المضاف اليه . والمعنى إنّ كلّهم محشورون مجموعون محضرون للحساب أومعذّبون . وإنّما أخبر عن كلّ بجميع لأنّ "كلّا" يفيد معنى الإحاطة. والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع . يعنى أنّ المحشر يجمعهم .

(٣) (وآية لهم) مبتدأ وخبر. أى وعلامة تدلّ على أنّ الله يبعث الموتى إحياء الأرض الميتة. ويجوز أن يرتفع (آية) بالابتداء و(لهم) صفتها وخبرها (الأرض الميتة) اليابسة. وبالتشديد مدنيّ .

(٤) (أحييناها) بالمطر. وهو استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية. وكذلك (نسلخ). ويجوز أن توصف (الأرض) و(الليل) بالفعل لأنّه أريد بهما جنسان مطلقان لا أرض وليل بأعيانهما. فعوملا معاملة النكرات فى وصفهما بالأفعال ونحوه * ولقد أمرّ على اللئيم يسبّنى *

(٥) أريد به الجنس .

(٦) قدّم الظرف ليدلّ على أنّ الحبّ هو الشيء الذى يتعلّق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنس. وإذا قلّ جاء القحط ووقع الضرّ. واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء .

(٧) فى الأرض .

(٨) بساتين .

(٩) (من) زائدة عند الأخفش . وعند غيره المفعول محذوف تقديره ماينتفعون به .

لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ[١] وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ[٢] أَفَلَا يَشْكُرُونَ[٣] ﴿٣٥﴾ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ[٤] كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ[٥] وَمِنْ أَنفُسِهِمْ[٦] وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ[٧] ﴿٣٦﴾

---

(١) الضمير لله تعالى ، أى (ليأكلوا) ممّا خلقه الله من الثمر . وأصله من ثمرنا كما قال (وجعلنا . وفجّرنا) فنقل الكلام من التكلّم إلى الغيبة على طريق الالتفات. ويجوز أن يرجع الضمير إلى النخيل وتترك الأعناب غير مرجوع إليها لأنّه علم أنّها فى حكم النخيل فيما علّق به من أكل ثمره . ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنّات كما قال رؤبة :

فيها خطوط من بياض وبَلَقْ * كأنه فى الجلد توليع البَهَقْ

فقيل له . فقال أردت كأنّ ذاك . (من ثُمُره) حمزة وعلىّ

(٢) أى وممّا عملته أيديهم من الغرس والسقى والتلقيح وغير ذلك من الأعمال إلى أن يبلغ الثمر منتهاه . يعنى أنّ الثمر فى نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كدّ بنى آدم . (وما عملت) كوفىّ غير حفص . وهى فى مصاحف أهل الكوفة كذلك ، وفى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير . وقيل (ما) نافية على أنّ الثمر خلق الله ولم تعمله أيدى الناس ولا يقدرون عليه .

(٣) استبطاء وحثّ على شكر النعمة .

(٤) الأصناف .

(٥) من النخيل والشجر والزرع والثمر .

(٦) الأولاد ذكورا وإناثا .

(٧) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصّلوا إلى معرفتها . ففى الأودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس .

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ (١) فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٢) ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا (٣) ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٤) ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ (٥) مَنَازِلَ (٦) حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ (٧) ﴿٣٩﴾

---

(١) نخرج منه النهار إخراجا لا يبقى معه شيء من ضوء النهار . أو ننزع عنه الضوء نزع القميص الأبيض فيعرى نفس الزمان كشخص زنجي أسود لأنّ أصل ما بين السماء والأرض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فإذا غاب السراج أظلم.

(٢) داخلون فى الظلام .

(٣) (و) آية لهم (الشمس تجرى) لحدّ لها مؤقّت مقدّر تنتهى إليه من فلكها فى آخر السنة . شبّه بمستقرّ المسافر إذا قطع مسيره . أو لحدّ لها من مسيرها كلّ يوم فى مرائى عيوننا وهو المغرب . أو لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا .

(٤) (ذلك) الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كلّ مقدور (العليم) بكلّ معلوم .

(٥) (القمر) نصب بفعل يفسره (قدّرناه) . و بالرفع مكّيّ ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر (قدّرناه) أو على وآية لهم القمر .

(٦) وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كلّ ليلة فى واحد منها لا يتخطّاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهلّ إلى الثامنة والعشرين ، ثمّ يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر . ولا بدّ فى (قدّرناه منازل) من تقدير مضاف لأنّه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل . أى قدّرنا نوره فيزيد و ينقص أو قدّرنا مسيره (منازل) فيكون ظرفا .

(٧) فإذا كان فى آخر منازله دقّ واستقوس (حتّى عاد كالعرجون) — وهو عود الشمراخ إذا يبس واعوج . ووزنه فعلون من الانعراج وهو الانعطاف — (القديم) العتيق المحول وإذا قدم دقّ وانحنى واصفرّ . فشبّه القمر به من ثلاثة أوجه .

لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ (١) وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ (٢) فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣) ۝ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (٤) ۝ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ (٥) ۝ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ۝ إِلَّا رَحْمَةً (٦) مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝

---

(١) أى لا يتسهّل لهـا ولا يصحّ ولا يستقيم (أن تدرك القمر) فتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فى سلطانه فتطمس نوره . لأنّ لكلّ واحد من النيّرين سلطانا على حيـاله . فسلطان الشمس بالنهـار وسلطان القمر بالليل . ولا يسبق الليل النهـار . أى آية الليل آية النهار . وهما النيّران . ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها .

(٢) التنوين فيه عوض من المضاف إليه أى وكلّهم . والضمير للشموس والأقمار .

(٣) يسيرون .

(٤) (وآية لهم أنّا حملنا ذرّيّاتهم) — مدنىّ وشامىّ — (فى الفلك) المملوء. والمراد بالذرّيّة الأولاد ومن يهمّهم حمله . وكانوا يبعثونهم إلى التجارات فى برّ أو بحر . أو الآباء لأنّها من الأضداد . والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام . وقيل معنى حمل الله ذرّيّاتهم فيهـا أنّه حمل فيهـا آباءهم الأقدمين وفى أصلابهم هم وذرّيّاتهم . وإنّمـا ذكر ذرّيّاتهم دونهم لأنّه أبلغ فى الامتنان عليهم .

(٥) (وخلقنا لهم) من مثل الفلك (ما يركبون) من الإبل . وهى سفائن البرّ .

(٦) (وإن نشأ نغرقهم) فى البحر فلا مغيث أو فلا إغاثة (لهم ولا هم) ينجون إلّا لرحمة منّا ولتمتيع بالحياة إلى انقضاء الأجل . فهما منصوبان على المفعول له .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ[1] لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ [2] وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ[3] ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ[4] أَنفِقُوا۟[5] مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ[6] إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ[7] ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ[8] إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ[9] ۝ مَا يَنظُرُونَ[10]

---

(١) أى ما تقدّم من ذنوبكم وما تأخّر مما أنتم تعملون من بعد . أو من مثل الوقائع التى ابتليت بها الأمم المكذّبة بأنبيائها وما خلفهم من أمر الساعة أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة .

(٢) لتكونوا على رجاء رحمة الله .

وجواب (إذا) مضمر. أى أعرضوا. وجاز حذفه لأن قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربّهم إلّا كانوا عنها معرضين) يدلّ عليه .

(٣) (من) الأولى لتأكيد النفى، والثانية للتبعيض. أى ودأبهم الإعراض عند كلّ آية وموعظة .

(٤) لمشركى مكّة .

(٥) أى تصدّقوا على الفقراء .

(٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكّة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا : لا والله ! أيفقره الله ونطعمه نحن ؟

(٧) قول الله لهم . أو حكاية قول المؤمنين لهم . أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين .

(٨) أى وعد البعث والقيامة .

(٩) (إن كنتم صادقين) فيما تقولون . خطاب للنبىّ وأصحابه .

(١٠) ينتظرون .

إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً[1] تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ[2] ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ[3] ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ[4] فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ[5] إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ[6] ۝ قَالُوا[7] يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا[8] مِن مَّرْقَدِنَا[9] هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ[10] ۝ إِن كَانَتْ[11]

---

(١) هى النفخة الأولى .

(٢) حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه إذا غلبه فى الخصومة. وشدّد الباقون الصاد أى يختصمون بادغام التاء فى الصاد. لكنّه مع فتح الخاء مكىّ بنقل حركة التاء المدغمة إليها، وبسكون الخاء مدنىّ، و بكسر الياء والخاء يحيى، فأتبع الياء الخاء فى الكسر، و بفتح الياء وكسر الخاء غيرهم . والمعنى تأخذهم و بعضهم يخصم بعضا فى معاملاتهم .

(٣) (فلا يستطيعون) أن يوصوا فى شىء من أمورهم (توصية) ولا يقدرون على الرجوع إلى منازلهم . بل يموتون حيث يسمعون الصيحة .

(٤) هى النفخة الثانية . والصور القرن ، أو جمع صورة .

(٥) أى القبور .

(٦) يعدون بكسر السين وضمّها .

(٧) أى الكفّار .

(٨) من أنشرنا .

(٩) أى مضجعنا . وقف لازم عن حفص . وعن مجاهد" للكفّار مضجعة يجدون فيها طعم النوم . فإذا صيح بأهل القبور قالوا (من بعثنا) " .

(١٠) كلام الملائكة أو المتّقين أو الكافرين يتذكّرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا . و (ما) مصدريّة . ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق . أو موصولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون أى والذى صدق فيه المرسلون .

(١١) النفخة الأخيرة .

إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ[1] ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ[2] فَاكِهُونَ[3] ﴿٥٥﴾ هُمْ[4] وَأَزْوَاجُهُمْ[5] فِي ظِلَالٍ[6] عَلَى الْأَرَائِكِ[7] مُتَّكِئُونَ[8] ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ[9] ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ[10] قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾

---

(١) (محضرون) للحساب .

(٢) ذكر ما يقال لهم فى ذلك اليوم . (شغل) بضمتين كوفىّ وشامىّ ، وبضمة وسكون مكّىّ ونافع وأبو عمرو . والمعنى (فى شغل) فى أىّ شغل وفى شغل لا يوصف . وهو افتضاض الأبكار ، على شطّ الأنهار ، تحت الأشجار . أو ضرب الأوتار . أو ضيافة الجبّار .

(٣) خبر ثان (فكهون) يزيد . والفاكه والفكه المتنعّم المتلذّذ . ومنه الفاكهة لأنها ممّا يتلذّذ به . وكذا الفكاهة .

(٤) مبتدأ .

(٥) عطف عليه .

(٦) حال جمع ظلّ . وهو الموضع الذى لا تقع عليه الشمس . كذئب وذئاب . أو جمع ظُلّة كبرمة وبرام . دليله قراءة حمزة وعلىّ (ظُلَل) جمع ظُلّة . وهى ما سترك عن الشمس .

(٧) جمع الأريكة وهى السرير فى الحَجَلة أو الفراش فيها .

(٨) خبر . أو (فى ظلال) خبر و (على الأرائك) مستأنف .

(٩) يفتعلون من الدعاء . أى كل ما يدعو به أهل الجنّة يأتيهم . أو يتمنّون من قولهم "ادع علىّ ما شئت" أى تمنّه علىّ . عن الفراء هو من الدعوى ولا يدّعون ما لا يستحقّون .

(١٠) (سلام) بدل ممّا يدّعون . كأنّه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من ربّ رحيم) . والمعنى أنّ الله يسلّم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم . وذلك متمنّاهم ولهم ذلك لا يمنعونه . قال ابن عبّاس "والملائكة يدخلون عليهم بالتحيّة من ربّ العالمين" .

وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ (١) ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ (٢) إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى (٣) هَٰذَا (٤) صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥) ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا (٦) كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ (٧) ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٨) ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا (٩) ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ (١٠) عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ

---

(١) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة . وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنّة . وعن الضحّاك : لكلّ كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى أبدا .

(٢) يقول لهم يوم القيامة (ألم أعهد) الآيات . العهد الوصيّة . وعهد إليه إذا وصّاه . وعهد الله إليهم ما ركزه فيهم من أدلّة العقل ، وأنزل عليهم من دلائل السمع . وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزيّنه لهم .

(٣) وحّدونى وأطيعونى .

(٤) إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان ، وطاعة الرحمن .

(٥) أى صراط بليغ فى استقامته ولا صراط أقوم منه .

(٦) بكسر الجيم والباء والتشديد مدنىّ وعاصم وسهل (جبلا) بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب (جُبْلا) مخفّفا شامىّ وأبو عمرو (جبلا) بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم . وهذه لغات فى معنى الخلق .

(٧) استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل .

(٨) (توعدون) بها .

(٩) ادخلوها بكفركم وإنكاركم لها .

(١٠) أى نمنعهم من الكلام .

وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[(١)] ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ[(٢)] فَٱسْتَبَقُوا ٱلصِّرَٰطَ[(٣)] فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ[(٤)] ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ[(٥)] عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ[(٦)] فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ[(٧)] ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ[(٨)]

---

(١) يروى أنّهم يجحدون ويخاصمون . فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم . فيحلفون ما كانوا مشركين . فحينئذ يختم على أفواههم وتكلّم أيديهم وأرجلهم . وفى الحديث "يقول العبد يوم القيامة إنّى لا أجيز علىّ إلّا شاهدا من نفسى، فيختم على فيه ويقال لأركانه انطق . فتنطق بأعماله ثمّ يخلّى بينه وبين الكلام فيقول : بعدًا لكنّ وسحقا . فعنكنّ كنت أناضل" .

(٢) لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم . والطمس تعفية شقّ العين حتّى تعود ممسوحة .

(٣) على حذف الجارّ وإيصال الفعل . والأصل فاستبقوا إلى الصراط .

(٤) فكيف (يبصرون) حينئذ وقد طمسنا أعينهم .

(٥) (لمسخناهم) قردة أو خنازير أو حجارة .

(٦) (على مكاناتهم) أبو بكر وحمّاد . والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام . أى (لمسخناهم) فى منازلهم حيث يجترحون المآثم .

(٧) فلم يقدروا على ذهاب ولا مجىء. أو (مضيّا) أمامهم (ولا يرجعون) خلفهم .

(٨) (نُنَكِّسه) عاصم وحمزة . والتنكيس جعل الشىء أعلاه أسفله . الباقون (نَنْكُسه فى الخلق) أى نقلبه فيه . بمعنى من أطلنا عمره نكّسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما . وذلك أنّا خلقناه على ضعف فى جسده ، وخلوّ من عقل وعلم ثمّ جعلناه يتزايد إلى أن يبلغ أشدّه ويستكمل قوّته ويعقل ويعلم ماله وما عليه . فإذا انتهى نكّسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتّى يرجع إلى حال شبيهة بحال الصبىّ فى ضعف جسده وقلّة عقله وخلوّه من العلم . كما ينكّس السهم فيجعل أعلاه أسفله . قال عزّ وجلّ (ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) .

أَفَلَا يَعْقِلُونَ (١) ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ (٢) وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ (٤) ﴿٦٩﴾

(١) (أفلا يعقلون) أنّ من قدر على أن ينقلهم من الشباب إلى الهرم ، ومن القوّة إلى الضعف ، ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلّة التميز ، قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكاناتهم ويبعثهم بعد الموت . وبالتاء مدنىّ ويعقوب وسهل .

(٢) كانوا يقولون لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم شاعر فنزل. أى وما علّمنا النبىّ عليه السلام قول الشعراء . أو (وما علّمناه) بتعليم القرآن (الشعر) على معنى أنّ القرآن ليس بشعر . فهو كلام موزون مقفّى يدلّ على معنى . فأين الوزن وأين التقفية ؟ فلا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حقّقته .

(٣) وما يصحّ له ولا يليق بحاله ولا يتطلّب لو طلبه . أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأتّ له ولم يتسهّل كما جعلناه أمّيا لا يهتدى إلى الخطّ لتكون الحجّة أثبت والشبهة أدحض . وأمّا قوله :

أنا النبىّ لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وقوله هل أنت إلّا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

فما هو إلّا من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلّف إلّا أنّه اتّفق من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه أن جاء موزونا كما يتّفق فى خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسمّيها أحد شعرا لأنّ صاحبه لم يقصد الوزن . ولا بدّ منه . على أنّه عليه السلام قال لقيت بالسكون وفتح الباء فى كذب وخفض الباء فى المطلب .

(٤) لمّا نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال (إن هو) أى المعلّم (إلّا ذكر وقرآن مبين) . أى ما هو إلّا ذكر من الله يوعظ به الإنس والجنّ وما هو إلّا قرآن كتاب سماوىّ يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبّدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين . فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين .

لِّيُنذِرَ[(١)] مَن كَانَ حَيًّا[(٢)] وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ[(٣)] عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ[(٤)] ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ[(٥)] أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ[(٦)] ۝ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ[(٧)] فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ[(٨)] وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ[(٩)] ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ[(١٠)] وَمَشَارِبُ[(١١)] أَفَلَا يَشْكُرُونَ[(١٢)] ۝ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ[(١٣)] ۝

(١) (لينذر) القرآن أو الرسول . (لتنذر) مدنىّ وشامىّ وسهل ويعقوب .

(٢) عاقلا متأمّلا لأنّ الغافل كالميّت ، أو حيًّا بالقلب .

(٣) وتجب كلمة العذاب .

(٤) الذين لا يتأمّلون وهم فى حكم الأموات .

(٥) أى ممّا تولّينا نحن إحداثه ولم يقدر على تولّيه غيرنا .

(٦) أى خلقناها لأجلهم فملّكناها إيّاهم فهم متصرّفون فيها تصرّف الملاك مختصّون بالانتفاع بها ، أو فهم لها ضابطون قاهرون .

(٧) وصيّرناها منقادة لهم . وإلّا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها . ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبّح بقوله (سبحان الذى سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين) .

(٨) وهو مايركب .

(٩) أى سخّرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها .

(١٠) من الجلود والأوبار وغير ذلك .

(١١) من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشرب .

(١٢) (أفلا يشكرون) الله على إنعام الأنعام .

(١٣) أى لعلّ أصنامهم تنصرهم إذا حزبهم أمر .

لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ (١) وَهُمْ لَهُمْ (٢) جُندٌ مُّحْضَرُونَ (٣) ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٤) ﴿٧٦﴾

(١) أى آلهتهم .

(٢) نصر عابديهم .

(٣) أى الكفّار للأصنام أعوان وشيعة يخدمونهم ويذبّون عنهم. أو اتّخذوهم لينصروهم عند الله و يشفعوا لهم والأمر على خلاف ما توهّموا حيث هم يوم القيامة جند معدّون لهم محضرون لعذابهم لأنّهم يجعلون وقود النار .

(٤) و بضم اليـاء وكسر الزاى نافع . من حزنه وأحزنه . يعنى فلا يهمّك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم . (إنّا نعلم ما يسرّون) من عداوتهم (وما يعلنون) و إنّا مجازوهم عليه. فحقّ مثلك أن يتسلّى بهذا الوعيد و يستحضر فى نفسه صـورة حاله وحالهم فى الآخرة حتّى ينقشع عنه الهمّ ولا يرهقه الحزن. ومن زعم أنّ من قرأ (أنّا نعلم) بالفتح فسدت صلاته و إن اعتقد معناه كفر، فقد أخطأ لأنّه يمكن حمله على حذف لام التعليل . وهو كثير فى القرآن والشعر وفى كلّ كلام . وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلّم "أنّ الحمد والنعمة لك". كسر أبو حنيفة وفتح الشافعىّ رحمة الله عليهما . وكلاهما تعليل. فإن قلت إن كان المفتوح بدلا من (قولهم) كأنّه قيل (فلا يحزنك) أنّا نعلم ما يسرّون وما يعلنون، ففساده ظاهر . قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول. فقد تبيّن أنّ تعلّق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلّقه لا يدوران على كسر إنّ وفتحها . و إنّما يدوران على تقديرك، فتفصل إن فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدّر معنى البدل . كما أنّك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدّر معنى المفعوليّة، ثمّ إن قدّرته كاسرا أو فاتحا على ما عظّم فيه الخطب ذلك القائل، فما فيه إلّا نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن الحزن على علمه تعالى بسرّهم وعلانيتهم والنهى عن حزنه ليس إثباتا لحزنه بذلك. كما فى قوله (فلا تكوننّ ظهيرا للكافرين. ولا تكوننّ من المشركين . ولا تدع مع الله إلها آخر) .

أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ[١] فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ[٢] ۝
وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ[٣] قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ[٤] ۝
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ[٥] أَوَّلَ مَرَّةٍ[٦] وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ[٧] عَلِيمٌ[٨] ۝

---

(١) (من نطفة) مذرة خارجة من الإحليل الذى هو قناة النجاسة. نزل فى أبىّ بن خلف حين أخذ عظما باليا وجعل يفتّه بيده و يقول: يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد مارمّ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: نعم، ويبعثك ويدخلك جهنّم.

(٢) بيّن الخصومة. أى فهو على مهانة أصله ودناءة أوّله يتصدّى لمخاصمة ربّه وينكر قدرته على إحياء الميّت بعد مارمّت عظامه. ثمّ يكون خصامه فى ألزم وصف له وألصقه به. وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات. وهو غاية المكابرة.

(٣) (وضرب لنا مثلا) بفتّه العظم (ونسى خلقه) من المنىّ فهو أغرب من إحياء العظم. المصدر مضاف إلى المفعول أى خلقنا إيّاه.

(٤) هو اسم لما بلى من العظام، غير صفة كالرمّة والرفات. ولهذا لم يؤنّث وقد وقع خبرا لمؤنّث. ومن يثبت الحياة فى العظام و يقول إنّ عظام الميتة نجسة لأنّ الموت يؤثّر فيها من قبل أنّ الحياة تحلّها، يتشبّث بهذه الآية. وهى عندنا طاهرة وكذا الشعر والعصب، لانّ الحياة لا تحلّها فلا يؤثّر فيها الموت. والمراد بإحياء العظام فى الآية ردّها إلى ما كانت عليه غضّة رطبة فى بدن حىّ حسّاس.

(٥) خلقها.

(٦) أى ابتداء.

(٧) مخلوق.

(٨) لا تخفى عليه أجزاؤه و إن تفرّقت فى البرّ والبحر فيجمعه ويعيده كما كان.

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝ أَوَ لَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم[1] بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ[2] ۝

---

(١) (توقدون) تقدحون . ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادّة النار الماء وانطفائها به . وهي الزناد التي تورى بها الأعراب وأكثرها من المَرْخ والعَفار . وفي أمثالهم "في كلّ شجر نار واستمجد المرخ والعفار" لأنّ المرخ شجر سريع الورى . والعفار شجر تقدح منه النار . يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ — وهو ذكر — على العفار — وهي أنثى — فتنقدح النار بإذن الله . عن ابن عباس رضي الله عنهما "ليس من شجرة إلّا وفيها النار إلّا العنّاب" لمصلحة الدقّ للثياب . فمن قدر على جمع الماء والنار في الشجر ، قدر على المعاقبة بين الموت والحياة في البشر . وإجراء أحد الضدّين على الآخر بالتعقيب أسهل في العقل من الجمع معا بلا ترتيب . والأخضر على اللفظ . وقرئ الخضراء على المعنى . ثمّ بيّن أنّ من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسيّ أقدر بقوله (أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر بالإضافة إلى السموات والأرض . أو أن يعيدهم لأنّ المعاد مثل للمبتدأ وليس به .

(٢) أي قل (بلى) هو قادر على ذلك (وهو) الكثير المخلوقات ، الكثير المعلومات (إنّما) شأنه (إذا أراد) أن يكوّن (شيئا أن يقول له كن) فيحدث . أي فهو كائن موجود لا محالة . فالحاصل أن المكوّنات بتخليقه وتكوينه . ولكن عبّر عن إيجاده بقوله (كن) من غير أنْ كان منه كاف ونون ، وإنّما هو بيان لسرعة

فَسُبْحَـٰنَ(١) ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ(٢) كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٣) ﴿٨٣﴾

الإيجاد كأنه يقول كما لا يثقل قول (كن) عليكم ، فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق وإعادتهم . (فيكونَ) شامىّ وعلىّ عطف على (يقول) . وأما الرفع فلأنها جملة من مبتدأ وخبر لأنّ تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهى (أمره أن يقول له كن) .

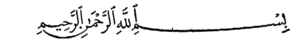
(١) تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا .

(٢) أى ملك كلّ شيء . وزيادة الواو والتاء للمبالغة . يعنى هو مالك كلّ شيء .

(٣) تعادون بعد الموت بلا فوت (ترجعون) يعقوب . قال عليه الصلاة والسلام "إن لكلّ شيء قلبا وإنّ قلب القرآن يس . من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرّة" وقال عليه السلام "من قرأ يس أمام حاجته قضيت له" وقال عليه السلام "من قرأها إن كان جائعا أشبعه الله ، وإن كان ظمآن أرواه الله ، وإن كان عريانا ألبسه الله ، وإن كان خائفا أمّنه الله ، وإن كان مستوحشا آنسه الله ، وإن كان فقيرا أغناه الله ، وإن كان فى السجن أخرجه الله ، وإن كان أسيرا خلّصه الله ، وإن كان ضالّا هداه الله ، وإن كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه" . وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كلّ سوء وتقضى له كلّ حاجة . والله أعلم .

سورة والصّافّات مكّيّة

وهى مائة وإحدى أو اثنتان وثمانون آية



وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ۝ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝ فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا (١) ۝ إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ (٢) ۝ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا (٣) وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ (٤) ۝

(١) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافّات أقـدامها فى الصلاة (فالزاجرات) السحاب سوقا ، أو عن المعاصى بالإلهام (فالتاليات) لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها. وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد . أو بنفوس العلماء العمّال الصافّات أقـدامها فى التهجّد وسائر الصلوات (فالزاجرات) بالمواعظ والنصائح (فالتاليات) آيات الله والدارسات شرائعـه . أو بنفوس الغزاة فى سبيل الله التى تصفّ الصفوف وتزجر الخيـل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك . و (صفّا) مصدر مؤكّد . وكذلك (زجرا) والفاء تدلّ على ترتيب الصفات فى التفاضل فتفيد الفضل للصفّ ثمّ للزجر ثمّ للتلاوة أو على العكس .

(٢) جواب القسم . قيل هو جواب قولهم (أجعل الآلهة إلها واحدا) .

(٣) خبر بعد خبر . أو خبر مبتدأ محذوف . أى هو (ربّ) .

(٤) أى مطالع الشمس وهى ثلثمائة وستّون مشرقا . وكذلك المغارب . تشرق الشمس كلّ يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب . ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين . وأمّا (ربّ المشرقين وربّ المغربين) فإنّه أراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما ، وأمّا (ربّ المشرق والمغرب) فانّه أراد به الجهة . فالمشرق جهة والمغرب جهة .

إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا (١) بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ (٢) ۝ وَحِفْظًا (٣) مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ (٤) ۝ لَّا يَسَّمَّعُونَ (٥) إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ (٦) وَيُقْذَفُونَ (٧)

(١) القربى منكم . تأنيث الأدنى .

(٢) حفص وحمزة على البدل من (زينة) . والمعنى (إنّا زيّنا السماء الدنيا) بالكواكب . (بزينةٍ الكواكبَ) أبو بكر على البدل من محلّ (بزينة) أوعلى إضمار أعنى. أو على إعمال المصدر منوّنا فى المفعول.(بزينةِ الكواكبِ) غيرهم بإضافة المصدر إلى الفاعل. أى بأن زانتها الكواكب. وأصله بزينةٍ الكواكبُ. أو على إضافته إلى المفعول أى بأن زان الله الكواكب وحسّنها لأنّها إنّما زيّنت السماء لحسنها فى أنفسها . وأصله بزينةٍ الكواكبَ لقراءة أبى بكر .

(٣) محمول على المعنى، لأنّ المعنى إنّا خلقنا الكواكب زينة للسماء(وحفظا) من الشياطين، كما قال (ولقد زيّنّا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) أو الفعل المعلّل مقدّر كأنّه قيل (وحفظا من كلّ شيطان) قد زيّنّاها بالكواكب أو معناه حفظناها حفظا .

(٤) خارج من الطاعة .

(٥) (لا يَسْمَعون) الضمير لـ (كلّ شيطان)لأنّه فى معنى الشياطين .(يسّمّعون) كوفىّ غير أبى بكر. وأصله يتسمّعون.والتسمّع تطلّب السماع يقال تسمّع فسمع أو فلم يسمع. وينبغى أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنّهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمّعوا . وقيل أصله لئلا يسمعوا . فحذفت اللام كما حذفت فى جئتك أن تكرمنى . فبقى ألّا يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما فى قوله * ألا أيّهذا الزاجرى أحضرُ الوغى * وفيه تعسّف يجب صون القرآن عن مثله ، فإنّ كلّ واحد من الحذفين غير مردود على انفراده . ولكنّ اجتماعهما منكر . والفرق بين سمعت فلانا يتحدّث وسمعت إليه يتحدّث وسمعت حديثه وإلى حديثه أنّ المعدّى بنفسه يفيد الإدراك، والمعدّى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك .

(٦) أى الملائكة لأنّهم يسكنون السموات . والإنس والجنّ هم الملأ الأسفل لأنّهم سكان الأرض .

(٧) يرمَون بالشهب .

مِن كُلِّ جَانِبٍ (١) ۞ دُحُورًا (٢) وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٣) ۞ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (٤) ۞ فَاسْتَفْتِهِمْ (٥) أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا (٦) أَم مَّنْ خَلَقْنَآ (٧) إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (٨) ۞ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (٩) ۞

---

(١) من جميع جوانب السماء من أيّ جهة صعدوا للاستراق .

(٢) مفعول له . أى (ويقذفون) للدحور . وهو الطرد. أو مدحورين على الحال. أو لأنّ القذف والطرد متقاربان فى المعنى ، فكأنّه قيل يدحرون أو قذفا .

(٣) دائم من الوصوب . أى أنّهم فى الدنيا مرجومون بالشهب . وقد أعدّ لهم فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع .

(٤) (من) فى محلّ الرفع بدل من الواو فى (لا يسمعون) أى لا يسمع الشياطين إلّا الشيطان الذى (خطف الخطفة) أى سلب السلبة . يعنى أخذ شيئا من كلامهم بسرعة (فأتبعه) لحقه (شهاب) أى نجم رجم (ثاقب) مضىء .

(٥) فاستخبر كفّار مكّة .

(٦) أى أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفى خلقه شدّة ، أو أصعب خلقا وأشقّه ، على معنى الردّ لإنكارهم البعث ، وأنّ من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون .

(٧) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض وما بينهما . وجىء بمن تغليبا للعقلاء على غيرهم . ويدلّ عليه قراءة من قرأ (أم من عددنا) بالتشديد والتخفيف .

(٨) لاصق أو لازم . وقرئ به . وهذا شهادة عليهم بالضعف . لأنّ ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوّة . أو احتجاج عليهم بأنّ الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب ، فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا (أئذا كنّا ترابا) ؟ وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث .

(٩) (بل عجبت) من تكذيبهم إيّاك (ويسخرون) هم منك ومن تعجّبك . أو (عجبت) من إنكارهم البعث (و) هم (يسخرون) من أمر البعث (بل عجبتُ) حمزة وعلىّ . أى استعظمت .

وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ (١) ۝ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً (٢) يَسْتَسْخِرُونَ (٣) ۝ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٤) ۝ أَءِذَا (٥) مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٦) ۝ أَوَءَابَآؤُنَا (٧) ٱلْأَوَّلُونَ (٨) ۝ قُلْ نَعَمْ (٩) وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ (١٠) ۝ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ (١١)

والعجب روعة تعترى الإنسان عند استعظام الشيء بجرّد لمعنى الاستعظام فى حقه تعالى لأنه لا يجوز عليه الروعة . أو معناه قل يا محمّد (بل عجبتُ) .

(١) ودأبهم أنّهم إذا وعظوا بشيء لا يتّعظون به .

(٢) معجزة كانشقاق القمر ونحوه .

(٣) يستدعى بعضهم بعضا أن يسخر منها . أو يبالغون فى السخرية .

(٤) ما (هذا إلّا سحر مبين) ظاهر .

(٥) استفهام إنكار .

(٦) أى أنبعث إذا كنّا ترابا وعظاما .

(٧) معطوف على محلّ إنّ واسمها ، أو على الضمير فى (مبعوثون) والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد . يعنون أنّهم أقدم . فبعثهم أبعد وأبطل (أو آباؤنا) بسكون الواو مدنىّ وشامىّ . أى أيبعث واحد منّا على المبالغة فى الإنكار .

(٨) الأقدمون .

(٩) (نعم) تبعثون . (نَعِمْ) علىّ . وهما لغتان .

(١٠) صاغرون .

(١١) جواب شرط مقدر تقديره إذا كان كذلك فما هى إلّا (زجرة واحدة) . وهى لا ترجع إلى شيء إنّما هى مبهمة موضّحها خبرها . ويجوز فإنّما البعثة (زجرة واحدة) وهى النفخة الثانية . والزجرة الصيحة . من قولك زجر الراعى الإبل أو الغنم إذا صاح عليهم .

فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ[١] ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا[٢] هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ[٣] ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ[٤] ﴿٢١﴾ احْشُرُوا[٥] الَّذِينَ ظَلَمُوا[٦] وَأَزْوَاجَهُمْ[٧] وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ[٨] فَاهْدُوهُمْ[٩] إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ[١٠] ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ[١١] إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ[١٢] ﴿٢٤﴾

---

(١) (فإذا هم) أحياء بصراء (ينظرون) إلى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحلّ بهم .

(٢) الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة .

(٣) أى اليوم الذى ندان فيه ، أى نجازى بأعمالنا .

(٤) (هذا يوم) القضاء — والفرق بين فرق الهدى والضلال — (الذى كنتم به تكذبون). ثمّ يحتمل أن يكون (هذا يوم الدين) إلى قوله(احشروا) من كلام الكفرة بعضهم مع بعض، وأن يكون من كلام الملائكة لهم، وأن يكون (ياويلنا هـذا يوم الدين) من كلام الكفرة و(هذا يوم الفصل) من كلام الملائكة جوابا لهم .

(٥) خطاب الله للملائكة .

(٦) كفروا .

(٧) أى وأشباههم وقرناءهم من الشياطين أو نساءهم الكافرات . والواو بمعنى مع - وقيل للعطف . وقرئ بالرفع عطفا على الضمير فى (ظلموا) .

(٨) أى الأصنام .

(٩) دلّوهم ، عن الأصمعى . هديته فى الدين هدى وفى الطريق هداية .

(١٠) طريق النار .

(١١) احبسوهم .

(١٢) (مسئولون) عن أقوالهم وأفعالهم .

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ(١) ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ(٢) ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ(٣) يَتَسَاءَلُونَ(٤) ﴿٢٧﴾ قَالُوا(٥) إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ(٦) ﴿٢٨﴾ قَالُوا(٧) بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(٨) ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ(٩) بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ(١٠) ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا(١١) قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ(١٢) ﴿٣١﴾

(١) أى لا ينصر بعضكم بعضا ، وهــذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعــد ما كانوا متناصرين فى الدنيا . وقيل هو جواب لأبى جهل حيث قال يوم بدر (نحن جميع منتصر). وهو فى موضع النصب على الحال . أى (مالكم) غير متناصرين .

(٢) منقادون . أو قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز . فكلّهم مستسلم غير منتصر .

(٣) أى التابع على المتبوع .

(٤) يتخاصمون .

(٥) أى الأتباع للتبوعين .

(٦) عن القوّة والقهر . إذ اليمين موصوفة بالقوّة وبها يقع البطش . أى أنّكم كنتم تحملوننا على الضلال وتقسروننا عليه .

(٧) أى الرؤساء .

(٨) أى بل أبيتم أنتم الإيمــان وأعرضتم عنه مع تمكّنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين .

(٩) تسلّط نسلبكم به تمكّنكم واختياركم .

(١٠) بل كنتم قوما مختارين الطغيان .

(١١) فلزمنا جميعا .

(١٢) يعنى وعيد الله بأنّا ذائقون لعذابه لامحالة لعلمه بحالنا . ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم لذائقون ، ولكنّه عدل به إلى لفظ المتكلّم لأنّهم متكلّمون بذلك عن أنفسهم . ونحوه قوله :

* فقد زعمت هوازن قلّ مالى * ولو حكى قولها لقال قلّ مالك .

فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ (١) ۝ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٢) ۝
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (٣) ۝ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٤) ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا (٥) لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٦) ۝
بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ (٧) وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٨) ۝ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝
وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩) ۝ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝ فَوَٰكِهُ (١٠)

---

(١) (فأغويناكم) فدعوناكم إلى الغىّ (إنّا كنّا غاوين) . فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا .

(٢) فإنّ الأتباع والمتبوعين جميعا يوم القيامة (فى العـذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية .

(٣) أى بالمشركين . (إنّا) مثل ذلك الفعل (نفعل) بكلّ مجرم .

(٤) (إنّهم كانوا) إذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا إلّا الشرك .

(٥) بهمزتين شامىّ وكوفىّ .

(٦) يعنون محمّداً عليه السلام .

(٧) ردّ على المشركين .

(٨) كقوله (مصدّقا لما بين يديه) .

(٩) بلا زيادة .

(١٠) (المخلصين) بفتح اللام كوفىّ ومدنىّ . وكذا ما بعده . أى لكن عباد الله — على الاستثناء المنقطع — (أولئك لهم رزق معلوم فواكه) فسّر الرزق المعلوم بالفواكه . وهى كلّ

وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝ فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ[١] ۝
يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ[٢] مِّن مَّعِينٍ[٣] ۝ بَيْضَآءَ[٤] لَذَّةٍ[٥] لِّلشَّـٰرِبِينَ ۝
لَا فِيهَا غَوْلٌ[٦] وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ[٧] ۝

ما يتلذّذ به ولا يتقوّت لحفظ الصحّة . يعنى أنّ رزقهم كلّه فواكه لأنّهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات ، لأنّ أجسادهم محكمة مخلوقة للأبد ، فما يأكلونه للتلذّذ . ويجوز أن يراد (رزق معلوم) منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحـة ولذّة وحسن منظر . وقيل معلوم الوقت كقوله (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيّا) والنفس إليه أسكن .

(١) (وهم) منعّمون (فى جنّات النعيم) يجوز أن يكون ظرفا، وأن يكون حالا ، وأن يكون خبرا بعد خبر . وكذا (على سرر متقابلين) التقابل أتمّ للسرور وآنس .

(٢) بغير همز أبو عمرو وحمزة فى الوقف ، وغيرهما بالهمزة . يقال للزجاجة فيهـا الخمر كأس . وتسمّى الخمر نفسها كأسا . وعن الأخفش : كلّ كأس فى القرآن فهى الخمر . وكذا فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما .

(٣) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الأرض الظاهر للعيون . وصف بمـا وصف به المـاء لأنه يجرى فى الجنّـة فى أنهار كما يجرى المـاء . قال الله تعـالى (وأنهار من خمر) .

(٤) صفة للكأس .

(٥) وصفت باللذة كأنّها نفس اللذة وعينها ، أو ذات لذّة .

(٦) أى لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا . وهو من غاله يغوله غولا إذا أهلكه وأفسده .

(٧) يسكرون من نُزِف الشارب إذا ذهب عقله . ويقال للسكران نزيف ومنزوف. (يُنْزِفون) علىّ وحمزة، أى لا يسكرون أو لا يُنْزِف شرابهم من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه .

وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ[1] عِينٌ[2] ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ[3] ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ[4] ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ[5] لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ[6] ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ[7] ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ[8] ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ[9] ﴿٥٥﴾

---

(١) قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ لا يمددن طرفا إلى غيرهم .

(٢) جمع عيناء أى نجلاء واسعة العين .

(٣) مصون . شبههنّ ببيض النعام المكنون فى الصفاء. وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور .

(٤) (فأقبل بعضهم) يعنى أهل الجنّة (على بعض يتساءلون) . عطف على (يطاف عليهم) والمعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشَّرْب . قال :

وما بقيت من اللذات إلّا * أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عمّا جرى لهم وعليهم فى الدنيا . إلّا أنّه جىء به ماضيا على ما عرف فى أخباره .

(٥) بهمزتين شامىّ وكوفىّ .

(٦) (لمن المصدّقين) بيوم الدين .

(٧) لمجزيون . من الدين وهو الجزاء .

(٨) (قال) ذلك القائل (هل أنتم مطّلعون) إلى النار لأريكم ذلك القرين . قيل إنّ فى الجنّة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار . أو قال الله تعالى لأهل الجنّة (هل أنتم مطّلعون) إلى النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار .

(٩) (فاطلع) المسلم (فرآه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) فى وسطها .

قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ[1] ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي[2] لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ[3] ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[4] ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا[5] أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً[6] لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾

---

(١) (إن) مخففة من الثقيلة . وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان ، واللام هى الفارقة بينها وبين النافية . والإرداء الإهلاك . وبالياء فى الحالين يعقوب .

(٢) وهى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الإسلام .

(٣) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك .

(٤) الفاء للعطف على محذوف تقديره (أ)نحن مخلّدون منعّمون (فما نحن بميّتين) ولا معذّبين. والمعنى أنّ هذه حال المؤمنين . وهو ألا يذوقوا إلّا الموتة الأولى بخلاف الكفّار فإنّهم فيما يتمنّون فيه الموت كلّ ساعة . وقيل لحكيم : ماشرّ من الموت ؟ قال : الذى يتمنّى فيه الموت . وهذا قول يقوله المؤمن تحدّثا بنعمة الله بمسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب . و (موتتنا) نصب على المصدر . والاستثناء متّصل تقديره ولا نموت إلّا مرّة . أو منقطع وتقديره لكن الموتة الأولى قد كانت فى الدنيا . ثمّ قال لقرينه تقريعا له : (إنّ هذا) أى الأمر الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) . ثمّ قال الله عزّ وجلّ (لمثل هذا فليعمل العاملون) . وقيل هو أيضا من كلامه .

(٥) (نزلا) تمييز . أى نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلا (أم شجرة الزقوم) خير نزلا ؟ والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق . والزقّوم شجر مرّ يكون بتهامة .

(٦) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء لهم فى الدنيا ، وذلك أنّهم قالوا : كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر ؟ فكذّبوا .

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (١) ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٢) ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٣) ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٤) ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٥) ﴿٧٠﴾

---

(١) قيل منبتها فى قعر جهنّم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها .

(٢) الطلع للنخلة . فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها . وشبه برءوس الشياطين للدلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر لأنّ الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم أنه شرّ محض . وقيل الشيطان حيّة عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدّا .

(٣) (فإنّهم لآكلون) من الشجرة ، أى من طلعها (فمالئون) بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد (ثمّ إنّ لهم) على أكلها لخلطا ولمزاجا (من) ماء حارّ يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم ، كما قال فى صفة شراب أهل الجنة (ومزاجه من تسنيم) . والمعنى ثمّ إنّهم يملئون البطون من شجرة الزقّوم وهو حارّ يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون إلّا بعد مليّ تعذيبا لهم بذلك العطش . ثمّ يسقون ما هو أحرّ وهو الشراب المشوب بالحميم .

(٤) أى أنّهم يذهب بهم عن مقارّهم ومنازلهم فى الجحيم — وهى الدركات التى أسكنوها — إلى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن يتملئوا ويسقون بعد ذلك . ثمّ يرجعون إلى دركاتهم . ومعنى التراخى فى ذلك ظاهر .

(٥) علّل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الدين واتّباعهم إيّاهم فى الضلال وترك اتّباع الدليل. والإهراع الإسراع الشديد كأنّهم يحثّون حثّا .

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (١)(٢) ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٣) ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٤) ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٥) ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ (٦) فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧) ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ (٨) مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٩) ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (١٠) ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ (١١)

---

(١) قبل قومك قريش .

(٢) يعنى الأمم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل .

(٣) أنبياء حذّروهم العواقب .

(٤) أى الذين أنذروا وحذّروا ، أى أهلكوا جميعا .

(٥) أى إلّا الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين .

(٦) دعانا لننجيه من الغرق . وقيل أريد به قوله (أنّى مغلوب فانتصر) . لمّا ذكر إرسال المنذِرين فى الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذَرين أتبع ذلك ذكر نوح ودعاءه إيّاه حين أيس من قومه .

(٧) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف . والمخصوص بالمدح محذوف تقديره (ولقد نادانا نوح) فوالله لنعم المجيبون نحن. والجمع دليل العظمة والكبرياء . والمعنى أنّا أجبناه أحسن الإجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بأبلغ ما يكون .

(٨) ومن آمن به وأولاده .

(٩) وهو الغرق .

(١٠) وقد فنى غيرهم . قال قتادة : الناس كلهم من ذرّيّة نوح . وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم ، وحام وهو أبو السودان من المشرق إلى المغرب ، ويافث وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج .

(١١) (وتركنا عليه فى الآخرين) من الأمم هذه الكلمة وهى (سلام على نوح) . يعنى يسلّمون عليه تسليما ويدعون له . وهو من الكلام المحكىّ كقولك قرأت سورة أنزلناها .

فِى ٱلْعَٰلَمِينَ (١) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٢) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ (٤) وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ (٥) إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٦) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٧) أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ (٨)

(١) أى ثبت هذه التحيّة فيهم جميعا ولا يخلو أحد منهم منها . كأنّه قيل ثبّت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين يسلّمون عليه عن آخرهم .

(٢) علّل مجازاته بتلك التكرمة السنيّة بأنّه كان محسنا .

(٣) ثمّ علّل كونه محسنا بأنّه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محلّ الإيمان وأنّه القصارى من صفات المدح والتعظيم .

(٤) أى الكافرين .

(٥) أى من شيعة نوح . أى ممّن شايعه على أصول الدين . أو شايعه على التصلّب فى دين الله ومصابرة المكذّبين . وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وما كان بينهما إلا نبيّان هود وصالح .

(٦) (إذ) تعلّق بما فى الشيعة من معنى المشايعة . يعنى (وإنّ) ممّن شايعه على دينه وتقواه حين (جاء ربّه بقلب سليم) من الشرك أو من آفات القلوب ، (لإبراهيم) . أو بمحذوف وهو اذكر . ومعنى المجىء بقلبه ربّه أنّه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجىء مثلا لذلك .

(٧) بدل من الأولى .

(٨) (إفكا) مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله إفكا . وإنما قدّم المفعول به على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنّه كان الأهمّ عنده أن يكافحهم بأنّهم على إفك وباطل فى شركهم . ويجوز أن يكون (إفكا) مفعولا به . أى أتريدون إفكا . ثمّ فسّر الإفك بقوله (آلهة دون الله) على أنّها إفك فى نفسها ؛ أو حالا ، أى أتريدون آلهة من دون الله آفكين .

فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ (٢) فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ (٣) فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٤) فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٥) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٦) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ

(١) (فما ظنكم) أى شىء ظنكم (بربّ العالمين) وأنتم تعبدون غيره. و(ما) رفع بالابتداء. والخبر (ظنكم). أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنّه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة ؟

(٢) أى نظر (فى النجوم) راميا ببصره إلى السماء متفكّرا فى نفسه كيف يحتال. أو أراهم أنّه ينظر فى النجوم لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم أنّه استدلّ بأمارة على أنّه يسقم .

(٣) أى (فقال) مشارف للسقم — وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم. وكانوا يخافون العدوى — ليتفرّقوا عنه . فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه فى بيت الأصنام ليس معه أحد . ففعل بالأصنام ما فعل . وقالوا علم النجوم كان حقّا ثمّ نسخ الاشتغال بمعرفته . والكذب حرام إلّا إذا عرّض . والذى قاله إبراهيم عليه السلام معراض من الكلام ، أى سأسقم . أو من الموت فى عنقه سقيم . ومنه المثل : كفى بالسلامة داء . ومات رجل فجأة . فقالوا مات وهو صحيح . فقال أعرابىّ أصحيح من الموت فى عنقه ؟ أو أراد (إنّى سقيم) لكفركم كما يقال أنا مريض القلب من كذا .

(٤) فأعرضوا (عنه) مولّين الأدبار .

(٥) فمال إليهم سرّا (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) ؟ وكان عندها طعام . (ما لكم لا تنطقون) ؟ والجمع بالواو والنون لما أنّه خاطبها خطاب من يعقل .

(٦) فأقبل عليهم مستخفيا . كأنّه قال فضربهم (ضربا) لأنّ (راغ عليهم) بمعنى ضربهم . أو (فراغ عليهم) يضربهم (ضربا) أى ضاربا ضربا شديدا بالقوّة لأنّ اليمين أقوى الجارحتين وأشدّهما . أو بالقوّة والمتانة . أو بسبب الحلف الذى سبق منه وهو قوله (تالله لأكيدنّ أصنامكم) .

فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾

---

(١) (فأقبلوا) إلى إبراهيم يسرعون . من الزفيف وهو الإسراع (يُزِفُّون) حمزة من أزفّ إذا دخل فى الزفيف إزفافا . فكأنّه قد رآه بعضهم يكسرها و بعضهم لم يره. فأقبل من رآه مسرعا نحوه. ثمّ جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه (من فعل هذا بآلهتنا إنّه لمن الظالمين). فأجابوه على سبيل التعريض بقولهم (سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم). ثمّ قالوا بأجمعهم نحن نعبدها وأنت تكسرها. فأجابهم بقوله (أتعبدون ما تنحتون) بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) وخلق ما تعملونه من الأصنام؟ أو (ما) مصدريّة أى وخلق أعمالكم. وهو دليلنا فى خلق الأفعال. أى الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره ؟

(٢) (قالوا ابنوا) لأجله (بنيانا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فألقوه) فى النار الشديدة . وقيل كلّ نار بعضها فوق بعض فهى جحيم .

(٣) (فأرادوا) بإلقائه فى النار (كيدا فجعلناهم) المقهورين عند الإلقاء . فخرج من النار (وقال إنّى ذاهب إلى ربّى) إلى موضع أمرنى بالذهاب إليه . سيرشدنى إلى ما فيه صلاحى فى دينى و يعصمنى و يوفّقنى . (سيهدينى) فيهما يعقوب .

(٤) بعض الصالحين . يريد الولد لأنّ لفظ الهبة غلب فى الولد .

(٥) انطوت البشارة على ثلاث على أنّ الولد غلام ذكر ، وأنّه يبلغ أوان الحلم لأنّ الصبىّ لا يوصف بالحلم وأنّه يكون حليا ؛ وأىّ حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) ثمّ استسلم لذلك .

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ (١) قَالَ يَـٰبُنَىَّ (٢) إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ (٣) فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ (٤) قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ (٥) سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ (٦) ﴿١٠٢﴾

---

(١) بلغ أن يسعى مع أبيه فى أشغاله وحوائجه . و (معه) لا يتعلّق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حدّ السعى ، ولا بالسعى لأنّ صلة المصدر لا تتقدّم عليه فبقى أن يكون بيانا . كأنّه لمّا قال فلمّا بلغ السعى أى الحدّ الذى يقـدر فيه على السعى قيل مع من ؟ قال مع أبيه . وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة .

(٢) حفص . والباقون بكسر الياء .

(٣) وبفتح الياء فيهما حجازىّ وأبو عمرو ، قيل له فى المنام اذبح ابنك . ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى فى اليقظة . وإنّما لم يقل رأيت لأنّه رأى مرّة بعد مرّة . فقد قيل رأى ليلة التروية كأنّ قائلا يقول له : إنّ الله يأمرك بذبح ابنك هذا . فلمّا أصبح روّى فى ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان ؟ فمن ثمّ سمّى يوم التروية . فلمّا أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنّه من الله . فمن ثمّ سمّى يوم عرفة . ثمّ رأى مثل ذلك فى الليلة الثالثة فهمّ بنحره فسمّى اليوم بيوم النحر .

(٤) من الرأى على وجه المشاورة ، لا من رؤية العين . ولم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أيجزع أم يصبر ؟ (تُرِى) علىّ وحمزة أى ماذا تبصر من رأيك وتبديه .

(٥) أى (ما تؤمر) به . وقرئ به .

(٦) (من الصابرين) على الذبح . روى أنّ الذبيح قال لأبيه : يا أبت خذ بناصيتى واجلس بين كتفى حتّى لا أوذيك إذا أصابتنى الشفرة ولا تذبحنّى وأنت تنظر فى وجهى عسى أن ترحمنى . واجعل وجهى إلى الأرض . ويروى اذبحنى وأنا ساجد واقرأ على أمّى السلام . وإن رأيت أن تردّ قميصى على أمّى فافعل فإنّه عسى أن يكون أسهل لها .

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ[1] إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ[2] ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ[3] ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ[4] بِذِبْحٍ عَظِيمٍ[5] ﴿١٠٧﴾

(١) (فلمّا أسلما) انقادا لأمر الله وخضعا — وعن قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه — وصرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ، ثمّ وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودى (يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا) . روى أنّ ذلك المكان عند الصخرة التى بمنى . وجواب (لمّا) محذوف تقديره (فلمّا أسلما وتلّه للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا) — أى حقّقت ما أمرناك به فى المنام من تسليم الولد للذبح — كان ما كان ممّا ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله . أو الجواب قبلنا منه (وناديناه) معطوف عليه .

(٢) تعليل لتخويل ما خوّلهما من الفرج بعد الشدّة .

(٣) الاختبار البيّن الذى يتميّز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البيّنة .

(٤) هو ما يذبح . وعن ابن عباس : هو الكبش الذى قربه هابيل فقبل منه ، وكان يرعى فى الجنّة حتّى فدى به إسماعيل . وعنه : لو تمّت تلك الذبيحة لصارت سنّة وذبح الناس أبناءهم .

(٥) ضخم الجثّة سمين. وهى السنّة فى الأضاحى وروى أنه هرب من إبراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتّى أخذه . فبقيت سنّة فى الرمى . وروى أنّه لمّا ذبحه قال جبريل : الله أكبر الله أكبر . فقال الذبيح : لا إله إلّا الله والله أكبر . فقال إبراهيم : الله أكبر ولله الحمد فبقى سنّة . وقد استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنّه يلزمه ذبح شاة .

والأظهر أنّ الذبيح إسمعيل وهو قول أبى بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضى الله عنهم لقوله عليه السلام أنا ابن الذبيحين فأحدهما جدّه إسمعيل والآخر أبوه

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ[1] ۝ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ[2] ۝

عبد الله . وذلك أنّ عبد المطلب نذر إن بلغ بنوه عشرة أن يذبح آخر ولده تقربا . وكان عبد الله آخرا ففداه بمائة من الإبل ، ولأنّ قرنى الكبش كانا منوطين فى الكعبة فى أيدى بنى إسماعيل إلى أن احترق البيت فى زمن الحجاج وابن الزبير . وعن الأصمعىّ أنّه قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال : ياأصمعىّ أين عزب عنك عقلك ؟ ومتى كان إسحق بمكّة ؟ وإنما كان إسماعيل بمكّة . وهو الذى بنى البيت مع أبيه ، والمنحر بمكّة . وعن علىّ وابن مسعود والعبّاس وجماعة من التابعين رضى الله عنهم أنّه إسحق . ويدلّ عليه كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام . من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله . وإنما قيل (وفديناه) وإن كان الفادى إبراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه لأنّه الآمر بالذبح ، لأنّه تعالى وهب له الكبش ليفتدى به . وههنا إشكال : وهو أنّه لايخلو إمّا أن يكون ماأتى به إبراهيم عليه السلام من بطحه على شقّه وإمرار الشفرة على حلقه فى حكم الذبح أم لا ؟ فإن كان فى حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح ببدل ؟ وان لم يكن فما معنى قوله (قد صدّقت الرؤيا) ؟ وإنّما كان يصدّقها لو صحّ منه الذبح أصلا أو بدلا . ولم يصح . والجواب أنّه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح . ولكنّ الله تعالى جاء بما منع الشفرة أن تمضى فيه . وهذا لا يقدح فى فعل إبراهيم ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة فى نفس إسماعيل بدلا منه . وليس هذا بنسخ منه للحكم ، كما قال البعض ، بل ذلك الحكم كان ثابتا إلّا أنّ المحلّ الذى أضيف إليه لم يحلّه الحكم على طريق الفداء دون النسخ . وكان ذلك ابتلاء ليستقرّ حكم الأمر عند المخاطب فى آخر الحال . على أنّ المبتغى منه فى حقّ الولد أن يصير قربانا بنسبة الحكم إليه ، مكرما بالفداء الحاصل لمعرّة الذبح ، مبتلى بالصبر والمجاهدة إلى حال المكاشفة . وإنّما النسخ بعد استقرار المراد بالأمر لا قبله . وقد سمّى فداء فى الكتاب لا نسخا .

(١) (فى الآخرين) لا وقف عليه لأنّ (سلام على إبراهيم) مفعول (وتركنا) .

(٢) ولم يقل إنّا كذلك هنا كما فى غيره لأنّه قد سبق فى هذه القصّة فاستخفّ بطرحه اكتفاء بذكره مرّة عن ذكره ثانية .

إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا (١) مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٢) ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ (٣) وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ (٤) ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (٥) ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا (٦) مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧) ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ (٨) ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ (٩) ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (١٠) ﴿١١٨﴾

---

(١) حال مقدّرة من إسحق . ولا بدّ من تقدير مضاف محذوف أى (وبشّرناه بـ) وجود (إسحق نبيًّا) . أى بأن يوجد مقدّرة نبوّته فالعامل فى الحال الوجود لا البشارة .

(٢) حال ثانية . وورودها على سبيل الثناء لأنّ كلّ نبىّ لا بدّ أن يكون من الصالحين .

(٣) أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا . وقيل باركنا على إبراهيم فى أولاده وعلى إسحق بأن أخرجنا من صلبه ألف نبىّ أوّلهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام .

(٤) (محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين) ظاهر . أو محسن إلى الناس وظالم على نفسه بتعدّيه عن حدود الشرع . وفيه تنبيه على أنّ الخبث والطيب لا يجرى أمرهما على العرق والعنصر . فقد يلد البرّ الفاجر والفاجر البرّ . وهذا ممّا يهدم أمر الطبائع والعناصر ، وعلى أنّ الظلم فى أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة ، وأنّ المرء إنّما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله وفرعه .

(٥) (مننّا) أنعمنا (على موسى وهرون) بالنبوّة .

(٦) بنى إسرائيل .

(٧) من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم .

(٨) (ونصرناهم) أى موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه .

(٩) البليغ فى بيانه وهو التوراة .

(١٠) صراط أهل الإسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم (غير المغضوب عليهم ولا الضالّين) .

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ ۝ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ[1] ۝ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ[2] ۝ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ[3] ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ[4] ۝

---

(١) هو إلياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى . وقيل هو إدريس النبىّ عليه السلام . وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه (وإنّ إدريس) فى موضع (إلياس) . وقيل فى إلياس والخضر إنّهما حيّان . وقيل إلياس وكلّ بالفيافى كما وكّل الخضر بالبحار . والحسن يقول قد هلك إلياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس إنّهما حيّان .

(٢) ألا تخافون الله ! أتعبدون (بعلا) — هو علم لصنم كان من ذهب . وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه . فتنوا به وعظّموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء . وكان موضعه يقال له بك فركّب وصار بعلبكّ . وهو من بلاد الشأم — وتتركون عبادة الله الذى هو أحسن المقدّرين ؟

(٣) بنصب الكلّ عراقىّ غير أبى بكر وأبى عمرو على البدل من (أحسن) . وغيرهم بالرفع على الابتداء .

(٤) (لمحضرون) فى النار (إلّا عباد الله المخلصين) من قومه .

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ[(١)] ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ[(٢)] ۝ ثُمَّ دَمَّرْنَا[(٣)] ٱلْآخَرِينَ ۝ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ[(٤)] ۝ وَبِٱلَّيْلِ[(٥)] أَفَلَا تَعْقِلُونَ[(٦)] ۝ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ[(٧)] إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝ فَسَاهَمَ[(٨)]

---

(١) أى إلياس وقومه المؤمنين كقولهم الخبيبون يعنى أبا خبيب عبد الله بن الزبير وقومه . (آل ياسين) شامىّ ونافع ، لأن ياسين اسم أبى الياس فأضيف إليه الآل .

(٢) فى الباقين .

(٣) أهلكنا .

(٤) (وإنّكم) يأهل مكّة (لتمرّون عليهم) داخلين فى الصباح .

(٥) والوقف عليه مطلق .

(٦) يعنى تمرّون على منازلهم فى متاجركم إلى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول تعتبرون بها . وإنّما لم يختم قصّة لوط و يونس بالسلام كما ختم قصّة من قبلهما ، لأنّ الله تعالى قد سلّم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كلّ واحد منفردا بالسلام .

(٧) الإباق الهرب إلى حيث لا يهتدى إليه الطلب . فسمّى هربه من قومه بغير إذن ربه إباقا مجازا .

(٨) (المشحون) المملوء . وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب . فلمّا تأخّر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم . فقصد البحر وركب السفينة فوقفت . فقالوا ههنا عبد آبق من سيّده . وفيما يزعم البحّارون أنّ السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر . فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس . فقال أنا الآبق وزجّ بنفسه فى الماء . فذلك قوله (فساهم) فقارعهم مرّة أو ثلاثا بالسهام . والمساهمة إلقاء السهام على جهة القرعة .

فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ (١) ۝ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (٢) ۝ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ (٣) ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٤) ۝ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ (٥) وَهُوَ سَقِيمٌ (٦) ۝ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً (٧) مِّن يَقْطِينٍ (٨) ۝ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ (٩)

---

(١) المغلوبين بالقرعة .

(٢) فابتلعه (الحوت وهو) داخل فى الملامة .

(٣) من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح . أو من القائلين (لا إله إلّا أنت سبحانك إنّى كنت من الظالمين) أو من المصلّين قبل ذلك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما كلّ تسبيح فى القرآن فهو صلاة . ويقال إنّ العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر .

(٤) الظاهر لبثه حيّا إلى يوم البعث . وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا إلى يوم القيامة . وقد لبث فى بطنه ثلاثة أيّام أو سبعة أو أربعين يوما . وعن الشعبىّ التقمه ضحوة ولفظه عشيّة .

(٥) فألقيناه بالمكان الخالى الذى لا شجر فيه ولا نبات .

(٦) عليل ممـا ناله من التقام الحوت . وروى أنّه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد .

(٧) أى أنبتناها فوقه مظلّة له كما يطنّب البيت على الإنسان .

(٨) الجمهور على أنّه القرع . وفائدته أنّ الذباب لايجتمع عنـده ، وأنّه أسرع الأشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا . وقيل لرسول الله صلّى الله عليـه وسلّم إنّك لتحبّ القرع . قال : "أجل . هى شجرة أخى يونس" .

(٩) المراد به القوم الذين بعث إليهم قبل الإلتقام . فتكون قد مضمرة .

أَوْ يَزِيدُونَ [(١)] ۝ فَآمَنُوا [(٢)] فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ [(٣)] ۝ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ [(٤)] ۝ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ [(٥)] ۝ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ [(٦)] ۝ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [(٧)] ۝ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ [(٨)] ۝

---

(١) (أو يزيدون) فى مرأى الناظر . أى إذا رآها الرائى قال هى مائة ألف أو أكثر . وقال الزجّاج قال غير واحد : معناه بل يزيدون . قال ذلك الفرّاء وأبو عبيدة . ونقل عن ابن عباس كذلك .

(٢) (فآمنوا) به وبما أرسل به .

(٣) إلى منتهى آجالهم .

(٤) معطوف على مثله فى أوّل السورة . أى على (فاستفتهم أهم أشدّ خلقا) وإن تباعدت بينهما المسافة . أمر رسول الله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولا ثمّ ساق الكلام موصولا بعضه ببعض . ثمّ أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله تعالى الإناث ولأنفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهنّ ووأدهم واستنكافهم من ذكرهنّ .

(٥) حاضرون . تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لأنّهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا بإخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر . أو معناه أنّهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنّهم شاهدوا خلقهم .

(٦) (لكاذبون) فى قولهم .

(٧) (أصطفى) بفتح الهمزة للاستفهام . وهو استفهام توبيخ . وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام . (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد .

(٨) بالتخفيف حمزة وعلىّ وحفص .

أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ۝ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ[1] ۝ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ[2] ۝ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ[3] ۝ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ[4] ۝ فَإِنَّكُمْ[5] وَمَا تَعْبُدُونَ ۝ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝

(١) (أم لكم) حجة نزلت عليكم من السماء بأنّ الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم (إن كنتم صادقين) فى دعواكم .

(٢) (وجعلوا بينه) بين الله (وبين الجنّة) الملائكة لاستتارهم (نسبا) وهو زعمهم أنّهم بناته ، أو قالوا إنّ الله تزوّج من الجنّ فولدت له الملائكة . (ولقد علمت الجنّة إنّهم لمحضرون) ولقد علمت الملائكة إنّ الذين قالوا هذا القول (لمحضرون) فى النار .

(٣) نزّه نفسه عن الولد والصاحبة .

(٤) استثناء منقطع من المحضرين . معناه ولكن المخلصين ناجون من النار . و(سبحان الله) اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه . ويجوز أن يقع الاستثناء من واو (يصفون) أى يصفه هؤلاء بذلك . ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به .

(٥) (فإنّكم) يأهل مكة (وما تعبدون) ومعبوديكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) على الله (بفاتنين) بمضلّين (إلّا من هو صال الجحيم) بكسر اللام . أى لستم تضلّون أحدا إلّا أصحاب النار الذين سبق فى علمه أنّهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها . يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه . وقال الحسن : فإنّكم أيّها القائلون بهذا القول والذى تعبدونه من الأصنام ما أنتم على عبادة الأوثان بمضلّين أحدا إلّا من قدّر عليه أن يصلى الجحيم أى يدخل النار . وقيل ما أنتم بمضلّين إلا من أوجبت عليه الضلال فى السابقة . و(ما) فى (ما أنتم) نافية . و(من) فى موضع النصب بفاتنين . وقرأ الحسن (صال الجحيم) بضم اللام . ووجهه أن يكون جمعا فحذفت النون للإضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هى واللام فى الجحيم . و(من) موحّد اللفظ مجموع المعنى فحمل (هو) على لفظه والصالون على معناه .

وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ[١] ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ[٢] ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ[٣] ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ[٤] ﴿١٧٠﴾

---

(١) (وما منّا) أحد (إلّا له مقام معلوم) فى العبـادة لا يتجاوزه . فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه .

(٢) نصفّ أقدامنا فى الصلاة أو نصفّ حول العرش داعين للمؤمنين .

(٣) المنزّهون أو المصلّون . والوجه أن يكون هـذا وما قبله من قوله (سبحان الله عمّا يصفون) من كلام الملائكة حتّى يتّصل بذكرهم فى قوله (ولقد علمت الجنّة) كأنّه قيل : ولقد علم الملائكة وشهدوا أنّ المشركين مفترون عليهم فى مناسبة ربّ العزّة وقالوا (سبحان الله) فنزّهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرّءوهم منه وقالوا للكفرة : فإذا صحّ ذلك فإنّكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلّوه إلّا من كان من أهل النار وكيف نكون مناسبين لربّ العزّة وما نحن إلّا عبيد أذلّاء بين يديه لكلّ منّا مقام معلوم من الطاعة لايستطيع أن يزلّ عنه ظفرا خشوعا لعظمته ، ونحن الصافّون أقدامنا لعبادته مسبّحين ممجّدين كما يجب على العباد لربّهم . وقيل هو من قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . يعنى وما من المسلمين أحد إلّا له مقـام معلوم يوم القيامة على قـدر عمله من قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربّك مقاما محمودا) . ثمّ ذكر أعمالهم وأنّهم الذين يصطفّون فى الصلاة ويسبّحون الله وينزّهونه عمّا لا يجوز عليه .

(٤) (وإن) كان مشركو قريش (ليقولون) قبل مبعثه عليه السلام (لو أنّ عندنا) كتابا من كتب الأوّلين الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل لأخلصنا العبادة لله ولمـا كذّبنا كما كذّبوا ولمـا خالفنا كما خالفوا . فجاءهم الذكر الذى هو سـيّد الأذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فكفروا به فسوف يعلمون) مغبّة تكذيبهـم وما يحلّ بهم من الانتقام .

(وإن) مخفّفة من الثقيلة . واللام هى الفارقة . وفى ذلك أنّهم كانوا يقولونه مؤكّدين للقول جادّين فيه . فكم بين أوّل أمرهم وآخره .

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ(١) ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ(٢) ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ(٣) ﴿١٧٩﴾

(١) الكلمة قوله (إنّهم لهم المنصورون وإنّ جندنا لهم الغالبون) . وإنّما سمّاها كلمة وهى كلمات لأنّها لمّا انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة . والمراد الموعد بعلوّهم على عدوّهم فى مقام الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا ، وعلوّهم عليهم فى الآخرة . وعن الحسن : ماغلب نبىّ فى حرب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى العقبى . والحاصل أنّ قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وإن وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة . والعبرة للغالب .

(٢) فأعرض عنهم إلى مدّة يسيرة. وهى المدّة التى أمهلوا فيها أو إلى يوم بدر . أو إلى فتح مكّة . (وأبصرهم) أى أبصر ما ينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك . وهو للوعيد لا للتبعيد . أو انظر إليهم إذا عذّبوا (فسوف يبصرون) ما أنكروا ، أو أعلمهم فسوف يعلمون. (أفبعذابنا يستعجلون) قبل حينه ؟ (فإذا نزل) العذاب (بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذرين) صباحهم . واللام فى (المنـذرين) مبهم فى جنس من أنذروا لأنّ ساء وبئس يقتضيان ذلك. مثّل العذاب النازل بهم، بعد ما أنذروه فأنكروه ، بجيش أنذر بهجومه قومَه بعضُ نصّاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره حتى أناخ بفنائهم بغتة فشنّ عليهم الغارة . وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسمّيت الغارة صباحا وإن وقعت فى وقت آخر. وقيل هو نزول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الفتح بمكّة .

(٣) وإنّما ثنّى ليكون تسلية على تسلية ، وتأكيدا لوقوع الميعاد إلى تأكيد . وفيه فائدة زائدة . وهى إطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وأنّه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرّة وأنواع المساءة . وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا ، وبالآخر عذاب الآخرة .

سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ(١) عَمَّا يَصِفُونَ(٢) ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ(٣) ﴿١٨١﴾

وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ(٤) ﴿١٨٢﴾

(١) أضيف الربّ إلى العزّة لاختصاصه بها كأنّه قيل ذو العزّة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق . ويجوز أن يراد أنّه ما من عزّة لأحد إلّا وهو ربّها ومالكها . كقوله (تعزّ من تشاء) .

(٢) من الولد والصاحبة والشريك .

(٣) عمّ الرسل بالسلام بعد ما خصّ البعض فى السورة لأنّ فى تخصيص كلّ بالذكر تطويلا .

(٤) (والحمد لله) على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء . اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون فى الله ونسبوه إليه ممّا هو منزّه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خوّلوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عمّا وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين (والحمد لله ربّ العالمين) على ما قيّض لهم من حسن العواقب . والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلّوا به ، ولا يغفلوا عن مضمّنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد . وعن علىّ رضى الله عنه من أحبّ أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه (سبحان ربك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين) .

سورة ص مكّيّة

وهى ثمان وثمانون آية كوفىّ وتسع بصرىّ وستّ مدنىّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ [(1)] ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا [(2)] مِن قَبْلِهِم [(3)] مِّن قَرْنٍ [(4)] فَنَادَوا۟ [(5)] وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ [(6)] ﴿٣﴾

(١) (ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدّى والتنبيه على الإعجاز. ثمّ أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدّى عليه كأنّه قال (والقرآن ذى الذكر) أى ذى الشرف إنّه لكلام معجز . ويجوز أن يكون (ص) خبر مبتدأ محذوف على أنّه اسم للسورة . كأنّه قال : هذه (ص) أى هذه السورة التى أعجزت العرب (والقرآن ذى الذكر) كما تقول هذا حاتم والله . تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله . وكذلك إذا أقسم بها كأنّه قال أقسمت بص والقرآن ذى الذكر إنّه لمعجز . ثمّ قال (بل الذين كفروا فى عزّة) تكبّر عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحقّ (وشقاق) خلاف لله ولرسوله . والتنكير فى عزّة وشقاق للدلالة على شدّتهما وتفاقمهما . وقرئ (فى غرّة) أى فى غفلة عمّا يجب عليهم من النظر واتّباع الحقّ .

(٢) وعيد لذوى العزّة والشقاق .

(٣) من قبل قومك .

(٤) من أمّة .

(٥) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب .

(٦) (ولات) هى لا المشبّهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على ربّ وثمّ للتوكيد . وتغيّر بذلك حكمها حيث لم تدخل إلّا على الأحيان ولم يبرز إلّا أحد مقتضييها إمّا

وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ[(١)] وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ[(٢)] ﴿٥﴾

الاسم أو الخبر. وامتنع بروزهما جميعا . وهذا مذهب الخليل وسيبويه . وعند الأخفش أنّها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصّت بنفي الأحيان. وقوله (حين مناص) منجي منصوب بها كأنّك قلت ولا حين مناص لهم.وعندهما أنّ النصب على تقدير ولات الحين حين مناص . أى وليس الحين حين مناص .

(١) (وعجبوا) من (أن جاءهم) رسول من أنفسهم ينذرهم . يعنى استبعدوا أن يكون النبيّ من البشر .

(٢) ولم يقل وقالوا إظهارا للغضب عليهم ودلالة على أنّ هـذا القول لا يجسر عليه إلّا الكافرون المتوغّلون فى الكفر المنهمكون فى الغىّ، إذ لا كفر أبلغ من أن يسمّوا من صدّقه الله كاذبا ساحرا ويتعجّبوا من التوحيد وهو الحقّ الأبلج ، ولا يتعجّبوا من الشرك وهو باطل لجلج . وروى أنّ عمر رضى الله عنه لمّا أسلم فرح به المؤمنون وشقّ على قريش . فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبى طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا فى الإسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كلّ الميل على قومك . فقال عليه السلام ماذا يسألونى؟فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك . فقال عليه السلام أتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم ؟ قالوا نعم وعشرا . أى نعطيكها وعشر كلمات معها . فقال : قولوا لا إله إلّا الله.فقاموا وقالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا)؟ —أى أصيّر—(إنّ هذا لشىء عجاب) أى بليغ فى العجب وقيل العجيب ماله مثل ، والعجاب مالا مثل له .

وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟[(١)] وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا[(٢)] ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى[(٣)] ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ[(٤)] ﴿٨﴾

---

(١) (وانطلق الملأ منهم) وانطلق أشراف قريش عن مجلس أبى طالب بعد ما بكّتهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض (أن امشوا) وأن بمعنى أى لأنّ المنطلقين عن مجلس التقاول لا بدّ لهم من أن يتكلّموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم . فكان انطلاقهم متضمّنا معنى القول (واصبروا على) عبادة (آلهتكم إنّ هذا) الأمر (لشىء يراد) أى يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه فلا مردّ له ولا ينفع فيه إلّا الصبر . أو إنّ هذا الأمر لشىء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه .

(٢) (ما سمعنا) بالتوحيد فى ملّة عيسى التى هى آخر الملل لأنّ النصارى مثلّثة غير موحّدة. أو فى ملّة قريش التى أدركنا عليها آباءنا . ما (هذا إلّا) كذب اختلقه محمّد من تلقاء نفسه . (أأنزل عليه) القرآن (من بيننا) ؟ ! أنكروا أن يختصّ بالشرف من بين أشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا .

(٣) من القرآن .

(٤) بل لم يذوقوا عذابى بعد . فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشكّ والحسد حينئذ . أى أنّهم لا يصدّقون به إلّا أن يمسّهم العذاب ، فيصدّقون حينئذ (عذابى) فى الحالين يعقوب .

أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ (١) ۝ جُندٌ (٢) مَّا (٣) هُنَالِكَ (٤) مَهْزُومٌ (٥) مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ (٦) ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ (٧) ۝ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ

---

(١) (أم عندهم خزائن رحمة ربّك العزيز الوهابّ) يعنى ما هم بمالكى خزائن الرحمة حتّى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمّن شاءوا ويتخيّروا للنبوّة بعض صناديدهم ويترفّعوا بها عن محمّد. وإنّما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهّاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها على ما تقتضيه حكمته. ثمّ رشّح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) حتّى يتكلّموا فى الأمور الرّبانيّة والتدابير الإلهيّة التى يختصّ بها ربّ العزّة والكبرياء. ثمّ تهكّم بهم غاية التهكّم فقال: فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرّف فى قسمة الرحمة (فليرتقوا فى الأسباب) فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصّل بها إلى السماء حتّى يدبّروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحى إلى من يختارون.

(٢) مبتدأ.

(٣) صلة مقوّية للنكرة المبتدأة.

(٤) إشارة إلى بدر ومصارعهم. أو إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم، من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك. خبر المبتدأ.

(٥) مكسور.

(٦) متعلّق بجند أو بمهزوم.

وعد نبيه عليه السلام النصرة عليهم. يريد ما هم إلّا جند من الكفّار المتحزّبين على رسول الله مهزوم عمّا قريب. فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون.

(٧) (كذّبت قبلهم) قبل أهل مكّة (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وفرعون ذو الأوتاد) موسى. قيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه، وقيل يوتّد من يعذب

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ (١) ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ (٢) فَحَقَّ عِقَابِ (٣) ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ (٤) إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً (٥) مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ (٦) ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا (٧)

بأربعة أوتاد فى يديه ورجليه (وثمود)—وهم قوم صالح—صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الأيكة) الغيضة شعيبا .

(١) أراد بهذه الإشارة الإعلام بأنّ الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنّهم الذين وجد منهم التكذيب .

(٢) ذكر تكذيبهم أوّلا فى الجملة الخبريّة على وجه الإبهام حيث لم يبيّن المكذَّب . ثمّ جاء بالجملة الاستثنائيّة فأوضحه فيها و بين المكذَّب وهم الرسل ، وذكر أنّ كلّ واحد من الأحزاب كذّب جميع الرسل لأنّ فى تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتّحاد دعوتهم . وفى تكرير التكذيب، و إيضاحه بعد إبهامه، والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية أوّلا وبالاستثنائية ثانيا ، وما فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد ، أنواع من المبالغة المسجّلة عليهم باستحقاق أشدّ العقاب وأبلغه .

(٣) أى فوجب لذلك أن أعاقبهم حقّ عقابهم . (عقابى) فى الحالين يعقوب .

(٤) وما ينتظر أهل مكّة. ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب .

(٥) أى النفخة الأولى وهى الفزع الأكبر .

(٦) و بالضمّ حمزة وعلىّ. أى ما لها من توقّف مقدار فواق، وهو ما بين حلبتى الحالب . أى إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحّة . وفواق الناقة ساعة يرجع الدرّ إلى ضرعها يريد أنّها نفخة واحدة فحسب لا تثنّى ولا تردّد .

(٧) حظّنا من الجنّة لأنّه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنّة فقالوا على سبيل الهزء (عجّل لنا) نصيبنا منها. أو نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله (و يستعجلونك بالعذاب). وأصل القطّ القسط من الشىء لأنّه قطعة منه من قطّه إذا قطعه . ويقال لصحيفة الجائزة قطّ لأنّها قطعة من القرطاس .

قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ(١) ۝ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ(٢) مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ(٣) بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ(٤) ۝ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً(٥) كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ(٦) ۝ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ(٧)

---

(١) (اصبر على ما يقولون) فيك وصن نفسك أن تزلّ فيما كلّفت من مصابرتهم وتحمّل أذاهم (واذكر عبدنا داود) وكرامته على الله كيف زلّ تلك الزلّة اليسيرة فلقى من عتاب الله ما لقى (ذا الأيد) ذا القوّة فى الدين وما يدلّ على أنّ الأيد القوّة فى الدين قوله (إنّه أوّاب) أى رجّاع إلى مرضاة الله تعالى . وهو تعليل لذى الأيد . روى أنّه كان يصوم يوما و يفطر يوما وهو أشدّ الصوم ويقوم نصف الليل .

(٢) ذلّلنا (الجبال معه) . قيل كان تسخيرها أنّها تسير معه إذا أراد سيرها إلى حيث يريد .

(٣) فى معنى مسبّحات على الحال. واختار (يسبّحن) على مسبّحات ليدلّ على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال .

(٤) أى فى طرفى النهار . والعشىّ وقت العصر إلى الليل والإشراق وقت الإشراق . وهو حين تُشرق الشمس أى تضيء. وهو وقت الضحى. وأمّا شروقها فطلوعها. تقول شرقت الشمس ولمّا تُشرق. وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلّا بهذه الآية.

(٥) (و) سخّرنا (الطير) مجموعة من كلّ ناحية. وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا سبّح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبّحت . فذلك حشرها .

(٦) كلّ واحد من الجبال والطير لأجل داود أى لأجل تسبيحه مسبّح لأنّها كانت تسبّح لتسبيحه ووضع الأوّاب موضع المسبّح لأنّ الأوّاب وهو التوّاب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه . وقيل الضمير لله . أى كل من داود والجبال والطير لله أوّاب أى مسبّح مرجّع للتسبيح .

(٧) قوّيناه . قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه .

وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ[1] وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ[2] ۝ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟[3] ٱلْخَصْمِ[4] إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ[5] ۝ إِذْ دَخَلُوا۟[6] عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ[7] قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ[8]

(١) الزبور وعلم الشرائع . وقيل كلّ كلام وافق الحقّ فهو حكمة .

(٢) علم القضاء ، وقطع الخصام ، والفصل بين الحقّ والباطل . والفصل هو التميز بين الشيئين .وقيل للكلام البيّن فصل بمعنى المفصول كضرب الأمير . وفصل الخطاب البيّن من الكلام الملخّص الذى يتبيّنــه من يخاطب به لا يلتبس عليــه . وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصَّوْم والزَّوْر . والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحقّ والبــاطل . وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات . وعن علىّ رضى الله عنــه هو الحكم بالبيّنة على المدّعى واليمين على المدّعى عليه . وهو من الفصل بين الحقّ والباطل . وعن الشعبىّ : هو قوله أمّا بعــد ، وهو أوّل من قال أمّا بعد فإنّ من تكلّم فى الأمر الذى له شأن يفتتح بذكر الله وتحميــده . فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أمّا بعد .

(٣) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنّه من الأنبــاء العجيبة . والخصم الخصماء . وهو يقع على الواحد والجمع لأنّه مصدر فى الأصل تقول خصمه خصما .

(٤) انتصابه بمحذوف تقديره (وهل أتاك نبأ) تحاكم (الخصم) . أو بالخصم لمــا فيه من معنى الفعــل .

(٥) تصعّدوا سوره ونزلوا إليــه . والسور الحائط المرتفع . والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد .

(٦) بدل من الأولى .

(٧) روى أنّ الله تعالى بعث إليه ملكين فى صورة إنسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته . فمنعهما الحرس فتسوّرا عليه المحراب فلم يشعر إلّا وهمــا بين يديه جالسان (ففزع منهم) لأنّهم دخلوا عليــه المحراب فى غير يوم القضاء ، ولأنّهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه .

(٨) خبر مبتدأ محذوف . أى نحن (خصمان) .

بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ(١) فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ(٢) وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ(٣) ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى(٤)

(١) تعدّى وظلم .

(٢) ولا تجر . من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطّى الحقّ .

(٣) وأرشدنا إلى وسط الطريق ومحجّته . والمراد عين الحقّ ومحضه . روى أنّ أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوّجها إذا أعجبته. وكان لهم عادة فى المواساة بذلك . وكان الأنصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك . فاتّفق أنّ داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فأحبّها فسأله النزول له عنها .فاستحى أن يردّه ففعل فتزوّجها ، وهى أمّ سليمان . فقيل له . إنّك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك أن تسأل رجلا ليس له إلّا امرأة واحدة النزول عنها لك ، بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به .وقيل خطبها أوريا ثمّ خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلّته أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه. وما يحكى أنّه بعث مرّة بعد مرّة أوريا إلى غزوة البلقاء وأحبّ أن يقتل ليتزوّجها فلا يليق من المتّسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء . وقال علىّ رضى الله عنه : من حدّثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستّين وهو حدّ الفرية على الأنبياء . وروى أنّه حدّث بذلك عمر بن عبدالعزيز وعنده رجل من أهل الحقّ فكذّب المحدّث به وقال إن كانت القصّة على ما فى كتاب الله فما ينبغى أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك. و إن كانت على ما ذكرت وكفّ الله عنها سترا على نبيّه فما ينبغى إظهارها عليه . فقال عمر: لسماعى هذا الكلام أحبّ إلىّ ممّا طلعت عليه الشمس . والذى يدلّ عليه المثل الذى ضربه الله بقصّته عليه السلام ليس إلّا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب . و إنّما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ فى التوبيخ من قبل أنّ التأمّل إذا أدّاه إلى الشعور بالمعرّض به كان أوقع فى نفسه وأشدّ تمكّنا من قلبه وأعظم أثرا فيه مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة .

(٤) هو بدل من هذا أو خبر لإنّ . والمراد أخوّة الدين ، أو أخوّة الصداقة والألفة ، أو أخوّة الشركة والخلطة ، لقوله (و إنّ كثيرا من الخلطاء) .

لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ[1] فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا[2] وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ[3] وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ[4] لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ[5]

(١) (ولَى) حفص . والنعجة كناية عن المرأة . ولمّا كان هذا تصويراً للمسألة وفرضا لها لا يمتنع أن يفرض الملائكة في أنفسهم كما تقول لى أربعون شاة ولك أربعون نخلطناها ومالكما من الأربعين أربعة ولا ربعها .

(٢) ملّكنيها . وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدى . وعن ابن عباس رضى الله عنهما اجعلها كفلى أى نصيبى .

(٣) (وعزّنى) وغلبنى — يقال عزّه يعزّه —(فى الخطاب) فى الخصومة . أى أنّه كان أقدر على الاحتجاج منّى . وأراد بالخطاب مخاطبة المحاجّ المجادل . أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زُوّجها دونى . ووجه التمثيل أنْ مثّلت قصّة أوريامع داود بقصّة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون. فأراد صاحبه تتمّة المائة ، فطمع فى نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجّه فى ذلك محاجّة حريص على بلوغ مراده . وإنّما كان ذلك على وجه التحاكم إليه ليحكم بما حكم به من قوله (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) حتّى يكون محجوجا بحكمه . وهذا جواب قسم محذوف . وفى ذلك استنكار لفعل خليطه. والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول. وقد ضمّن معنى الإضافة فعدّى تعديتها كأنّه قيل بإضافة (نعجتك إلى نعاجه) على وجه السؤال والطلب . وإنّما ظلّم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنّه لم يحك فى القرآن لأنّه معلوم . ويروى أنّه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجى مائة . فقال داود " إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا" وأشار إلى طرف الأنف والجبهة . فقال ياداود أنت أحقّ أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت . ثمّ نظر داود فلم يرأحدا فعرف ما وقع فيه .

(٤) الشركاء والأصحاب .

(٥) المستثنى منصوب ، وهو من الجنس . والمستثنى منه (بعضهم) .

وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ[1] وَظَنَّ دَاوُدُ[2] أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ[3] فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ[4] وَخَرَّ رَاكِعًا[5] وَأَنَابَ[6] ۩ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ[7] وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ[8] وَحُسْنَ مَـَٔابٍ[9] ۝ يَـٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ[10] فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ[11] وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ[12]

(١) (ما) للابهام و (هم) مبتدأ . و (قليل) خبره .

(٢) أى علم وأيقن . و إنّما استعير له لأنّ الظنّ الغالب يدانى العلم .

(٣) ابتليناه .

(٤) (فاستغفر ربّه) لزلّته .

(٥) أى سقط على وجهه ساجدا لله . وفيه دليل على أنّ الركوع يقوم مقام السجود فى الصلاة إذا نوى لأنّ المراد مجرّد ما يصلح تواضعا عند هذه التلاوة . والركوع فى الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع فى غير الصلاة .

(٦) ورجع إلى الله بالتوبة . وقيل إنّه بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه إلّا لصلاة مكتوبة أو مالا بدّ منه ولا يرقأ دمعه حتّى نبت العشب من دمعه ولم يشرب ماء إلّا وثلثاه دمع .

(٧) أى زلّته .

(٨) لقربة .

(٩) مرجع . وهو الجنّة .

(١٠) أى استخلفناك على الملك فى الأرض أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحقّ . وفيه دليل على أنّ حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغيّر .

(١١) أى بحكم الله إذ كنت خليفته أو بالعدل .

(١٢) اى (ولا تتبع) هوى النفس فى قضائك .

فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ[1] إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ[2] لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ[3] ۝ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا[4] بَٰطِلًا[5] ذَٰلِكَ[6] ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟[7] فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۝ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ[8] نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۝

---

(١) (فيضلك) الهوى .

(٢) دينه .

(٣) أى بنسيانهم يوم الحساب .

(٤) من الخلق .

(٥) خلقا باطلا لا لحكمة بالغة أو مبطلين عابثين . كقوله (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) وتقديره ذوى باطل أو عبثا ، فوضع باطلا موضعه . أى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين . وهو أنا خلقنا نفوسا أودعناها العقل ومنحناها التمكين وأزحنا عللها . ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف . وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم .

(٦) إشارة إلى خلقها باطلا .

(٧) الظنّ بمعنى المظنون . أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا . وإنما جعلوا ظانّين أنّه خلقها للعبث لا للحكمة مع إقرارهم بأنّه خالق السموات والأرض وما بينهما لقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله) لأنّه لمّا كان إنكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤدّيا إلى أنّ خلقها عبث وباطل جُعلوا كأنّهم يظنّون ذلك ويقولونه لأنّ الجزاء هو الذى سبقت إليه الحكمة فى خلق العالم . فمن جحده فقد جحد الحكمة فى خلق العالم .

(٨) أم منقطعة . ومعنى الاستفهام فيها الإنكار . والمراد أنّه لو بطل الجزاء كما يقول الكفّار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد واتّقى وفجر . ومن سوّى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما .

كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ(١) مُبَٰرَكٌ(٢) لِّيَدَّبَّرُوٓا۟(٣) ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ(٤) ۝ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ(٥) إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ(٦) ۝ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ(٧) بِٱلْعَشِىِّ(٨) ٱلصَّٰفِنَٰتُ(٩) ٱلْجِيَادُ(١٠) ۝

(١) أى هذا (كتاب أنزلناه إليك) يعنى القرآن .

(٢) صفة أخرى .

(٣) وأصله (ليتدبّروا) . قرئ به . ومعناه ليتفكّروا فيها فيقفوا على مافيه ويعملوا به . وعن الحسن قد قرأ هـذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيّعوا حدوده . (لتدبّروا) على الخطاب بحذف إحدى التاءين يزيد .

(٤) وليتّعظ بالقرآن أولو العقول .

(٥) أى سليمان . وقيل داود وليس بالوجه . فالمخصوص بالمدح محذوف .

(٦) علّل كونه ممدوحا بكونه أوّابا أى كثير الرجوع إلى الله تعالى .

(٧) على سليمان .

(٨) بعد الظهر .

(٩) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر .

(١٠) السراع جمع جواد لأنّه يجود بالركض . وصفها بالصفون لأنّه لا يكون فى الهجان وإنّما هو فى العراب . وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لهـا بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية . يعنى إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنّة فى مواقفها . وإذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها . وقيل الجياد الطوال الأعناق ، من الجيد . روى أنّ سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس . وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة . وقيل خرجت من البحر لهـا أجنحة فقعد يوما بعد ما صلّى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم

فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي(١) حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ(٢) ۝ رُدُّوهَا عَلَيَّ(٣) فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ(٤) ۝

تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر . وكانت فرضا عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا لله فبقى مائة . فما فى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها . وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى بأمره .

(١) أى آثرت حبّ الخيل عن ذكر ربى كذا عن الزجّاج . فأحببت بمعنى آثرت كقوله تعالى (فاستحبّوا العمى على الهدى) و (عن) بمعنى على . وسمّى الخيل خيرا كأنّها نفس الخير لتعلّق الخير بها كما قال عليه السلام " الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة " وقال أبو علىّ (أحببت) بمعنى جلست من إحباب البعير وهو بروكه (حبّ الخير) أى المال . مفعول له مضاف إلى المفعول .

(٢) (حتّى توارت) الشمس (بالحجاب) . والذى دلّ على أنّ الضمير للشمس مرور ذكر العشىّ ولا بدّ للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر . أو الضمير للصافنات . أى حتّى توارت بحجاب الليل يعنى الظلام .

(٣) أى قال للملائكة ردّوا الشمس علىّ لأصلّى العصر . فردّت الشمس له وصلّى العصر . أو ردّوا الصافنات .

(٤) فجعل يمسح (مسحا) أى يمسح السيف بسوقها — وهى جمع ساق كدار ودور — وأعناقها . يعنى يقطعها لأنّها منعته عن الصلاة . تقول مسح عُلاوته إذا ضرب عنقه . ومسح المسفر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه . وقيل إنّما فعل ذلك كفّارة لها أو شكرا لردّ الشمس . وكانت الخيل مأكولة فى شريعته فلم يكن إتلافا . وقيل مسحها بيده استحسانا لها وإعجابا بها .

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (١) ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى (٢) وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى (٣) لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ (٤) إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ (٥) تَجْرِى (٦) بِأَمْرِهِۦ (٧) رُخَآءً (٨) حَيْثُ (٩)

(١) ابتليناه (وألقينا على) سرير ملكه (جسدا ثم أناب) رجع إلى الله . قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة . وملك بعد الفتنة عشرين سنة . وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش لم ننفك من السخرة . فسبيلنا أن نقتله أو نخبله . فعلم ذلك سليمان عليه السلام فكان يغذوه فى السحابة خوفا من مضرة الشياطين . فألقى ولده ميتا على كرسيه. فتنبه على زلته فى أن لم يتوكل فيه على ربه . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل إن شاء الله. فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجىء به على كرسيه فوضع فى حجره. فوالذى نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون . وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود .

(٢) قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الأنبياء عليهم السلام والصالحين فى تقديم الاستغفار على السؤال .

(٣) لا يتسهل ولا يكون .

(٤) أى دونى. وبفتح الياء مدنى وأبو عمرو . وإنما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له لا حسدا . وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين. فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين . ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات .

(٥) (الرياح) أبو جعفر .

(٦) حال من الريح .

(٧) بأمر سليمان .

(٨) لينة طيبة لا تزعزع . وهو حال من ضمير (تجرى) .

(٩) ظرف (تجرى) .

أَصَابَ[(١)] ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ[(٢)] كُلَّ بَنَّآءٍ[(٣)] وَغَوَّاصٍ[(٤)] ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ[(٥)] مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ[(٦)] ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ[(٧)] ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ[(٨)] وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ[(٩)] إِذْ[(١٠)] نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ[(١١)]

(١) قصد وأراد . والعرب تقول " أصاب الصواب ، فأخطأ الجواب " .

(٢) عطف على الريح . أى سخّرنا له الشياطين .

(٣) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية .

(٤) أى ويغوصون له فى البحر لإخراج اللؤلؤ. وهو أوّل من استخرج اللؤلؤ من البحر. والمعنى وسخرنا له (كلّ بناء وغوّاص) من الشياطين .

(٥) عطف على (كل بناء) داخل فى حكم البدل .

(٦) وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكفّ عن الفساد . والصَفَد القيد . وسمّى به العطاء لأنّه ارتباط للمنعم عليه . ومنه قول علىّ رضى الله عنه " من برّك فقد أسرك ، ومن جفاك فقد أطلقك " .

(٧) (هذا) الذى أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فأعط منه ما شئت. من المنّة وهى العطاء (أو أمسك) عن العطاء —وكان إذا أعطى أجر ، وإن منع لم يأثم .بخلاف غيره— (بغيرحساب) متعلّق بعطاؤنا. وقيل هو حال أى (هذا عطاؤنا) جمّا كثيرا لا يكاد يقدر على حصره . أو (هذا) التسخير (عطاؤنا فامنن) على من شئت من الشياطين بالإطلاق (أو أمسك) من شئت منهم فى الوثاق (بغير حساب) أى لا حساب عليك فى ذلك .

(٨) (لزلفى) اسم (إنّ) والخبر (له) والعامل فى (عند) الخبر .

(٩) هو بدل من (عبدنا) أو عطف بيان .

(١٠) بدل اشتمال منه .

(١١) دعاه .

أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ(١) وَعَذَابٍ(٢) ۝ ٱرْكُضْ(٣) بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا(٤) لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً(٥) مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ(٦) ۝ وَخُذْ(٧) بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ

(١) بأنّى مسّنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه. ولو لم يحك لقال بأنّه مسّه لأنّه غائب.

(٢) قراءة العامة (بنُصُب) يزيد تثقيل نُصْب (بِنَصَب) كرُشد ورشد يعقوب (بنَصْب) على أصل المصدر هبيرة — والمعنى واحد وهو التعب والمشقّة .

(٣) يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب، وقيل أراد ما كان يوسوس به إليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء و يغريه على الكراهة والجزع . فالتجأ الى الله فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء ، أو بالتوفيق فى دفعه وردّه بالصبر الجميل . وروى أنّه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتدّ أحدهم . فسأل عنه . فقيل ألقى إليه الشيطان أنّ الله لا يبتلى الأنبياء والصالحين . وذكر فى سبب بلائه أنّه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع ، أو رأى منكرا فسكت عنه . أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلّة سبقت منه .

(٤) حكاية ما أجيب به أيّوب عليه السلام. أى أرسلنا إليه جبريل عليه السلام فقال له (اركض برجلك) أى اضرب برجلك الأرض وهى أرض الجابية. فضربها فنبعت عين فقيل: (هذا مغتسل بارد وشراب) أى هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك. وقيل نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره و باطنه بإذن الله تعالى .

(٥) قيل أحياهم الله تعالى بأعيانهم وزاده مثلهم .

(٦) مفعول لهما أى الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب لأنّهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغّبهم فى الصبر على البلاء .

(٧) (وخذ) — معطوف على (اركض) — (بيدك ضغثا) حُزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر (فاضرب به

إِنَّا وَجَدْنَٰهُ(١) صَابِرًا(٢) نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ(٣) إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۞ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ(٤) إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۞ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم(٥)

ولا تحنث) وكان حلف فى مرضه ليضربنّ امرأته مائة إذا برأ فحلّل الله يمينه بأهون شىء عليه وعليها لحسن خدمتها إيّاه . وهذه الرخصة باقية . ويجب أن يصيب المضروب كلّ واحدة من المائة . والسبب فى يمينه أنّها أبطأت عليه ذاهبة فى حاجة . فحرج صدره. وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلّق أيّوب عليه السلام إذا قام .

(١) علمناه .

(٢) (صابراً) على البلاء . نعم قد شكا إلى الله ما به واسترحمه . لكن الشكوى إلى الله لا تسمّى جزعا . فقد قال يعقوب عليه السلام (إنّما أشكو بثّى وحزنى إلى الله) على أنّه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم أنّه لوكان نبيّا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به ، وإرادة القوّة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلّا القلب واللسان .

(٣) أيوب .

(٤) (عبدنا) مكّىّ . فمن جمع فإبراهيم ومن بعده عطف بيان على (عبادنا) . ومن وحّد فإبراهيم وحده عطف بيان له ، ثمّ عطف ذرّيّته على (عبدنا) ولما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدى غلبت فقيل فى كلّ عمل هذا ممّا عملت أيديهم وإن كان عملا لا تتأتّى فيه المباشرة بالأيدى أوكان العمّال جُذْما لا أيدى لهم ، وعلى هذا ورد قوله (أولى الأيدى والأبصار) أى أولى الأعمال الظاهرة ، والفكر الباطنة . كأنّ الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون فى الله ولا يتفكّرون أفكار ذوى الديانات فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم ، والمسلوبى العقول الذين لا استبصار لهم . وفيه تعريض بكلّ من لم يكن من عمّال الله ولا من المستبصرين فى دين الله، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمّل مع كونهم متمكّنين منهما .

(٥) جعلناهم لنا خالصين .

بِخَالِصَةٍ [(١)] ذِكْرَى الدَّارِ [(٢)] ۝ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ [(٣)] الْأَخْيَارِ [(٤)] ۝ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ [(٥)] وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ [(٦)] مِّنَ الْأَخْيَارِ ۝ هَٰذَا ذِكْرٌ [(٧)] وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۝ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً [(٨)]

(١) بخصلة خالصة لا شوب فيها .

(٢) (ذكرى) فى محلّ النصب أو الرفع بإضمار أعنى ، أو هى ، أو الجر على البدل من (خالصة). والمعنى (إنّا أخلصناهم) بذكرى الدار . و(الدار) هنا الدار الآخرة . يعنى جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم يذكّرون الناس الدار الآخرة ويزهّدونهم فى الدنيا ، كما هو ديدن الأنبياء عليهم السلام . أو معناه أنّهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع إلى الله وينسون ذكر الدنيا . (بخالصةِ ذكرى الدار) على الإضافة هشام ونافع. وهى من إضافة الشىء إلى ما يبيّنه لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى . و (ذكرى) مصدر مضاف إلى المفعول . أى بإخلاصهم ذكرى الدار . وقيل (خالصة) بمعنى خلوص ، فهى مضافة إلى الفاعل أى بأن خلصت لهم ذكرى الدار على أنّهم لا يشوبون ذكرى الدار بهمّ آخر إنّما همهم ذكرى الدار لاغير . وقيل (ذكرى الدار) الثناء الجميل فى الدنيا . وهذا شىء قد أخلصهم به . فليس يذكر غيرهم فى الدنيا بمثل ما يذكرون به . يقويه قوله (وجعلنا لهم لسان صدق عليًا) .

(٣) المختارين من بين أبناء جنسهم .

(٤) جمع خيّر أو خيْر على التخفيف كأموات فى جمع ميّت أو ميْت .

(٥) كأنّ حرف التعريف دخل على يسع .

(٦) التنوين عوض عن المضاف إليه أىّ وكلهم (من الأخيار) .

(٧) أى (هذا) شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا. (وإنّ) لهم مع ذلك لحسن مرجع. يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل ، ويرجعون فى الآخرة إلى مغفرة ربّ جليل . ثمّ بيّن كيفية حسن ذلك المرجع فقال (جنّات عدن) بدل من (حسن مآب) .

(٨) حال من (جنّات) لأنّها معرفة لإضافتها إلى (عدن) وهو علم . والعامل فيها ما فى (للمتقين) من معنى الفعل .

لَهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ[1] ۝ مُتَّكِـِٔينَ[2] فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ[3] ۝ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ[4] أَتْرَابٌ[5] ۝ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ[6] لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ[7] ۝ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ[8] ۝ هَٰذَا[9] وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ[10] ۝ جَهَنَّمَ[11] يَصْلَوْنَهَا[12] فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ[13] ۝

---

(١) ارتفاع الأبواب بأنّها فاعل (مفتّحة). والعائد محذوف. أى (مفتّحة لهم الأبواب) منها. لحذف كما حذف فى قوله (فإنّ الجحيم هى المأوى) أى لهم . أو أبوابها إلّا أنّ الأوّل أجود. أو هى بدل من الضمير فى (مفتّحة) وهو ضمير الجنّات تقديره مفتّحة هى (الأبواب) وهو من بدل الاشتمال .

(٢) حال من المجرور فى (لهم) والعامل (مفتّحة) .

(٣) أى (وشراب) كثير. لحذف اكتفاء بالأوّل .

(٤) أى قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ .

(٥) لدات أسنانهنّ كأسنانهم لأنّ التحابّ بين الأقران أثبت . كأنّ اللدات سمّين أترابا لأنّ التراب مسّهن فى وقت واحد .

(٦) وبالياء مكّىّ وأبو عمرو .

(٧) أى ليوم تجزى كلّ نفس بما عملت .

(٨) من انقطاع . والجملة حال من الرزق . والعامل الإشارة .

(٩) خبر والمبتدأ محذوف . أى الأمر هذا ، أو هذا كما ذكر .

(١٠) مرجع .

(١١) بدل منه .

(١٢) يدخلونها .

(١٣) شبّه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم .

هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (١) ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ (٢) أَزْوَٰجٌ (٣) ﴿٥٨﴾
هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ (٤) ﴿٥٩﴾
قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا (٥) فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ (٦) ﴿٦٠﴾

(١) أى هذا حميم وغَسَاق فليذوقوه . فهذا مبتدأ و (حميم) خبره (وغَسَاق) عطف على الخبر (فليذوقوه) اعتراض . او العذاب (هذا فليذوقوه) ثمّ ابتدأ فقال هو (حميم وغسّاق) بالتشديد حمزة وعليّ وحفص . والغساق بالتشديد والتخفيف ما يَغسَق من صديد أهل النار . يقال غَسَقت العين إذا سال دمعها . وقيل الحميم يحرق بحرّه والغساق يحرق ببرده .

(٢) أى (و) عذاب (آخر) أو مذوق آخر من مثل العذاب المذكور . (وأُخَر) بصرى . أى (و) مذوقات (أُخَر) من شكل هذا المذوق فى الشدّة والفظاعة .

(٣) صفة لآخر لأنّه يجوز أن يكون ضروبا .

(٤) (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار ، أى دخل النار فى صحبتكم . والاقتحام الدخول فى الشىء بشدّة والقُحمة الشدة . وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض . أى يقولون هذا . والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم . تقول لمن تدعو له مرحبا أى أتيت رَحبا من البلاد لا ضيقا . أو رحُبت بلادك رحبا . ثمّ تدخل عليه لا فى دعاء السوء و(بهم) بيان للمدعوّ عليهم (إنّهم صالو النار) أى داخلوها . وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم . وقيل (هذا فوج مقتحم) كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم و (لا مرحبا بهم إنّهم صالو النار) كلام الرؤساء . وقيل هذا كلّه كلام الخزنة .

(٥) (قالوا) أى الأتباع ، (بل أنتم لا مرحبا بكم) أى الدعاء الذى دعوتم به علينا أنتم أحقّ به . وعلّلوا ذلك بقوله (أنتم قدّمتموه لنا) والضمير للعذاب أو لصليهم ، أى إنكم دعوتمونا إليه فكفرنا باتّباعكم

(٦) أى النار .

قَالُوا۟[1] رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا[2] فِى ٱلنَّارِ ۝ وَقَالُوا۟[3] مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا[4] كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ[5] ۝ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا[6] أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ[7] ۝ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ[8] ۝

---

(١) أى الأتباع .

(٢) (ضعفا) أى مضاعفا (فى النار) ومعناه ذا ضعف . ونحوه قوله (ربّنا هؤلاء أضلّونا فآتهم عذابا ضعفا) وهو أن يزيد على عذابه مثله .

(٣) الضمير لرؤساء الكفرة .

(٤) يعنون فقراء المسلمين .

(٥) (كنّا نعدّهم) فى الدنيا من الأرذال الذين لا خير فيهم ولا جدوى .

(٦) بلفظ الإخبار عراقىّ غير عاصم ، على أنّه صفة لرجالا مثل (كنّا نعدّهم من الأشرار) وبهمزة الاستفهام غيرهم ، على أنّه إنكار على أنفسهم فى الاستسخار منهم . (سُخريّا) مدنىّ وحمزة وعلىّ وخلف والمفضّل .

(٧) (زاغت) مالت (عنهم الأبصار) . هو متّصل بقوله (مالنا) أى مالنا لا نراهم فى النار كأنّهم ليسوا فيها ؟ بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها ؟ قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنّة وبين أن يكونوا من أهل النار إلّا أنّه خفى عليهم مكانهم .

(٨) (إنّ ذلك) الذى حكينا عنهم (لحقّ) لصدق كائن لا محالة لابدّ أن يتكلّموا به . ثمّ بيّن ماهو فقال هو (تخاصم أهل النار) . ولمّا شبّه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين سمّاه تخاصما ، ولأنّ قول الرؤساء (لا مرحبا بهم) وقول أتباعهم (بل أنتم لا مرحبا بكم) من باب الخصومة فسمّى التقاول كلّه تخاصما لاشتماله على ذلك .

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (١) رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا (٢) ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ (٣) قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤)

---

(١) (قل) يامحمد لمشركى مكة : ما أنا إلّا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالى . وأقول لكم إنّ دين الحقّ توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا إله إلّا الله (الواحد) بلا ندّ ولا شريك (القهّار) لكلّ شىء .

(٢) له الملك والربوبيّة فى العالم كلّه .

(٣) (العزيز) الذى لا يغلب إذا عاقب (الغفّار) لذنوب من التجأ إليه .

(٤) (قل هو) أى هذا الذى أنبأتكم به من كونى رسولا منذرا وأنّ الله واحد لا شريك له (نبأ عظيم) لا يعرض عن مثله إلّا غافل شديد الغفلة ، ثمّ (أنتم عنه معرضون) غافلون . (ما كان لىَ) — حفص — (من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون) . احتجّ لصحّة نبوّته بأنّ ما ينبئ به عن الملأ الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قطّ . ثمّ علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم مالم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب . فعلم أنّ ذلك لم يحصل له إلّا بالوحى من الله تعالى (إن يوحى إلىّ إلّا أنّما أنا نذير مبين) أى لـ (أنّما أنا نذير مبين) . ومعناه مايوحى إلىّ إلّا للإنذار . فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه . ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلىّ إلّا هذا . وهو أن أنذر وأبلّغ ولا أفرّط فى ذلك . أى ما أومر إلّا بهذا الأمر وحده وليس لى غير ذلك . وبكسر (إنّما) يزيد على الحكاية أى إلّا

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ (١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٢) فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ (٣) أَجْمَعُونَ (٤) إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ (٤) وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٥)

هذا القول، وهو أن أقول لكم (إنّما أنا نذير مبين) ولا أدّعى شيئا آخر. وقيل النبأ العظيم قصص آدم والإنباء به من غير سماع من أحد . وعن ابن عباس رضى الله عنهما القرآن . وعن الحسن يوم القيامة . والمراد بالملأ الأعلى أصحاب القصّة . الملائكة وآدم و إبليس لأنّهم كانوا فى السماء . وكان التقاول بينهم . و (إذ يختصمون) متعلّق بمحذوف، إذ المعنى : ما كان لى من علم بكلام الملأ الأعلى وقت اختصامهم .

(١) (إذ قال ربّك) — بدل من (إذ يختصمون) أى فى شأن آدم — حين قال تعالى على لسان ملك (للملائكة إنّى خالق بشرا من طين) وقال (إنّى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) .

(٢) فإذا أتممت خلقته وعدّلته (ونفخت فيه من روحى) الذى خلقته — وأضافه إليه تخصيصا كبيت الله وناقة الله . والمعنى أحييته وجعلته حسّاسا متنفّسا — (فقعوا) أمر من وقع يقع . أى اسقطوا على الأرض. والمعنى اسجدوا (له ساجدين) . قيل كان انحناء يدلّ على التواضع . وقيل كان سجدة لله . أو كان سجدة التحيّة .

(٣) كلّ للإحاطة . و (أجمعون) للاجتماع. فأفاد أنّهم سجدوا عن آخرهم جميعهم فى وقت واحد غير متفرّقين فى أوقات .

(٤) تعظّم عن السجود .

(٥) وصار من الكافرين بإباء الأمر .

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ[١] أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ[٢] ۝ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ[٣] ۝ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا[٤] فَإِنَّكَ رَجِيمٞ[٥] ۝ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ[٦]

---

(١) ما منعك عن السجود (لما خلقت بيدىّ) أى بلا واسطة ، امتثالا لأمرى وإعظاما لخطابى . وقد مرّ أنّ ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيده فغلّب العمل باليدين على سائر الأعمال التى تباشر بغيرهما ، حتّى قيل فى عمل القلب هو ما عملت يداك ، وحتّى قيل لمن لا يدى له "يداك أوكتا وفوك نفخ" وحتّى لم يبق فرق بين قولك هذا ممّا عملته وهذا مما عملته يداك . ومنه قوله (ممّا عملت أيدينا) و (لما خلقت بيدىّ) .

(٢) (أستكبرت) استفهام إنكار (أم كنت من العالين) ممّن علوت وفقت . وقيل (أستكبرت) الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين .

(٣) يعنى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لأنّه مخلوق مثلى ، فكيف أسجد لمن هو دونى ؟ لأنّه من طين والنار تغلب الطين وتأكله . وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهى (خلقتنى من نار) مجرى المعطوف عطف البيان والإيضاح .

(٤) من الجنّة أو من السموات أو من الخلقة التى أنت فيها لأنّه كان يفتخر بخلقته فغيّر الله خلقته ، واسودّ بعد ما كان أبيض ، وقبح بعد ما كان حسنا ، وأظلم بعد ما كان نورانيّا .

(٥) مرجوم أى مطرود . تكبّر إبليس أن يسجد لمن خلق من طين وزلّ عنه أن الله أمر به ملائكته واتّبعوا أمره إجلالا لخطابه وتعظيما لأمره ، فصار مرجوما ملعونا بترك أمره .

(٦) بفتح الياء مدنىّ . أى إبعادى من كلّ الخير .

إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ (٢) إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١) ﴿﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ (٣) ﴿﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٤) ﴿﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٥) ﴿﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ (٦) وَٱلْحَقَّ أَقُولُ (٧) ﴿﴾

---

(١) أى يوم الجزاء ولا يظنّ أنّ لعنته غايتها يوم الدين ثمّ تنقطع لأنّ معناه أنّ عليه اللعنة فى الدنيا وحدها . فإذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد . أو لمّا كان عليه اللعنة فى أوان الرحمة ، فأولى أن تكون عليه فى غير أوانها . وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى (فأذّن مؤذّن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) .

(٢) فأمهلنى .

(٣) الوقت المعلوم الوقت الذى تقع فيه النفخة الأولى ويومه اليوم الذى وقت النفخة جزء من أجزائه . ومعنى المعلوم أنّه معلوم عندالله معين لا يتقدّم ولا يتأخّر .

(٤) أى أقسم بعزّة الله وهى سلطانه وقهره .

(٥) وبكسر اللام مكّىّ وبصرىّ وشامىّ .

(٦) بالرفع كوفىّ غير علىّ على الابتداء . أى الحقّ قسمى ، أو على الخبر أى أنا الحقّ . وغيرهم بالنصب على أنّه مقسم به كقولك الله لأفعلن كذا . يعنى حذف عنه الباء فانتصب . وجوابه (لأملأنّ) والمراد بالحقّ إمّا اسمه عزّ وجلّ الذى فى قوله (إنّ الله هو الحقّ) أو الحقّ الذى هو نقيض الباطل عظّمه الله بإقسامه به .

(٧) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه . وهو منصوب بأقول ، ومعناه ولا أقول إلّا الحقّ .

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ[(١)] ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ[(٢)] وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ[(٣)] ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ[(٤)] لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ[(٥)] بَعْدَ حِينٍۭ[(٦)] ﴿٨٨﴾

---

(١) (لأملأنّ جهنّم منك) من جنسك . وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرّية آدم ، أى لأملأن جهنّم من المتبوعين والتابعين (أجمعين) لا أترك منهم أحدا .

(٢) الضمير للقرآن أو للوحى .

(٣) من الذين يتصنّعون ويتحلّون بما ليسوا من أهله وما عرفتمونى قطّ متصنّعا ولا مدّعيا بما ليس عندى حتّى أنتحل النبوّة وأتقوّل القرآن . وعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . للتكلّف ثلاث علامات ينازع من فوقه ، ويتعاطى مالا ينال ، ويقول مالا يعلم .

(٤) ما القرآن (إلّا ذكر) من الله للثقلين أوحىَ الىّ فانا أبلغه .

(٥) نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور .

(٦) بعد الموت أو يوم بدر أو يوم القيامة . ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر والله الموفّق .

سورة الزمر مكيّة

وهى خمس وسبعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ (١) ۝ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ (٢) فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ (٣) ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ (٤) وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ (٥)

(١) (تنزيل الكتاب) أى القرآن ، مبتدأ خبره (من الله) أى نزل من عند الله . أو خبر مبتدأ محذوف . والجارّ صلة التنزيل ، أو غير صلة بل هو خبر بعد خبر . أو خبر مبتدإ محذوف تقديره هذا (تنزيل الكتاب) هذا (من الله العزيز) فى سلطانه (الحكيم) فى تدبيره .

(٢) هذا ليس بتكرار . لأنّ الأول كالعنوان للكتاب ، والثانى لبيان ما فى الكتاب .

(٣) (مخلصا) — حال — (له الدين) أى ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السرّ . فالدين منصوب بمخلصا . وقرئ (الدين) بالرفع . وحقّ من رفعه أن يقرأ (مخلَصا) .

(٤) أى هو الذى وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كلّ شائبة كدر لاطّلاعه على الغيوب والأسرار . وعن قتادة : الدين الخالص شهادة أن لا إله إلّا الله . وعن الحسن : الإسلام .

(٥) (أولياء) أى آلهة . (والذين) مبتدأ محذوف الخبر تقديره (والذين) عبدوا الأصنام يقولون (ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى) مصدر . أى تقريبا . (إنّ الله يحكم بينهم) بين المسلمين

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ (١) سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ (٢) يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى (٣) أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ (٤) ﴿٥﴾

والمشركين (فيما هم فيه يختلفون). قيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض؟ قالوا الله. فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام؟ قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين.

(١) أى لا يهدى من هو فى علمه أنّه يختار الكفر، يعنى لا يوفّقه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر. ولكنّه يخذله. وكذبهم قولهم فى بعض من اتّخذوا من دون الله أولياء: بنات الله. ولذا عقّبه محتجّا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتّخذ ولدا لا صطفى ممّا يخلق ما يشاء) أى لو جاز اتّخاذ الولد على ما تظنّون لا ختار مما يخلق ما يشاء لا ماتختارون أنتم وتشاءون.

(٢) نزّه ذاته عن أن يكون له أخذ ما نسبوا إليه من الأولياء والأولاد. ودلّ على ذلك بقوله (هو الله الواحد القهار) يعنى أنّه واحد متبرّئ عن انضمام الأعداد، متعال عن التجزّؤ والولاد، قهّار غلاب لكلّ شىء ومن الأشياء آلهتهم. فأنّى يكون له أولياء وشركاء؟ ثمّ دلّ بخلق السموات والأرض وتكوير كلّ واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيّرين وجريهما لأجل مسمّى وبثّ الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام، على أنّه واحد لا يشارك، قهّار لا يغالب بقوله (خلق السموات والأرض بالحقّ يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل). والتكوير اللفّ واللىّ يقال كار العمامة على رأسه وكوّرها. والمعنى أنّ كلّ واحد منهما يغيّب الآخر إذا طرأ عليه. فشبّه فى تغييبه إيّاه بشىء ظاهر لفّ عليه ما غيّبه عن مطامح الأبصار. أو أنّ هـذا يكرّ على هذا كرورا متتابعا. فشبّه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض.

(٣) أى يوم القيامة.

(٤) (العزيز) الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخّرهما (الغفّار) لمن فكّر واعتبر فآمن بمدبّرهما.

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ (١) ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا (٢) وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ (٣) ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ (٤) يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ (٥) فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ (٦) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ (٧)

(١) أى آدم عليه السلام .

(٢) أى حوّاء من قُصَيْراه . قيل أخرج ذرّيّة آدم من ظهره كالذرّ . ثمّ خلق بعد ذلك حوّاء .

(٣) أى جعل ، عن الحسن . أو خلقها فى الجنّة مع آدم عليه السلام. ثمّ أنزلها. أو لأنّها لا تعيش إلّا بالنبات . والنبات لا يقوم إلّا بالمـاء ، وقد أنزل المـاء فكأنّه أنزلها .

(٤) ذكرا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز كما بيّن فى سورة الأنعام . والزوج اسم لواحد معه آخر ، فإذا انفرد فهو فرد ووِتْر .

(٥) نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ إلى تمـام الخلق .

(٦) ظلمة البطن والرحم والمشيمة . أو ظلمة الصلب والبطن والرحم .

(٧) (ذلكم) الذى هذه مفعولاته هو (الله ربّكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره ؟ ثمّ بيّن أنّه غنىّ عنهم بقوله (إن تكفروا فإنّ الله غنىّ عنكم) عن إيمـانكم وأنتم محتاجون إليه لتضرّركم بالكفر وانتفاعكم بالإيمـان (ولا يرضى لعبـاده الكفر) لأنّ الكفر ليس برضا الله تعالى وإن كان بإرادته . (وإن تشكروا) فتؤمنوا (يرضه لكم) أى يرض الشكر لكم لأنّه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنّة . (يرضهُ) بضمّ الهـاء والإشباع مكّىّ وعلىّ (يرضه) بضمّ الهـاء بدون الإشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحمّاد . وغيرهم (يرضهْ) .

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (١) ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ (٢) فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣) إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٤) ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ (٥) ضُرٌّ (٦) دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ (٧) ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ (٨) نِعْمَةً مِّنْهُ (٩) نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ (١٠) وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا (١١) لِّيُضِلَّ (١٢) عَن سَبِيلِهِۦ (١٣) قُلْ (١٤) تَمَتَّعْ (١٥) بِكُفْرِكَ قَلِيلًا (١٦)

---

(١) أى لا يؤاخذ أحد بذنب آخر .

(٢) إلى جزاء ربّكم رجوعكم .

(٣) فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها .

(٤) بخفيّات القلوب .

(٥) هو أبو جهل أو كلّ كافر .

(٦) بلاء وشدّة . والمسّ فى الأعراض مجاز .

(٧) راجعا إلى الله بالدعاء لا يدعو غيره .

(٨) أعطاه .

(٩) من الله عزّ وجلّ .

(١٠) أى نسى ربّه الذى كان يتضرّع إليه . و (ما) بمعنى من كقوله (وما خلق الذكر والأنثى) . أو (نسى) الضرّ الذى (كان يدعو) الله إلى كشفه .

(١١) أمثالا .

(١٢) (ليَضِل) مكّىّ وأبو عمرو ويعقوب .

(١٣) أى الإسلام .

(١٤) (قل) يا محمد .

(١٥) أمر تهديد .

(١٦) أى (تمتع بكفرك قليلا) فى الدنيا .

إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝ أَمَّنْ(١) هُوَ قَٰنِتٌ(٢) ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ(٣) سَاجِدًا وَقَآئِمًا(٤) يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ(٥) وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ(٦) قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ(٧) إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ(٨) ۝ قُلْ يَٰعِبَادِ(٩)

---

(١) من أهلها .

(٢) قرأ بالتخفيف مكيّ ونافع وحمزة، على إدخال همزة الاستفهام على (من) وبالتشديد غيرهم، على إدخال (أم) عليه . والقانت المطيع لله . و (من) مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن (هو قانت) كغيره . أى أمن هو مطيع كمن هو عاص . وإنّما حذف لدلالة الكلام عليه . وهو جرى ذكر الكافر قبله، وقوله بعده (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون).

(٣) ساعاته .

(٤) حالان من الضمير فى (قانت) .

(٥) أى عذاب الآخرة .

(٦) أى الجنّة .

ودلّت الآية على أنّ المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لا عمله ويحذر عقابه لتقصيره فى عمله . ثمّ الرجاء إذا جاوز حدّه يكون أمنا والخوف إذا جاوز حدّه يكون إياسا . وقد قال الله تعالى : (فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون) وقال (إنّه لا ييأس من رَوح الله إلّا القوم الكافرون) فيجب ألّا يجاوز أحدهما حدّه .

(٧) أى يعلمون و يعملون به . كأنّه جعل من لا يعمل غير عالم . وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثمّ لا يقنُتون و يفتنّون فيها ثمّ يفتنون بالدنيا . فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء . أو أريد به التشبيه أى كما لا يستوى العالم والجاهل ، كذلك لا يستوى المطيع والعاصى .

(٨) جمع لبّ . أى إنّما يتّعظ بوعظ الله أولو العقول .

(٩) بلا ياء عند الأكثر .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ (١) لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ (٢) وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ (٣) إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤) ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ (٥) مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (٦) ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٧) ﴿١٢﴾

(١) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

(٢) أى (للذين) أطاعوا الله فى الدنيا (حسنة) . و (فى) يتعلّق بأحسنوا لا بحسنة. معناه الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة، أى حسنة لا توصف . وقد علّقه السدى بحسنة ففسّر الحسنة بالصحّة والعافية .

(٣) أى لا عذر للفرّطين فى الإحسان البتّة . حتى إن اعتلّوا بأنّهم لا يتمكنون فى أوطانهم من التوفّر على الإحسان ، قيل لهم فإنّ أرض الله واسعة وبلاده كثيرة . فتحوّلوا إلى بلاد أخر ، واقتدوا بالأنبياء والصالحين فى مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم .

(٤) (إنّما يوفّى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرّع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير (أجرهم بغير حساب). عن ابن عباس رضى الله عنهما لايهتدى إليه حساب الحساب ولا يعرف . وهو حال من الأجر . أى موفّرا .

(٥) بأن أعبد الله .

(٦) أى أمرت بإخلاص الدين .

(٧) (وأمرت) بذلك (لـ) أجل (أن أكون أوّل المسلمين) أى مقدّمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة . والمعنى أنّ الإخلاص له السُّبْقَة فى الدين . فمن أخلص كان سابقا . فالأوّل أمر بالعبادة مع الإخلاص . والثانى بالسبق . فلاختلاف جهتيهما نزّلا منزلة المختلفين . فصحّ عطف أحدهما على الآخر .

قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ [1] ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ [2] قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ [3] ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ [4] ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ [5] ﴿١٦﴾

(١) (قل) لمن دعاك بالرجوع إلى دين آبائك. وذلك أنّ كفّار قريش قالوا له عليه السلام ألا تنظر إلى أبيك وجدّك وسادات قومك يعبدون اللات والعزّى . فنزلت ردّا عليهم .

(٢) هذه الآية إخبار بأنّه يخصّ الله وحده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره . والأولى إخبار بأنّه مأمور بالعبادة والإخلاص، فالكلام أوّلا واقع فى نفس الفعل و إيجاده وثانيا فيمن يُفعَل الفعلُ لأجله . ولذلك رتّب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) . وهذا أمر تهديد .

(٣) قيل له عليه السلام إن خالفت دين آبائك فقد خسرت. فنزلت (قل إنّ الخاسرين) أى الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه (الذين خسروا أنفسهم) بإهلاكها فى النار (وأهليهم) أى وخسروا أهليهم (يوم القيامة) لأنّهم أضلوهم فصاروا إلى النار . ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله (ألا ذلك هوالخسران المبين) حيث صدّر الجملة بحرف التنبيه، ووسّط الفصل بين المبتدأ والخبر، وعرّف الخسران، ونعته بالمبين . وذلك لأنّهم استبدلوا بالجنّة نارا ، و بالدرجات دركات .

(٤) (لهم من فوقهم) أطباق (من النار ومن تحتهم) أطباق من النار هى (ظلل) لآخرين . أى النار محيطة بهم .

(٥) (ذلك) الذى وصف من العذاب أو (ذلك) الظلل (يخوّف الله به عباده) ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهيه . (ياعباد فاتّقون) ولا تتعرّضوا لما يوجب سخطى . خوّفهم بالنار ثم حذّرهم نفسه .

وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ[١] أَن يَعْبُدُوهَا[٢] وَأَنَابُوٓا۟[٣] إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ[٤] فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ[٥] أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ[٦] ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ[٧] ﴿١٩﴾

(١) الشياطين . فعلوت من الطغيان ، كالملكوت والرحموت إلّا أنّ فيها قلبا بتقديم اللام على العين . أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدرا . وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كأنّ عين الشيطان طغيان ، وأنّ البناء بناء مبالغة فإنّ الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط ، والقلب وهو للاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان . والمراد بها ههنا الجمع . وقرئ (الطواغيت) .

(٢) بدل الاشتمال من (الطاغوت) أى عبادتها .

(٣) رجعوا .

(٤) هى البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشّرين وحين يحشرون .

(٥) هم الذين اجتنبوا وأنابوا . وإنّما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة . فوضع الظاهر موضع الضمير . أراد أن يكونوا نقّادا فى الدين — يميّزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل . فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب . وكذا المباح والندب — حراصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا . أو يستمعون القرآن وغيره فيتّبعون القرآن . أو يستمعون أوامر الله فيتّبعون أحسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك . أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو فيحدّث بأحسن ما سمع ويكفّ عمّا سواه .

(٦) أى المنتفعون بعقولهم .

(٧) أصل الكلام أمن حقّ عليه كلمة العذاب — أى وجب — فأنت تنقذه . جملة شرطيّة دخلت عليها همزة الإنكار والفاء فاء الجزاء . ثمّ دخلت الفاء التى فى أوّلها للعطف على محذوف تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حقّ عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه . والهمزة الثانية

لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ(١) مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا(٢) ٱلْأَنْهَـٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ(٣) لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً(٤) فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ(٥) ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ(٦) زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ(٧) ثُمَّ يَهِيجُ(٨) فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا(٩)

هى الأولى كرّرت لتوكيد معنى الإنكار . ووضع (من فى النار) موضع الضمير أى تنقذه . فالآية على هذا جملة واحدة ، أو معناه (أفمن حقّ عليه كلمة العذاب) ينجومنه ؟ أفأنت تنقذه ؟ أى لا يقدر أحد أن ينقذ من أضلّه الله وسبق فى علمه أنّه من أهل النار .

(١) أى لهم منازل فى الجنّة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها . يعنى للكفّار ظلال من النار، وللمتقين غرف .

(٢) أى من تحت منازلها .

(٣) مصدر مؤكّد لأنّ قوله (لهم غرف) فى معنى وعدهم الله ذلك .

(٤) يعنى المطر . وقيل كلّ ماء فى الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثمّ يقسمه الله .

(٥) فأدخله عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الأجساد . و (ينابيع) نصب على الحال أو على الظرف . و (فى الأرض) صفة لينابيع .

(٦) بالماء .

(٧) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض . أو أصنافه من برّ وشعير وسمسم وغير ذلك .

(٨) (ثمّ) يجفّ . (فتراه مصفرّا) بعد نضارته وحسنه .

(٩) فتاتا متكسّرا . فالحطام ما تفتّت وتكسّر من النبت وغيره .

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١) (٢) ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ (٣) فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ (٤) أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥) ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ (٦) أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا (٧) مُّتَشَابِهًا (٨) مَّثَانِيَ (٩)

(١) فى إنزال الماء وإخراج الزرع .

(٢) لتذكيرا وتنبيها على أنّه لا بدّ من صانع حكيم ، وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير ، لا عن إهمال وتعطيل .

(٣) أى وسّع صدره (للإسلام) فاهتدى. وسئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الشرح فقال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح . فقيل فهل لذلك من علامة ؟ قال نعم الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت (فهو على نور من ربّه) بيـان وبصيرة . والمعنى (أفمن شرح الله صـدره) فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه . فحذف لأنّ قوله (فويل للقاسية قلوبهم) يدلّ عليه .

(٤) أى من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله . أى إذا ذكر الله عنـدهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله (فزادتهم رجسا إلى رجسهم) .

(٥) غواية ظاهرة .

(٦) فى إيقاع اسم الله مبتدأ وبناء (نزّل) عليه تفخيم لأحسن الحديث .

(٧) بدل من (أحسن الحديث) أو حال منه .

(٨) يشبه بعضه بعضا فى الصدق والبيان والوعظ والحكمة والإعجاز وغير ذلك .

(٩) نعت. (كتابا) جمع مثنّى بمعنى مردّد ومكرّر لمـا ثنّى من قصصه وأنبـائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه . فهو بيان لكونه متشابها لأنّ القصص المكرّرة وغيرها لاتكون إلّا متشابهة . وقيل لأنّه يثنّى فى التلاوة فلا يملّ . وإنّمـا جاز وصف الواحد بالجمع لأنّ الكتاب جملة ذات تفاصيل . وتفاصيل الشىء هى جملته . ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات . فكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكرّرات. أو منصوب على التمييز من (متشابها) كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل . والمعنى متشابهة مثانيه .

تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ[1] ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ[2] ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ[3] وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ[4] ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ[5] وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ[6] ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ[7]

---

(١) (تقشعر) تضطرب وتتحرك (منه جلود الذين يخشون ربهم) . يقال اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا . والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم . وفى الحديث إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها .

(٢) أى إذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة . وعدى بإلى لتضمنه معنى فعل متعد بإلى كأنه قيل اطمأنت إلى ذكر الله لينة غير متقبضة . واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لأن رحمته سبقت غضبه فلأصالة رحمته إذا ذكر الله لم يخطر بالبال إلا كونه رءوفا رحيما . وذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لأن محل الخشية القلب ، فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب .

(٣) (ذلك) إشارة إلى الكتاب . وهو (هدى الله يهدى به من يشاء) من عباده . وهم من علم منهم اختيار الاهتداء .

(٤) (ومن) يخلق الضلالة فيه (فما له من هاد) إلى الحق .

(٥) (أفمن يتقى) كمن أمن من العذاب . فحذف الخبر كما حذف فى نظائره . وسوء العذاب شدته . ومعناه أن الإنسان إذا لقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقى بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه . والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقى النار إلا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه .

(٦) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون) أى كسبكم .

(٧) من قبل قريش .

فَأَتَاهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ[١] ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ[٢] ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ[٣] ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا[٤] غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ[٥] ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا[٦] فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ[٧] وَرَجُلًا سَلَمًا[٨] لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا[٩]

(١) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أنّ الشرّ يأتيهم منها . بينا هم آمنون إذ فوجئوا من مأمنهم .

(٢) (فأذاقهم الله) الذلّ والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله (فى الحياة الدنيا .ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا . (لو كانوا يعلمون) لآمنوا .

(٣) ليتّعظوا .

(٤) حال مؤكّدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا و إنسانا عاقلا . فتذكر رجلا و إنسانا توكيدا . أو نصب على المدح .

(٥) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف . ولم يقل مستقيما للإشعار بألّا يكون فيه عوج قطّ . وقيل المراد بالعوج الشكّ .(لعلّهم يتّقون) الكفر .

(٦) بدل .

(٧) متنازعون ومختلفون .

(٨) (سلما) — مصدر سلم والمعنى ذا سلامة — (لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة. (سالمـا) مكّىّ وأبو عمرو ، أى خالصا له .

(٩) صفة. وهو تمييز . والمعنى هل تستوى صفتاهما وحالاهما . وإنّمـا اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس .وقرئ (مثلين) .

مثّل الكافر ومعبوديه بعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنـازع واختلاف وكلّ واحد منهم يدّعى أنّه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهن شتّى وهو متحيّر لا يدرى أيّهم يرضى بخدمته وعلى أيّهم يعتمد فى حاجاته وممن يطلب رزقه وممّن يلتمس رفقه فهمّه شعاع وقلبه أوزاع ، والمؤمن بعبد له سيّد واحد فهمّه واحد وقلبه مجتمع .

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٢) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١) (الحمد لله) الذى لا إله إلّا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره .

(٢) (إنّك ميّت) أى ستموت (وإنّهم ميّتون) . وبالتخفيف من حلّ به الموت . قال الخليل : أنشد أبو عمرو :

وتسألنى تفسير ميْت وميّت * فدونك قد فسّرتُ إن كنت تعقل

فمن كان ذا روح فذلك ميّت * وما الميْت إلا مَن إلى القبر يُحمل

كانوا يتربّصون برسول الله صلّى الله عليه وسلّم موته. فأخبر أنّ الموت يعمّهم. فلا معنى للتربّص وشماتة الفانى بالفانى. وعن قتادة "نعى إلى نبيّه نفسه ونعى إليكم أنفسكم". أى إنّك وإيّاهم فى عداد الموتى لأنّ ما هو كائن فكأن قد كان .

(٣) (ثمّ إنّكم) أى إنّك وإيّاهم — فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب — (يوم القيامة عند ربّكم تختصمون) فتحتجّ أنت عليهم بأنّك بلّغت فكذّبوا واجتهدت فى الدعوة فلجّوا فى العناد ، ويعتذرون بما لا طائل تحته . تقول الأتباع أطعنا ساداتنا وكبراءنا ، وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون. قال الصحابة رضى الله عنهم أجمعين "ما خصومتنا ونحن إخوان"؟ فلمّا قتل عثمان رضى الله عنه قالوا "هذه خصومتنا". وعن أبى العالية: نزلت فى أهل القبلة . وذلك فى الدماء والمظالم التى بينهم . والوجه هو الأوّل؛ ألا ترى إلى قوله (فمن أظلم ممن كذب على الله) وقوله (والذى جاء بالصدق وصدّق به) وما هو إلّا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة . (كذب على الله) افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه .

وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ (١) أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (٢) (٣) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٥) أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ (٦) عَبْدَهُ (٧)

---

(١) بالأمر الذى هو الصدق بعينه . وهو ما جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم .

(٢) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال رويّة أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون .

(٣) أى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذّبوا بالصدق . واللام فى (للكافرين) إشارة إليهم .

(٤) هو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . جاء بالحقّ وآمن به . وأراد به إيّاه ومن تبعه كما أراد بموسى إيّاه وقومه فى قوله (ولقد آتينا موسى الكتاب لعلّهم يهتدون) فلذا قال تعالى (أولئك هم المتّقون). وقال الزجّاج روى عن علىّ رضى الله عنه أنّه قال (والذى جاء بالصدق) محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، (و) الذى (صدّق به) أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه. وروى أنّ الذى جاء بالصدق محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، والذى صدّق به المؤمنون . والكلّ صحيح . كذا قاله . قالوا والوجه فى العربيّة أن يكون (جاء) و (صدّق) لفاعل واحد لأنّ التغاير يستدعى إضمار الذى وذا غير جائز أو إضمار الفاعل من غير تقدّم الذكر وذا بعيد .

(٥) إضافة أسوأ وأحسن من إضافة الشىء إلى ماهو بعضه من غير تفضيل كقولك : الأشجّ أعدل بنى مروان .

(٦) أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفى فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها .

(٧) أى محمّدا صلّى الله عليه وسلّم . (عباده) حمزة وعلىّ أى الأنبياء والمؤمنين . وهو مثل (إنّا كفيناك المستهزئين) .

وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ (١) وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (٢) ﴿٣٨﴾

---

(١) أى بالأوثان التى اتّخذوها آلهة من دونه، وذلك أنّ قريشا قالت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنّا نخاف أن تخبلك آلهتنا و إنّا نخشى عليك مضرّتها لعيبك إيّاها .

(٢) (أليس الله) بغالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه . وفيه وعيد لقريش ووعد للؤمنين بأنّه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم . ثمّ أعلم بأنّهم مع عبادتهم الأوثان مقرّون بأنّ الله تعالى خالق السموات والأرض بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله) — بفتح الياء سوى حمزة — (بضرّ) مرض أو فقر أو غير ذلك (هل هنّ كاشفات ضرّه) دافعات شدّته عنّى (أو أرادنى برحمة) صحّة أو غنى أو نحوهما (هل هنّ ممسكات رحمته) . (كاشفاتٌ ضرَّه وممسكاتٌ رحمتَه) بالتنوين على الأصل بصرىّ . وفرض المسألة فى نفسه دونهم لأنّهم خوّفوه معرّة الأوثان وتخبيلها فأمر بأن يقرّرهم أوّلا بأنّ خالق العالم هو الله وحده، ثمّ يقول لهم بعد التقرير فإن أرادنى خالق العالم الذى أقررتم به بضرّ أو برحمة هل يقدرون على خلاف ذلك ؟ فلمّا أفحمهم قال الله تعالى (قل حسبى الله) كافيا لمعرّة أوثانكم (عليه يتوكّل المتوكّلون) . يروى أنّ النبى صلّى الله عليه وسلّم سألهم فسكتوا فنزل (قل حسبى الله) وإنّما قال (كاشفات وممسكات) على التأنيث بعد قوله (ويخوّفونك بالذين من دونه) لأنّهنّ إناث . وهنّ اللات والعزّى ومناة . وفيه تهكّم بهم وبمعبوديهم .

قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ(١) إِنِّى عَـٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ(٢) لِلنَّاسِ(٣) بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا(٤) وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا(٥) فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى

---

(١) (على مكانتكم) على حالكم التى أنتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمكّنتم منهـا . والمكانة بمعنى المكان . فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان . (إنّى عامل) أى على مكانتى . وحذف للاختصار ، ولمـا فيه من زيادة الوعيد والإيذان بأنّ حالته تزداد كلّ يوم قوّة ، لأنّ الله تعالى ناصره ومعينـه . ألا ترى إلى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم) كيف توعّدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لأنّهم إذا أتاهم الخزى والعذاب فذاك عزّه وغلبته من حيث إنّ الغلبة تتمّ له بعزّ عزيز من أوليائه وبذلّ ذليل من أعدائه . و (يخزيه) صفة للعـذاب كمقيم . أى عذاب مخـزٍ له ، وهو يوم بدر ، وعذاب دائم ، وهو عذاب النـار . (مكاناتكم) أبو بكر وحمّاد .

(٢) القرآن .

(٣) لأجلهم ولأجل حاجتهم إليـه ليبشّروا وينذروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية .

(٤) فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرّها .

(٥) (وما أنت عليهم بوكيل) بحفيظ . ثمّ أخبر بأنّه الحفيظ القدير عليهم بقوله (الله يتوفّى الأنفس حين موتها) الأنفس الجمل كما هى . وتوفّيها إماتتها وهو أن يسلب ماهى به حيّة حسّاسة درّاكة .(و) يتوفّى الأنفس (التى لم تمت فى منامها) أى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[١] ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ[٢]

حيث لا يميّزون ولا يتصرّفون كما أنّ الموتى كذلك . ومنه قوله تعالى (وهو الذى يتوفّاكم بالليل) (فيمسك)الأنفس(التى قضى)—(قُضِىَ) حمزة وعلىّ (عليها الموت) الحقيقىّ. أى لا يردّها فى وقتها حيّة (ويرسل الأخرى) النائمة (إلى أجل مسمّى) إلى وقت ضربه لموتها . وقيل (يتوفّى الأنفس) أى يستوفيها و يقبضها . وهى الأنفس التى تكون معها الحياة والحركة (و) يتوفّى الأنفس (التى لم تمت فى منامها) وهى أنفس التميـيز قالوا فالتى تُتوفّى فى المنـام هى نفس التمييز لا نفس الحياة لأنّ نفس الحياة إذا زالت زال معها النفَس ، والنـائم يتنفس . ولكلّ إنسان نفْسان إحداهما نفس الحياة وهى التى تفارق عنـد الموت ، والأخرى نفس التمييز وهى التى تفارقه إذا نام . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما "فى ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس ، فالنفس هى التى بها العقل والتمييز . والروح هى التى بها النفس والتحرّك . فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه".وعن علىّ رضى الله عنه قال "تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا . فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة ". وعنه ما "رأت نفس النـائم فى السماء فهى الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الإرسال فيلقنها الشيطان فهى كاذبة"وعن سعيد بن جبير "أنّ أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقى فى المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف (فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى) إلى أجسادها إلى انقضاء مدّة حياتها ".وروى"أنّ أرواح المؤمنين تعرج عند النوم فى السماء ، فمن كان منهم طاهرا أذن له فى السجود ، ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن لهم فيه " .

(١) (إنّ فى)توفّى الأنفس مائتة ونائمة وإمساكها وإرسالها إلى أجل(لآيات) على قدرة الله وعلمه (لقوم يتفكّرون) يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون .

(٢) بل اتّخذ قريش — والهمزة للإنكار —(من دون) إذن (الله شفعاء) حين قالوا (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ، ولا يشفع عنده أحد إلّا بإذنه .

قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ (١) ۝ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا (٢) لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ (٣) ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤) ۝ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٥) ۝ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ (٦) أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝

---

(١) معناه (أ) يشفعون (ولو كانوا لا يملكون شيئا) قطّ ولا عقل لهم .

(٢) أى هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة إلّا باذنه . وانتصب (جميعا) على الحال .

(٣) تقرير لقوله (لله الشفاعة جميعا) لأنه إذا كان له الملك كلّه ، والشفاعة من الملك ، كان مالكا لها .

(٤) متّصل بما يليه . معناه (له ملك السموات والأرض) اليوم (ثمّ إليه ترجعون) يوم القيامة ، فلا يكون الملك فى ذلك اليوم إلّا له . فله ملك الدنيا والآخرة .

(٥) مدار المعنى على قوله (وحده) . أى إذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم (اشمأزّت) أى نفرت وانقبضت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه) يعنى آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر (إذا هم يستبشرون) لافتتانهم بها . وإذا قيل لا إله إلّا الله وحده لا شريك له نفروا لأنّ فيه نفيا لآلهتهم . ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كلّ واحد منهما غاية فى بابه ، فالاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتّى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلّل ، والاشمئزاز أن يمتلئ غمّا وغيظا حتّى يظهر الانقباض فى أديم وجهه . والعامل فى (إذا ذكر) هو العامل فى (إذا) المفاجأة . تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجئوا وقت الاستبشار .

(٦) أى يا (فاطر) — وليس بوصف كما يقوله المبرّد والفرّاء — (السموات والأرض عالم الغيب والشهادة) السرّ والعلانية (أنت) تقضى (بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة ، وقيل

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ(١) لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ(٢) يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ(٣) ۝ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟(٤) وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ(٥) ۝

هذه محاكمة من النبيّ للمشركين إلى الله . وعن ابن المسيّب لا أعرف آية قرئت فدعى عندها إلّا أجيب، سواها . وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام أنّه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالوا الآن يتكلّم فما زاد أن قال آه أو قد فعلوا؟ وقرأ هذه الآية . وروى أنّه قال على أثره "قتل من كان صلّى الله عليه وسلّم يجلسه فى حجره ويضع فاه على فيه" .

(١) الهاء تعود الى ما .

(٢) شدّته .

(٣) وظهر لهم من سخط الله وعذابه مالم يكن قطّ فى حسبانهم ولا يحدّثون به نفوسهم . وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هى سيّئات . وعن سفيان الثورى أنّه قرأها فقال : ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء . وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له . فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها . فأنا أخشى أن يبدو لى من الله ما لم أحتسبه .

(٤) أى سيّئات أعمالهم التى كسبوها . أو سيّئات كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك .

(٥) ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم .

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [1] ﴿٤٩﴾

[1] (خولناه) أى أعطيناه تفضلا — يقال خولنى إذا أعطاك على غير جزاء — (نعمة منّا) — ولا تقف عليه لأنّ جواب (إذا) — (قال إنّما أوتيته على علم) منّى أنّى سأعطاه لما فىّ من فضل واستحقاق. أو (على علم) منّى بوجوه الكسب كما قال قارون (على علم عندى). وإنّما ذكّر الضمير فى (أوتيته) وهو للنعمة نظرا إلى المعنى لأنّ قوله (نعمة منّا) شيئا من النعمة وقسما منها. وقيل (ما) فى (إنّما) موصولة لا كافّة فيرجع الضمير إليها، أى إنّ الذى أوتيته على علم. (بل هى فتنة) — إنكار له. كأنّه قال ماخولناك من النعمة لما تقول (بل هى فتنة) أى ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر. ولمّا كان الخبر مؤنّثا أعنى (فتنة) ساغ تأنيث المبتدأ لأجله. وقرئ (بل هو فتنة) على وفق (إنّما أوتيته) — (ولكنّ أكثرهم لا يعلمون) أنّها فتنة. والسبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أوّل السورة بالواو أنّ هذه وقعت مسبّبة عن قوله (وإذا ذكر الله وحده اشمأزّت) على معنى أنّهم يشمئزّون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مسّ أحدهم ضرّ دعا من اشمأزّ بذكره دون من استبشر بذكره. وما بينهما من الآى اعتراض. فإن قلت حقّ الاعتراض أن يؤكّد المعترض بينه وبينه. قلت مافى الاعتراض من دعاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم ربّه بأمر من الله، وقوله (أنت تحكم بين عبادك) ثمّ ما عقّبه من الوعيد العظيم، تأكيد لإنكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله فى الشدائد دون آلهتهم. كأنّه قيل قل يارب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجراءة إلّا أنت. وقوله (ولو أنّ للذين ظلموا) متناول لهم ولكلّ ظالم إن جعل عامّا أو إيّاهم خاصّة إن عنيتهم به. كأنّه قيل (ولو أنّ) لهؤلاء الظالمين (ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به) حين حكم عليهم بسوء العذاب. وأمّا الآية الأولى فلم تقع مسبّبة وما هى إلّا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو. وبيان وقوعها مسبّبة أنّك تقول زيد يؤمن بالله فإذا مسّه ضرّ التجأ إليه فهذا تسبيب ظاهر، ثمّ تقول زيد كافر بالله فإذا مسّه ضرّ التجأ إليه فتجىء بالفاء مجيئك بها ثمّة كأنّ الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان فى جعله سببا فى الالتجاء.

قَدْ قَالَهَا[1] ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ[2] عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ[3] ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟[4] وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[5] ﴿٥٢﴾

---

(١) هذه المقالة وهى قوله (إنّما أوتيته على علم) .

(٢) أى قارون وقومه حيث قال (إنّما أوتيته على علم عندى) وقومه راضون بها، فكأنّهم قالوها . ويجوز أن يكون فى الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها .

(٣) من متاع الدنيا وما يجمعون منها .

(٤) أى جزاء سيّئات كسبهم ، أو سمّى جزاء السيّئة سيّئة للازدواج كقوله (وجزاء سيّئة سيّئة مثلها) .

(٥) (والذين) كفروا (من) مشركى قومك (سيصيبهم سيّئات ما كسبوا) أى سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك . فقتل صناديدهم ببدر . وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين (وما هم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله . ثمّ بسط لهم فمطروا سبع سنين . فقيل لهم (أولم يعلموا أنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ويضيّق؟ وقيل يجعله على قدر القوت (إنّ فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بأنّه لا قابض ولا باسط إلّا الله عزّ وجلّ .

قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ أَن[1] تَقُولَ نَفْسٌ[2] يَٰحَسْرَتَىٰ[3] عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ[4][5]

(١) (ياعبادىَ) — وبسكون الياء بصرىّ وحمزة وعلىّ — (الذين أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالإسراف فى المعاصى والغلو فيها (لاتقنطوا) لا تيئسوا — و بكسر النون علىّ وبصرىّ — (من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعا) بالعفو عنها إلّا الشرك . وفى قراءة النبىّ عليه السلام (يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى). ونظير نفى المبالاة نفى الخوف فى قوله (ولا يخاف عقباها) . قيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه . وعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم "ما أحبّ أنّ لى الدنيا وما فيها بهذه الآية". (إنّه هو الغفور) بستر عظائم الذنوب (الرحيم) بكشف فظائع الكروب. (وأنيبوا إلى ربّكم) وتوبوا إليه (وأسلموا له) وأخلصوا له العمل (من قبل أن يأتيكم العذاب ثمّ لا تنصرون) إن لم تتوبوا قبل نزول العقاب . (واتّبعوا أحسن ما أنزل إليكم من من ربّكم) مثل قوله (الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه) . وقوله (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون) أى يفجأكم وأنتم غافلون كأنّكم لاتخشون شيئا لفرط غفلتكم .

(٢) لئلا تقول .

(٣) إنّما نكّرت لأنّ المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر . ويجوز أن يراد نفس متميّزة من الأنفس إمّا بلَجاج فى الكفر شديد ، أو بعذاب عظيم . ويجوز أن يراد التكثير .

(٤) الألف بدل من ياء المتكلّم . وقرئ (ياحسرتِى) على الأصل ، و (ياحسرتاى) على الجمع بين العوض والمعوّض منه .

(٥) قصّرت . و (ما) مصدريّة مثلها فى (بما رحبت) .

فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ (١) وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ (٢) ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٣) ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٤) ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٥) ﴿٥٩﴾

(١) فى أمر الله أو فى طاعة الله، أو فى ذاته . وفى حرف عبد الله (فى ذكر الله) . والجنب الجانب . يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته ، وفلان لين الجانب والجنب . ثم قالوا فرّط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقّه . وهذا من باب الكناية لأنّك إذا أثبتّ الأمر فى مكان الرجل وحيّزه فقد أثبتّه فيه . ومنه الحديث "من الشرك الخفىّ أن يصلّى الرجل لمكان الرجل ، أى لأجله" . وقال الزجّاج : معناه فرّط فى طريق الله . وهو توحيده والإقرار بنبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم .

(٢) المستهزئين . قال قتادة : لم يكفه أن ضيّع طاعة الله حتّى سخر من أهلها . ومحلّ (وإن كنت) النصب على الحال كأنّه قال فرّطت وأنا ساخر . أى فرّطت فى حال سخريتى .

(٣) (لو أنّ الله) أعطانى الهداية (لكنت) من الذين يتّقون الشرك . قال الشيخ الإمام أبو منصور رحمه الله تعالى : هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة . وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لأتباعهم (لو هدانا الله لهديناكم) يقولون لو وفّقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه ، ولكن علم منّا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفّقنا ، والمعتزلة يقولون : بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنّهم لم يهتدوا . والحاصل أنّ عند الله لطفا من أعطى ذلك اهتدى . وهو التوفيق والعصمة . ومن لم يعطه ضلّ وغوى ، وكان استحبابه العذاب وتضييعه الحقّ بعد ما مكّن من تحصيله ، لذلك .

(٤) (لو أنّ لى كرّة) رجعة إلى الدنيا (فأكون من المحسنين) من الموحّدين .

(٥) (بلى) ردّ من الله عليه كأنّه يقول (بلى قد جاءتك آياتى) وبيّنت لك الهداية من الغواية ، وسبيل الحقّ من الباطل ، ومكّنتك من اختيار الهداية على الغواية ، واختيار الحقّ على الباطل . ولكن تركت ذلك وضيّعته واستكبرت عن قبوله ، وآثرت الضلالة على

وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ(١) أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ(٢) ۝ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٣) ۝ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ(٤) وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ(٥) ۝

الهدى ، واشتغلت بضدّ ما أمرت به . فإنّما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك . و (بلى) جواب لنفى تقديرىّ لأنّ معنى (لو أنّ الله هدانى) ما هديت . و إنّما لم يقرن الجواب به لأنّه لا بدّ من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ، ثمّ الجواب من بينها عمّا اقتضى الجواب .

(١) (كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه من إضافة الشريك والولد إليه ونفى الصفات عنه . (وجوههم) مبتدأ (مسودّة) خبر . والجملة فى محلّ النصب على الحال إن كان (ترى) من رؤية البصر . وإن كان من رؤية القلب فمفعول ثان .

(٢) (مثوى) منزل (للتكبّرين) هو إشارة إلى قوله (واستكبرت) .

(٣) (ويُنجى) روح (الذين اتّقوا) من الشرك (بمفازتهم) بفلاحهم . يقال فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه . وتفسير المفازة (لا يمسّهم السوء) النار (ولا هم يحزنون) كأنّه قيل : وما مفازتهم؟ فقيل (لا يمسّهم السوء) أى ينجّيهم بنفى السوء والحزن عنهم . أى لا يمسّ أبدانهم أذى، ولا قلوبهم خزى . أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى (فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب) أى بمنجاة منه . لأنّ النجاة من أعظم الفلاح . وسبب منجاتهم العمل الصالح . ولهذا فسّر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة . ويجوز بسبب فلاحهم لأنّ العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنّة . ويجوز أن يسمّى العمل الصالح فى نفسه مفازة لأنّه سببها . ولا محلّ لـ (لا يمسّهم) على التفسير الأوّل لأنّه كلام مستأنف ومحلّه النصب على الحال على الثانى . (بمفازاتهم) كوفىّ غير حفص .

(٤) ردّ على المعتزلة والثنويّة .

(٥) حافظ .

لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[1] وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ[2] ۝ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ[3] ۝ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ[4]

---

(١) أى هو مالك أمرها وحافظها . وهو من باب الكناية لأنّ حافظ الخزائن ومدبّر أمرها هو الذى يملك مقاليدها . ومنه قولهم فلان ألقيتْ إليه مقاليد الملك . وهى المفاتيح واحدها مِقْليد . وقيل لا واحد لها من لفظها . والكلمة أصلها فارسيّة .

(٢) هو متّصل بقوله (وينجّى الله الذين اتّقوا) أى ينجّى الله المتّقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون . واعترض بينهما بأنّه خالق كلّ شىء فهو مهيمن عليه فلا يخفى عليه شىء من أعمال المكلّفين فيها وما يجزون عليها . أو بما يليه على أنّ كلّ شىء فى السموات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه (والذين كفروا) وجحدوا أن يكون الأمر كذلك (أولئك هم الخاسرون) . وقيل سأل عثمان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن تفسير قوله (له مقاليد السموات والأرض) فقال ياعثمان : ما سألنى عنها أحد قبلك . تفسيرها لا إله إلّا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلّا بالله . هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كلّ شىء قدير . وتأويله على هذا أنّ لله هذه الكلمات يوحّد بها ويمجّد . وهى مفاتيح خير السموات والأرض من تكلّم بها من المتّقين أصابه (والذين كفروا بآيات الله) وكلمات توحيده وتمجيده (أولئك هم الخاسرون) .

(٣) (قل) لمن دعاك إلى دين آبائك (أفغير الله تأمرونّى أعبد) . (تأمرونّى) مكّىّ . (تأمرونَنى) على الأصل شامىّ . (تأمرونِىَ) مدنىّ . وانتصبْ (أفغير الله) بأعبد . و(تأمرونّى) اعتراض . ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان (أيّها الجاهلون) بتوحيد الله ؟

(٤) من الأنبياء عليهم السلام .

لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ (١) ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ (٢) وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ (٣) ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ (٤)

(١) (ليحبطنّ عملك) الذى عملت قبل الشرك (ولتكوننّ من الخاسرين). وإنّما قال (لئن أشركت) على التوحيد والموحى إليهم جماعة لأنّ معناه أوحى إليك لئن أشركت ليحبطنّ عملك وإلى الذين من قبلك مثله. واللام الأولى موطّئة للقسم المحذوف، والثانية لام الجواب. وهذا الجواب سادّ مسدّ الجوابين، أعنى جوابى القسم والشرط. وإنّما صحّ هذا الكلام مع علمه تعالى بأنّ رسله لا يشركون لأنّ الخطاب للنبيّ عليه السلام والمراد به غيره، ولأنّه على سبيل الفرض. والمحالات يصحّ فرضها. وقيل لئن طالعت غيرى فى السرّ ليحبطنّ ما بينى وبينك من السرّ.

(٢) ردّ لما أمروه به من عبادة آلهتهم. كأنّه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن عبدت فاعبد الله. فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه.

(٣) (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيّد ولد آدم.

(٤) وما عظّموه حقّ عظمته إذ دعوك إلى عبادة غيره. ولمّا كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حقّ معرفته وقدّره فى نفسه حقّ تقديره، عظّمه حقّ تعظيمه، قيل (وما قدروا الله حقّ قدره). ثمّ نبّههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال: (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويّات بيمينه) والمراد بهذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز. والمراد بالأرض الأرضون السبع. يشهد لذلك قوله (جميعا) وقوله (والسموات) ولأنّ الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة. (والأرض) مبتدأ و(قبضته) الخبر و(جميعا) منصوب على الحال. أى والأرض إذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة. والقبضة المرّة من القبض. والقُبْضة المقدار المقبوض بالكفّ، ويقال اعطنى قَبضة من كذا تريد معنى القُبْضة تسمية بالمصدر، وكلا المعنيين محتمل. والمعنى والأرضون (جميعا قبضته) أى

سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (1) ۝ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (2) ۝ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا (3)

ذوات قبضته يقبضهنّ قبضة واحدة . يعنى أنّ الأرضين مع عظمهنّ وبسطتهنّ لايبلغن إلّا قبضة واحدة من قبضاته كأنّه يقبضها قبضة بكفّ واحدة كما تقول : الجزور أكلة لقمان . أى لاتفى إلّا بأكلة فذّة من أكلاته . وإذا أريد معنى القُبْضة فظاهر لأنّ المعنى أنّ الأرضين بجملتها مقدار مايقبضه بكفّ واحدة. والمطويّات من الطىّ الذى هو ضدّ النشر كما قال (يوم نطوى السماء كطىّ السجلّ للكتب) وعادة طاوى السجلّ أن يطويه بيمينه . وقيل (قبضته) ملكه بلا مدافع ولا منازع . و(بيمينه) بقدرته وقيل (مطويّات بيمينه) مُفْنيَات بقَسمه لأنّه أقسم أن يفنيها .

[1] ماأبعد مَن هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عمّا يضاف إليه من الشركاء .

[2] (فصعق) مات (من فى السموات ومن فى الأرض إلّا من شاء الله) أى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، وقيل هم حملة العرش ، أو رضوان والحور العين ، ومالك والزبانية.(أخرى) فى محلّ الرفع لأنّ المعنى (ونفخ فى الصور) نفخة واحدة (ثمّ نفخ فيه) نفخة (أخرى). وإنّما حذفت لدلالة (أخرى) عليها ولكونهامعلومة بذكرها فى غير مكان.(فإذا هم قيام ينظرون)يقلّبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب . أو ينظرون أمر الله فيهم . ودلّت الآية على أنّ النفخة اثنتان : الأولى للموت ، والثانيـة للبعث . والجمهور على أنّها ثلاث : الأولى للفزع كما قال (ونفخ فى الصور ففزع)، والثانية للموت، والثالثة للإعادة .

[3] أضاءت (بنور ربّهـا) أى بعدله بطريق الاستعارة . يقال للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك ، وأضاءت الدنيا بقسطك . كما يقال أظلمت البلاد بجور فلان . وقال عليه الصلاة والسلام : الظلم ظلمات يوم القيامة . وإضافة اسمه إلى الأرض لأنّه يزيّنهـا حيث

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا[1] وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ[2] ۝

ينشر فيها عدله ، وينصب فيها موازين قسطه ، ويحكم بالحق بين أهلها . ولا ترى أزين للبقاع من العدل ، ولا أعمر لها منه . وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يجوز أن يخلق الله نورا فينوّر به أرض الموقف . وإضافته إليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله .

(١) (ووضع الكتاب) أى صحائف الأعمال ولكنّه اكتفى باسم الجنس أو اللوح المحفوظ (وجىء بالنبيّين) ليسألهم ربّهم عن تبليغ الرسالة وما أجابهم قومهم (والشهداء) الحفظة . وقيل هم الأبرار فى كلّ زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان (وقضى بينهم) بين العباد (بالحقّ) بالعدل (وهم لا يظلمون) ختم الآية بنفى الظلم كما افتتحها باثبات العدل (ووفّيت كلّ نفس ماعملت) أى جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) من غير كتاب ولا شاهد . وقيل هذه الآية تفسير قوله (وهم لا يظلمون) أى (ووفّيت كلّ نفس ماعملت) من خير وشرّ لا يزاد فى شرّ ولا ينقص من خير (وسيق الذين كفروا إلى جهنّم) سوقا عنيفا كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل (زمرا) حال ، أى أفواجا متفرّقة بعضها فى أثر بعض (حتى إذا جاءوها فتحت) بالتخفيف فيهما كوفىّ (أبوابها) وهى سبعة .

(٢) (وقال لهم) حفظة جهنّم وهم الملائكة الموكّلون بتعذيب أهلها (ألم يأتكم رسل منكم) من بنى آدم (يتلون عليكم آيات ربّكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى وقتكم هذا ، وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا (ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين) أى ولكن وجبت علينا كلمة الله (لأملأنّ جهنّم) بسوء أعمالنا كما قالوا (غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوما ضالّين) فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال .

قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا (١) فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٢) ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا (٣) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ (٤) فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾

---

(١) حال مقدرة أى مقدّرين الخلود .

(٢) اللام فيه للجنس لأنّ مثوى المتكبّرين فاعل (بئس) و بئس فاعلها اسم معرّف بلام الجنس أو مضاف إلى مثله . والمخصوص بالذّم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبّرين جهنّم .

(٣) المراد سوق مراكبهم لأنّه لا يذهب بهم إلّا راكبين إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم و يشرّف من الوافدين على بعض الملوك .

(٤) (حتّى) هى التى تحكى بعدها الجمل والجمل المحكيّة بعدها هى الشرطية إلّا أنّ جزاءها محذوف . و إنّما حذف لأنّه فى صفة ثواب أهل الجنّة فدلّ بحذفه على أنّه شيء لايحيط به الوصف . وقال الزجاج تقديره (حتّى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها فحذف دخلوها لأنّ فى الكلام دليلا عليه . وقال قوم (حتّى إذاجاءوها) جاءوها (وفتحت أبوابها) فعندهم جاءوها محذوف . والمعنى (حتّى إذا جاءوها) وقع مجيئهم مع فتح أبوابها . وقيل أبواب جهنّم لاتفتح إلّا عند دخول أهلها فيها . وأما أبواب الجنّة فتقدّم فتحها لقوله تعالى (جنّات عدن مفتّحة لهم الأبواب) فلذلك جيء بالواو كأنّه قال (حتّى إذا جاءوها و) قد (فتحت أبوابها) . (طبتم) من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا . وقال الزجّاج : أى كنتم طيّبين فى الدنيا ولم تكونوا خبيثين . أى لم تكونوا أصحاب خبائث . وقال ابن عباس: طاب لكم المقام . وجعل دخول الجنّة مسببا عن الطيب والطهارة لأنّها دار الطيّبين ، ومثوى الطاهرين . قد طهّرها الله من كلّ دنس ، وطيّبها من كلّ قذر . فلا يدخلها إلّا مناسب لها موصوف بصفتها .

وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ (١) وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ (٢) ۝ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ (٣) وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ (٤) وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٥) ۝

---

(١) أنجزنا ما وعدنا فى الدنيا من نعيم العقبى .

(٢) (وأورثنا) أرض الجنّة . وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها . وأطلق تصرّفهم فيها كما يشاءون تشبيها بحال الوارث وتصرّفه فيما يرثه واتّساعه فيه. (نتبوّأ) -حال- (من الجنّة حيث نشاء) أى يكون لكلّ واحد منهم جنّة لاتوصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوّأ أى فيتّخذ متبوّأ ومقرّا من جنّته حيث يشاء (فنعم أجر العاملين) فى الدنيا ، الجنّة .

(٣) (حافّين) — حال من الملائكة — (من حول العرش) أى محدقين من حوله . و(من) لابتداء الغاية أى ابتداء حفوفهم من حول العرش إلى حيث شاء الله. (يسبّحون) حال من الضمير فى (حافّين) (بحمد ربهم) أى يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر . أو سُبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح . وذلك للتلذّذ دون التعبّد لزوال التكليف .

(٤) (وقضى) بين الأنبياء والأمم . أو بين أهل الجنّة والنار (بالحقّ) بالعدل .

(٥) أى يقول أهل الجنّة شكرا حين دخولها وتمّ وعد الله لهم كما قال (وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين) وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرأ كلّ ليلة بنى إسرائيل والزمر .

سورة غافر مكّيّة

وهى خمس وثمانون آية

(الحواميم السبع كلّها مكّيّة عن ابن عباس رضى الله عنهما)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ (١) ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٢) ۝

(١) (حم) وما بعده بالإمالة حمزة وعلىّ وخلف ويحيى وحمّاد . وبين الفتح والكسر مدنىّ . وغيرهم بالتفخيم . وعن ابن عباس أنّه اسم الله الأعظم .

(٢) أى هذا (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أى المنيع بسلطانه عن أن يتقوّل عليه متقوّل (العليم) بمن صدّق به وكذّب — فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين — (غافر الذنب) ساتر ذنب المؤمنين (وقابل التوب) قابل توبة الراجعين (شديد العقاب) على المخالفين (ذى الطول) ذى الفضل على العارفين ، أو ذى الغنى عن الكلّ . وعن ابن عباس (غافر الذنب وقابل التوب) لمن قال لا إله إلّا الله (شديد العقاب) لمن لا يقول لا إله إلّا الله . والتوب والثوب والأوب أخوات فى معنى الرجوع . والطوْل الغنى والفضل . فإن قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة ؟ قلت أمّا (غافر الذنب وقابل التوب) فمعرفتان لأنّه لم يرد بهما حدوث الفعلين حتّى يكونا فى تقدير الانفصال فتكون إضافتها غير حقيقيّة ، وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه . وأمّا (شديد العقاب) فهو فى تقدير شديد عقابه فتكون نكرة فقيل هو بدل ، وقيل لمّا وجدت هذه

مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ (١) فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ (٢)

النكرة بين هذه المعارف آذنت بأنّ كلّها أبدال غير أوصاف . و إدخال الواو فى (وقابل التوب) لنكتة وهى إفادة الجمع للذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات ، وأن يجعلها محّاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنّه قال جامع المغفرة والقبول . وروى أنّ عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام ، فقيل له تتابع فى هذا الشراب . فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذى لا إله إلّا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير وختم الكتاب . قال لرسوله لا تدفعه إليه حتّى تجده صاحيا ثمّ أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلمّا أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدنى الله أن يغفر لى وحذّرنى عقابه. فلم يبرح يردّدها حتّى بكى . ثمّ نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته . فلمّا بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا . إذا رأيتم أخاكم قد زلّ زلّة فسدّدوه ووفّقوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه. (لا إله إلّا هو) صفة أيضا لذى الطول . ويجوز أن يكون مستأنفا . (إليه المصير) المرجع .

(١) ما يخاصم فيها بالتكذيب بها والإنكار لها (إلّا الذين كفروا). وقد دلّ على ذلك فى قوله (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ) . فأمّا الجدال فيها لإيضاح ملتبسها ، وحلّ مشكلها ، واستنباط معانيها ، وردّ أهل الزيغ بها ، فأعظم جهاد فى سبيل الله .

(٢) (فلا يغررك تقلّبهم فى البلاد) بالتجارات النافقة، والمكاسب المربحة، سالمين غانمين. فإنّ عاقبة أمرهم إلى العذاب. ثمّ بيّن كيف ذلك فأعلم أنّ الأمم الذين كذّبت قبلهم أهلكت . فقال: (كذّبت قبلهم قوم نوح) نوحا (والأحزاب) أى الذين تحزّبوا على الرسل وناصبوهم — وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم — (من بعدهم) من بعد قوم نوح (وهمّت كلّ أمّة) من هذه الأمم التى هى قوم نوح والأحزاب (برسولهم ليأخذوه) ليتمكّنوا منه فيقتلوه. والأخيذ الأسير . (وجادلوا بالباطل) بالكفر (ليدحضوا به الحقّ) ليبطلوا به الإيمان .

فَأَخَذْتُهُمْ (١) فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٢) ۝ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝ ٱلَّذِينَ (٣) يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ (٤)

---

(١) مظهر مكّىّ وحفص . يعنى أنّهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادة أخذالرسل أن أخذتهم فعاقبتهم .

(٢) و بالياء يعقوب. أى فإنّكم تمرّون على بلادهم فتعاينون أثر ذلك. وهـذا تقرير فيـه معنى التعجيب .

(٣) (وكذلك حقّت كلمات ربّك) – مدنىّ وشامىّ – (على الذين كفروا، أنّهم أصحاب النار) فى محلّ الرفع بدل من (كلمة ربّك) . أى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار . ومعناه كما وجب إهلاكهم فى الدنيا بالعذاب المستأصل، كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار فى الآخرة . أو فى محلّ النصب بحذف لام التعليل و إيصال الفعل . والذين كفروا قريش . ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء لأنّ علّة واحدة تجمعهم (أنّهم) من (أصحاب النار). و يلزم الوقف على النار لأنّه لو وصل لصار (الذين يحملون العرش ومن حوله) — يعنى حاملى العرش والحافّين حوله وهم الكروبيّون سادة الملائكة — صفة لأصحاب النار ، وفساده ظاهر. روى أنّ حملة العرش أرجلهم فى الأرض السفلى ورءوسهم قد خرقت العرش. وهم خشوع لا يرفعون طرفهم. وفى الحديث "إنّ الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا و يروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة". وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهلّلين مكبّرين ومن ورائهم سبعون ألف صفّ من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم يهلّلون و يكبّرون ومن ورائهم مائة ألف صفّ قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبّح بما لا يسبّح به الآخر .

(٤) خبر المبتدأ وهو (الذين) .

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟(١) رَبَّنَا(٢) وَسِعْتَ(٣) كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا(٤) فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟(٥) وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ(٦) وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ(٧) ۝

(١) أى مع حمده إذ الباء تدلّ على أنّ تسبيحهم بالحمدلة .

(٢) فائدة (و يؤمنون به) — مع علمنا بأنّ حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبّحون بحمده مؤمنون — إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه ، كما وصف الأنبياء فى غير موضع بالصلاح لذلك ، وكما عقّب أعمال الخير بقوله (ثمّ كان من الذين آمنوا) فأبان بذلك فضل الإيمان . (ويستغفرون للذين آمنوا) قد روعى التناسب فى قوله (و يؤمنون به و يستغفرون للذين آمنوا) كأنّه قيل (ويؤمنون به و يستغفرون) لمن فى مثل حالهم . وفيه دليل على أنّ الاشتراك فى الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة والشفقة و إن تباعدت الأجناس والأماكن .

(٣) أى يقولون (ربّنا) وهذا المحذوف حال .

(٤) الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كلّ شيء فى المعنى . إذ الأصل وسع كلّ شيء رحمتك وعلمك . ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز مبالغة فى وصفه بالرحمة والعلم .

(٥) أى للذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم .

(٦) أى طريق الهدى الذى دعوت إليه .

(٧) (مَن) فى موضع نصب عطف على (هم) فى (وأدخلهم) أو فى (وعدتهم) والمعنى (وعدتهم و) وعدت (من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم إنّك أنت العزيز الحكيم) أى الملك الذى لا يغلب . وأنت مع ملكك وعزّتك لا تفعل شيئا خاليا عن الحكمة . وموجب حكمتك أن تفى بوعدك .

وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ[1] فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ[2] ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ[3] إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ[4] ﴿١٠﴾

---

(١) أى جزاء السيّئات وهو عذاب النار .

(٢) (وذلك) أى رفع العذاب (هو الفوز العظيم) .

(٣) (ينادون) أى يوم القيامة إذا دخلوا النـار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار : (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم . فاستغنى بذكرها مرّة ، والمقت أشـدّ البغض . وانتصاب (إذ تدعون إلى الإيمـان) بالمقت الأوّل عند الزمخشرىّ . والمعنى أنّه يقال لهم يوم القيـامة : كان الله يمقت أنفسكم الأمّارة بالسوء والكفر — حين كان الأنبيـاء يدعونكم إلى الإيمـان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر — أشدّ ممّـا تمقتونهنّ اليوم وأنتم فى النار إذا وقعتم فيها باتّباعكم هواهنّ . وقيل : معناه (لمقت الله) إيّاكم الآن (أكبر) من مقت بعضكم لبعض كقوله (ثمّ يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) . و (إذ تدعون) تعليل .وقال جامع العلوم وغيره (إذ) منصوب بفعل مضمر دلّ عليه (لمقت الله) .أى يمقتهم الله حين دعوا إلى الإيمـان فكفروا .ولا ينتصب بالمقت الأوّل لأنّ قوله (لمقت الله) مبتدأ وهو مصدر وخبره (أكبر من مقتكم أنفسكم) فلا يعمل فى (إذ تدعون) لأنّ المصدر إذا أخبر عنه لم يجز أن يتعلّق به شىء يكون فى صلته لأنّ الإخبار عنه يؤذن بتمامه وما يتعلّق به يؤذن بنقصانه ، ولا بالثـانى لاختلاف الزمانين . وهذا لأنّهم مقتوا أنفسهم فى النار وقد دعوا إلى الإيمـان فى الدنيا .

(٤) فتصرون على الكفر .

قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟[1] فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ[2] ۝ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ[3]

(١) (أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) أى إماتتين وإحياءتين أو موتتين وحياتين . وأراد بالإماتتين خلقهم أمواتا أوّلا وإماتتهم عند انقضاء آجالهم . وصحّ أن يسمّى خلقهم أمواتا إماتة كما صحّ أن يقال سبحان من صغّر جسم البعوضة وكبّر جسم الفيل . وليس ثمّة نقل من كبر إلى صغر ، ولا من صغر إلى كبر . والسبب فيه أنّ الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد . فإذا اختار الصانع أحد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر . فجعل صرفه عنه كنقله منه . وبالإحياءتين الإحياءة الأولى فى الدنيا والإحياءة الثانية البعث . ويدلّ عليه قوله (وكنتم أمواتا فأحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم) . وقيل الموتة الأولى فى الدنيا والثانية فى القبر بعد الإحياء للسؤال . والإحياء الأوّل إحياؤه فى القبر بعد موته للسؤال والثانى للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) لمّا رأوا الإماتة والإحياء قد تكرّرا عليهم علموا أنّ الله قادر على الإعادة كما هو قادر على الإنشاء فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل إلى خروج) من النار — أى إلى نوع من الخروج سريع أو بطىء لنتخلّص — (من سبيل) قط ، أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه ؟ وهذا كلام من غلب عليه اليأس وإنّما يقولون ذلك تحيّرا . ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك . وهو قوله (ذلكم بأنّه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا) أى ذلكم الذى أنتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى خروج قطّ بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به .

(٢) (فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد (العلىّ) شأنه فلا يردّ قضاؤه ، (الكبير) العظيم سلطانه فلا يحدّ جزاؤه . وقيل كأنّ الحرورية أخذوا قولهم "لا حكم إلّا لله" من هذا . وقال قتادة : لمّا خرج أهل حروراء قال علىّ رضى الله عنه : من هؤلاء ؟ قيل المحكمون . أى يقولون لا حكم إلّا لله . فقال علىّ رضى الله عنه : "كلمة حقّ أريد بها باطل" .

(٣) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها .

وَيُنَزِّلُ(١) لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا(٢) وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ(٣) ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ(٤) لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ(٥) ﴿١٦﴾

(١) وبالتخفيف مكيّ وبصريّ .

(٢) مطرا لأنّه سبب الرزق .

(٣) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله إلّا من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله. فإنّ المعاند لا يتذكّر ولا يتّعظ . ثمّ قال للنبيين (فادعوا الله) فاعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) وإن غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم .

(٤) ثلاثة أخبار لقوله (هو) مرتّبة على قوله (الذى يريكم) . أو أخبار مبتدأ محذوف . ومعنى (رفيع الدرجات) رافع السموات بعضها فوق بعض ، أو رافع درجات عباده فى الدنيا بالمنزلة ، أو رافع منازلهم فى الجنّة . و(ذو العرش) مالك عرشه الذى فوق السموات . خلقه مطافا للملائكة إظهاراً لعظمته مع استغنائه فى مملكته . و(الروح) جبريل عليه السلام أو الوحى الذى تحيا به القلوب . (يلقى الروح من) أجل (أمره) أو بأمره (على من يشاء من عباده لينذر) أى الله أو الملقى عليه وهو النبيّ عليه السلام . ويدلّ عليه قراءة يعقوب (لتنذر يوم التلاق) يوم القيامة لأنّه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض والأوّلون والآخرون . (التلاقى) مكّيّ ويعقوب . (يوم هم بارزون) ظاهرون لا يسترهم شىء من جبل أو أكمة أو بناء (لا يخفى على الله منهم شىء) أى من أعمالهم وأحوالهم .

(٥) أى يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه . ثمّ يجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهّار) أى الذى قهر الخلق بالموت . وينتصب (اليوم) بمدلول (لمن) أى (لمن) ثبت (الملك) فى هذا اليوم. وقيل ينادى مناد فيقول (لمن الملك اليوم) ؟ فيجيبه أهل المحشر (لله الواحد القهّار) .

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (١) ۝ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ (٢) إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ (٣) مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (٤) ۝ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ (٥) ۝

---

(١) لمّا قرّر أنّ الملك لله وحده فى ذلك اليوم عدّد نتائج ذلك وهى أنّ كل نفس تجزى (بما) عملت فى الدنيا من خير وشرّ وأنّ الظلم مأمون منه لأنّه ليس بظلام للعبيد ، وأنّ الحساب لايبطئ لأنّه لايشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كلّه فى وقت واحد وهو أسرع الحاسبين .

(٢) (الآزفة) القيامة سمّيت بها لأزوفها ، أى لقربها . و يبدل من يوم الآزفة (إذ القلوب لدى الحناجر) أى التراقى ، يعنى ترتفع قلوبهم عن مقارّها فتلصق بحناجرهم فلا هى تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفّسوا و يتروّحوا .

(٣) ممسكين بحناجرهم . من كظم القربة شدّ رأسها . وهو حال من القلوب محمول على أصحابها . أو إنّما جمع الكاظم جمع السلامة لأنّه وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء .

(٤) (ما لل) كافرين (من) محبّ مشفق (ولا شفيع يطاع) أى يشفّع . وهو مجاز عن الطاعة لأنّ الطاعة حقيقة لاتكون إلّا لمن فوقك . والمراد نفى الشفاعة والطاعة كما فى قوله * ولا ترى الضبّ بها ينجحر * يريد به نفى الضبّ وانجحاره ، و إن احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة . فعن الحسن "والله مايكون لهم شفيع البتّة" .

(٥) (يعلم خائنة الأعين) مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة . والمراد استراق النظر إلى ما لا يحلّ (وما تخفى الصدور) وما تسرّه من أمانة وخيانة . وقيل هو أن ينظر إلى أجنبيّة بشهوة مسارقة ثمّ يتفكر بقلبه فى جمالها ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كلّه. و (يعلم خائنة الأعين) خبر من أخبار (هو) فى قوله (هو الذى يريكم آياته) مثل (يلقى الروح) . ولكن (يلقى الروح) قد علّل بقوله (لينذر يوم التلاق) . ثمّ استطرد ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله (ولا شفيع يطاع) فبعد لذلك عن أخواته .

وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (٢) ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ (٣) كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ (٤) ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٥) ۝

---

(١) أى والذى هذه صفاته لايحكم إلّا بالعدل . وآلهتهم لايقضون بشىء . وهذا تهكّم بهم لأنّ مالايوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضى أو لا يقضى . (تدعون) نافع .

(٢) تقرير لقوله (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) ووعيد لهم بأنّه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وأنّه يعاقبهم عليه ، وتعريض بما يدعون من دونه وأنّها لا تسمع ولا تبصر .

(٣) أى آخر أمر الذين كذّبوا الرسل من قبلهم .

(٤) (هم) فصل ، وحقّه أن يقع بين معرفتين إلّا أنّ (أشدّ منهم)ضارع المعرفة فى أنه لا تدخله الألف واللام فأجرى مجراه . (منكم) شامىّ . (وآثارا فى الأرض) أى حصونا وقصورا (فأخذهم الله بذنوبهم) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) ولم يكن لهم شىء يقيهم من عذاب الله .

(٥) أى الأخذ (بـ) سبب (أنّهم) (كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فكفروا فأخذهم الله إنّه قوىّ) قادر على كل شىء (شديد العقاب) إذا عاقب .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١) ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢) ﴿٢٦﴾

(١) (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجّة ظاهرة (إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذّاب) فسمّوا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلمّا جاءهم) بالنّبوة (من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أى أعيدوا عليهم القتل كالذى كان أوّلا (واستحيوا نساءهم) للخدمة . (وما كيد الكافرين إلّا فى ضلال) ضياع . يعنى أنّهم باشروا قتلهم أوّلا فما أغنى عنهم ، ونفذ قضاء الله بإظهار من خافوه . فما يغنى عنهم هذا القتل الثانى. وكان فرعون قد كفّ عن قتل الولدان فلمّا بعث موسى عليه السلام وأحسّ بأنّه قد وقع أعاده عليهم غيظا وظنّا منه أنّه يصدّهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم أنّ كيده ضائع فى الكرّتين جميعا .

(٢) (وقال فرعون) لملئه (ذرونى أقتل موسى) . كان إذا همّ بقتله كفّوه بقولهم ليس بالذى تخافه وهو أقلّ من ذلك وما هو إلّا ساحر وإذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنّك عجزت عن معارضته بالحجّة . والظاهر أنّ فرعون قد استيقن أنّه نبىّ وأنّ ماجاء به آيات وما هو بسحر، ولكن كان فيه خبّ وكان قتّالا سفّاكا للدماء فى أهون شىء فكيف لا يقتل من أحسّ بأنّه هو الذى يهدم ملكه ؟ ولكن كان يخاف إن همّ بقتله أن يعاجل بالهلاك . وقوله (وليدع ربّه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربّه .وكان قوله (ذرونى أقتل موسى) تمويها على قومه وإيهاما أنّهم هم الذين يكفّونه وما كان يكفّه إلّا ما فى نفسه من هول الفزع .(إنّى أخاف) إن لم أقتله (أن يبدّل دينكم) أن يغيّر ما أنتم عليه . وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام (أو أن يظهر) موسى (فى الأرض الفساد) بضمّ الياء ونصب

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ (١) وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ (٢) أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ (٣)

الدال مدنىّ و بصرىّ وحفص . وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال . والأوّل أولى لموافقة (يبدّل) . والفساد فى الأرض التقاتل والتهايج الذى يذهب معه الأمن وتتعطّل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا . كأنّه قال (إنى أخاف) أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه . وقرأ غير أهل الكوفة (وأن) . ومعناه (إنّى أخاف) فساد دينكم ودنياكم معا .

(١) (وقال موسى) لمّا سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (إنّى عذت بربّى وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب). وفى قوله (وربّكم) بعث لهم على أن يقتدوا به ، فيعوذوا بالله عياذه ، ويعتصموا بالتوكّل عليه اعتصامه . وقال (من كلّ متكبّر) لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة ، وليكون على طريقة التعريض ، فيكون أبلغ . وأراد بالتكبّر الاستكبار عن الإذعان للحقّ . وهو أقبح استكبار وأدلّ على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه . وقال (لا يؤمن بيوم الحساب) لأنّه إذا اجتمع فى الرجل التكبّر والتكذيب بالجزاء وقلّة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة إلّا ارتكبها . وعذت ولذت أخوان . و (عتّ) بالإدغام أبو عمرو وحمزة وعلىّ .

(٢) قيل كان قبطيّا ابن عمّ لفرعون آمن بموسى سرّا . و(من آل فرعون) صفة لرجل . وقيل كان إسرائيليّا . و (من آل فرعون) صلة ليكتم . أى يكتم إيمانه من آل فرعون . واسمه سمعان أو حبيب أو خربيل أو حزبيل . والظاهر الأوّل .

(٣) (أتقتلون رجلا) لـ (أن يقول) . وهذا إنكار منه عظيم . كأنّه قيل : أترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرّمة وما لكم علّة فى ارتكابها إلّا كلمة الحقّ وهى قوله (ربّى الله) وهو ربّكم أيضا لا ربّه وحده (وقد جاءكم) الجملة حال (بالبيّنات من ربّكم). يعنى أنّه لم يحضر لتصحيح قوله ببيّنة واحدة ولكن ببيّنات من عند من نسب إليه الربوبيّة . وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به .

وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ[1] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ[2] ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ[3] فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ[4] وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

---

(١) احتجّ عليهم بطريق التقسيم فإنّه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا . فإن (يك كاذبا فعليه) وبال (كذبه) ولا يتخطّاه (وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) من العذاب. ولم يقل كلّ الذى يعدكم مع أنّه وعد من نبيّ صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الإنصاف . فجاء بما هو أقرب إلى تسليمهم له. وليس فيه نفى إصابة الكلّ . فكأنّه قال لهم أقلّ ما يكون فى صدقه أن يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل. وفى ذلك هلاككم. وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة . وتقديم الكاذب على الصادق من هـذا القبيل أيضا . وتفسير البعض بالكلّ مزيف .

(٢) (مسرف) مجاوز للحدّ (كذّاب) فى ادّعائه . وهذا أيضا من باب المجاملة . والمعنى أنّه إن كان مسرفا كذّابا خذله الله وأهلكه فتتخلّصون منه . أو لو كان مسرفا كذّابا لما هداه الله بالنبوّة ولما عضده بالبيّنات . وقيل أوهم أنّه عنى بالمسرف موسى وهو يعنى به فرعون .

(٣) (ظاهرين) عالين — وهو حال من (كم) فى (لكم) — (فى الأرض) فى أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا) ؟ يعنى أنّ لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرّضوا لبأس الله أى عذابه ، فإنّه لا طاقة لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد . وقال (ينصرنا) و(جاءنا) لأنّه منهم فى القرابة وليعلمهم بأنّ الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه .

(٤) أى ما أشير عليكم برأى إلّا بما أرى من قتله . يعنى لا أستصوب إلّا قتله . وهذا الذى تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأى (إلّا سبيل الرشاد) طريق الصواب والصلاح . أو ما أعلمكم إلّا ما أعلم من الصواب ولا أدّخر منه شيئا ولا أسرّ عنكم خلاف ما أظهر . يعنى أنّ

وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ[1] وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ[2] ۝ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ۝ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ[3]

لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول . وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنّه كان يتجلّد . ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الأمر على الإشارة .

(١) (مثل يوم الأحزاب) أى مثل أيّامهم.لأنه لمّا أضافه إلى الأحزاب وفسّرهم بقوله (قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) ، ولم يلتبس أنّ كلّ حزب منهم كان له يوم دمار ، اقتصر على الواحد من الجمع . ودأب هؤلاء دءوبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى ، وكون ذلك دائبا دائما منهم لايفترون عنه . ولا بدّ من حذف مضاف أى (مثل) جزاء دأبهم . وانتصاب (مثل) الثانى بأنّه عطف بيان لمثل الأوّل .

(٢) أى وما يريد الله أن يظلم عباده فيعذّبهم بغير ذنب ، أو يزيد على قدر مايستحقّون من العذاب . يعنى أن تدميرهم كان عدلا لأنّهم استحقّوه بأعمالهم . وهو أبلغ من قوله (وما ربّك بظلّام للعبيد) حيث جعل المنفى إرادة ظلم منكّر . ومن بعد عن إرادة ظلم مّا لعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد . وتفسير المعتزلة بأنّه لايريد لهم أن يَظلموا، بعيد . لأنّ أهل اللغة قالوا إذا قال الرجل لآخر لا أريد ظلما لك معناه لا أريد أن أظلمك . وهـذا تخويف بعذاب الدنيا . ثمّ خوّفهم من عذاب الآخرة بقوله (وياقوم إنّى أخاف عليكم يوم التناد) — أى يوم القيامة. (التنادى) مكّىّ ويعقوب فى الحالين. وإثبـات الياء هو الأصل . وحذفها حسن . لأنّ الكسرة تدلّ على الياء . وآخر هـذه الآى على الدال — وهو ما حكى الله تعالى فى سورة الأعراف (ونادى أصحاب الجنّـة أصحاب النار . ونادى أصحاب النار أصحاب الجنّة . ونادى أصحاب الأعراف) . وقيل ينادى مناد ألا إنّ فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، ألا إنّ فلانا شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا .

(٣) منصرفين عن موقف الحساب إلى النار .

مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ[(١)] ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ[(٢)] مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا[(٣)] كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ[(٤)] ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ[(٥)] ﴿٣٥﴾

---

(١) (مالكم من) عذاب (الله من عاصم) مانع ودافع (ومن يضلل الله فما له من هاد) مرشد .

(٢) هو يوسف بن يعقوب . وقيل يوسف بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب . أقام فيهم نبيّا عشرين سنة . وقيل إنّ فرعون موسى هو فرعون يوسف عمّر إلى زمنه . وقيل هو فرعون آخر . وبخهم بأنّ يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات .

(٣) فشككتم فيها ولم تزالوا شاكّين (حتّى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان . أى أقمتم على كفركم وظننتم أنّه لا يجدّد عليكم إيجاب الحجّة .

(٤) أى مثل هذا الإضلال يضلّ الله كلّ مسرف فى عصيانه مرتاب شاكّ فى دينه .

(٥) (الذين يجادلون) — بدل من (من هو مسرف) وجاز إبداله منه وهو جمع لأنّه لا يريد مسرفا واحدا بل كلّ مسرف — (فى آيات الله) فى دفعها وإبطالها (بغير سلطان) حجّة (أتاهم كبر مقتا) أى عظم بغضا . وفاعل (كبر) ضمير (من هو مسرف) وهو جمع معنى وموحّد لفظا . فحمل البدل على معناه . والضمير الراجع إليه على لفظه . ويجوز أن يرفع (الذين) على الابتداء . ولا بدّ فى هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير فى (كبر)

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا(١) وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ(٢) وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ(٣) ۝

تقديره جدال (الذين يجادلون) (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبّر جبّار) . (قلبٍ) بالتنوين أبو عمرو . وإنما وصف القلب بالتكبّر والتجبّر لأنّه منبعهما . كما تقول سمعت الأذن . وهو كقوله (فإنّه آثم قلبه) وإن كان الآثم هو الجملة .

(١) (وقال فرعون) تمويها على قومه أو جهلا منه (ياهامان ابن لى صرحا) أى قصرا — وقيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وإن بعد. ومنه يقال صرّح الشىء إذا ظهر — (لعلّى) — وبفتح الياء حجازىّ وشامىّ وأبو عمرو — (أبلغ الأسباب). ثمّ أبدل منها تفخيما لشأنها وإبانة أنّه يقصد أمرا عظيما: (أسباب السموات) أى طرقها وأبوابها وما يؤدّى إليها — وكل ما أدّاك إلى شىء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه — (فأطّلع إلى إله موسى) بالنصب حفص على جواب الترجّى تشبيها للترجّى بالتمنّى . وغيره بالرفع عطفا على (أبلغ) . والمعنى فأنظر إليه (وإنّى لأظنّه) أى موسى (كاذبا) فى قوله له إله غيرى .

(٢) ومثل ذلك التزيين وذلك الصدّ (زيّن لفرعون سوء عمله وصدّ عن السبيل) المستقيم. وبفتح الصاد كوفى(*) ويعقوب . أى غيره صدّا ، أو هو بنفسه صدودا . والمزيّن الشيطان بوسوسته كقوله (وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل) . أو الله تعالى ومثله (زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون) .

(٣) خسران وهلاك .

(*) الذى بغيث النفع : "قرأ الكوفيون بضمّ الصاد ، والباقون بالفتح" . والمعروف فى قراءة حفص ضمّ الصاد . وهو من الكوفيّين .

وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ[1] وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۝

(١) (اتّبعونى) فى الحالين مكىّ ويعقوب وسهل (أهدكم سبيل الرشاد) وهو نقيض الغىّ. وفيه تعريض شبيه بالتصريح أنّ ما عليه فرعون وقومه سبيل الغىّ. أجمل أوّلا ثمّ فسّر فافتتح بذمّ الدنيا وتصغير شأنها بقوله (يا قوم إنّما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتّع يسير. فالإخلاد إليها أصل الشرّ ومنبع الفتن. وثنّى بتعظيم الآخرة وبيّن أنّها هى الوطن والمستقرّ بقوله (وإنّ الآخرة هى دار القرار). ثمّ ذكر الأعمال سيّئها وحسنها وعاقبة كلّ منهما ليثبّط عمّا يتلف، وينشّط لما يزلف، بقوله (من عمل سيّئة فلا يجزى إلّا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب) — (يُدخَلون) مكىّ وبصرى ويزيد وأبو بكر. ثمّ وازن بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذى ثمرته الجنّات ودعوتهم إلى اتّخاذ الأنداد الذى عاقبته النار، بقوله (ويا قوم مالى) — وبفتح الياء حجازىّ وأبو عمرو — (أدعوكم إلى النجاة) أى الجنّة (وتدعوننى إلى النار تدعوننى لأكفر بالله) — هو بدل من (تدعوننى) الأوّل. يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه إلى الطريق وهداه له — (وأشرك به ما ليس لى به علم) أى بربوبيّته. والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنّه قال (وأشرك به ما ليس) بإله، وما ليس بإله كيف يصحّ أن يعلم إلها؟ (وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفّار) وهو الله سبحانه وتعالى. وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنّهم قومه، وأنه من آل فرعون. وجىء بالواو فى النداء الثالث دون الثانى لأنّ الثانى داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث.

لَا جَرَمَ (١) أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۝ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٢) ۝ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ (٣) وَحَاقَ (٤) بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ (٥) ۝

(١) عند البصريين (لا) ردّ لما دعاه إليه قومه. و (جرم) فعل بمعنى حقّ . و (أنّ) مع ما فى حيزه فاعله . أى حقّ ووجب بطلان دعوته .

(٢) معناه (أنّ ما تدعوننى إليه ليس له دعوة) إلى نفسه قطّ . أى من حقّ المعبود بالحقّ أن يدعو العباد إلى طاعته. وماتدعون إليه و إلى عبادته لايدعو هو إلى ذلك ولا يدّعى الربوبيّة. أو معناه ليس له استجابة دعوة (فى الدنيا ولا فى الآخرة) أو (دعوة) مستجابة. جعلت الدعوة التى لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة . أو سمّيت الاستجابة باسم الدعوة كما سمّى الفعل المجازى عليه بالجزاء فى قولهم "كما تدين تدان". (وأنّ مردّنا إلى الله) وأنّ رجوعنا إليه (وأنّ المسرفين) وأنّ المشركين (هم أصحاب النار . فستذكرون ما أقول لكم) أى من النصيحة عند نزول العذاب (وأفوّض) وأسلم (أمرى) —و بفتح الياء مدنىّ وأبو عمرو — (إلى الله) لأنّهم توعّدوه . (إنّ الله بصير بالعباد) بأعمالهم ومآلهم .

(٣) (فوقاه الله) شدائد مكرهم وما همّوا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم . وقيل إنّه خرج من عندهم هاربا إلى جبل فبعث قريبا من ألف فى طلبه فمنهم من أكلته السباع، ومن رجع منهم صلبه فرعون .

(٤) ونزل .

(٥) (النار) بدل من (سوء العذاب) أو خبر مبتدأ محذوف . كأنّه قيل ما سوء العذاب؟ فقيل : هو النار . أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وعرضهم عليها إحراقهم بها — يقال عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم به — (غدوّا وعشيّا) أى فى هذين الوقتين يعذّبون بالنار .

وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (١) ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا (٢) إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٣) ۝ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا (٤) مِّنَ الْعَذَابِ ۝ قَالُوا (٥) أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ (٦) قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا (٧)

وفيما بين ذلك إمّا أن يعذبوا بجنس آخر، أو ينفّس عنهم . ويجوز أن يكون (غدوّا وعشيّا) عبارة عن الدوام . هذا فى الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال لخزنة جهنّم (أدخلوا آل فرعون) من الإدخال مدنىّ وحمزة وعلىّ وحفص وخلف ويعقوب . وغيرهم (ادخُلوا) أى يقال لهم (ادخلوا) يا (آل فرعون أشدّ العـذاب) أى عذاب جهنّم . وهذه الآية دليل على عذاب القبر .

(١) (و)اذكر وقت تخاصمهم (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا) يعنى الرؤساء (إنّا كنّا لكم تبعا) تباعا تخدم فى جمع خادم (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنّا نصيبا) جزءا (من النار) .

(٢) التنوين عوض من المضاف إليه .أى (إنّا) كلّنا (فيها) لايغنى أحد عن أحد .

(٣) قضى بينهم بأن أدخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار .

(٤) (وقال الذين فى النار)للقوّام بتعذيب أهلها — وإنّما لم يقل لخزنتها لأنّ فى ذكر (جهنّم) تهويلا وتفظيعا . ويحتمل أنّ جهنّم هى أبعد النار قعرا — من قولهم بئر جهنّام بعيدة القعر — وفيها أعتى الكفّار وأطغاهم . فلعلّ الملائكة الموكّلين بعـذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى؛ فلهذا تعمّدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم — (ادعوا ربّكم يخفّف عنّا يوما) بقدر يوم من الدنيا .

(٥) (قالوا) أى الخزنة توبيخا لهم بعد مدّة طويلة (أو لم تك) قصّة . وقوله (تأتيكم رسلكم) تفسير للقصّة . (بالبيّنات) بالمعجزات .

(٦) (قالوا) أى الكفّار (بلى — قالوا)أى الخزنة تهكّماً بهم (فادعوا)أنتم ولا استجابة لدعائكم.

وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ(١) ۝ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ(٢) ۝ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡ(٣) وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ(٤) وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ(٥) ۝ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ(٦) وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ۝ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ(٧) لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ(٨) ۝

(١) بطلان. وهو من قول الله تعالى . ويحتمل أن يكون من كلام الخزنة .

(٢) أى فى الدنيا والآخرة ، يعنى أنه يغلّبهم فى الدارين جميعا بالحجّة والظفر على مخالفيهم وإن غلبوا فى الدنيا فى بعض الأحايين امتحانا من الله والعاقبة لهم ويتيح الله من يقتصّ من أعدائهم ولو بعد حين . و (يوم) نصب محمول على موضع الجارّ والمجرور كما تقول جئتك فى أمس واليوم . و (الأشهاد) جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الأنبياء والحفظة فالأنبياء يشهدون عند ربّ العزة على الكفرة بالتكذيب ، والحفظة يشهدون على بنى آدم بما عملوا من الأعمال. (تقوم) بالتاء الرازىّ عن هشام .

(٣) هذا بدل من (يوم يقوم) . أى لا يقبل عذرهم . (لا ينفع) كوفىّ ونافع .

(٤) البعد من رحمة الله .

(٥) أى (سوء) دار الآخرة وهو عذابها .

(٦) يريد به جميع ماأتى به فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع .

(٧) (وأورثنا بنى إسرائيل) التوراة والإنجيل والزبور . لأنّ الكتاب جنس ، أى تركنا (الكتاب) من بعدهذا إلى هذا إرشادا وتذكرة . وانتصابهما على المفعول له ، أو على الحال .

(٨) لذوى العقول .

فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ[١] وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ[٢] وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ[٣] ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ[٤] مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ[٥] فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ[٦] ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[٧] ﴿٥٧﴾

---

(١) (فاصبر) على ما يجرّعك قومك من الغصص (إنّ) ما سبق به وعدى من نصرتك وإعلاء كلمتك (حقّ) .

(٢) أى لذنب أمّتك .

(٣) أى دم على عبادة ربّك والثناء عليه . وقيل هما صلاتا العصر والفجر . وقيل قل سبحان الله وبحمده .

(٤) (أتاهم) لا وقف عليه لأنّ خبر إنّ (إن فى صدورهم إلّا كبر) تعظّم . وهو إرادة التقدّم والرياسة ، وألّا يكون أحد فوقهم . فلهذا عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدّمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لأنّ النبوّة تحتها كلّ ملك ورياسة . أو إرادة أن تكون لهم النبوّة دونك حسدا وبغيا . ويدلّ عليه قوله (لو كان خيرا ما سبقونا إليه) . أو إرادة دفع الآيات بالجدل .

(٥) ببالغى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلّق إرادتهم من الرياسة أو النبوّة أو دفع الآيات .

(٦) فالتجئ إليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (إنّه هو السميع) لما تقول ويقولون . (البصير) بما تعمل ويعملون . فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم .

(٧) لمّا كانت مجادلتهم فى آيات الله مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها ، حجّوا بخلق السموات والأرض لأنّهم كانوا مقرّين بأنّ الله خالقها فإنّ من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر (ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون) لأنّهم لا يتأمّلون لغلبة الغفلة عليهم .

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ[1] قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ[2] ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا[3] وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ[4] ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ[5] إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ[6] ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا[7]

---

(١) (لا) زائدة .

(٢) تتّعظون . بتاءين كوفيّ . وبياء وتاء غيرهم . و (قليلا) صفة مصدر محذوف . أى تذكّرا قليلا يتذكّرون . و (ما) صلة زائدة .

(٣) لابدّ من مجيئها وليس بمرتاب فيها لأنّه لا بدّ من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصّة .

(٤) لا يصدّقون بها .

(٥) اعبدونى أثبكم . فالدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن . ويدلّ عليه قوله (إنّ الذين يستكبرون عن عبادتى) وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة . وقرأ هذه الآية صلّى الله عليه وسلّم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما "وحّدونى أغفر لكم" وهذا تفسير للدعاء بالعبادة . ثمّ للعبادة بالتوحيد . وقيل "سلونى أعطكم" .

(٦) (سيُدخَلون) مكّىّ وأبو عمرو (داخرين) صاغرين .

(٧) هو من الإسناد المجازىّ أى مبصرا فيه لأنّ الإبصار فى الحقيقة لأهل النهار . وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال . ولم يكونا حالين أو مفعولا لهما، رعاية لحقّ المقابلة ، لأنّهما متقابلان معنى . لأنّ كلّ واحد منهما يؤدّى مؤدّى الآخر ، ولأنّه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الإسناد المجازىّ ولو قيل ساكنا لم تتميّز الحقيقة من المجاز إذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة . ألا ترى إلى قولهم " ليل ساج " أى ساكن لا ريح فيه .

إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ[(١)] وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ[(٢)] ۝ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ[(٣)] ۝ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ[(٤)] ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ[(٥)] فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ[(٦)] ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝

---

(١) ولم يقل لمفضل أو لمتفضّل لأنّ المراد تنكير الفضل ، وأن يجعل فضلا لا يوازيه فضل . وذلك إنّما يكون بالإضافة .

(٢) ولم يقل ولكن أكثرهم حتّى لا يتكرر ذكر الناس لأنّ فى هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وأنّهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله (إنّ الانسان لكفور) وقوله (إنّ الانسان لظلوم كفّار) .

(٣) (ذلكم) الذى خلق لكم الليل والنهار (الله ربّكم خالق كلّ شىء لا إله إلّا هو) أخبار مترادفة . أى هو الجامع لهذه الأوصاف من الربوبيّة والإلهيّة وخالق كلّ شىء والوحدانيّة (فأنّى تؤفكون) فكيف ومن أىّ وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان ؟

(٤) أى كلّ من جحد بآيات الله ولم يتأمّلها ولم يطلب الحقّ أفك كما أفكوا .

(٥) (جعل لكم الأرض قرارا) مستقرّا (والسماء بناء) سقفا فوقكم (وصوّركم فأحسن صوركم) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الإنسان . وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم (ورزقكم من الطيّبات) اللذيذات .

(٦) (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله ربّ العالمين) . وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا إله إلّا الله فليقل على أثرها الحمد لله ربّ العالمين .

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا[1] جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ[2] مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ[3] ۝ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا[4] ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا[5] وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ[6] وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[7] ۝ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ[8] ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ[9] ۝

---

(١) لمّا طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الأوثان نزل (قل إنّى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) .

(٢) هى القرآن . وقيل العقل والوحى .

(٣) (وأمرت أن) أستقيم وأنقاد (لربّ العالمين) .

(٤) (هو الذى خلقكم) أى أصلكم (من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ يخرجكم طفلا) اقتصر على الواحد لأنّ المراد بيان الجنس .

(٥) (ثمّ لتبلغوا أشدّكم) متعلّق بمحذوف تقديره (ثمّ) يبقيكم (لتبلغوا) . وكذلك (ثمّ لتكونوا شيوخا) . وبكسر الشين مكّىّ وحمزة وعلىّ وحمّاد ويحيى والأعشى .

(٦) أى من قبل بلوغ الأشدّ أو من قبل الشيخوخة

(٧) معناه (و) يفعل ذلك (لتبلغوا أجلا مسمّى) وهو وقت الموت أو يوم القيامة (ولعلّكم تعلقون) ما فى ذلك من العبر والحجج .

(٨) أى فإنّما يكوّنه سريعا من غير كلفة .

(٩) ذكر الجدال فى هذه السورة فى ثلاثة مواضع فجاز أن يكون فى ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصناف أو للتأكيد .

ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ(١) وَٱلسَّلَٰسِلُ(٢) يُسْحَبُونَ ۝ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ(٣) ۝ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ(٤) قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا(٥) كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ(٦) ۝

---

(١) (الذين كذّبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فسوف يعلمون إذ الاغلال فى أعناقهم). إذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال لقوله (فسوف يعلمون) وهذا لأنّ الأمور المستقبلة لمّا كانت فى أخبار الله تعالى مقطوعا بها عبّر عنها بلفظ ما كان ووجد. والمعنى على الاستقبال .

(٢) (والسلاسل) عطف على (الأغلال) . والخبر (فى أعناقهم) . والمعنى (إذ الأغلال) والسلاسل فى أعناقهم (يسحبون فى الحميم) يجرّون فى الماء الحارّ .

(٣) من سجر التنّور إذا ملأه بالوقود. ومعناه أنّهم فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم .

(٤) أى تقول لهم الخزنة (أينما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الأصنام التى تعبدونها

(٥) (قالوا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيئا) أى تبيّن لنا أنّهم لم يكونوا شيئا وما كنّا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت أنّ فلانا شىء فإذا هو ليس بشىء إذا خبرته فلم تر عنده خيرا .

(٦) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلّهم عن آلهتهم حتّى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا . أو كما أضلّ هؤلاء المجادلين يضلّ سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين .

ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾(١) فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ(٢) فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ(٣) بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾(٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ(٥)

---

(١) (ذلكم) العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تمرحون) بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحقّ وهو الشرك وعبادة الأوثان. فيقال لهم (أدخلوا أبواب جهنّم) السبعة المقسومة لكم — قال الله تعالى (لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم جزء مقسوم) — (خالدين فيها) مقدّرين الخلود (فبئس مثوى المتكبّرين) عن الحقّ، جهنّم.

(٢) (فاصبر) يا محمّد (إنّ وعد الله) بإهلاك الكفّار (حقّ) كائن.

(٣) أصله فإن نرك. و (ما) مزيدة لتوكيد معنى الشرط. ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول إن تكرمنّى أكرمك. ولكن إمّا تكرمنّى أكرمك.

(٤) هذا الجزاء متعلّق بنتوفينّك. وجزاء (نرينّك) محذوف وتقديره (فإمّا نرينّك بعض الذى نعدهم) من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك (أو) إن (نتوفينّك) قبل يوم بدر (فإلينا يرجعون) يوم القيامة فننتقم منهم أشدّ الانتقام.

(٥) (ولقد أرسلنا رسلا) إلى أممهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك). قيل بعث الله ثمانية آلاف نبيّ: أربعة آلاف من بنى اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس. وعن علىّ رضى الله عنه "إنّ الله تعالى بعث نبيّا أسود فهو ممن لم تذكر قصّته فى القرآن" (وما كان لرسول أن يأتى بآية إلّا باذن الله) هذا جواب اقتراحهم الآيات عنادا. يعنى إنّا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتى بآية إلّا باذن الله. فمن أين لى بأن آتى بآية ممّا تقترحونه إلّا أن يشاء الله ويأذن فى الإتيان بها؟

فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ(١) بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ(٢) ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ(٣) ۝ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ(٤) ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ(٥) ۝ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ(٦) وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝

(١) أى يوم القيامة . وهو وعيد ورد عقيب اقتراحهم الآيات .

(٢) المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادا .

(٣) (جعل) خلق (لكم الأنعام) الإبل (لتركبوا منها ومنها تأكلون) أى اتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها . (ولكم فيها منافع) أى الألبان والأوبار (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) أى لتبلغوا عليها ماتحتاجون إليه من الأمور . (وعليها) وعلى الأنعام (وعلى الفلك تحملون) أى على الأنعام وحدها لاتحملون . ولكن عليها وعلى الفلك فى البرّ والبحر .

(٤) (تنكرون) أنّها من عند الله . و (أىّ) نصب بتنكرون . وقد جاءت على اللغة المستفيضة . وقولك فأيّة آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنّث فى الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب . وهى فى أىّ أغرب لإبهامه .

(٥) (كانوا أكثر منهم) عددا (وأشدّ قوة) بدنا (وآثارا فى الأرض) قصورا ومصانع (فما أغنى عنهم) — مانافية — (ماكانوا يكسبون) .

(٦) (فرحوا بما عندهم من العلم) يريد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) . فلمّا جاءتهم الرسل بعلوم الديانات — وهى أبعد شىء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذّ والشهوات — لم يلتفتوا إليها

فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا(١) قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ(٢) وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ(٣) ﴿٨٥﴾

وصغّروها واستهزءوا بها واعتقدوا أنّه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به . أو علم الفلاسفة والدهريّين فإنّهم كانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغّروا علم الأنبياء إلى علمهم . وعن سقراط أنّه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت إليه . فقال نحن قوم مهذّبون فلا حاجة بنا إلى من يهذّبنا . أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنّه قال استهزءوا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحى فرحين مرحين . ويدلّ عليه قوله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) . أو الفرح للرسل . أى الرسل لمّا رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحقّ وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم ، فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم .

(١) شدّة عذابنا .

(٢) أى فلم يصحّ ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم . (سنّة الله) — بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكّدة — (التى قد خلت فى عباده) أنّ الايمان عند نزول العذاب لا ينفع ، وأنّ العذاب نازل بمكذّبى الرسل .

(٣) (هنالك) مكان مستعار للزمان . و (الكافرون) خاسرون فى كلّ أوان ولكن يتبيّن خسرانهم إذا عاينوا العذاب .

وفائدة ترادف الفاءات فى هذه الآيات أنّ (فما أغنى عنهم) نتيجة قوله (كانوا أكثر منهم) ، و (فلمّا جاءتهم رسلهم) كالبيان والتفسير لقوله (فما أغنى عنهم) كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء ، و (فلمّا رأوا بأسنا) تابع لقوله (فلمّا جاءتهم) كأنّه قال فكفروا (فلمّا رأوا بأسنا) آمنوا . وكذلك (فلم يك ينفعهم إيمانهم) تابع لإيمانهم لمّا رأوا بأس الله . والله أعلم .

سورة فصّلت مكّيّة

وهى ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَٰبٌ (١) فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ (٢) قُرْءَانًا (٣) عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا (٤) فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٥) ۝

---

(١) (حم) إن جعلته اسما للسورة كان مبتدأ و (تنزيل) خبره . وإن جعلته تعديدا للحروف كان (تنزيل) خبراً لمبتدأ محذوف . و (كتاب) بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر. أو خبر مبتدأ محذوف . أو (تنزيل) مبتدأ (من الرحمن الرحيم) صفته (كتاب) خبره .

(٢) ميّزت وجعلت تفاصيل فى معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك .

(٣) نصب على الاختصاص والمدح . أى أريد بهذا الكتاب المفصّل (قرآنا) من صفته كيت وكيت . أو على الحال . أى (فصّلت آياته) فى حال كونه (قرآنا عربيّا) .

(٤) أى (لقوم) عرب (يعلمون) ما نزّل عليهم من الآيات المفصّلة المبيّنة بلسانهم العربىّ. و (لقوم) يتعلّق بتنزيل أو بفصّلت. أى (تنزيل) من الله لأجلهم أو (فصّلت آياته) لهم . والأظهر أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده . أى (قرآنا عربيا) كائنا (لقوم) عرب (بشيرا ونذيرا) صفتان لقرآنا .

(٥) أى لا يقبلون من قولك تشفّعت إلى فلان فلم يسمع قولى. ولقد سمعه ولكنّه لمّا لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه .

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ(١) فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ(٢) ۝ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ(٣) فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ(٤) وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ(٥) ۝

---

(١) (فى أكنّة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (ممّا ندعونا إليه) من التوحيد (وفى آذاننا وقر) ثقل يمنع من استماع قولك (ومن بيننا و بينك حجاب) ستر. وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن تقبّل الحقّ واعتقاده كأنّها فى غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها ، ومجّ أسماعهم له كأنّ بها صمما عنه ، ولتباعد المذهبين والدينين كأنّ بينهم وما هم عليه و بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى. وفائدة زيادة (من) أنّ الحجاب ابتدأ منّا وابتدأ منك فالمسافة المتوسّطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لافراغ فيها . ولو قيل بيننا و بينك حجاب لكان المعنى أنّ حجابا حاصل وسط الجهتين .

(٢) (فاعمل) على دينك (إنّنا عاملون) على ديننا. أو (فاعمل) فى إبطال أمرنا (إنّنا عاملون) فى إبطال أمرك .

(٣) هذا جواب لقولهم (قلوبنا فى أكنّة). ووجهه أنّه قال لهم إنى لست بملك و إنّما أنا بشر مثلكم . وقد أوحى إلىّ دونكم . فصحّت نبوّتى بالوحى إلىّ وأنا بشر. وإذا صحّت نبوّتى وجب عليكم اتّباعى وفيما يوحى إلىّ أنّ إلهكم إله واحد .

(٤) (فاستقيموا إليه) فاستووا إليه بالتوحيد و إخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين إلى ما يسوّل لكم الشيطان من اتّخاذ الأولياء والشفعاء (واستغفروه) من الشرك .

(٥) (لا يؤتون الزكاة) لا يؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها . أو لا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الإيمان (وهم بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (هم كافرون) و إنّما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لأنّ أحبّ شىء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه . فإذا بذله

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (١) ۝ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ (٢) وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا (٣) ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٤) ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا (٥) وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا (٦) فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ (٧)

فى سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيّته ونصوع طويّته. وما خدع المؤلّفة قلوبهم إلّا بلُمظة من الدنيا فقرّت عصبيّتهم ولانت شكيمتهم. وما ارتدّت بنو حنيفة إلّا بمنع الزكاة. وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها.

(١) (غير) مقطوع. قيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصحّ ما كانوا يعملون.

(٢) (خلق الأرض فى يومين) الأحد والاثنين، تعليما للأناة. ولو أراد أن يخلقها فى لحظة لفعل.

(٣) شركاء وأشباها.

(٤) (ذلك) الذى خلق ما سبق ربّ العالمين خالق جميع الموجودات وسيدها ومربّيها.

(٥) (وجعل فيها) فى الأرض (رواسى) جبالا ثوابت (من فوقها). وإنّما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها، وليبصر أنّ الأرض والجبال أثقال على أثقال كلّها مفتقرة إلى ممسك وهو الله عزّ وجلّ. (وبارك) بالماء والزرع والشجر والثمر (فيها) فى الأرض. وقيل (وبارك فيها) وأكثر خيرها.

(٦) أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم. وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه (وقسم فيها أقواتها).

(٧) فى تتمة أربعة أيام. يريد بالتتمة اليومين تقول سرت من البصرة إلى بغداد فى عشرة وإلى الكوفة فى خمسة عشر. أى تتمة خمسة عشر. ولا بدّ من هذا التقدير لأنّه لو أجرى على الظاهر لكانت ثمانية أيام. لأنّه قال (خلق الأرض فى يومين) ثمّ قال (وقدّر فيها أقواتها

سَوَآءً[1] لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ[2] إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ[3] ﴿١١﴾

فى أربعة أيّام) ثمّ قال (فقضاهنّ سبع سموات فى يومين) فيكون خلاف قوله (فى ستّة أيّام) فى موضع آخر. وفى الحديث إنّ الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والعمران والخراب. فتلك أربعة أيام. وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة، وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة من يوم الجمعة. قيل هى الساعة التى تقوم فيها القيامة.

(١) (سواءٍ) يعقوب صفة للأيام. أى فى أربعة أيّام مستويات تامات. (سواء) بالرفع يزيد أى هى سواء. غيرهما (سواءً) على المصدر أى استوت (سواء) أى استواء. أو على الحال.

(٢) متعلّق بقدّر. أى قدّر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها والمحتاجين إليها لأن كلّا يطلب القوت ويسأله. أو بمحذوف كأنّه قيل هذا الحصر لأجل من سأل فى كم خلقت الأرض وما فيها؟

(٣) هو مجاز عن إيجاد الله تعالى السماء على ما أراد. تقول العرب فعل فلان كذا ثمّ استوى إلى عمل كذا يريدون أنّه أكمل الأول وابتدأ الثانى. ويفهم منه أنّ خلق السماء كان بعد خلق الأرض. وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما. وعنه انه قال "أوّل ماخلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر إليها بالهيبة فذابت واضطربت ثمّ ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء. فجعل الزبد أرضا، والدخان سماء". ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالها أنّه أراد أن يكوّنهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع. وإنّما ذكر الأرض مع السماء فى الأمر بالإتيان والأرض مخلوقة قبل

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ [1] فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً [2]

السماء بيومين ،لأنّه قد خلق جرم الأرض أوّلا غير مدحوّة ثمّ دحاها بعد خلق السماء كما قال (والأرض بعد ذلك دحاها) . فالمعنى ائتيا على ما ينبغى أن تأتيا عليه من الشكل والوصف : ائتى يا أرض مدحوّة قرارا ومهادا لأهلك،وأتى ياسماءُ مقبّبة سقفالهم.ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول: أتى عمله مرضيّا. وقوله (طوعا أو كرها) لبيان تأثير قدرته فيهما ،وأنّ امتناعهما من تأثير قدرته محال. كما تقول لمن تحت يدك لتفعلنّ هذا شئت أو أبيت ولتفعلنّه طوعا أو كرها . وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين . و إنّما لم يقل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لأنّهما سموات وأرضون ، لأنّهنّ لمّا جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل (طائعين) فى موضع طائعات كقوله (ساجدين) .

(1) (فقضاهنّ) فأحكم خلقهن.قال * وعليهما مسرودتان قضاهما * والضمير يرجع إلى السماء لأنّ السماء للجنس . ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسّرا بقوله (سبع سموات). والفرق بين النصبين فى (سبع سموات) أنّ الأوّل على الحال ،والثانى على التمييز .(فى يومين) فى يوم الخميس والجمعة (وأوحى فى كلّ سماء أمرها) ما أمر به فيها ودبّره من خلق الملائكة والنيران وغير ذلك (وزيّنا السماء الدنيا) القريبة من الأرض (بمصابيح) بكواكب (و) حفظناها من المسترقة بالكواكب (حفظا ذلك تقدير العزيز) الغالب غير المغلوب (العليم) بمواقع الأمور .

(2) (فإن أعرضوا) عن الإيمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) خوّفتكم (صاعقة) عذابا شديد الوقع كأنّه صاعقة . وأصلها رعد معه نار .

مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ[1] ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً[2]

(١) أى أتوهم من كلّ جانب وأعملوا فيهم كلّ حيلة. فلم يروا منهم إلّا الإعراض. وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة. (أن) بمعنى أى أو مخفّفة من الثقيلة أصله بأنّه (لا تعبدوا إلّا الله قالوا) أى القوم (لو شاء ربّنا) إرسال الرسل — فمفعول شاء محذوف — (لأنزل ملائكة فإنّا بما أرسلتم به كافرون). معناه فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به . وقوله (أرسلتم به) ليس بإقرار بالإرسال وإنّما هو على كلام الرسل . وفيه تهكّم كما قال فرعون (إنّ رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون). وقولهم (فإنّا بما أرسلتم به كافرون) خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم . روى أن قريشا بعثوا عتبة بن ربيعة وكان أحسنهم حديثا ليكلّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وينظر مايريد . فأتاه وهو فى الحطيم فلم يسأل شيئا إلّا أجابه . ثم قرأ عليه السلام السورة إلى قوله (مثل صاعقة عاد وثمود). فناشده بالرحم وأمسك على فيه ووثب مخافة أن يصبّ عليهم العذاب. فأخبرهم به. وقال : لقد عرفت السحر والشعر . فوالله ماهو بساحر ولا بشاعر . فقالوا لقد صبأت . أما فهمت منه كلمة ؟ فقال لا ولم أهتد إلى جوابه . فقال عثمان بن مظعون : ذلك والله لتعلموا أنّه من ربّ العالمين . ثم بيّن ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال (فأمّا عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحقّ) أى تعظّموا فيها على أهلها بما لايستحقّون به التعظيم . وهو القوّة وعظم الأجرام . أو استولوا على الأرض بغير استحقاق للولاية .

(٢) كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم . وبلغ من قوتهم أنّ الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده .

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً (١) وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ (٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا (٣) فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ (٤) لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ (٥) فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ (٦) بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿﴾

---

(١) أو لم يعلموا علما يقوم مقام العيان (أنّ الله الذى خلقهم هو أشدّ منهم قوّة) أوسع منهم قدرة . لأنّه قادر على كلّ شيء وهم قادرون على بعض الأشياء بإقداره .

(٢) معطوف على (فاستكبروا) . أى كانوا يعرفون أنّها حقّ ولكنّهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة .

(٣) عاصفة تصرصر أى تصوّت فى هبوبها . من الصرير . أو باردة تحرق بشدّة بردها . تكرير لبناء الصرّ وهو البرد . قيل إنّها الدبور .

(٤) مشئومات عليهم .(نحسات) مكّىّ وبصرىّ ونافع .ونحِس نحسًا نقيض سعد سعدا . وهو نَحِس . وأما نَحْس فإمّا مخفّف نحِس ، أو صفة على فعْل ، أو وصف بمصدر . وكانت من الأربعاء فى آخر شوّال إلى الأربعاء . وما عذّب قوم إلّا فى الأربعاء .

(٥) أضاف العذاب إلى الخزى وهو الذلّ على أنّه وصف للعذاب كأنّه قال عذاب خزى كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيّئ . ويدلّ عليه قوله (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الإسناد المجازىّ . ووصف العذاب بالخزى أبلغ من وصفهم به . فشتّان مابين قوليك هو شاعر ، وله شعر شاعر . (وهم لاينصرون) من الأصنام التى عبدوها على رجاء النصر لهم .

(٦) (ثمود) بالرفع على الابتداء وهو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء . والخبر (فهديناهم). وبالنصب المفضّل بإضمار فعل يفسره (فهديناهم). أى بيّنا لهم الرشد (فاستحبّوا العمى على الهدى) فاختاروا الكفر على الإيمان (فأخذتهم صاعقة العذاب) داهية العذاب (الهون) الهوان — وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه — (بما كانوا يكسبون) بكسبهم وهو

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ (١) إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (٢) ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا (٣) شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا (٤) قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ (٥)

شركهم ومعاصيهم . وقال الشيخ أبو منصور يحتمل ماذكر من الهداية التبيين كما بينّا . ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثمّ كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة . لأنّ الهدى المضاف إلى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء . فأمّا الهدى المضاف إلى الخلق يكون بمعنى البيان لاغير . وقال صاحب الكشّاف فيه "فإن قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى ؟ والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع . فكيف ساغ استعماله فى الدلالة المجرّدة ؟ قلت للدلالة على أنّه مكّنهم فأزاح عللهم ولم يبق لهم عذر فكأنّه حصّل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها و يقتضيها". و إنّما تمحّل بهذا لأنّه لا يتمكّن من أن يفسّره بخلق الاهتداء لأنّه يخالف مذهبه الفاسد. (ونجّينا الذين آمنوا) أى اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة (وكانوا يتّقون) اختيار العمى على الهدى .

(١) أى الكفّار من الأوّلين والآخرين (نَحشُر أعداءَ) نافع و يعقوب .

(٢) يحبس أوّلهم على آخرهم . أى يستوقف سوابقهم حتّى يلحق بهم تواليهم . وهى عبارة عن كثرة أهل النار . وأصله من وزَعته أى كفَفته .

(٣) صاروا بحضرتها . و (ما) مزيدة للتأكيد . ومعنى التأكيد أنّ وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها .

(٤) شهادة الجلود بملامسة الحرام . وقيل هى كناية عن الفروج . (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) لما تعاظمهم من شهادتها عليهم .

(٥) (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كلّ شىء) من الحيوان . والمعنى أنّ نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذى قدر على إنطاق كلّ حيوان .

وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١) ۝ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ (٢) وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٣) ۝ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ (٤) فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (٥) وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ (٦) ۝ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ (٧) ۝

(١) وهو قادر على إنشائكم أول مرّة وعلى إعادتكم ورجوعكم إلى جزائه .

(٢) أى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش . وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا .

(٣) ولكنكم إنما استترتم لظنكم (أنّ الله لا يعلم كثيرا ممّا تعملون) وهو الخفيات من أعمالكم .

(٤) وذلك الظنّ هو الذى أهلككم . (وذلكم) مبتدأ و (ظنّكم) خبر . و (الذى ظننتم بربّكم) صفته و (أرداكم) خبر ثان . أو (ظنّكم) بدل من ذلكم و (أرداكم) الخبر .

(٥) أى فإن يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكّوا به من الثواء فى النار .

(٦) وإن يطلبوا الرضا فما هم من المرضيّين . أو إن يسألوا العتبى – وهى الرجوع لهم إلى ما يحبّون – جزعا ممّا هم فيه ، لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها .

(٧) أى قدّرنا لمشركى مكّة يقال هذان ثوبان قيضان أى مثلان. والمقايضة المعاوضة. وقيل سلّطنا عليهم (قرناء) أخدانا من الشياطين – جمع قرين كقوله (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا فهو له قرين) – (فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما تقدّم

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (١) ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا (٢) وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ (٣) ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ (٤) جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ (٥) ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا (٦)

من أعمالهم وما هم عازمون عليها . أو (ما بين أيديهم) من أمر الدنيا واتّباع الشهوات (وما خلفهم) من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب . (وحقّ عليهم القول) كلمة العذاب (فى أمم) فى جملة أمم . ومحلّه النصب على الحال من الضمير فى (عليهم) . أى (حقّ عليهم القول) كائنين (فى) جملة (أمم قد خلت من قبلهم) قبل أهل مكّة (من الجنّ والإنس. إنّهم كانوا خاسرين) هو تعليل لاستحقاقهم العذاب . والضمير لهم وللأمم .

(١) (لا تسمعوا لهذا القرآن) إذا قرئ (والغوا فيه لعلّكم تغلبون) وعارضوه بكلام غير مفهوم حتّى تشوّشوا عليه وتغلبوا على قراءته . واللغو الساقط من الكلام الذى لا طائل تحته .

(٢) يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصّة. ولكن يذكر الذين كفروا عامّة لينطووا تحت ذكرهم .

(٣) أى (ولنجزينّهم)أعظم عقوبة على أسوإ أعمالهم وهو الكفر.(ذلك جزاء أعداءالله) إشارة إلى الأسوأ . ويجب أن يكون التقدير(أسوأ) جزاء (الذى كانوا يعملون) حتّى تستقيم هذه الإشارة . (النار) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف .

(٤) أى النار فى نفسها دار الخلد . كما تقول لك فى هذه الدار دار السرور ، وأنت تعنى الدار بعينها .

(٥) أى جوزوا بذلك (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) .

(٦) وبسكون الراء ، لثقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ ، مكّىّ وشامىّ وأبو بكر . وبالاختلاس أبو عمرو .

ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ (١) ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ (٢) أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا (٣)

(١) أى (أرنا) الشيطانين (اللذين أضلّانا من الجنّ والإنس) — لأنّ الشيطان على ضربين جنّيّ وإنسيّ. قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّا شياطين الإنس والجنّ) — (نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) فى النار جزاء إضلالهم إيّانا .

(٢) (إنّ الذين) نطقوا بالتوحيد (ثمّ استقاموا) ثمّ ثبتوا على الإقرار ومقتضياته — وعن الصدّيق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا. وعنه أنّه تلاها ثمّ قال ما تقولون فيها ؟ قالوا لم يذنبوا . قال حملتم الأمر على أشدّه . قالوا فما تقول ؟ قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان . وعن عمر رضى الله عنه « لم يروغوا روغان الثعالب » أى لم ينافقوا . وعن عثمان رضى الله عنه أخلصوا العمل . وعن علىّ رضى الله عنه أدّوا الفرائض . وعن الفضيل زهدوا فى الفانية ، ورغبوا فى الباقية . وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد الإقرار ، لا الفرار بعد الإقرار — (تتنزّل عليهم الملائكة) عند الموت .

(٣) (أن) بمعنى أى . أو مخفّفة من الثقيلة . وأصله بأنّه (لا تخافوا) والهاء ضمير الشأن . أى لا تخافوا ما تقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلّفتم . فالخوف غمّ يلحق الإنسان لتوقّع المكروه . والحزن غمّ يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضارّ . والمعنى إنّ الله كتب لكم الأمن من كلّ غمّ فلن تذوقوه (وأبشروا بالجنّة التى كنتم توعدون) فى الدنيا . وقال محمّد ابن علىّ الترمذىّ (تتنزّل عليهم) ملائكة الرحمن ، عند مفارقة الأرواح الأبدان ، (أن لا تخافوا) سلب الإيمان ، (ولا تحزنوا) على ما كان من العصيان ، (وأبشروا) بدخول الجنان ، (التى كنتم توعدون) فى سالف الزمان . (نحن أولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة) كما أنّ الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم ، فكذلك الملائكة أولياء المتّقين وأحبّاؤهم فى الدارين (ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم) من النعيم (ولكم فيها ما تدّعون) تتمنّون (نزلا) هو رزق النزيل وهو الضيف — وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة أو من (ما) .

مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝ (١) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ (٢) وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝ (٣) وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝

---

(١) نعت له .

(٢) (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله) إلى عبادته (وعمل صالحا) خالصا (وقال إنّنى من المسلمين) تفاخرا بالإسلام ومعتقدا له . هو رسول الله دعا إلى التوحيد . أو أصحابه عليه السلام . أو المؤذنون . أو جميع الهداة والدعاة إلى الله .

(٣) يعنى أنّ الحسنة والسيّئة متفاوتتان فى أنفسهما . فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيّئة التى ترد عليك من بعض أعدائك . كما لو أساء إليك رجل إساءة . فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك . مثل أن يذمّك فتمدحه ، أو يقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوّه (فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنّه ولىّ حميم) . فإنّك إذا فعلت ذلك انقلب عدوّك المشاقّ مثل الولىّ الحميم مصافاة لك . ثمّ قال (وما يلقّاها) أى وما يلقّ هذه الخصلة التى هى مقابلة الإساءة بالإحسان (إلّا الذين صبروا) إلّا أهل الصبر (وما يلقّاها إلّا ذو حظّ عظيم) إلّا رجل خير وفّق لحظّ عظيم من الخير. وإنّما لم يقل فادفع بالتى هى أحسن لأنّه على تقدير قائل قال فكيف أصنع ؟ فقيل (ادفع بالتى هى أحسن) . وقيل (لا) مزيدة للتأكيد . والمعنى لا تستوى الحسنة والسّيئة . وكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتى هى حسنة . ولكن وضع التى هى أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ فى الدفع بالحسنة . لأنّ من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها . وعن ابن عباس رضى الله عنهما (بالتى هى أحسن) الصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة . وفسر الحظّ بالثواب . وعن الحسن والله ما عظم حظّ دون الجنّة . وقيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب وكان عدوّا مؤذيا للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم فصار وليّا مصافيا .

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١) ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٢) ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ (٣) ﴿٣٨﴾

(١) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الأنسان كأنّه ينخُسه يبعثه على مالا ينبغى . وجعل النزغ نازغا كما قيل جدّ جدّه . أو أريد (وإمّا ينزغنّك) نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله . والمعنى وإن صرفك الشيطان عمّا وصّيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) من شرّه وامض على حلمك ولا تطعه (إنّه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنزغ الشيطان .

(٢) (ومن آياته) الدالّة على وحدانيّته (الليل والنهار) فى تعاقبهما على حدّ معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (والشمس والقمر) فى اختصاصهما بسير مقدّر ونور مقرّر (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) فإنّهما مخلوقان وإن كثرت منافعهما (واسجدوا لله الذى خلقهنّ إن كنتم إيّاه تعبدون). الضمير فى (خلقهنّ) للآيات أو الليل والنهار والشمس والقمر لأنّ حكم جماعة مالا يعقل حكم الأنثى أو الإناث تقول الأقلام بريتها وبريتهنّ . ولعلّ ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب ويزعمون أنّهم يقصدون بالسجود لها السجود لله تعالى . فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا إن كانوا إيّاه يعبدون وكانوا موحّدين غير مشركين . فانّ من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا لله .

(٣) (فالذين عند ربّك) أى الملائكة (يسبّحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملّون . والمعنى (فإن استكبروا) ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا إلّا الواسطة فدعهم وشأنهم فإنّ الله تعالى لا يعدم عابدا وساجدا بالإخلاص وله العباد المقرّبون الذين ينزّهونه بالليل والنهار عن الأنداد . و(عند ربّك) عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا (لا يسأمون)، وعند الشافعىّ رحمه الله عند (تعبدون) . والأوّل أحوط .

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ
وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) ۝
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ
أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ (٢) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ (٣) وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ (٤) ۝
(٥) لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝

---

(١) (خاشعة) يابسة مغبّرة. والخشوع التذلّل فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لانبات فيها (فإذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزّت) تحرّكت بالنبات (وربت) انتفخت (إنّ الذى أحياها لمحيى الموتى إنّه على كلّ شىء قدير) فيكون قادرا على البعث ضرورة .

(٢) (إنّ الذين) يميلون عن الحقّ فى أدلّتنا بالطعن — يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر فى شقّ . فاستعير للانحراف فى تأويل آيات القرآن عن جهة الصحّة والاستقامة (يَلحَدون) حمزة — (لايخفون علينا) وعيد لهم على التحريف . (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعملوا ماشئتم) هذانهاية فى التهديد ومبالغة فى الوعيد (إنّه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه .

(٣) (انّ الذين كفروا) بالقرآن — وهو بدل من (إنّ الذين يلحدون فى آياتنا) لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرّفوا تأويله — (لمّا جاءهم) حين جاءهم . وخبر (إنّ) محذوف . أى يعذبون أو هالكون . أو (أولئك ينادون من مكان بعيد) وما بينهما اعتراض .

(٤) أى منيع محمىّ بحماية الله .

(٥) (لايأتيه) التبديل أو التناقض (من بين يديه ولامن خلفه) أى بوجه من الوجوه (تنزيل من حكيم حميد) مستحق للحمد .

مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ [1] وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ [2] قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ [3]

---

(١) مايقول لك كفّار قومك إلّا مثل ماقال للرسل كفّار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن فى الكتب المنزلة (إنّ ربّك لذو مغفرة) ورحمة لأنبيائه (وذو عقاب أليم) لأعدائهم. ويجوز أن يكون مايقول لك الله إلّا مثل ماقال للرسل من قبلك والمقول هو قوله (إنّ ربّك لذو مغفرة وذو عقاب أليم).

(٢) (ولو جعلناه) أى الذكر (قرآنا أعجميّا) أى بلغة العجم. كانوا لتعنّتهم يقولون هلّا نزل القرآن بلغة العجم! فقيل فى جوابهم لوكان كما يقترحون (لقالوا) تعنّتا (لولا فصّلت آياته) — أى بيّنت بلسان العرب حتّى نفهمها. (أأعجمى وعربىّ) بهمزتين كوفىّ غير حفص. والهمزه للإنكار. يعنى لأنكروا وقالوا (أ) قرآن (أعجمىّ) ورسول (عربىّ) أو مرسل إليه عربىّ. الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة. والأعجمىّ الذى لايفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم أو العرب. والعجمىّ منسوب إلى أمّة العجم فصيحا كان أو غير فصيح. والمعنى إنّ آيات الله على أىّ طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنّتا لأنّهم غير طالبين للحقّ و إنما يتبعون أهواءهم. وفيه إشارة إلى أنّه لو أنزله بلسان العجم لكان قرآنا فيكون دليلا لأبى حنيفة رضى الله عنه فى جواز الصلاة إذا قرأ بالفارسيّة.

(٣) اى القرآن (للذين آمنوا) إرشاد إلى الحقّ (وشفاء لما فى الصدور) من الشكّ. إذ الشكّ مرض (والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر) فى موضع الجرّ لكونه معطوفا على (للذين آمنوا). أى هو (للذين آمنوا هدى وشفاء) وهو لـ (الذين لايؤمنون فى آذانهم وقر) أى صمم. إلّا أنّ فيه عطفا على عاملين وهو جائز عند الاخفش. أو الرفع وتقديره (والذين لايؤمنون) هو (فى آذانهم وقر) على حذف المبتدأ أو (فى آذانهم) منه (وقر وهو) أى القرآن (عليهم عمى) ظلمة وشبهة (أولئك

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ (١) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ (٢) وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ (٣) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى (٤)

ينادون من مكان بعيد) يعنى أنّهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كأنّهم ينادون إلى الإيمان بالقرآن من حيث لايسمعون لبعد المسافة . وقيل (ينادون) فى القيامة (من مكان بعيد) بأقبح الأسماء .

(١) (فاختلف فيه) — فقال بعضهم هو حقّ وقال بعضهم هو باطل — كما اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربّك) بتأخير العذاب (لقضى بينهم) لأهلكهم إهلاك استئصال . وقيل الكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وأنّ الخصومات تفصل فى ذلك اليوم . (ولولا) ذلك (لقضى بينهم) فى الدنيا (وإنّهم) وإنّ الكفار (لفى شكّ منه مريب) موقع فى الريبة . (من عمل صالحا فلنفسه) فنفسه نفع (ومن أساء فعليها) فنفسه ضرّ (وما ربّك بظلّام للعبيد) فيعذّب غير المسىء .

(٢) أى علم قيامها يردّ إليه . أى يجب على المسئول أن يقول الله يعلم ذلك .

(٣) (وماتخرج من ثمرات) — مدنىّ وشامىّ وحفص . وغيرهم بغير ألف — (من أكمامها) أوعيتها قبل أن تنشقّ — جمع كمّ — (وماتحمل من أنثى) حملها (ولاتضع إلّا بعلمه) . أى مايحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلّا وهو عالم به يعلم عدد أيّام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك .

(٤) أضافهم إلى نفسه على زعمهم . وبيانه فى قوله أين شركائى الذين زعمتم . وفيه تهكّم وتقريع .

قَالُوٓاْ ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ [1] لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ [2] وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ [3]

(١) (قالوا) أعلمناك. وقيل أخبرناك. وهو الأظهر. إذ الله تعالى كان عالما بذلك. و إعلام العالم محال. أمّا الإخبار للعالم بالشيء فيتحقّق بما علم به. إلّا أن يكون المعنى إنّك علمت من قلوبنا الآن أنّا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنّه إذا علمه من نفوسهم فكأنّهم أعلموه. (ما منّا من شهيد) أى ما منّا أحد اليوم يشهد بأنّ لك شريكا وما منّا إلّا من هو موحّد لك. أو (ما منّا من) أحد يشاهدهم لأنّهم ضلّوا عنهم وضلّت عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ. وقيل هو كلام الشركاء. أى (ما منّا من شهيد) يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة (وضلّ عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) فى الدنيا (وظنّوا) وأيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب.

(٢) (لا) يملّ (الانسان) الكافر — بدليل قوله (وما أظنّ الساعة قائمة) — (من دعاء الخير) من طلب السعة فى المال والنعمة. والتقدير من دعائه الخير. فحذف الفاعل وأضيف إلى المفعول. (وإن مسّه الشرّ) الفقر (فيئوس) من الخير (قنوط) من الرحمة. بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير. والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه — وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى (إنّه لا ييئس من روح الله إلّا القوم الكافرون).

(٣) وإذا فرجنا عنه بصحّة بعد مرض، أو سعة بعد ضيق، قال (هذا لى) أى هذا حقّ وصل إلىّ لأنّى استوجبته بما عندى من خير وفضل وأعمال برّ. أو (هذا لى) لا يزول عنّى (وما أظنّ الساعة قائمة) أى ما أظنّها تكون قائمة (ولئن رجعت إلى ربّى) كما يقول المسلمون (إنّ لى عنده) عند الله (للحسنى) أى الجنّة. أو الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة، قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا.

فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ[(١)] ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ[(٢)] ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ[(٣)] ﴿٥٢﴾

---

(١) فلنخبرنّهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب (ولنذيقنّهم من عذاب غليظ) شديد لا يفتر عنهم .

(٢) هذا ضرب آخر من طغيان الإنسان. إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة فنسى المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) وتباعد عن ذكر الله ودعائه أو ذهب بنفسه وتكبّر وتعظّم. وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لأنّ مكان الشيء وجهته ينزّل منزلة نفسه . ومنه قول الكتّاب. كتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته. فكأنّه قال (ونأى) بنفسه. (وإذا مسّه الشرّ) الضرّ والفقر (فذو دعاء عريض) كثير . أى أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى الابتهال والتضرّع . وقد استعير العرض وهو من صفة الأجرام ، لكثرة الدعاء ودوامه . كما استعير الغلظ لشدّة العذاب . ولا منافاة بين قوله (فيئوس قنوط) وبين قوله (فذو دعاء عريض) لأن الأوّل فى قوم والثانى فى قوم . أو قنوط فى البرّ وذو دعاء عريض فى البحر . أو قنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان . أو قنوط من الصنم ذو دعاء لله تعالى .

(٣) (أرأيتم) أخبرونى (إن كان) القرآن (من عند الله ثمّ كفرتم به) ثمّ جحدتم أنّه من عند الله (من أضلّ)منكم؟ إلّا أنّه وضع قوله (ممن هو فى شقاق بعيد) موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم .

سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ[1] ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ[2] ۝

---

[1] (سنريهم آياتنا فى الآفاق) من فتح البلاد شرقا وغربا(وفى أنفسهم) فتح مكّة (حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ) أى القرآن أو الإسلام موضع (بربّك) الرفع على أنّه فاعل والمفعول محذوف . وقوله (أنّه على كلّ شئ شهيد) بدل منه . تقديره أولم يكفهم أنّ ربّك على كلّ شئ شهيد. أى أولم تكفهم شهادة ربّك على كلّ شئ. ومعناه أنّ هذا الموعود من إظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبيّنون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كلّ شئ شهيد .

[2] (ألا إنّهم فى مرية) شكّ (من لقاء ربّهم ألا إنّه بكلّ شئ محيط) عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها وظواهرها و بواطنها فلا تخفى عليه خافية . فيجازيهم على كفرهم ومريتهم فى لقاء ربّهم .

سورة الشورى مكّيّة

وهى ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ۝ عٓسٓقٓ[(١)] ۝ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ[(٢)]

(١) فصل (حم) من (عسق) كتابة مخالفا لـ (كهيعص) تلفيقا بأخواتها ، ولأنه آيتان و (كهيعص) آية واحدة .

(٢) أى مثل ذلك الوحى أو مثل ذلك الكتاب (يوحى إليك و إلى) الرسل (من قبلك الله) . يعنى أنّ ما تضمّنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله إليك مثله فى غيرها من السور ، وأوحاه إلى من قبلك يعنى إلى رسله . والمعنى أنّ الله كرّر هذه المعانى فى القرآن وفى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من نبىّ صاحب كتاب إلّا أوحى إليه بحم عسق. (يوحى) بفتح الحاء مكّىّ . ورافع اسم (الله) على هذه القراءة مادلّ عليه (يوحى). كأنّ قائلا قال من الموحى ؟ فقيل (الله العزيز) الغالب بقهره (الحكيم) المصيب فى فعله وقوله .(له ما فى السموات وما فى الأرض) ملكا ومُلكا (وهو العلىّ) شأنه (العظيم) برهانه .(تكاد السموات) -و بالياء نافع وعلىّ- (يتفطرن من فوقهنّ) يتشقّقن. (ينفطرن) بصرىّ وأبو بكر. ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته. يدلّ عليه مجيئه بعد قوله (العلىّ العظيم) .وقيل من دعائهم له ولدا كقوله (تكاد السموات يتفطّرن منه). ومعنى (من فوقهنّ) أى يبتدئ الانفطار من جهتهنّ الفوقانيّة. وكان القياس أن يقال ينفطرن

وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (١) ۝ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٢) ۝ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا (٣) لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ

من تحتهنّ من الجهة التى جاءت منها كلمة الكفر لأنّها جاءت من الذين تحت السموات. ولكنّه بولغ فى ذلك فجعلت مؤثرة فى جهة الفوق. كأنّه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهنّ دع الجهة التى تحتهنّ. وقيل من (فوقهنّ) من فوق الأرض. فالكناية راجعة إلى الأرض. لأنّه بمعنى الأرضين. وقيل يتشقّقن لكثرة ما على السموات من الملائكة. قال عليه السلام "أطّت السماء أطّا وحُقّ لها أن تئطّ. ما فيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد".

(١) (يسبّحون بحمد ربّهم) خضوعا لما يرون من عظمته (ويستغفرون) للمؤمنين منهم – كقوله (ويستغفرون للذين آمنوا) – خوفا عليهم من سطواته. أو يوحّدون الله وينزّهونه عمّا لا يجوز عليه من الصفات، حامدين له على ما أولاهم من ألطافه متعجّبين ممّا رأوا من تعرّضهم لسخط الله تعالى، (ويستغفرون) لمؤمنى أهل الأرض الذين تبرّءوا من تلك الكلمة. أو يطلبون إلى ربّهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم بالعقاب (ألا إنّ الله هو الغفور الرحيم) لهم.

(٢) أى (والذين) جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أقوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شىء فيجازيهم عليها (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكّل عليهم ولا مفوّض إليك أمرهم إنّما أنت منذر فحسب.

(٣) ومثل ذلك (أوحينا إليك). وذلك إشارة إلى معنى الآية التى قبلها من أنّ الله رقيب عليهم لا أنت بل أنت منذر. لأنّ هذا المعنى كرّره الله فى كتابه. وهو مفعول به لأوحينا. (قرآنا عربيّا) حال من المفعول به. أى أوحيناه إليك وهو قرآن عربىّ بيّن (لتنذر أمّ القرى) أى مكّة لأنّ الأرض دحيت من تحتها. أو لأنّها أشرف البقاع. والمراد أهل أمّ القرى (ومن حولها)

فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ(١) ۝ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ(٢) ۝ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٣) ۝ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ(٤) ۝

من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة لأنّ الخلائق تجتمع فيه (لاريب فيه) اعتراض لا محل له يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا . وقد عدّى (لتنذر أمّ القرى) إلى المفعول الأوّل (وتنذر يوم الجمع) إلى المفعول الثانى .

(١) أى منهم (فريق فى الجنّة) ومنهم (فريق فى السعير) والضمير للمجموعين لأنّ المعنى يوم جمع الخلائق .

(٢) أى (ولو شاء الله لجعلهم) مؤمنين كلّهم (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أى يكرم من يشاء بالإسلام . والكافرون (مالهم من ولىّ) شافع (ولا نصير) دافع .

(٣) الفاء لجواب شرط مقدّر . كأنّه قيل بعد إنكار كلّ ولىّ سواه إن أرادوا أولياء بحقّ (فالله هو الولىّ) بالحقّ. وهو الذى يجب أن يتولّى وحده لا ولىّ سواه (وهو يحيي الموتى وهو على كلّ شىء قدير) فهو الحقيق بأن يتّخذ وليّاً دون من لا يقدر على شىء .

(٤) حكاية قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للمؤمنين . أى ما خالفكم فيه الكفّار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوّض (إلى الله) وهو إثابة المحقّين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين. (ذلكم) الحاكم بينكم (الله ربّى عليه توكّلت) — فيه ردّ كيد أعداء الدين — (وإليه أنيب) أرجع فى كفاية شرّهم . وقيل : وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وغيره .

فَاطِرُ[1] ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ[2] فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ[3] شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ[4] ﴿١١﴾

(١) ارتفاعه على أنّه أحد أخبار (ذلكم) أو خبر مبتدأ محذوف .

(٢) خلق لكم من جنسكم من الناس (أزواجا ومن الأنعام أزواجا) أى وخلق للأنعام أيضا من أنفسها أزواجا (يذرؤكم) يكثّركم — يقال ذرأ الله الخلق بثّهم وكثّرهم (فيه) — فى هذا التدبير . وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا حتّى كان بين ذكورهم و إناثهم التوالد والتناسل. واختير (فيه) على به لأنّه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبثّ والتكثير . والضمير فى (يذرؤكم) يرجع إلى المخاطبين والأنعام مغلّبا فيه المخاطبون العقلاء على الغَيَب ممّا لا يعقل .

(٣) قيل إنّ كلمة التشبيه كرّرت لتأكيد نفى التماثل . وتقديره ليس مثله شىء . وقيل المثل زيادة . وتقديره ليس كهو شىء . كقوله تعالى (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) . وهذا لأنّ المراد نفى المثلية. وإذا لم تجعل الكاف أو المثل زيادة كان إثبات المثل . وقيل المراد ليس كذاته شىء لأنّهم يقولون مثلك لا يبخل يريدون به نفى البخل عن ذاته و يقصدون المبالغة فى ذلك بسلوك طريق الكناية لأنّهم إذا نفوه عمّن يسدّ مسدّه فقد نفوه عنه. فإذا علم أنّه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شىء وبين قوله ليس كمثله شىء إلّا ما تعطيه الكناية من فائدتها . وكأنّهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد . وهو نفى المماثلة عن ذاته. ونحوه (بل يداه مبسوطتان) . فمعناه بل هو جواد من غير تصوّر يد ولا بسط لها لأنّها وقعت عبارة عن الجود حتّى إنّهم استعملوها فيمن لا يد له . فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له .

(٤) (السميع) لجميع المسموعات بلا أذن (البصير) لجميع المرئيّات بلا حدقة . وكأنّه ذكرهما لئلا يتوهّم أنّه لا صفة له كما لا مثل له .

لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ[1] ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ[2] إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ[3] وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ[4] كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ[5] ﴿١٣﴾

---

(١) مرّ فى الزمر .

(٢) أى يضيق .

(٣) (شرع) بيّن وأظهر (لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى). أى (شرع لكم من الدين) دين نوح ومحمّد ومن بينهما من الأنبياء عليهم السلام . ثمّ فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين). والمراد إقامة دين الإسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر مايكون المرء بإقامته مسلما . ولم يرد به الشرائع فإنّها مختلفة . قال الله تعـالى (لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) . ومحلّ (أن أقيموا) نصب بدل من مفعول (شرع) والمعطوفين عليه . أو رفع على الاستئناف . كأنّه قيل وما ذلك المشروع ؟ فقيل هو إقامة الدين .

(٤) ولا تختلفوا فى الدين . قال علىّ رضى الله عنـه لا تتفرّقوا فالجماعة رحمـة والفرقة عذاب .

(٥) عظم عليهم وشقّ عليهم (ماتدعوهم إليه) من إقامة دين الله والتوحيد (الله يجتبى) يجتلب ويجمع (إليه) إلى الدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء ويهدى إليه من ينيب) يقبل على طاعته .

وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١) ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٢) ﴿١٥﴾

---

(١) (وما تفرّقوا) أى أهل الكتاب بعد أنبيائهم (إلّا من بعد ماجاءهم العلم) إلّا من بعد أن علموا أنّ الفرقة ضلال وأمر متوعّد عليه على ألسنة الأنبياء عليهم السلام (بغيا بينهم) حسدا وطلبا للرياسة والاستطالة بغير حقّ (ولولا كلمة سبقت من ربّك إلى أجل مسمّى) — وهى (بل الساعة موعدهم) — لأهلكوا حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وإنّ الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (لفى شكّ منه) من كتابهم لايؤمنون به حقّ الإيمان (مريب) مدخل فى الريبة . وقيل وما تفرّق أهل الكتاب (إلّا من بعد ما جاءهم العلم) بمبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — كقوله تعالى (وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البيّنة) — (وإنّ الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل ...

(٢) فلاجل ذلك التفرّق ولما حدث بسببه من تشعّب الكفر شعبا (فادع) إلى الاتّفاق والائتلاف على الملّة الحنيفيّة القويّة (واستقم) عليها وعلى الدعوة إليها (كما أمرت) كما أمرك الله (ولا تتّبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) بأىّ كتاب صحّ أنّ الله تعالى أنزله . يعنى الإيمان بجميع الكتب المنزلة لأنّ المتفرّقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) إلى قوله (أولئك هم

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢)

الكافرون حقاً) — (وأمرت لأعدل بينكم) فى الحكم إذا تخاصمتم فتحاكمتم إلىّ (الله ربّنا وربّكم) أى كلّنا عبيده (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هو كقوله (لكم دينكم ولى دين). ويجوز أن يكون معناه إنّا لا نؤاخذ بأعمالكم وأنتم لا تؤاخذون بأعمالنا (لا حجّة بيننا وبينكم) أى لاخصومة لأنّ الحقّ قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة إلى المحاجّة. ومعناه لا إيراد حجّة بيننا لأنّ المتحاجّين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (وإليه المصير) المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم.

(١) (والذين) يخاصمون فى دينه (من بعد ما) استجاب له النّاس ودخلوا فى الإسلام، ليردّوهم إلى دين الجاهليّة — كقوله (ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفّارا). كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبيّنا قبل نبيّكم. فنحن خير منكم وأولى بالحقّ. وقيل (من بعد ما استجيب) لمحمّد عليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر — (حجّتهم داحضة) باطلة — وسمّاها حجّة وإن كانت شبهة لزعمهم أنّها حجّة — (عند ربّهم وعليهم غضب) بكفرهم (ولهم عذاب شديد) فى الآخرة.

(٢) (أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحقّ) بالصدق أو ملتبسا به (والميزان) والعدل والتسوية. ومعنى إنزال العدل أنّه أنزله فى كتبه المنزلة. وقيل هو عين الميزان أنزله فى زمن نوح عليه السلام. (وما يدريك لعلّ الساعة قريب) أى لعلّ الساعة قريب منك وأنت لا تدرى. والمراد مجىء الساعة. والساعة فى تأويل البعث. ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع إنزال الكتب والميزان أنّ الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط. فكأنّه قيل أمركم

ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ[(١)] يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ[(٢)] وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ[(٣)] ﴿١٩﴾
مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ[(٤)] ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦ[(٥)]

الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع فاعملوا بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم. (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها) وجلون لهولها (ويعلمون أنّها الحقّ) الكائن لا محالة (ألا إنّ الذين يمارون في الساعة) — المماراة الملاحّة لأنّ كلّ واحد منهما يمرى ما عند صاحبه — (لفي ضلال بعيد) عن الحقّ لأنّ قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى . وقد دلّ الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على أنّه لا بدّ من دار جزاء .

(١) (الله لطيف بعباده) في إيصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف إدراكه . وهو برّ بليغ البرّ بهم قد توصّل برّه إلى جميعهم . وقيل هو من لطف بالغوامض علمه ، وعظم عن الجرائم حلمه . أو من ينشر المناقب ، ويستر المثالب . أو يعفو عمّن يهفو . أو يعطي العبد فوق الكفاية ، ويكلّفه الطاعة دون الطاقة . وعن الجنيد لطف بأوليائه فعرفوه ولو لطف بأعدائه ما جحدوه .

(٢) أي يوسع رزق من يشاء إذا علم مصلحته فيه . في الحديث إنّ من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلّا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك . وإنّ من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلّا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك .

(٣) (القويّ) الباهر القدرة الغالب على كلّ شيء (العزيز) المنيع الذي لا يغلب .

(٤) سمّي ما يعمله العامل ممّا يبتغي به الفائدة حرثا مجازا .

(٥) (نزد له في حرثه) بالتوفيق في عمله أو التضعيف في إحسانه أو بأن ينال به الدنيا والآخرة.

وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا (١) وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (٢) ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ (٣) وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) ۝ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ (٥) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ (٦) لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ (٧)

---

(١) أى من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نؤته) شيئا (منها) — لأنّ من للتبعيض — وهو رزقه الذى قسم له لا ما يريده و يبتغيه . ولم يذكر فى عامل الآخرة أنّ رزقه المقسوم يصل إليه للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه فى المآب

(٢) (وما له) نصيب قطّ (فى الآخرة)

(٣) (أم) قيل هى المنقطعة . وتقديره بل ألهم شركاء . وقيل هى المعادلة لألف الاستفهام . وفى الكلام إضمار تقديره أيقبلون ماشرع الله من الدين (أم لهم) آلهة (شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) أى لم يأمر به (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء — أى ولولا العدة بأنّ الفصل يكون يوم القيامة — (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين . أو لعجلت لهم العقوبة .

(٤) (وإنّ) المشركين (لهم عذاب أليم) فى الآخرة و إن أخّر عنهم فى دار الدنيا .

(٥) (ترى الظالمين) المشركين فى الآخرة (مشفقين) خائفين (ممّا كسبوا) من جزاء كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم لا محالة أشفقوا أو لم يشفقوا .

(٦) كأنّ روضة جنّة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها .

(٧) (عند) نصب بالظرف لا بيشاءون .

ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ (١) ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ (٢) قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ (٣) أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ

(١) (هو الفضل الكبير) على العمل القليل .

(٢) أى (ذلك) الفضل الكبير (الذى يبشُر الله) — مكّى وأبو عمرو وحمزة وعلىّ — أى به (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات). فحذف الجارّ كقوله (واختار موسى قومه) . ثمّ حذف الراجع إلى الموصول كقوله (أهذا الذى بعث الله رسولا) .

(٣) لمّا قال المشركون أيبتغى محمّد على تبليغ الرسالة أجرا نزل : (قل لا أسألكم عليه) على التبليغ (أجرا إلّا المودّة فى القربى) . يجوز أن يكون استثناء متّصلا . أى لا أسألكم عليه أجرا إلّا هذا . وهو أن تودّوا أهل قرابتى . ويجوز أن يكون منقطعا . أى لا أسألكم أجرا قطّ ولكنّى أسألكم أن تودّوا قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم . ولم يقل إلا مودّة القربى أو المودّة للقربى لأنّهم جعلوا مكانا للودّة ومقرّا لها كقولك لى فى آل فلان مودّة ولى فيهم حبّ شديد تريد أحبهم وهم مكان حبّى ومحلّه . وليست (فى) بصلة للودّة كاللام إذا قلت إلّا المودّة للقربى . إنما هى متعلّقة بمحذوف تعلّق الظرف به فى قولك المال فى الكيس . وتقديره (إلّا المودّة) ثابتة (فى القربى) ومتمكّنة فيها . والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة . والمراد (فى) أهل (القربى) . وروى أنّه لمّا نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ قال : علىّ وفاطمة وابناهما . وقيل معناه إلّا أن تودّونى لقرابتى فيكم ولا تؤذونى ولا تهيجوا علىّ . إذ لم يكن من بطون قريش إلّا بين رسول الله وبينهم قرابة . وقيل القربى التقرّب إلى الله تعالى أى إلّا أن تحبّوا الله ورسوله فى تقرّبكم إليه بالطاعة والعمل الصالح .

وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً[1] نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا[2] إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ[3] ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا[4] فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ[5] وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ[6] وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ[7] إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ[8] ﴿٢٤﴾

---

(١) يكتسب طاعة . عن السدّى أنّها المودة فى آل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ومودّته فيهم . والظاهر العموم فى أىّ حسنة كانت إلّا أنّها تتناول المودّة تناولا أوّليّا لذكرها عقيب ذكر المودّة فى القربى .

(٢) أى نضاعفها كقوله (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) وقرئ (حسنى) وهو مصدر كالبشرى . والضمير يعود إلى الحسنة أو إلى الجنّة .

(٣) (غفور) لمن أذنب بطوله (شكور) لمن أطاع بفضله . وقيل قابل للتوبة حامل عليها . وقيل الشكور فى صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضّل على المثاب .

(٤) (أم) منقطعة . ومعنى الهمزة فيه التوبيخ . كأنّه قيل أيتما لكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء ثمّ إلى الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأفحشها ؟

(٥) قال مجاهد أى يربط على قلبك بالصبر على أذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذبا لئلا تدخله مشقّة بتكذيبهم .

(٦) أى الشرك . وهو كلام مبتدأ غير معطوف على (يختم) لأنّ محو الباطل غير متعلّق بالشرط . بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع (ويحقّ) . وإنّما سقطت الواو فى الخطّ كما سقطت فى (ويدع الإنسان بالشرّ دعاءه بالخير) و(سندع الزبانية) على أنّها مثبتة فى مصحف نافع .

(٧) ويظهر الاسلام ويثبته (بكلماته) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام . وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأظهر الإسلام .

(٨) أى (عليم) بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الأمر على حسب ذلك .

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ (١) وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ (٢)
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٣) ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ (٤) وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ (٥) عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾

(١) يقال قبلت منه الشيء إذا أخذته منه وجعلته مبدأ قبولى . و يقال قبلته عنه أى عزلته عنه وأبنته عنه . والتوبة أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما. والعزم على ألّا يعود و إن كان لعبد فيه حقّ لم يكن بدّ من التفصّى على طريقه . وقال علىّ رضى الله عنه هو اسم يقع على ستّة معان . على المـاضى من الذنوب الندامة ، ولتضييع الفرائض الإعادة ، وردّ المظالم ، و إذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية ، و إذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، والبكاء بدل كلّ ضحك ضحكته . وعن السدّىّ هو صدق العزيمة على ترك الذنوب والإنابة بالقلب إلى علّام الغيوب. وعن غيره هو ألّا يجد حلاوة الذنب فى القلب عند ذكره . وعن سهل هو الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة . وعن الجنيد هو الإعراض عمّا دون الله .

(٢) هو مادون الشرك . يعفو لمن يشاء بلا توبة .

(٣) بالتاء كوفىّ غير أبى بكر. أى من التوبة والمعصية . ولا وقف عليه للعطف عليه واتّصال المعنى .

(٤) أى إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم. واستجاب وأجاب بمعنى . والسين فى مثله لتوكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم . والتقدير ويجيب الله الذين آمنوا . وقيل معناه و يستجيب للذين فحذف اللام . منّ عليهم بأن يقبل توبتهم إذا تابوا ، و يعفو عن سيّئاتهم ، ويستجيب لهم إذا دعوه ، و يزيدهم على ماسألوه. وعن إبراهيم ابن أدهم أنّه قيل له ما بالنا ندعوه فلا نجاب ؟ قال لأنه دعاكم فلم تجيبوه .

(٥) (لهم) فى الآخرة .

وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ(١) وَلَٰكِن يُنَزِّلُ(٢) بِقَدَرٍ(٣) مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ(٤) ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ(٥) ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ(٦) وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ(٧) وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ(٨) ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ(٩) ۝

---

(١) أى لو أغناهم جميعا (لبغوا فى الأرض) من البغى وهو الظلم . أى لبغى هـذا على ذاك وذاك على هذا . لأنّ الغنى مبطرة مأشرة . وكفى بحال قارون وفرعون عبرة . أو من البغى وهو الكبر . أى لتكبّروا فى الأرض .

(٢) بالتخفيف مكّىّ وأبو عمرو .

(٣) بتقدير . يقال قدره قدْرا وقدَرا .

(٤) يعلم أحوالهم فيقدِّر لهم ما تقتضيه حكمته . فيفقر ويغنى ، ويمنع ويعطى ، ويقبض ويبسط . ولو أغناهم جميعا لبغوا . ولو أفقرهم لهلكوا . وما ترى من البسط على من يبغى ، ومن البغى بدون البسط ، فهو قليل . ولا شكّ أنّ البغى مع الفقر أقلّ ، ومع البسط أكثر وأغلب .

(٥) بالتشديد مدنىّ وشامىّ وعاصم .

(٦) وقرئ (قنِطوا) .

(٧) (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه وما يحصـل به من الخصب . وقيل لعمر رضى الله عنه : اشتدّ القحط وقنط الناس ، فقال : مطروا إذًا . أراد هذه الآية . أو أراد رحمته فى كلّ شىء .

(٨) الذى يتولّى عباده بإحسانه ، المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته .

(٩) أى من علامات قدرته (خلق السموات والأرض) مع عظمهما (وما بثّ) فرّق — و (ما) يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف أو المضاف إليه — (فيهما) من السموات والأرض (من دابّة) . الدوابّ تكون فى الأرض وحدها لكن يجـوز أن ينسب الشئ إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه . كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد ، وإنّما هو

وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ(١) فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ(٢) ۝
وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ(٣) ۝

فى نخذ من أنخاذهم . ومنه قوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) ، وإنّما يخرج من الملح . ولا يبعد أن يخلق فى السموات حيوانات يمشون فيها مشى الأناسىّ على الأرض. أو يكون للملائكة مشى مع الطيران، فوصفوا بالدبيب كما وصف به الأناسىّ.(وهو على جمعهم) يوم القيامة (إذا يشاء قدير). إذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى قال الله تعالى (والليل إذا يغشى).

(١) غمّ وألم ومكروه .

(٢) أى بجناية كسبتموها عقوبة عليكم.(بما كسبت) بغير الفاء مدنىّ وشامىّ ، على أن (ما) مبتدأ و(بما كسبت) خبره من غير تضمين معنى الشرط . ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط . وتعلّق بهذه الآية من يقول بالتناسخ . وقال لو لم يكن للأطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألّموا. وقلنا الآية مخصوصة بالمكلّفين بالسباق والسياق وهو (ويعفو عن كثير) أى من الذنوب فلا يعاقب عليه . أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة . وقال ابن عطاء " من لم يعلم أنّ ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأنّ ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر فى إحسان ربّه إليه".وقال محمّد بن حامد "العبد ملازم للجنايات فى كلّ أوان.وجناياته فى طاعته أكثر من جناياته فى معاصيه.لأنّ جناية المعصية من وجه، وجناية الطاعة من وجوه . والله يطهّر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفّف عنه أثقاله فى القيامة.ولولا عفوه ورحمته لهلك فى أوّل خطوة".وعن علىّ رضى الله تعالى عنه : "هذه أرجى آية للمؤمنين فى القرآن . لأنّ الكريم إذا عاقب مرّة لا يعاقب ثانيا . وإذا عفا لا يعود" .

(٣) أى (وما أنتم) بفائتين ما قضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولىّ) متولّ بالرحمة (ولا نصير) ناصر يدفع عنكم العذاب إذا حلّ بكم .

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ(١) فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ(٢) ۝ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ(٣) ۝ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ(٤) ۝ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ(٥) ۝ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٦) ۝

---

(١) جمع جارية وهى السفينة. (الجوارى) فى الحالين مكّى وسهل ويعقوب. وافقهم مدنىّ وأبو عمرو فى الوصل.

(٢) كالجبال.

(٣) (إن يشأ يسكن الرياح) — مدنىّ — (فيظللن) ثوابت لاتجرى على ظهر البحر (إنّ فى ذلك لآيات لكلّ صبّار) على بلائه (شكور) لنعمائه. أى لكلّ مؤمن مخلص. فالإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر. أو (صبّار) على طاعته (شكور) لنعمته.

(٤) (أو يوبقهنّ) يهلكهنّ فهو عطف على (يسكن). والمعنى (إن يشأ يسكن الريح) فيركدن، أو يعصفها فيغرقن بعصفها (بما كسبوا) من الذنوب (ويعف عن كثير) منها فلا يجازى عليها. وإنّما أدخل العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه، لأنّ المعنى أو إن يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم.

(٥) بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا) أى فى إبطالها ودفعها — (ويعلم) مدنىّ وشامىّ على الاستئناف — (مالهم من محيص) مهرب من عذابه.

(٦) (وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون). (ما) الأولى ضمّنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية. نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدّق بجميع ماله فلامه الناس.

وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ (١) كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ (٢) وَٱلْفَوَٰحِشَ (٣) وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ (٤) ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ (٥) وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ (٦) وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ (٧) وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٨) ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٩) ﴿٣٩﴾

(١) عطف على الذين آمنوا وكذا ما بعده .

(٢) أى الكبائر من هذا الجنس . (كبير الإثم) علىّ وحمزة . وعن ابن عباس (كبير الإثم) هو الشرك .

(٣) قيل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا .

(٤) (وإذا ما غضبوا) من أمور دنياهم (هم يغفرون) أى هم الأخصّاء بالغفران فى حال الغضب . والمجىء بـ (هم) وإيقاعه مبتدأ وإسناد (يغفرون) إليه، لهذه الفائدة . ومثله (هم ينتصرون) .

(٥) نزلت فى الأنصار دعاهم الله عزّ وجلّ للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه .

(٦) وأتمّوا الصلوات الخمس .

(٧) أى ذو شورى لا ينفردون برأى حتّى يجتمعوا عليه . وعن الحسن ما تشاور قوم إلّا هدوا لأرشد أمرهم . والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور .

(٨) يتصدّقون .

(٩) (والذين إذا أصابهم) الظلم (هم) ينتقمون ممّن ظلمهم أى يقتصرون فى الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدون . وكانوا يكرهون أن يذلّوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفسّاق . وإنّما حمدوا على الانتصار لأنّ من انتصر وأخذ حقّه ولم يجاوز فى ذلك حدّ الله فلم يسرف فى القتل إن كان ولىّ دم فهو مطيع لله وكلّ مطيع محمود .

وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ (١) وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ (٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ (٣)

---

(١) بيّن حدّ الانتصار فقال (وجزاء سيّئة سيّئة مثلها) فالأولى سيّئة حقيقة والثانية لا . وإنما سمّيت سيّئة لأنّها مجازاة السوء، أو لأنّها تسوء من تنزل به، ولأنّه لو لم تكن الأولى لكانت الثانية سيّئة لأنّها إضرار، وإنّما صارت حسنة لغيرها، أو فى تسمية الثانية سيّئة إشارة الى أنّ العفو مندوب إليه . والمعنى أنهّ يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة (فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء (فأجره على الله) عدة مبهمة لا يقاس أمرها فى العظم (إنّه لايحبّ الظالمين) الذين يبدءون بالظلم أوالذين يجاوزون حدّ الانتصار . فى الحديث ينادى مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فلا يقوم إلّا من عفا .

(٢) أى (ولمن) أخذ حقّه بعد ما ظُلم — على إضافة المصدر إلى المفعول — (فأولئك) — إشارة إلى معنى (من) دون لفظه — (ما عليهم من سبيل) للعاقب ولا للعاتب والمعايب . (إنّما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدئونهم بالظلم (ويبغون فى الأرض) يتكبّرون فيها ويعلون ويفسدون (بغير الحقّ أولئك لهم عذاب أليم) . وفسّر السبيل بالتبعة والحجة .

(٣) (ولمن صبر) على الظلم والأذى (وغفر) ولم ينتصر (إنّ ذلك) أى الصبر والغفران منه (لمن عزم الأمور) أى من الأمور التى ندب إليها أو ممّا ينبغى أن يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخّص فى تركه . وحذف الراجع — أى منه — لأنّه مفهوم، كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم . وقال أبو سعيد القرشىّ "الصبر على المكاره من علامات الانتباه . فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا . وهو أجلّ الأحوال . ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى إلى نفسه ثمّ لم تنفعه شكواه" .

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ (١) وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (٢) ۝ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا (٣) خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ (٤) وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ (٥) أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٦) ۝ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ (٧) وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ (٨) ۝ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ (٩)

---

(١) فما له من أحد يلي هدايته من بعد إضلال الله إيّاه ويمنعه من عذابه .

(٢) (وترى الظالمين) يوم القيامة (لمّا رأوا العذاب) حين يرون العذاب — واختير لفظ الماضي للتحقيق — (يقولون هل إلى مردّ من سبيل) يسألون ربهم الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا به .

(٣) على النار إذ العذاب يدلّ عليها .

(٤) متضائلين متقاصرين ممّا يلحقهم (من الذلّ ينظرون) إلى النار (من طرف خفيّ) ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف .

(٥) (يوم) متعلّق بخسروا — وقول المؤمنين واقع فى الدنيا — أو بقال . أى يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة .

(٦) دائم .

(٧) (من دون) عذابه .

(٨) (فما له من سبيل) إلى النجاة .

(٩) أى أجيبوه إلى ما دعاكم اليه (من قبل أن يأتى يوم) أى يوم القيامة (لا مردّ له من الله) . (من) يتّصل بلا مردّ أى لا يرده الله بعد ماحكم به . أو بيأتى أى (من قبل أن يأتى) من الله يوم لا يقدر أحد على ردّه .

مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ[1] ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ[2] ﴿٥٠﴾

---

(١) أى ليس لكم مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيئا ممّا اقترفتموه ودوّن فى صحائف أعمالكم . والنكير الإنكار .

(٢) (فإن أعرضوا) عن الإيمان (فما أرسلناك عليهم حفيظا) رقيبا (إن عليك إلّا البلاغ) ماعليك إلّا تبليغ الرسالة وقد فعلت (وإنّا إذا أذقنا الإنسان) — المراد الجمع لا الواحد — (منّا رحمة) نعمة وسعة وأمنا وصحة (فرح بها) بطر لأجلها (وإن تصبهم سيّئة) بلاء كالمرض والفقر ونحوهما — وتوحيد (فرح) باعتبار اللفظ . والجمع فى (وإن تصبهم) باعتبار المعنى — (بما قدّمت أيديهم) بسبب معاصيهم (فإنّ الإنسان كفور). ولم يقل فإنّه كفور ليسجّل على أنّ هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال (إنّ الإنسان لظلوم كفّار).والكفور البليغ الكفران . والمعنى أنّه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها . قيل أريد به كفران النعمة . وقيل أريد به الكفر بالله تعالى. (لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوّجهم) أى يقرنهم (ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما) . لمّا ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدّها أتبع ذلك أنّ له تعالى الملك وأنّه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الأولاد ما يشاء فيخصّ بعضا بالإناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل البعض عقيما . والعقيم التى لاتلد . وكذلك رجل عقيم إذاكان لا يولد له . وقدّم الإناث أوّلا على الذكور لأنّ سياق الكلام أنّه فاعل لما يشاؤه لاما يشاؤه الإنسان . فكان ذكر الإناث اللاتى من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهمّ والأهمّ واجب التقديم.

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ (١)

وليلى الجنس الذى كانت العرب تعدّه بلاء ذكر البلاء . ولمّا أخّر الذكور وهم أحقّاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لأنّ التعريف تنويه وتشهير . ثمّ أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقّه من التقديم والتأخير . وعرّف أنّ تقديمهن لم يكن لتقدّمهنّ ولكن لمقتض آخر . فقال (ذكرانا وإناثا). وقيل نزلت فى الأنبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب إناثا ولإبراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلّم ذكورا وإناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين (إنّه عليم) بكلّ شىء (قدير) قادر على كلّ شىء .

(١) وماصحّ لأحد من البشر (أن يكلمه الله إلّاوحيا) أى إلهاما — كما روى "نفث فى روعى"، أو رؤيا فى المنام كقوله عليه السلام "رؤيا الأنبياء وحى". وهو كأمر إبراهيم عليه السلام بذبح الولد — (أومن وراء حجاب) أى يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير أن يبصر السامع من يكلّمه . وليس المراد به حجاب الله تعالى لأنّ الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام من الحجاب. ولكن المراد به أنّ السامع محجوب عن الرؤية فى الدنيا. (أو يرسل رسولا) أى يرسل ملكا (فيوحى) أى الملك إليه . وقيل (وحيا) كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة (أو يرسل رسولا) أى نبيّا كما كلّم أمم الأنبياء على ألسنتهم . و (وحيا) وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأنّ أن يرسل فى معنى إرسالا. و (من وراء حجاب) ظرف واقع موقع الحال كقوله (وعلى جنوبهم) . والتقدير وما صحّ أن يكلّم أحدا إلاّ موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا . ويجوز أن يكون المعنى (وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ) بأن يوحى أو أن يسمع من وراء حجاب أو أن يرسل رسولا. وهو اختيار الخليل. (أو يرسلُ رسولا فيوحى) بالرفع نافع على تقدير (أو) هو (يرسل رسولا فيوحى بإذنه) إذن الله (ما يشاء) من الوحى (إنّه علىّ) قاهر فلا يمانع (حكيم) مصيب فى أقواله وأفعاله فلا يعارض .

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ[1] ﴿٥٣﴾

---

[1] أى كما أوحينا إلى الرسل قبلك أو كما وصفنا لك (أوحينا إليك) إيحاء كذلك (روحا من أمرنا) يريد ما أوحى إليه لأنّ الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيا الجسد بالروح. (ما كنت تدرى) — الجملة حال من الكاف فى (إليك) — (ما الكتاب) القرآن (ولا الإيمان) أى شرائعه أو (ولا الإيمان) بالكتاب. لأنّه إذا كان لايعلم بأنّ الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب. وقيل الإيمان يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل و بعضها الطريق إليه السمع. فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل. وذاك ما كان له فيه علم حتّى كسبه بالوحى. (ولكن جعلناه) أى الكتاب (نورا نهدى به من نشاء من عبادنا و إنّك لتهدى) لتدعو — وقرئ به — (إلى صراط مستقيم) الإسلام (صراط الله) — بدل — (الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) ملكا وملكا. (ألا إلى الله تصير الأمور) هو وعيد بالجحيم ووعد بالنعيم. والله أعلم بالصواب.

سورة الزخرف

تسع وثمانون آية مكيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ۝ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ[1] ۝ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا[2] لَعَلِيٌّ[3] حَكِيمٌ[4] ۝

---

(١) أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله (إنّا جعلناه) صيّرناه (قرآنا عربيّا) جوابا للقسم . وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه . والمبين البيّن للذين أنزل عليهم لأنّه بلغتهم وأساليبهم أو الواضح للتدبّرين . أو الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كلّ ما تحتاج إليه الأمّة فى أبواب الديانة (لعلّكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه .

(٢) وإنّ القرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ . دليله قوله (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ). وسمّى أمّ الكتاب لأنّه الأصل الذى أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ.(أمّ الكتاب) بكسر الألف علىّ وحمزة .

(٣) خبر إنّ . أى فى أعلى طبقات البلاغة . أو رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها .

(٤) ذو حكمة بالغة .

أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا(١)(٢) أَن كُنتُمْ(٣) قَوْمًا مُّسْرِفِينَ(٤) ۝ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ(٥) ۝ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا(٦) وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ(٧) ۝

---

(١) (أ) فننحّى عنكم الذكر ونذوده عنكم. على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض. والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم (فنضرب عنكم الذكر) إنكارا لأن يكون الأمر على خلاف ما قدّم من إنزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيّا ليعقلوه وليعملوا بمواجبه.

(٢) مصدر من صفح عنه إذا أعرض، منتصب على أنّه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم إنزال القرآن و إلزام الحجّة به إعراضا عنكم. ويجوز أن يكون مصدرا على خلاف الصدر لأنّه يقال ضربت عنه أى أعرضت عنه. كذا قاله الفراء.

(٣) لأن كنتم. (إن كنتم) مدنىّ وحمزة. وهو من الشرط الذى يصدر عن المدلّ بصحّة الأمر المتحقّق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفّنى حقّى، وهو عالم بذلك.

(٤) مفرطين فى الجهالة مجاوزين الحدّ فى الضلالة.

(٥) أى كثيرا من الرسل أرسلنا إلى من تقدّمك (وما يأتيهم من نبىّ إلّا كانوا به يستهزءون). هى حكاية حال ماضية مستمرّة أى كانوا على ذلك. وهذه تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن استهزاء قومه.

(٦) تمييز. والضمير للمسرفين لأنّه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يخبره عنهم.

(٧) اى سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصّتهم وحالهم العجيبة التى حقّها أن تسير مسير المثل. وهذا وعد لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ووعيد لهم.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ[1] ۝

[1] (ولئن سألتهم) أى المشركين (من خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم الذى جعل لكم الأرض مهدا) — كوفىّ. وغيره (مهادا). أى موضع قرار — (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلّكم تهتدون) لكى تهتدوا فى أسفاركم (والذى نزّل من السماء ماء بقدر) بمقدار يسلم معه العباد ويحتاج إليه البلاد (فأنشرنا) فأحيينا — عدول من المغايبة إلى الإخبار لعلم المخاطب بالمراد — (به بلدة ميتا). يزيد ميتا. (كذلك تُخرَجون) من قبوركم أحياء. (تَخرُجون) حمزة وعلىّ. ولا وقف على (العليم) لأنّ (الذى) صفته . وقد وقف عليه أبو حاتم على تقدير هو (الذى) . لأنّ هذه الأوصاف ليست من مقول الكفّار لأنّهم ينكرون الإخراج من القبور فكيف يقولون (كذلك تخرجون) ؟ بل الآية حجة عليهم فى إنكار البعث . (والذى خلق الأزواج) الأصناف (كلّها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) أى تركبونه — يقال ركبوا فى الفلك وركبوا الأنعام فغلب المتعدّى بغير واسطة لقوته على المتعدّى بواسطة فقيل تركبونه — (لتستووا على ظهوره) على ظهور ما تركبونه وهو الفلك والأنعام (ثمّ تذكروا) بقلوبكم (نعمة ربّكم إذا استويتم عليه وتقولوا) بألسنتكم (سبحان الذى سخّر لنا هـذا) ذلّل لنا هذا المركوب (وما كنّا له مقرنين) مطيقين . يقال أقرن الشىء إذا أطاقه . وحقيقة أقرنه وجده قرينته لأنّ الصعب لا يكون قرينة للضعيف . (وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون) لراجعون فى المعاد . قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها وهو الجنازة . وعن النبىّ صلى الله

وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا(١) إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ(٢) ۝ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ(٣) ۝ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝

عليه وسلّم أنّه كان إذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله . فإذا استوى على الدابّة قال الحمد لله على كلّ حال (سبحان الذى سخّر لنا هذا) إلى قوله (لمنقلبون) وكبّر ثلاثا وهلّل ثلاثا . وقالوا إذا ركب فى السفينة قال (بسم الله مجراها ومرساها إنّ ربّى لغفور رحيم).وحكى أنّ قوما ركبوا وقالوا (سبحان الذى سخّر لنا هذا) الآية وفيهم رجل على ناقة لا تتحرّك هزالا . فقال " إنّى مقرن لهذه " فسقط منها لوثبتها واندقّت عنقه . وينبغى ألّا يكون ركوب العاقل للتنزّه والتلذّذ بل للاعتبار ويتأمّل عنده أنه هالك لا محالة ومنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه .

(١) متّصل بقوله (ولئن سألتهم) . أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والأرض ليعترفنّ به(و) قد (جعلوا له) مع ذلك الاعتراف (من عباده جزءا) . أى قالوا الملائكة بنات الله. فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد جزءا لوالده . (جزُؤا) أبو بكر وحمّاد .

(٢) لجحود للنعمة ظاهر جحوده لأنّ نسبة الولد إليه كفر .والكفر أصل الكفران كلّه .

(٣) أى بل أتّخذ . والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث ادّعوا أنّه اختار لنفسه المنزلة الأدنى ولهم الأعلى .

(٤) (وإذا بشّر أحدهم) بالجنس الذى جعله له مثلا أى شبها ـــ لأنّه إذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له .لأنّ الولد لا يكون إلاّ من جنس الوالد ـــ (ظلّ وجهه مسودّا وهو كظيم) . يعنى أنّهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أنّ أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتمّ واربدّ وجهه غيظا وتأسّفا وهو مملوء من الكرب . والظلول بمعنى الصيرورة .

أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١) وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ (٢) إِنَـٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ (٣) سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ (٤) وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٥)

(١) أى (أَوَ) يجعل للرحمن من الولد (مَن) هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنّه (ينشأ فى الحلية) أى يتربّى فى الزينة والنعمة . وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنـده بيان ولا يأتى ببرهان . وذلك لضعف عقولهنّ . قال مقاتل لا تتكلّم المرأة إلّا وتأتى بالحجة عليها . وفيه أنّه جعل النشأة فى الزينة من المعايب فعلى الرجل أن يجتنب ذلك و يتزيّن بلباس التقوى . و (من) منصوب المحلّ . والمعنى (أَوَ) جعلوا (من يَنشأ فى الحلية) — يعنى البنات — لله عزّ وجلّ .(يُنشّأ) حمزة وعلىّ وحفص . أى يربّى . قد جمعوا فى كفرهم ثلاث كفرات . وذلك أنّهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليـه أخسّ النوعين وجعلوه من الملائكة المكرّمين فاستخفّوا بهم

(٢) أى سمّوا وقالوا إنّهم إناث .(عندالرحمن) مكّىّ ومدنىّ وشامىّ أى عنديّة منزلة ومكانة لا منزل ومكان . والعباد جمع عبد . وهو ألزم فى الحجاج مع أهل العناد ، لتضادّ بين العبوديّة والولاد .

(٣) وهذا تهكّم بهم . يعنى أنّهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم . فإنّ الله لم يضطرّهم إلى علم ذلك ولا تطرّقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتّى يخبروا عن المشاهدة .

(٤) (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسألون) عنها . وهذا وعيد .

(٥) (ماعبدناهم) أى الملائكة . تعلّقت المعتزلة بظاهر هذه الآية فى أنّ الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر . و إنّما شاء الإيمان فإنّ الكفّار ادّعوا أنّ الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الأصنام حيث (قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى لو شاء منّا أن نترك عبادة الأصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منّا عبادة الأصنام . والله تعالى ردّ عليهم قولهم واعتقادهم

أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ[1] وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ[2] ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ[3]

بقوله (مالهم بذلك) المقول (من علم إن هم إلاّ يخرصون) أى يكذبون . ومعنى الآية عندنا أنّهم ارادوا بالمشيئة الرضا . وقالوا لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا . أو لمنعنا عن عبادتها منع قهر واضطرار . و إذ لم يفعل ذلك فقد رضى بذلك . فردّ الله تعالى عليهم بقوله (مالهم بذلك من علم) الآية . أو قالوا هذا القول استهزاء لاجدّا واعتقادا فأكذبهم الله تعالى فيه وجهّلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرا عنهم (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) وهذا حقّ فى الأصل ولكن لمّا قالوا ذلك استهزاء كذّبهم الله بقوله (إن أنتم إلاّ فى ضلال مبين) وكذلك قال الله تعالى (قالوا نشهد إنك لرسول الله) ثمّ قال (والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون) لأنّهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجّة لهم فيما فعلوا باختيارهم وظنّوا أنّ الله لايعاقبهم على شىء فعلوه بمشيئته وجعلوا أنفسهم معذورين فى ذلك فردّ الله تعالى عليهم .

(١) (أم آتيناهم كتابا) من قبل القرآن او من قبل قولهم هذا (فهم به) آخذون عاملون. وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره (أشهدوا) خلقهم أم آتيناهم كتابا من قبله فيه أنّ الملائكة إناث . (بل) لا حجة لهم يتمسّكون بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع إلّا قولهم (إنّا وجدنا آباءنا على أمّة) على دين فقلّدناهم وهى من الأمّ وهو القصد. فالأمّة الطريقة التى تؤمّ أى تقصد

(٢) الظرف صلة لمهتدون أوهما خبران .

(٣) نبىّ .

إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ (١) إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ (٢) ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ (٣) قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٤) ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ (٥) فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ (٦) ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٧) ﴿٢٩﴾

---

(١) (إلّا قال) متنعّموها وهم الذين أترفتهم النعمة أى أبطرتهم فلا يحبّون إلّا الشهوات والملاهى ويعافون مشاقّ الدين وتكاليفه .

(٢) وهذا تسلية للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم وبيان أنّ تقليد الآباء داء قديم .

(٣) (قال) شامىّ وحفص. أى النذير .(قل) غيرهما. أى قيل للنذير (قل أو لو جئتكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آباءكم) أى أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم .

(٤) (إنّا) ثابتون على دين آبائنا وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى .

(٥) فعاقبناهم بما استحقّوه على إصرارهم .

(٦) أى (و) اذكر (إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنّنى براء) أى برىء — وهو مصدر يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكّر والمؤنّث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى ذو عدل وذات عدل — (ممّا تعبدون إلّا الذى فطرنى) استثناء منقطع كأنّه قال لكن (الذى فطرنى فإنّه سيهدين) يثبّتنى على الهداية .

(٧) وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التى تكلّم بها — وهى قوله (إنّنى براء ممّا تعبدون إلّا الذى فطرنى) — (كلمة باقية فى عقبه) فى ذرّيته فلا يزال فيهم من يوحّد الله ويدعو إلى توحيده (لعلّهم يرجعون) لعلّ من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحّد منهم. والترجّى لإبراهيم (بل متّعت

وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (١) ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ (٢) نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا (٣) وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا (٤)

هؤلاء وآباءهم) — يعنى أهل مكّة وهم من عقب إبراهيم — بالمدّ فى العمر والنعمة فاغترّوا بالمهلة وشغلوا بالتنعّم واتّباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتّى جاءهم الحقّ) أى القرآن (ورسول) أى محمّد عليه السلام (مبين) واضح الرسالة بما معه من الايات البيّنة .

(١) (ولمّا جاءهم الحقّ) القرآن (قالوا هذا سحر وإنّا به كافرون وقالوا) فيه متحكّمين بالباطل (لولا نزّل هذا القرآن) — فيه استهانة به — (على رجل من القريتين عظيم) أى رجل عظيم من إحدى القريتين كقوله (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) أى من أحدهما . والقريتان مكّة والطائف . وعنوا بعظيم مكّة الوليد بن المغيرة ، وبعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفيّ . وأرادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه . ولم يعرفوا أنّ العظيم من كان عند الله عظيما .

(٢) أى النبوّة . والهمزة للإنكار المستقلّ بالتجهيل والتعجيب من تحكّمهم فى اختيار من يصلح للنبوّة .

(٣) (نحن قسمنا بينهم) ما يعيشون به وهو أرزاقهم فى الحيوة الدنيا . أى لم نجعل قسمة الأدون إليهم وهو الرزق فكيف النبوّة ؟ أو كما فضّلت البعض على البعض فى الرزق فكذا أخصّ بالنبوّة من أشاء .

(٤) أى جعلنا البعض أقوياء وأغنياء وموالى والبعض ضعفاء وفقراء وخدماء ليصرّف بعضهم بعضا فى حوائجهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخّروهم فى أشغالهم حتّى يتعايشوا ويصلوا إلى منافعهم هذا بماله وهذا بأعماله .

وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ[١] ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا
لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾
وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا[٢] وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا[٣] وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ[٤] ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ[٥]

(١) أى النبوّة أو دين الله وما يتبعه من الفوز فى المآب (خير) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا .

(٢) لمّا قلّل أمر الدنيا وصغّرها أردفه بما يقرّر قلّة الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس أمّة واحدة)ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر و يطبقوا عليه(لجعلنا)لحقارة الدنيا عندنا (لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضّة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتّكئون وزخرفا)أى لجعلنا للكفّار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلّها من فضة ، وجعلنالهم زخرفا أى زينة من كلّ شىء . والزخرف الذهب والزينة . ويجوز أن يكون الأصل سقفا من فضّة وزخرف أى بعضها من فضّة و بعضها من ذهب.فنصب عطفا على محلّ من فضّة . (لبيوتهم) بدل اشتمال من (لمن يكفر) .(سَقْفا) على الجنس مكّىّ وأبوعمرو و يزيد . والمعارج جمع معرج وهى المصاعد إلى العلالى . (عليها يظهرون) على المعارج (يظهرون) السطوح أى يعلونها .

(٣) (إن) نافية . و (لمّا) بمعنى إلّا.أى وما (كلّ ذلك) إلّا (متاع الحياة الدنيا) . وقد قرئ به . وقرأ (لَمَا) غيرعاصم وحمزة على أنّ اللام هى الفارقة بين إن المخففة والنافية . و (ما) صلة . أى و إنّ كلّ ذلك لمتاع الحياة الدنيا .

(٤) أى ثواب الآخرة (عند ربّك) لمن يتّقى الشرك .

(٥) وقرئ (ومن يعشَ) . والفرق بينهما أنّه إذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشِى يعشَى. و إذا نظر نظر العشِى ولا آفة به قيل عشا يعشو .ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن كقوله (صمّ بكم عمى) . ومعنى القراءة بالضمّ ومن يتعام عن ذكره أى يعرف أنّه الحقّ وهو يتجاهل كقوله (و جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) .

نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝(١) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ۝(٢) وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝(٣)

(١) قال ابن عباس رضى الله عنهما نسلّطه عليه فهو معه فى الدنيا والآخرة يحمله على المعاصى. وفيه إشارة إلى أنّ من داوم عليه لم يقرنه الشيطان. (وإنّهم) أى الشياطين (ليصدّونهم) ليمنعون العاشين (عن السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) أى العاشون (أنّهم مهتدون). وإنما جمع ضمير (من) وضمير الشيطان لأنّ (من) مبهم فى جنس العاشى وقد قيّض له شيطان مبهم فى جنسه . فجاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعا .

(٢) (حتى إذا جاءنا) — على الواحد عراقىّ غير أبى بكر . أى العاشى . (جاءانا) غيرهم. أى العاشى وقرينه — (قال) لشيطانه (ياليت بينى و بينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلّب كما قيل العمران والقمران . والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق (فبئس القرين) أنت .

(٣) (ولن ينفعكم اليوم إذ) صحّ ظلمكم أى كفركم وتبيّن ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة فى أنّكم كنتم ظالمين — و(إذ) بدل من اليوم — (أنّكم فى العذاب مشتركون). (أنّكم) فى محلّ الرفع على الفاعليّة. أى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب أو كونكم مشتركين فى العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب فى الدنيا كقول الخنساء .

ولولا كثرة الباكين حولى * على أخوانهم لقتلت نفسى

ولا يبكون مثل أخى ولكن * أعزّى النفس عنه بالتأسّى

أما هؤلاء فلا يؤسّيهم اشتراكهم ولا يروّحهم لعظم ما هم فيه . وقيل الفاعل مضمر . أى ولن ينفعكم هذا التمنّى أو الاعتذار لـ (أنّكم فى العذاب مشتركون) لاشتراككم فى سببه وهو الكفر. ويؤيّده قراءة من قرأ (إنّكم) بالكسر .

أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ[1] ۝ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ[2] ۝ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ[3] ۝ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ[4] ۝

---

(١) أى (أفأنت تسمع) من فقد سمع القبول (أو تهدى العمى) أى من فقد البصر (ومن كان فى ضلال مبين) ومن كان فى علم الله أنّه يموت على الضلال (فإمّا)— دخلت (ما) على (إن) توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة فى (نذهبنّ بك) — نتوفينّك قبل أن ننصرك عليهم ونشفى صدور المؤمنين منهم (فإنّا منهم منتقمون) أشدّ الانتقام فى الآخرة (أو نرينّك الذى وعدناهم) قبل أن نتوفّاك — يعنى يوم بدر— (فإنّا عليهم مقتدرون) قادرون. وصفهم بشدّة الشكيمة فى الكفر والضلال بقوله (أفأنت تسمع الصمّ) الآية. ثمّ أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله (فإمّا نذهبنّ بك) الآيتين .

(٢) فتمسّك (بالذى أوحى إليك) وهو القرآن واعمل به (إنّك على صراط مستقيم) أى على الدين الذى لا عوج له .

(٣) وإنّ الذى أوحى إليك (لذكر لك) لشرف لك (ولقومك) ولأمّتك (وسوف تسألون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقّه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة .

(٤) ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال. ولكنّه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قطّ فى ملّة من ملل الأنبياء ؟. وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدّق لما بين يديه و إخبار الله فيه بأنّهم يعبدون من دون الله مالم ينزّل به سلطانا . وهذه الآية فى نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها . وقيل إنّه عليه السلام جمع له الأنبياء ليلة الإسراء فأمّهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل . وقيل معناه سل أمم من أرسلنا

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ(١) ۝ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا(٢) وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٣) ۝ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ(٤) ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ(٥) ۝

وهم أهل الكتابين أى التوراة والإنجيل . وإنّما يخبرونه عن كتب الرسل . فإذا سألهم فكأنّه سأل الأنبياء . ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الأوثان أنّهم على الباطل.(وسل) بلا همز مكّىّ وعلىّ . (وسْلنا) أبو عمرو

(١) سلّى رسوله صلّى الله عليه وسلّم بقوله (ولقد أرسلنا موسى) . ما أجابوه به عند قوله (إنّى رسول ربّ العالمين) محذوف دلّ عليه قوله (فلمّا جاءهم بآياتنا) . وهو مطالبتهم إيّاه بإحضار البيّنة على دعواه وإبراز الآية . (إذاهم منها يضحكون) يسخرون منها ويهزءون بها ويسمّونها سحرا . و (إذا) للفاجأة . وهو جواب (فلمّا) لأنّ فعل المفاجأة معها مقدّر وهو عامل النصب فى محلّ (إذا) كأنه قيل (فلمّا جاءهم بآياتنا) فاجئوا وقت ضحكهم .

(٢) قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها فى نقض العادة . وظاهر النظم يدلّ على أنّ اللاحقة أعظم من السابقة . وليس كذلك . بل المراد بهذا الكلام أنّهنّ موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه. وعليه كلام الناس يقال هما أخوان كلّ واحد منهما أكرم من الآخر .

(٣) (وأخذناهم بالعذاب) — وهو ماقال تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات) (فأرسلنا عليهم الطوفان) الآية — (لعلّهم يرجعون) عن الكفر إلى الإيمان .

(٤) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر . (يأيّهُ الساحر) بضم الهاء بلا ألف شامىّ ووجهه أنّها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلمّا سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ماقبلها .

(٥) (ادع لنا ربّك) بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة . أو بعهده عندك وهو النبوّة . أو (بما عهد عندك) من كشف العذاب عمّن اهتدى. (إنّنا لمهتدون) مؤمنون به .

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ(١) ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ(٢) فِى قَوْمِهِۦ(٣) قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ(٤) أَفَلَا تُبْصِرُونَ(٥) ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ(٦) ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ(٧)

(١) ينقضون العهد بالإيمـان ولا يفون به .

(٢) نادى بنفسـه عظماء القبط . أو أمر مناديا فنادى كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه .

(٣) جعلهم محلّا لندائه وموقعا له .

(٤) أى أنهـار النيل — ومعظمها أربعـة — (تجرى) من تحت قصرى . وقيل بين يدىّ فى جنانى . والواو عاطفة للأنهـار على (ملك مصر) . و (تجرى) نصب على الحال منها . أو الواو للحال . واسم الإشارة مبتدأ و (الأنهار) صفة لاسم الإشارة و (تجرى) خبر للمبتدأ . وعن الرشـيد أنّه لمّا قرأها قال لأولينّها أخسّ عبيدى . فولّاها الخصيب . وكان خادمه على وضوئه . وعن عبد الله بن طاهر أنّه وليها فخرج إليها . فلمّا شارفها ، قال أهى القرية التى افتخر بهـا فرعون حتّى قال (أليس لى ملك مصر) ؟ والله لهى أقلّ عندى من أن أدخلها . فثنى عنانه .

(٥) (أفلا تبصرون) قوّتى وضعف موسى وغناى وفقره .

(٦) (أم) منقطعة بمعنى بل والهمزة . كأنّه قال أثبت عندكم واستقرّ أنّى (أنا خير) — وهذه حالى — (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير (ولا يكاد يبين) الكلام لمـا كان به من الرتّة .

(٧) فهلّا (ألقى عليـه أسْوِرة) حفص و يعقوب وسهل جمع سُوار . غيرهم (أساورة) جمع أسْوِرة، و (أساوير) جمع اسوار وهو السوار، و (أساورة) حذف الياء من أساوير وعوض منهـا التاء . أراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه . لأنّهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوّروه بسوار وطوّقوه بطوق من ذهب .

أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ(١) ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ(٢) فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ(٣) ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا(٤) ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا(٥) وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ(٦) ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ(٧) ﴿٥٧﴾

(١) يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه .

(٢) استفزّهم بالقول واستنزلهم وعمل فيهم كلامه . وقيل طلب منهم الخفّة فى الطاعة وهى الإسراع .

(٣) خارجين عن دين الله .

(٤) آسف منقول من أسف أسفا إذا اشتدّ غضبه . ومعناه أنّهم أفرطوا فى المعاصى فاستوجبوا أن يعجّل لهم عذابنا وانتقامنا وألّا نحلم عنهم .

(٥) جمع سالف كخادم وخدم.(سُلُفًا) حمزة وعلىّ جمع سليف أى فريق قد سلف .

(٦) وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يضرب بهم الأمثال ويقال مثلكم مثل قوم فرعون. (للآخرين) لمن يجىء بعدهم. ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفّار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم ومثلا يحدثون به .

(٧) لمّا قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على قريش (إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم) غضبوا. فقال ابن الزبعرى يا محمّد أخاصّة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم ؟ فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم . فقال ألست تزعم أنّ عيسى بن مريم نبىّ وتثنى عليه وعلى أمّه خيرا وقد علمت أنّ النصارى يعبدونهما ؟ وعزير يعبد . والملائكة يعبدون . فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم . ففرحوا وضحكوا . وسكت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم. فأنزل الله تعالى(إنّ الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) ونزلت هذه الآية . والمعنى (ولمّا) ضرب ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا لآلهتهم وجادل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعبادة النصارى إيّاه (إذا قومك) قريش (منه) من هذا المثل (يصدّون) يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات النبىّ صلّى الله عليه

وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا[(1)] بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ[(2)] ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ[(3)] ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ[(4)] ﴿٦٠﴾

وسلم بجدله. (يصُدّون) مدنىّ وشامىّ والأعشى وعلىّ من الصدود. أى من أجل هذا المثل يصدّون عن الحقّ ويعرضون عنه . وقيل من الصديد ، وهو الجلبة ، وأنّهما لغتان نحو يعكف ويعكُف .

(1) يعنون أنّ آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى . فإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا. (ماضربوه) أى ماضربوا هذا المثل (لك إلّا جدلا) إلّا لأجل الجدل والغلبة فى القول لا لطلب الميز بين الحقّ والباطل .

(2) لدّ شداد الخصومة دأبهم اللّجاج . وذلك أنّ قوله تعالى (إنّكم وما تعبدون) لم يرد به إلّا الأصنام . لأنّ مالغير العقلاء . إلّا أنّ ابن الزبعرى بخداعه لمّا رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأنّ المراد به أصنامهم لا غير ، وجد للحيلة مساغا . فصرف اللفظ إلى الشمول والإحاطة بكلّ معبود غير الله على طريق اللّجاج والجدال وحبّ المغالبة والمكابرة . وتوقّح فى ذلك . فتوقّر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى أجاب عنه ربّه .

(3) ما عيسى (إلّا عبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) بالنبوّة (وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل) وصيّرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبنى إسرائيل .

(4) (لجعلنا منكم) أى بدلا منكم . كذا قاله الزجاج . وقال جامع العلوم لجعلنا بدلكم . و(من) بمعنى البدل . (يخلفون) يخلفونكم فى الأرض. أو يخلف الملائكة بعضهم بعضا . وقيل (ولو نشاء) لقدرتنا على عجائب الأمور (لجعلنا منكم) لولّدنا منكم يا رجال (ملائكة) يخلفونكم فى (الأرض) كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل ، لتعرفوا تميّزنا بالقدرة الباهرة ، ولتعلموا أنّ الملائكة أجسام لا تتولّد إلّا من أجسام . والقديم متعال عن ذلك .

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ(١) فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا(٢) وَٱتَّبِعُونِ(٣) هَٰذَا(٤) صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ(٥) ۝ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ(٦) قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ(٧) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ(٨) ۝ فَٱخْتَلَفَ(٩) ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝

(١) وإنّ عيسى ممّا يعلم به مجيء الساعة. وقرأ ابن عباس (لعَلَم للساعة) وهو العلامة. أى وإنّ نزوله علم للساعة .

(٢) فلا تشكّنّ فيها . من المرية وهو الشكّ .

(٣) وبالياء فيهما سهل ويعقوب . أى واتّبعوا هداى وشرعى أو رسولى . أو هو أمر لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يقوله .

(٤) أى (هذا) الذى أدعوكم إليه .

(٥) (ولا يصدّنّكم) عن الإيمان بالساعة أو عن الاتّباع (إنّه لكم عدوّ مبين) ظاهر العداوة إذ أخرج أباكم من الجنّة ونزع عنه لباس النور .

(٦) بالمعجزات . أو بآيات الإنجيل والشرائع البيّنات الواضحات .

(٧) أى (قد جئتكم) بالإنجيل والشرائع (ولأبيّن لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهو أمر الدين لا أمر الدنيا .

(٨) هذا تمام كلام عيسى عليه السلام .

(٩) (فاختلف) الفرق المتحزّبة بعد عيسى . وهم اليعقوبيّة والنسطوريّة والملكانيّة والشمعونيّة (من بينهم) من بين النصارى (فويل للذين ظلموا) حيث قالوا فى عيسى ما كفروا به (من عذاب يوم أليم) وهو يوم القيامة .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ[1] ﴿﴾ ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ[2] ﴿﴾ يَـٰعِبَادِ[3] لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ[4] ﴿﴾ ٱلَّذِينَ[5] ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ[6] ﴿﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ[7] تُحْبَرُونَ[8] ﴿﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ[9]

---

(١) الضمير لقوم عيسى . أو للكفّار . (أن تأتيهم) بدل من الساعة. أى (هل ينظرون إلّا) إتيان الساعة (بغتة وهم لايشعرون) أى وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله (تأخذهم وهم يخصّمون) .

(٢) (الأخلّاء) جمع خليل (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين) أى المؤمنين . وانتصاب (يومئذ) بعدوّ . أى تنقطع فى ذلك اليوم كلّ خلّة بين المتخالّين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا إلّا خلة المتصادقين فى الله . فإنّها الخلّة الباقية .

(٣) بالياء فى الوصل والوقف مدنىّ وشامىّ وأبو عمرو . وبفتح الياء أبو بكر . الباقون بحذف الياء .

(٤) هو حكاية لما ينادى به المتّقون المتحابّون فى الله يومئذ .

(٥) منصوب المحلّ صفة لعبادى لأنّه منادى مضاف .

(٦) صدّقوا بآياتنا (وكانوا مسلمين) لله منقادين له .

(٧) (وأزواجكم) المؤمنات فى الدنيا .

(٨) تسرّون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم .

(٩) جمع صحفة .

مِن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ (١) وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ (٢) وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣) ۝ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٤) ۝ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٥) ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ (٦) وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧) ۝ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ (٨) وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٩) ۝

(١) أى من ذهب أيضا . والكوب الكوز لا عروة له .

(٢) وفى الجنّة (ما تشتهيه الأنفس) — مدنىّ وشامىّ وحفص باثبات الهـاء العائدة إلى الموصول . وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول — (وتلذّ الأعين) . وهذا حصر لأنواع النعم لأنّها إمّا مشتهيات فى القلوب أو مستلذّة فى العيون .

(٣) (وتلك) إشارة إلى الجنّة المذكورة . وهى مبتدأ . و (الجنّة) خبر . و (التى أورثتموها) صفة (الجنّة) . أو الجنّة صفة للمبتدأ الذى هو اسم الإشارة . و (التى أورثتموها) خبر المبتدا . أو التى أورثتموها صـفة المبتدأ . و (بمـا كنتم تعملون) الخبر . والبـاء تتعلّق بمحذوف أى حاصلة أو كائنـة كما فى الظروف التى تقع أخبارا . وفى الوجه الأوّل تتعلّق بأورثتموها . وشبّهت فى بقائها على أهلها بالميراث الباقى على الورثة .

(٤) (من) للتبعيض أى لا تأكلون إلاّ بعضها وأعقابها باقية فى شجرها فهى مزيّنة بالثمار أبدا . وفى الحديث لا ينزع رجل فى الجنّة من ثمرها إلّا نبت مكانها مثلاها .

(٥) خبر بعد خبر .

(٦) خبر آخر . أى لا يخفّف ولا ينقص .

(٧) (وهم) فى العذاب (مبلسون) آيسون من الفرج متحيّرون .

(٨) (وما ظلمناهم) بالعذاب .

(٩) (هم) فصل

وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ۝ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِالْحَقِّ(١) وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ(٢) ۝ أَمْ أَبْرَمُوٓا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ(٣) ۝ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ(٤) وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝

(١) (و) لمّا أيسوا من فتور العذاب (نادوا يامالك) وهو خازن النار — وقيل لابن عباس إنّ ابن مسعود قرأ (ياما ل) فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم — (ليقض علينا ربّك) ليمتنا . من قضى عليه إذا أماته (فوكزه موسى فقضى عليه) . والمعنى سل ربّك أن يقضى علينا . (قال إنّكم ماكثون) لابثون فى العذاب لا تتخلّصون عنه بموت ولا فتور (لقد جئناكم بالحقّ) كلام الله تعالى . ويجب أن يكون فى (قال) ضمير الله . لمّا سألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك . وقيل هو متّصل بكلام مالك(*) والمراد بقوله (جئناكم) الملائكة إذ هم رسل الله وهو منهم .

(٢) لا تقبلونه وتنفرون منه لأنّ مع الباطل الدعة ومع الحقّ التعب .

(٣) (أم)أحكم مشركو مكّة(أمرا)من كيدهم ومكرهم بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم(فإنّا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم .

(٤) كانوا يتنادون فيتناجون فى أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى دار الندوة فنزل (أم يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم) حديث أنفسهم (ونجواهم) ما يتحدّثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمعها ونطّلع عليها (ورسلنا) أى الحفظة (لديهم يكتبون) عندهم يكتبون ذلك . وعن يحيى بن معاذ : من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لا تخفى عليه خافية ، فقد جعله أهون الناظرين إليه . وهو من أمارات النفاق .

(*) اى فضمير قال يعود على مالك

قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ۝ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ[1] ۝ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ[2] ۝ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ[3] ۝

---

(١) (إن) صحّ ذلك ببرهان (فأنا أوّل العابدين) فأنا أوّل من يعظّم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد إليه كما يعظّم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه . وهذا كلام وارد على سبيل الفرض . والمراد نفى الولد . وذلك أنّه علّق العبادة بكينونة الولد . وهى محال فى نفسها . فكان المعلّق بها محالا مثلها . ونظيره قول سعيد بن جبير للحجّاج حين قال له "والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظّى" : لو عرفت أنّ ذلك إليك ما عبدت إلها غيرك . وقيل (إن كان للرحمن ولد) فى زعمكم (فأنا أوّل العابدين) أى الموحّدين لله المكذّبين قولكم بإضافة الولد إليه . وقيل (إن كان للرحمن ولد) فى زعمكم فأنا أوّل الآنفين من أن يكون له ولد من عبِد يعبَد إذا اشتدّ أنفه فهو عبِد وعابد. وقرئ (العبِدين). وقيل هى (إن) النافية. أى ما (كان للرحمن ولد . فأنا أوّل) من قال بذلك وعبد ووحّد . وروى أنّ النضر قال الملائكة بنات الله. فنزلت. فقال النضر ألا ترون أنّه صدّقنى . فقال له الوليد ماصدّقك ولكن قال ما (كان للرحمن ولد فأنا أوّل) الموحّدين من أهل مكّة أن لا ولد له (وُلْد) حمزة وعلىّ . ثمّ نزّه ذاته عن اتّخاذ الولد فقال (سبحان ربّ السموات والأرض ربّ العرش عمّا يصفون). أى هو ربّ السموات والأرض والعرش . فلا يكون جسما إذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها . وإذا لم يكن جسما لا يكون له ولد . لأنّ التولّد من صفة الأجسام .

(٢) (فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتّى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) أى القيامة . وهذا دليل على أنّ ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب .

(٣) ضمّن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علّق به الظرف فى قوله فى السماء وفى الأرض كما تقول هو حاتم فى طىّ وحاتم فى تغلب على تضمين معنى الجواد الذى شهر به كأنّك قلت

وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ (١) وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢) ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ (٣) إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٤) ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٥) ﴿٨٧﴾

هو جواد فى طيّ جواد فى تغلب . وقرئ (وهو الذى فى السماء الله وفى الأرض الله). ومثله قوله (وهو الله فى السموات وفى الأرض) . فكأنّه ضمّن معنى المعبود. والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ماأنا بالذى قائل لك شيئا . والتقدير (وهو الذى) هو (فى السماء إله) . و (إله) يرتفع على أنّه خبر مبتدأ مضمر. ولا يرتفع (إله) بالا بتداء وخبره (فى السماء) لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود إلى الموصول . (وهو الحكيم) فى أقواله وأفعاله (العليم) بما كان ويكون .

(١) أى علم قيامها .

(٢) (يُرجعون) مكيّ وحمزة وعليّ .

(٣) (ولا يملك) آلهتهم (الذين يدعون) أى يدعونهم (من دونه) من دون الله (الشفاعة) كما زعموا أنّهم شفعاؤهم عند الله .

(٤) أى ولكن (من شهد بالحقّ) بكلمة التوحيد (وهم يعلمون) أنّ الله ربّهم حقّا و يعتقدون ذلك ، هو الذى يملك الشفاعة . وهو استثناء منقطع . أو متّصل لأنّ فى جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة .

(٥) (ولئن سألتهم) أى المشركين (من خلقهم ليقولنّ الله) لا الأصنام والملائكة (فأنّى يؤفكون) فكيف أو من أين يصرفون عن التوحيد مع هذا الاقرار ؟

وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ[1] ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ[2] فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ[3] ﴿٨٩﴾

---

(١) (وقيله) بالجرّ عاصم وحمزة. أى وعنده علم الساعة وعلم (قيله يارب). والهاء يعود الى محمد صلىّ الله عليه وسلّم لتقدّم ذكره فى قوله (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين) . وبالنصب، الباقون عطفا على محلّ (الساعة)أى يعلم الساعة ويعلم (قيله)أى قيل محمد (ياربّ). والقيل والقول والقال والمقال واحد . ويجوز أن يكون الجرّ والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه. وجواب القسم (إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون). كأنّه قيل وأقسم بقيله(ياربّ إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون) . وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه .

(٢) فأعرض عن دعوتهم يائسا عن إيمانهم وودّعهم وتاركهم . (وقل) لهم (سلام) أى تسلم منكم ومتاركة .

(٣) وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلىّ الله عليه وسلّم . وبالتاء مدنىّ وشامىّ .

سورة الدخان مكيّة

وهى تسع وخمسون آية

فى الخبر من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورا له

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ (١) إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ (٢) كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝

(١) (والكتاب المبين) أى القرآن. الواو فى (والكتاب) واو القسم إن جعلت (حم) تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف ، وواو العطف إن كانت (حم) مقسما بها. وجواب القسم (إنّا أنزلناه فى ليلة مباركة) أى ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان. وقيل بينها و بين ليلة القدر أربعون ليلة. والجمهور على الأول لقوله (إنّا أنزلناه فى ليلة القدر) وقوله (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن). وليلة القدر فى أكثر الأقاويل فى شهر رمضان. ثمّ قالوا أنزله جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثمّ نزل به جبريل فى وقت وقوع الحاجة إلى نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وقيل ابتداء نزوله فى ليلة القدر. والمباركة الكثيرة الخير لما يتزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء. ولو لم يوجد فيها إلّا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة .

(٢) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسّر بهما جواب القسم. كأنّه قيل أنزلناه لأنّ من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب . وكان إنزالنا إيّاه فى هذه الليلة خصوصا لأنّ إنزال القرآن من الأمور الحكيمية . وهذه الليلة مفرق كلّ أمر حكيم. ومعنى (يفرق) يفصل ويكتب (كلّ أمر) من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى ليلة القدر التى تجىء فى السنة المقبلة . (حكيم) ذى حكمة أى مفعول على ما تقتضيه الحكمة . وهو من الإسناد المجازىّ لأنّ الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة . ووصف الأمر به مجازا .

أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (١) ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ (٢) السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣) ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٤) ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾

(١) (أمرا) نصب على الاختصاص. جعل كلّ أمر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثمّ زاده جزالة وفخامة بأن قال أعني بهذا الأمر (أمرا) حاصلا (من عندنا) كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا .

(٢) (إنّا كنّا مرسلين) بدل من (إنّا كنّا منذرين). و(رحمة من ربّك) مفعول له على معنى إنّا أنزلنا القرآن لأن من شأننا وعادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم. أو تعليل لقوله (أمرا من عندنا) . و (رحمة) مفعول به . وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها به في قوله (وما يمسك فلا مرسل له من بعده). والأصل (إنّا كنّا مرسلين رحمة) منّا . فوضع الظاهر موضع الضمير إيذانا بأنّ الربوبيّة تقتضي الرحمة على المربوبين .

(٣) (إنّه هو السميع) لأقوالهم (العليم) بأحوالهم .

(٤) (ربّ) كوفيّ بدل من (ربّك) . وغيرهم بالرفع. أي هو (ربّ السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) . ومعنى الشرط أنّهم كانوا يقرّون بأنّ للسموات والأرض ربّاً وخالقا . فقيل لهم إنّ إرسال الرسل و إنزال الكتب رحمة من الربّ . ثمّ قيل إنّ هذا الربّ هو السميع العليم الذي أنتم مقرّون به ومعترفون بأنّه ربّ السموات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم و إيقان . كما تقول إنّ هذا إنعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه إن بلغك حديثه وحدّثت بقصّته (لا إله إلا هو يحيي و يميت. ربّكم) أي هو ربّكم (وربّ آبائكم الأوّلين) عطف عليه. ثمّ ردّ أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم في شكّ يلعبون) و إنّ إقرارهم غير صادر عن علم وتيقّن . بل قول مخلوط بهزؤ ولعب .

فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ[1] ۝ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ[2] ۝ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا[3] إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ[4] ۝

---

(١) فانتظر (يوم تأتى السماء بدخان) يأتى من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص . وقيل إن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال "اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف" . فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز . وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان . وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان . (مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد فى أنه دخان . (يغشى الناس) يشملهم ويلبسهم . وهو فى محل الجر صفة لدخان . وقوله (هذا عذاب أليم . ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) — أى سنؤمن إن تكشف عنا العذاب — منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون . ويقولون منصوب المحل على الحال أى قائلين ذلك .

(٢) كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين . ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أى وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل فى وجوب الاذكار من كشف الدخان . وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عدّاسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ، ونسبوه إلى الجنون .

(٣) زمانا (قليلا) أو كشفا (قليلا) .

(٤) (عائدون) إلى الكفر الذى كنتم فيه أو إلى العذاب .

يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١) ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (٢) ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ (٣) إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٤) ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ (٥) ﴿٢٠﴾

(١) (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم القيامة أو يوم بدر (إنّا منتقمون) أى ننتقم منهم فى ذلك اليوم . وانتصاب (يوم نبطش) باذكر أو بما دلّ عليه (إنّا منتقمون) وهو ننتقم لا بمنتقمون . لأنّ ما بعد إنّ لا يعمل فيما قبلها .

(٢) (ولقد فتنّا قبلهم)قبل هؤلاء المشركين — أى فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا — (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين. أو كريم فى نفسه حسيب نسيب لأنّ الله تعالى لم يبعث نبيّا إلّا من سراة قومه وكرامهم . (أن أدّوا إلىّ) هى (أن) المفسّرة . لأنّ مجىء الرسول إلى من بعث إليهم متضمّن لمعنى القول . لأنّه لا يجيئهم إلّا مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله . أو المخفّفة من الثقيلة . ومعناه (وجاءهم) بأنّ الشأن والحديث (أدّوا إلىّ) سلّموا إلىّ (عباد الله) هو مفعول به . وهم بنو إسرائيل . يقول أدّوهم إلىّ وأرسلوهم معى . كقوله (فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذّبهم) . ويجوز أن يكون نداء لهم على معنى (أدّوا إلىّ) يا(عباد الله)ما هو واجب لى عليكم من الإيمان لى وقبول دعوتى واتّباع سبيلى . وعلّل ذلك بقوله (إنّى لكم رسول أمين) أى على رسالتى غير متّهم .

(٣) (أن)هذه مثل الأولى فى وجهيها. أى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه. أو لا تستكبروا على نبىّ الله .

(٤) بحجة واضحة تدلّ على أنى نبىّ .

(٥) (وإنّى عذت) — مدغم أبو عمرو وحمزة وعلىّ — (بربّى وربّكم أن ترجمون) أن تقتلونى رجما . ومعناه أنّه عائذ بربّه متّكل على أنّه يعصمه منهم ومن كيدهم . فهو غير مبال بما كانوا يتوعّدونه من الرجم والقتل .

وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ (١) ۝ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (٢) ۝ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٣) ۝ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٤) ۝ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ (٥)

---

(١) أى إن لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحّوا عنّى . أو نخلونى كفافا لا لى ولا علىّ ، ولا تتعرّضوا لى بشرّكم وأذاكم . فليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلاحكم ذلك . (ترجمونى فاعتزلونى) فى الحالين يعقوب .

(٢) (فدعا ربّه) شاكيا قومه (أنّ هؤلاء قوم مجرمون) بأن هؤلاء . أى دعا ربّه بذلك . قيل كان دعاؤه اللهم عجّل لهم ما يستحقّونه بإجرامهم . وقيل هو قوله (ربّنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين). وقرئ (إنّ هؤلاء) بالكسر على إضمار القول. أى (فدعا ربّه) فقال (إنّ هؤلاء).

(٣) (فأسر) من أسرى (فاسر) بالوصل حجازىّ من سرى . والقول مضمر بعد الفاء (ف)قال (أسر بعبادى) أى بنى اسرائيل (ليلا إنّكم متّبعون) أى دبّر الله أن تتقدّموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجّى المتقدّمين ويغرق التابعين .

(٤) (واترك البحر رهوا) ساكنا . أراد موسى عليه السلام لمّا جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق . فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قارّا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغيّر منه شيئا ليدخله القبط . فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم . وقيل الرهو الفجوة الواسعة . أى أتركه مفتوحا على حاله منفرجا (إنّهم جند مغرقون) بعد خروجكم من البحر . وقرئ بالفتح أى لأنّهم .

(٥) (كم) عبارة عن الكثرة ، منصوب بقوله (تركوا من جنّات وعيون وزروع ومقام كريم) هو ما كان لهم من المنازل الحسنة. وقيل المنابر (ونعمة) تنعّم (كانوا فيها فاكهين) متنعّمين (كذلك) أى الأمر كذلك . فالكاف فى موضع الرفع على أنّه خبر مبتدأ مضمر (وأورثناها

وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ۝ (١) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝ (٢) مِن فِرْعَوْنَ (٣) إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝ (٤) وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ۝ (٥) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ (٦)

قوما آخرين) ليسوا منهم فى شىء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل (فما بكت عليهم السماء والأرض) لأنّهم ماتوا كفّارا . والمؤمن إذا مات تبكى عليه السماء والأرض فيبكى على المؤمن من الأرض مصلّاه ومن السماء مصعد عمله . وعن الحسن أهل السماء والأرض .

(١) أى لم ينظروا إلى وقت آخر ولم يمهلوا .

(٢) أى الاستخدام والاستعباد وقتل الأولاد .

(٣) بدل من (العذاب المهين) بإعادة الجار كأنّه فى نفسه كان عذابا مهينا لإفراطه فى تعذيبهم و إهانتهم . أو خبر مبتدأ محذوف أى ذلك (من فرعون) .

(٤) (إنّه كان عاليا) متكبّرا (من المسرفين) خبر ثان أى كان متكبّرا مسرفا .

(٥) (ولقد اخترناهم) أى بنى اسرائيل (على علم) حال من ضمير الفاعل . أى عالمين بمكان الخيرة و بأنّهم أحقّاء بأن يختاروا (على العالمين) على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام و إنزال المنّ والسلوى وغير ذلك (ما فيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون .

(٦) (إنّ) كفّار قريش (ليقولون إن هى) ما الموتة (إلّا موتتنا الأولى) . والإشكال أنّ الكلام وقع فى الحياة الثانية لا فى الموت . فهلّا قيل إن هى إلّا حياتنا الأولى ؟ وما معنى ذكر الأولى ؟ كأنّهم وعدوا موتة أخرى حتّى جحدوها وأثبتوا الأولى . والجواب أنّه قيل لهم إنّكم تموتون موتة تتعقّبها حياة كما تقدّمتكم موتة قد تعقّبتها حياة . وذلك قوله تعالى (وكنتم

وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (١) فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (٢) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَـٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٣)

أمواتا فأحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم). فقالوا (إن هى إلّا موتتنا الأولى) يريدون ما الموتة التى من شأنها أن يتعقّبها حياة إلّا الموتة الأولى . فلا فرق إذا بين هـذا وبين قوله (إلّا حياتنا الدنيا) فى المعنى. ويحتمل أن يكون هذا إنكارا لما فى قوله (ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين).

(١) بمبعوثين . يقال أنشر الله الموتى ونشرهم إذا بعثهم .

(٢) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين. أى إن صدقتم فيما تقولون فعجّلوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربّكم ذلك حتّى يكون دليلا على أنّ ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حقّ .

(٣) (أهم خير) فى القوّة والمنعة (أم قوم تبّع) هو تبّع الحميرىّ . كان مؤمنا وقومه كافرين. وقيل كان نبيّاً . وفى الحديث : ما أدرى أكان تبّع نبيّا أو غير نبىّ . (والذين من قبلهم) مرفوع بالعطف على (قوم تبّع) . (أهلكناهم إنّهم كانوا مجرمين) كافرين منكرين للبعث. (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما) أى وما بين الجنسين (لاعبين) حال. ولو لم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خلق الخلق للفناء خاصّة فيكون لعبا. (ما خلقناهما إلّا بالحقّ) بالجدّ ضدّ اللعب (ولكنّ أكثرهم لا يعلمون) أنّه خلق لذلك. (إنّ يوم الفصل) بين المحقّ والمبطل وهو يوم القيامة (ميقاتهم أجمعين) وقت موعدهم كلّهم (يوم لا يغنى مولى عن مولى) أىّ ولى كان عن أىّ ولىّ كان (شيئا) من إغناء أى قليلا منه (ولا هم ينصرون) الضمير للولى لأنّهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كلّ مولى .

إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ[١] إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ[٢] ۝ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ[٣] ۝ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ[٤] ۝ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ[٥] ۝

(١) فى محلّ الرفع على البدل من الواو فى (ينصرون). أى لا يمنع من العذاب (إلّا من) رحمه (الله).

(٢) (إنّه هو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) لأوليائه .

(٣) (إنّ شجرت الزّقوم) هى على صورة شجر الدنيا لكنّها فى النار . والزّقوم ثمرها . وهو كلّ طعام ثقيل (طعام الأثيم) هو الفاجر الكثير الآثام وعن أبى الدرداء أنّه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم . فقال قل طعام الفاجر ياهذا . وبهذا تستدلّ على أنّ إبدال الكلمة مكان الكلمة جائز إذا كانت مؤدّية معناها. ومنه أجاز أبو حنيفة رضى الله عنه القراءة بالفارسيّة بشرط أن يؤدّى القارئ المعانى كلّها على كمالها من غير أن يخرم منها شيئا . قالوا وهذه الشريطة تشهد أنّها إجازة كلا إجازة. لأنّ فى كلام العرب — خصوصا فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه — من لطائف المعانى والدقائق مالا يستقلّ بأدائه لسان من فارسيّة وغيرها. ويروى رجوعه إلى قولهما. وعليه الاعتماد. (كالمهل) هو دُرْدِىّ الزيت. والكاف رفع خبر بعد خبر. (تغلى فى البطون) — وبالياء مكّىّ وحفص فالتاء للشجرة والياء للطعام — (كغلى الحميم) أى الماء الحارّ الذى انتهى غليانه. ومعناه غليا (كغلى الحميم). فالكاف منصوب المحلّ . ثمّ يقال للزبانية (خذوه) أى الأثيم (فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة — (فاعتُلوه) مكّىّ ونافع وشامىّ وسهل ويعقوب — (إلى سواء الجحيم) إلى وسطها ومعظمها .

(٤) المصبوب هو الحميم لا عذابه إلّا أنّه إذا صبّ عليه الحميم فقد صبّ عليه عذابه وشدّته . وصبّ العذاب استعارة .

(٥) يقال له على سبيل الهزؤ والتهكّم . (أنّك) اى لأنّك ، علىّ .

إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ[1] ۝ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ[2] أَمِينٍ[3] ۝
فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ[4] ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ[5] وَإِسْتَبْرَقٍ[6] مُّتَقَـٰبِلِينَ[7] ۝
كَذَٰلِكَ[8] وَزَوَّجْنَـٰهُم[9] بِحُورٍ[10] عِينٍ[11] ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ[12] ۝

---

(١) (إنّ هذا) العذاب أو هذا الأمر هو (ما كنتم به تمترون) تشكّون .

(٢) بالفتح وهو موضع القيام . والمراد المكان . وهو من الخاصّ الذى وقع مستعملا فى معنى العموم . وبالضمّ مدنىّ وشامىّ . وهو موضع الإقامة .

(٣) من أمن الرجل أمانة فهو أمين. وهو ضد الخائن . فوصف به المكان استعارة لأنّ المكان المخيف كأنّما يخون صاحبه بما يلق فيه من المكاره .

(٤) بدل من (مقام أمين) .

(٥) مارقّ من الديباج .

(٦) ما غلظ منه . وهو تعريب استبر . واللفظ إذا عرّب خرج من أن يكون أعجميّا . لأنّ معنى التعريب أن يجعل عربيّا بالتصرّف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب . فساغ أن يقع فى القرآن العربىّ .

(٧) (متقابلين) فى مجالسهم . وهو أتمّ للأنس .

(٨) الكاف مرفوعة . أى الأمر (كذلك) .

(٩) وقرنّاهم . ولهذا عدّى بالباء .

(١٠) جمع حوراء . وهى الشديدة سواد العين والشديدة بياضها .

(١١) جمع عيناء . وهى الواسعة العين .

(١٢) يطلبون فى الجنّة (بكلّ فاكهة آمنين) من الزوال والانقطاع وتولّد الضرر من الإكثار .

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ(١) وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ فَضْلًا(٢) مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ(٣) ۝ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ(٤) بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(٥) ۝ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ(٦) ۝

---

(١) (لا يذوقون) فى الجنّة (الموت) البتّة (إلّا الموتة الأولى) أى سوى الموتة الأولى التى ذاقوها فى الدنيا . وقيل لكن الموتة قد ذاقوها فى الدنيا .

(٢) أى للفضل . فهو مفعول له . أو مصدر مؤكّد لما قبله لأنّ قوله (ووقاهم عذاب الجحيم) تفضّل منه لهم لأنّ العبد لا يستحقّ على الله شيئا .

(٣) أى صرف العذاب ودخول الجنّة (هو الفوز العظيم) .

(٤) أى الكتاب . وقد جرى ذكره فى أوّل السورة .

(٥) يتّعظون .

(٦) فانتظر ما يحلّ بهم (إنّهم مرتقبون) منتظرون ما يحلّ بك من الدوائر .

سورة الجاثية مكّيّة

وهى سبع وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ(١) ٱلْحَكِيمِ(٢) ۝ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ(٣) ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝

(١) (حم) إن جعلتها اسما للسورة فهو مرفوعة بالابتداء والخبر (تنزيل الكتاب) و (من الله) صلة للتنزيل. وإن جعلتها تعديدا للحروف كان (تنزيل الكتاب) مبتدأ، والظرف خبرا.

(٢) (العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى تدبيره.

(٣) (إنّ فى السموات والأرض لآيات) لدلالات على وحدانيّته. ويجوز أن يكون المعنى (إنّ فى) خلق (السموات والأرض لآيات للمؤمنين). دليله قوله (وفى خلقكم). ويعطف (وما يبثّ من دابّة) على الخلق المضاف. لأنّ المضاف إليه ضمير مجرور متّصل يقبح العطف عليه. (آيات) حمزة وعلىّ بالنصب. وغيرهما بالرفع مثل قولك إنّ زيدا فى الدار وعمرا فى السوق أو وعمرو فى السوق. (واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) — أى مطر. وسمّى به لأنّه سبب الرزق — (فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح) — (الريح) حمزة وعلىّ — (آيات) بالنصب علىّ وحمزة. وغيرهما بالرفع. وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت. فالعاملان إذا نصبت (إنّ)

تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ(١) فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ(٢) وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ(٣) ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا(٤)

و (فى). أقيمت الواو مقامهما فعملت الجرّ فى (واختلاف الليل والنهار) والنصب فى (آيات). و إذا رفعت فالعاملان الابتداء و (فى). عملت الواو الرفع فى آيات والجر فى (واختلاف). هذا مذهب الأخفش. لأنّه يجوز العطف على عاملين. وأمّا سيبويه فإنّه لا يجيزه. وتخريج الآية عنده أن يكون على إضمار (فى). والذى حسّنه تقديم ذكر (فى) فى الآيتين قبل هذه الآية. ويؤيّده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه (وفى اختلاف الليل والنهار). ويجوز أن ينتصب (آيات) على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ماقبله، أو على التكرير توكيدا لآيات الأولى. كأنّه قيل آيات آيات. ورفعها باضمار (هى) والمعنى، فى تقديم الإيمان على الإيقان وتوسيطه وتأخير الآخر، أنّ المنصفين من العباد إذا نظروا فى السموات والأرض نظرا صحيحا علموا أنّها مصنوعة وأنّه لا بدّ لها من صانع فآمنوا بالله. فإذا نظروا فى خلق أنفسهم وتنقّلها من حال إلى حال، وفى خلق ما ظهر على الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا. فإذا نظروا فى سائر الحوادث التى تتجدّد فى كلّ وقت، كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا، عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم.

(١) (تلك) إشارة إلى الآيات المتقدّمة. أى تلك الآيات (آيات الله). وقوله (نتلوها) فى محلّ الحال أى متلوّة (عليك بالحقّ). والعامل ما دلّ عليه (تلك) من معنى الإشارة.

(٢) أى بعد آيات الله. كقولهم أعجبنى زيد وكرمه، يريدون أعجبنى كرم زيد.

(٣) حجازىّ وأبو عمرو وسهل وحفص. وبالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمّد.

(٤) (ويل لكلّ أفّاك) كذّاب (أثيم) متبالغ فى اقتراف الآثام (يسمع آيات الله) — فى موضع جرّ صفة — (تتلى عليه) — حال من (آيات الله) — (ثمّ يصرّ) يقبل على كفره ويقيم عليه (مستكبرا) عن الإيمان بالآيات والإذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا.

كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا[1] فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ[2] ۝ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا[3] أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ[4] ۝

بما عنده . قيل نزلت فى النضر بن الحرث وما كان يشترى من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن. والآية عامّة فى كلّ من كان مضارّا لدين الله . وجىء بثمّ لأنّ الإصرار على الضلالة والاستكبار عن الإيمان عند سماع آيات القرآن مستبعد فى العقول .

(١) (كأن) مخفّفة. والأصل كأنّه (لم يسمعها). والضمير ضمير الشأن. ومحلّ الجملة النصب على الحال. أى (يصرّ) مثل غير السامع .

(٢) فأخبره (بعذاب أليم) خبرا يظهر أثره على البشرة .

(٣) وإذا بلغه شىء من آياتنا وعلم أنّه منها (اتّخذها) اتّخذ الآيات (هزوا) . ولم يقل اتّخذه للإشعار بأنه إذا أحسّ بشىء من الكلام أنّه من جملة الآيات خاض فى الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه . ويجوز أن يرجع الضمير إلى شىء لأنّه فى معنى الآية كقول أبى العتاهية :

نفسى بشىء من الدنيا معلّقة * الله والقائم المهدىّ يكفيها

حيث أراد عتبة .

(٤) (أولئك) — إشارة إلى (كلّ أفّاك أثيم) لشموله الأفّاكين — (لهم عذاب مهين) مخز . (من ورائهم) من قدّامهم — الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف أو قدّام — (جهنّم ولا يغنى عنهم ما كسبوا) من الأموال (شيئا) من عذاب الله (ولا ما اتّخذوا) — (ما) فيهما مصدريّة أو موصولة — (من دون الله) من الأوثان (أولياء ولهم عذاب عظيم) فى جهنّم .

هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ[1] ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ[2] وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ[3] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ[4]

---

(١) (هذا هدى) إشارة إلى القرآن. ويدلّ عليه (والذين كفروا بآيات ربهم). لأنّ آيات ربّهم هي القرآن. أي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل أي كامل في الرجولية. (لهم عذاب من رجز) — هو أشد العذاب — (أليم) بالرفع مكّيّ و يعقوب وحفص صفة لعذاب. وغيرهم بالجرّ صفة لرجز.

(٢) (بأمره) بإذنه. (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطريّ.

(٣) (جميعا) هو تأكيد (ما في السموات). وهو مفعول (سخّر). وقيل (جميعا) نصب على الحال. (منه) حال. أي سخّر هذه الأشياء كائنة (منه) حاصلة من عنده. أو خبر مبتدأ محذوف. أي هذه النعم كلّها (منه). أو صفة للمصدر أي تسخيرا (منه).

(٤) أي (قل) لهم اغفروا (يغفروا) — فحذف المقول لأنّ الجواب يدلّ عليه. ومعنى (يغفروا) يعفوا و يصفحوا. وقيل إنّه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا. فهو أمر مستأنف. وجاز حذف اللام للدلالة على الأمر — (للذين لا يرجون أيّام الله) لا يتوقّعون وقائع الله بأعدائه. من قولهم لوقائع العرب "أيّام العرب". وقيل لا يؤمّلون الأوقات التي وقّتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها. قيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بني غفار فهمّ أن يبطش به.

لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[(١)] ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا[(٢)] ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ[(٣)] ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ[(٤)] وَٱلْحُكْمَ[(٥)] وَٱلنُّبُوَّةَ[(٦)] وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ[(٧)] وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ[(٨)] ﴿١٦﴾

---

(١) تعليل للأمر بالمغفرة. أى إنما أمروا بأن يغفروا ليوفّيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة. وتنكير (قوما) على المدح لهم. كأنه قيل (ليجزى) أيّما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على أذى أعدائهم — (لنجزى) شامى وحمزة وعلى. (ليُجزَى قوما) يزيد. أى (ليُجزَى) الخيرُ (قوما). فاضمر الخير لدلالة الكلام عليه، كما أضمر الشمس فى قوله (حتى توارت بالحجاب) لأن قوله (إذ عرض عليه بالعشى) دليل على توارى الشمس. وليس التقدير (ليجزَى) الجزاء (قوما) لأن المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح. أما إقامة المفعول الثانى مقام الفاعل فجائز وأنت تقول جزاك الله خيرا — (بما كانوا يكسبون) من الإحسان.

(٢) أى لها الثواب وعليها العقاب.

(٣) أى إلى جزائه

(٤) التوراة.

(٥) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لأن الملك كان فيهم.

(٦) خصّها بالذكر لكثرة الأنبياء عليهم السلام فيهم.

(٧) ممّا أحلّ الله لهم وأطاب من الأرزاق.

(٨) على عالمى زمانهم.

وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ[1] ۝ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ[2] ۝

---

(١) (وآتيناهم) آيات ومعجزات (من الأمر) من أمر الدين (فما اختلفوا) فما وقع الخلاف بينهم فى الدين (إلّا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أى إلا من بعد ماجاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم. و إنّما اختلفوا لبغى حدث بينهم أى لعداوة وحسد بينهم. (إنّ ربّك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون). قيل المراد اختلافهم فى أوامر الله ونواهيه فى التوراة حسدا وطلبا للرياسة لا عن جهل يكون الإنسان به معذورا. (ثمّ جعلناك) بعد اختلاف أهل الكتاب (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الأمر) من أمر الدين. فاتّبع شريعتك الثابتة بالحجج والدلائل . ولا تتّبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهّال ودينهم المبنىّ على هوى و بدعة . وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع إلى دين آبائك . إنّ هؤلاء الكافرين (لن يغنوا عنك من الله شيئا و إنّ الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولىّ المتقين) وهم موالوه . وما أبين الفصل بين الولايتين .

(٢) (هذا) القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لقوم يوقنون) لمن آمن وأيقن بالبعث .

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ(١) ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ(٢) أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ(٣) سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ(٤) ۝ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(٥) ۝

---

(١) (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان .

(٢) اكتسبوا المعاصى والكفر . ومنه الجوارح ، وفلان جارحة أهله أى كاسبهم .

(٣) (أن نجعلهم) أن نصيّرهم . وهو من جعل المتعدّى إلى مفعولين . فأوّلها الضمير والثانى الكاف فى (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) . والجملة التى هى (سواءٌ محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لأنّ الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت فى حكم المفرد . (سواءً) علىّ وحمزة وحفص بالنصب على الحال من الضمير فى (نجعلهم). ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الأعمش (ومماتهم) بالنصب . جعل (محياهم ومماتهم) ظرفين كمقدم الحاجّ . أى سواء فى محياهم وفى مماتهم . والمعنى إنكار أن يستوى المسيئون والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على اقتراف السيئات ، ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرامة ، وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة . وقيل معناه إنكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة فى الرزق والصحّة .

(٤) بئس ما يقضون إذا حسبوا أنّهم كالمؤمنين . فليس من أقعد على بساط الموافقة ، كمن أقعد على مقام المخالفة . بل نفرّق بينهم فنعلى المؤمنين ونخزى الكافرين . وعن تميم الدارىّ رضى الله عنه أنّه كان يصلّى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويردّد إلى الصباح (ساء ما يحكمون) . وعن الفضيل أنّه بلغها فجعل يردّدها ويبكى ويقول يا فضيل ليت شعرى من أىّ الفريقين أنت .

(٥) (وخلق الله السموات والأرض بالحقّ) ليدلّ على قدرته (ولتجزى) — معطوف على هذا المعلّل المحذوف — (كلّ نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) .

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ[1] ﴿٢٣﴾ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا[2] نَمُوتُ وَنَحْيَا[3] وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ[4]

---

(١) أى هو مطواع لهوى النفس يتبع ماتدعوه إليه فكأنّه يعبده كما يعبد الرجل إلهه (وأضلّه الله على علم) منه باختياره الضلال. أو أنشأ فيه فعل الضلال (على علم) منه بذلك (وختم على سمعه) فلا يقبل وعظا (وقلبه) فلا يعتقد حقّا (وجعل على بصره غشاوة) فلا يبصر عبرة — (غَشْوَة) حمزة وعلىّ — (فمن يهديه من بعد الله) من بعد إضلال الله ايّاه (أفلا تذكّرون) بالتخفيف حمزة وعلىّ وحفص. وغيرهم بالتشديد. فأصل الشّر متابعة الهوى والخير كلّه فى مخالفته. فنعم ماقال :

إذا طلبتك النفس يوما بشهوة * وكان إليها للخلاف طريق

فدعها وخالف ماهويتَ فإنّما * هواك عدوّ والخلاف صديق

(٢) (ماهى) أى ما الحياة — لأنّهم وعدوا حياة ثانية — (إلّا حياتنا الدنيا) التى نحن فيها.

(٣) (نموت) نحن (ونحيا) ببقاء أولادنا. أو يموت بعض ويحيا بعض. أو نكون مواتا نطفا فى الأصلاب ونحيا بعد ذلك. أو يصيبنا الأمران الموت والحياة — يريدون الحياة فى الدنيا والموت بعدها — وليس وراء ذلك حياة. وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ أى يموت الرجل ثمّ تجعل روحه فى موات فيحيا به.

(٤) كانوا يزعمون أنّ مرور الأيّام والليالى هو المؤثّر فى هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بإذن الله. وكانوا يضيفون كلّ حادثة تحدث إلى الدهر والزمان. وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان. ومنه قوله عليه السلام "لاتسبّوا الدهر فإنّ الله هو الدهر". أى فإن الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر.

وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ[١] ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ[٢] ۝ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[٣] ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ[٤] ۝ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً[٥] كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[٦] ۝

(١) وما يقولون ذلك من علم ويقين ، ولكن من ظنّ وتخمين .

(٢) (وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات) — أى القرآن. يعنى مافيه من ذكر البعث — (ما كان حجّتهم) — وسمّى قولهم حجّة وإن لم يكن حجة لأنّه فى زعمهم حجة — (إلّا أن قالوا ائتوا بآبائنا) أى أحيوهم (إن كنتم صادقين) فى دعوى البعث . و (حجّتهم) خبر كان . واسمها (أن قالوا) . والمعنى (ما كان حجتهم إلّا) مقالتهم (ائتوا بآبائنا). وقرئ (حجّتهم) بالرفع على أنّها اسم (كان) و (أن قالوا) الخبر .

(٣) (قل الله يحييكم) فى الدنيا (ثمّ يميتكم) فيها عند انتهاء أعماركم (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) أى يبعثكم يوم القيامة جميعا . ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الإتيان بآبائكم ضرورة (لاريب فيه) أى فى الجمع (ولكنّ أكثر النـاس لا يعلمون) قدرة الله على البعث لإعراضهم عن التفكّر فى الدلائل .

(٤) عامل النصب فى (يوم تقوم) هو (يخسر) . و (يومئذ) بدل من (يوم تقوم) .

(٥) جالسة على الركب. يقال جثا فلان يجثو إذا جلس على ركبتيه وقيل (جاثية) مجتمعة.

(٦) (كلّ أمّة) — بالرفع على الابتداء . (كلّ) بالفتح يعقوب على الإبدال من (كلّ أمّة) — (تدعى الى كتابها) إلى صحائف أعمالها — فا كتفى باسم الجنس — فيقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا .

هَٰذَا كِتَٰبُنَا[1] يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ[2] إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[3] ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ[4] ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ[5] ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا[6] وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

---

(١) أضيف الكتاب إليهم لملابسته إياهم لأنّ أعمالهم مثبتة فيه ، وإلى الله تعالى لأنّه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده .

(٢) يشهد عليكم بما عملتم (بالحقّ) من غير زيادة ولا نقصان .

(٣) أى نستكتب الملائكة أعمالكم . وقيل نسخت واستنسخت بمعنى . وليس ذلك بنقل من كتاب . بل معناه نثبت .

(٤) جنّته .

(٥) (وأمّا الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) . والمعنى (أ) لم يأتكم رسلى (فلم تكن آياتى تتلى عليكم) — فحذف المعطوف عليه — (فاستكبرتم) عن الإيمان بها (وكنتم قوما مجرمين) كافرين .

(٦) (وإذا قيل إنّ وعد الله) بالجزاء (حقّ والساعة) — بالرفع عطف على محلّ إنّ واسمها (والساعةَ) حمزة . عطف على (وعد الله) — (لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة) أىّ شىء (الساعة إن نظنّ إلّا ظنّا) . أصله نظنّ ظنّا ومعناه إثبات الظنّ فحسب . فأدخل حرف النفى والاستثناء ليفاد إثبات الظنّ مع نفى ما سواه . وزيد نفى ما سوى الظنّ توكيدا بقوله (وما نحن بمستيقنين) .

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا [(١)] وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ [(٢)] ۝ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا [(٣)] وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ [(٤)] وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ۝ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ [(٥)] اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ [(٦)] مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ [(٧)] ۝ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [(٨)] ۝ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [(٩)] ۝

---

(١) ظهر لهؤلاء الكفار (سيئات ما عملوا) قبائح أعمالهم . أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) .

(٢) ونزل بهم جزاء استهزائهم .

(٣) أى نتركم فى العذاب كما تركتم عُدّة لقاء يومكم . وهى الطاعة . وإضافة اللقاء إلى اليوم كإضافة المكر فى قوله (بل مكر الليل والنهار) أى (نسيتم لقاء) الله تعالى فى (يومكم هذا) ولقاء جزائه .

(٤) أى منزلكم .

(٥) (ذلكم) العذاب (بأنكم) بسبب أنكم (اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا) .

(٦) (لا يَخرُجون) حمزة وعلى .

(٧) ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه .

(٨) أى فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شىء من السموات والأرض والعالمين فإن مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب .

(٩) وكبّروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والأرض (وهو العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى أحكامه .

سورة الأحقاف مكّيّة

وهى خمس وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ[1] وَأَجَلٍ مُّسَمًّى[2] وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ[3] ۝ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ[4] مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝

(١) ملتبسا (بالحق) .

(٢) (و) بتقدير (أجل مسمّى) ينتهى إليه . وهو يوم القيامه .

(٣) (والذين كفروا عمّا أنذرو)ه من هول ذلك اليوم الذى لا بدّ لكلّ مخلوق من انتهائه إليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمّون بالاستعداد له . ويجوز أن تكون (ما) مصدريّة . أى عن إنذارهم ذلك اليوم .

(٤) أخبرونى (ما تدعون من دون الله) تعبدونه من الأصنام : (أرونى ما ذا خلقوا من الأرض) أىّ شىء خلقوا ممّا فى الأرض إن كانوا آلهة ؟ (أم لهم شرك فى السموات) شركة مع الله فى خلق السموات والأرض ؟ (ائتونى بكتاب من قبل هذا) أى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى أنّ هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك . وما من

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ (١) ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ (٢) قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ (٣) لَمَّا جَآءَهُمْ (٤) هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٥) ۝

كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلّا وهو ناطق بمثل ذلك . فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحّة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (أو أثارة من علم) أو بقيّة من علم بقيت عليكم من علوم الأوّلين (إن كنتم صادقين) أنّ الله أمركم بعبادة الأوثان .

(١) (وهم عن دعائهم غافلون) أى أبدا . (وإذا حشر النـاس كانوا لهم أعداء) أى الأصنام لعبدتها (وكانوا) أى الأصنام (بعبادتهم) بعبادة عبدتهم (كافرين) يقولون ما دعوناهم إلى عبادتنا . ومعنى الاستفهام فى (من أضلّ) إنكار أن يكون فى الضلّال كلّهم أبلغ ضلالا من عبدة الأوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كلّ شيء ويدعون من دونه جمادا لايستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة (وإذا) قامت القيامة و(حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا) عليهم ضدّا . فليسوا فى الدارين إلّا على نكد ومضرّة : لاتتولّاهم فى الدنيا بالاستجابة ، وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم . ولمّا أسند إليهم ما يسند إلى أولى العلم من الاستجابة والغفلة قيل (مَن) و(هم). ووصْفُهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكّم بها وبعبدتها . ونحوه قوله تعالى (إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشركم) .

(٢) جمع بيّنة . وهى الحجة والشاهد . أو واضحات مبيّنات .

(٣) المراد بالحقّ الآيات ، وبالذين كفروا المتلوّ عليهم. فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر ، وللمتلوّ بالحقّ .

(٤) أى بادهوه بالجحود ساعة أتاهم وأوّل ما سمعوه من غير إجالة فكر ولا إعادة نظر .

(٥) ظاهر أمره فى البطلان لا شبهة فيه .

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ(١) قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا(٢) هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ(٣) كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ(٤) وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ(٥) ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ(٦) وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ(٧)

---

(١) إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا إلى ذكر قولهم إنّ محمّدا عليه السلام (افتراه) أى اختلقه وأضافه إلى الله كذبا . والضّمير للحقّ والمراد به الآيات .

(٢) أى (إن افتريته) على سبيل الفرض عاجلنى الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفّه عن معاجلتى ولا تطيقون دفع شىء من عقابه . فكيف أفتريه وأتعرّض لعقابه ؟

(٣) أى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى .

(٤) يشهد لى بالصدق والبلاغ ، ويشهد عليكم بالجحود والإنكار .
ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم .

(٥) موعدة بالغفران والرحمة إن تابوا عن الكفر وآمنوا .

(٦) أى بديعا كالخِفّ بمعنى الخفيف . والمعنى إنّى لست بأوّل مرسل فتنكروا نبوّتى .

(٧) أى (ما) يفعل الله (بى و) بكم فيما يستقبل من الزمان . وعن الكلبىّ : "قال له أصحابه — وقد ضجروا من أذى المشركين — حتّى متى نكون على هذا ؟ فقال : (ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) أأترك بمكّة أم أومر بالخروج إلى أرض قد رفعت لى ورأيتها — يعنى فى منامه — ذات نخيل وشجر ؟" و (ما) فى (ما يفعل) يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهاميّة مرفوعة . وإنّما دخل (لا) فى قوله (ولا بكم) ، مع أنّ (يفعل) مثبت غير منفى ، لتناول النفى فى (ما أدرى) ما وما فى حيّزه .

إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ[1] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝

---

[1] (قل أرأيتم إن كان) القرآن (من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل) — هو عبدالله بن سلام عند الجمهور. ولهذا قيل إنّ هذه الآية مدنيّة لأنّ إسلام ابن سلام بالمدينة. روى أنّه لمّا قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنّه ليس بوجه كذّاب، قال له إنّى سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلّا نبىّ: ما أوّل أشراط الساعة؟ وما أوّل طعام يأكله أهل الجنّة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمّه؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أما أوّل أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب. وأما أوّل طعام يأكله أهل الجنّة فزيادة كبد حوت. وأمّا الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعه، وإن سبق ماء المرأة نزعته. قال أشهد أنّك رسول الله حقّا — (على مثله) الضمير للقرآن. أى مثله فى المعنى. وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك. ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى كونه من عند الله (فآمن) الشاهد (واستكبرتم) عن الإيمان به. وجواب الشرط محذوف تقديره (إن كان) القرآن (من عند الله وكفرتم به) ألستم ظالمين. ويدلّ على هذا المحذوف (إنّ الله لا يهدى القوم الظالمين). والواو الأولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط. وكذلك الواو الأخيرة عاطفة لاستكبرتم على (شهد شاهد). وأمّا الواو فى (وشهد) فقد عطفت جملة قوله (شهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) على جملة قوله (كان من عند الله وكفرتم به) والمعنى (قل) أخبرونى إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى إسرائيل على نزول مثله فإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به، ألستم أضلّ الناس وأظلمهم؟

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ(١) لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ(٢) وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ(٣) ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً(٤) وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ(٥) لِّسَانًا عَرَبِيًّا(٦) لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ(٧) ﴿١٢﴾

(١) أى لأجلهم. وهو كلام كفار مكة. قالوا إن عامة من يتبع محمدا السقاط. يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود.

(٢) (لو كان) ما جاء به محمد (خيرا ما) سبقنا إليه هؤلاء.

(٣) العامل فى (إذ) محذوف لدلالة الكلام عليه. تقديره (وإذ لم يهتدوا به) ظهر عنادهم. وقوله (فسيقولون هذا إفك قديم) مسبب عنه. وقولهم (إفك قديم) أى كذب متقادم كقولهم أساطير الأولين.

(٤) (ومن قبله) أى القرآن (كتاب موسى) أى التوراة. وهو مبتدأ و(من قبله) ظرف واقع خبرا مقدما عليه. وهو ناصب (إماما) على الحال نحو فى الدار زيد قائما. ومعنى (إماما) قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام. (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه.

(٥) (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب.

(٦) حال من ضمير الكتاب فى (مصدق). والعامل فيه (مصدق) أو من (كتاب) لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة. وجوز أن يكون مفعولا لمصدق. أى يصدق ذا لسان عربى. وهو الرسول.

(٧) (لينذر) أى الكتاب — (لتنذر) حجازى وشامى — (الذين ظلموا) كفروا (وبشرى) — فى محل النصب معطوف على محل (لينذر) لأنه مفعول له — (للمحسنين) للمؤمنين المطيعين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١) أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا (٢) جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٣) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا (٤) حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا (٥) وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا (٦) حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ (٧)

(١) (إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا) على توحيد الله وشريعة نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم (فلا خوف عليهم) فى القيامة (ولا هم يحزنون) عند الموت .

(٢) حال من (أصحاب الجنّة) والعامل فيه معنى الإشارة الذى دلّ عليه (أولئك) .

(٣) (جزاء) مصدر لفعل دلّ عليه الكلام أى جوزوا (جزاء) .

(٤) كوفىّ . أى وصّيناه بأن يحسن (بوالديه إحسانا) . (حُسْنا) غيرهم . أى وصّيناه بوالديه أمرا ذا حسن أو بأمر ذى حسن . فهو فى موضع البدل من قوله (بوالديه) وهو من بدل الاشتمال .

(٥) و يفتح الكافين حجازىّ وأبو عمرو . وهما لغتان فى معنى المشقّة . وانتصابه على الحال . أى ذات كره أو على أنّه صفة للمصدر . أى حملا ذا كره .

(٦) ومدّة حمله وفطامه (ثلاثون شهرا). وفيه دليل على أنّ أقلّ مدّة الحمل ستّة أشهر لأنّ مدّة الرضاع إذا كانت حولين لقوله تعالى (حولين كاملين) بقيت للحمل ستّة أشهر . وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله . وقال أبو حنيفة رضى الله عنه المراد به الحمل بالأكفّ (وفصله) يعقوب . والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى .

(٧) هو جمع لا واحد له من لفظه . وكان سيبويه يقول واحده شدّة . وبلوغ الأشدّ أن يكتهل ويستوفى السنّ التى تستحكم فيها قوّته وعقله . وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين . وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة . ووجهه أن يكون ذلك أوّل الأشدّ وغايته الأربعون .

وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ [1] ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ [2] ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ [3]

---

(١) ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ) — المراد به نعمة التوحيد والإسلام. وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لأنّ النعمة عليهما نعمة عليه — (وأن أعمل صالحا ترضاه) — قيل هى الصلوات الخمس — (وأصلح لى فى ذرّيتى) أى اجعل ذرّيتى موقعا للصلاح ومظنّة له (إنّى تبت إليك) من كلّ ذنب (وإنّى من) المخلصين .

(٢) (أولئك الذين نتقبّل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيّئاتهم) — حمزة وعلىّ وحفص . (يُتَقَبَّلُ . ويُتَجَاوز . أحسَنُ) غيرهم — (فى أصحاب الجنـة) هو كقولك أكرمنى الأمير فى ناس من أصحابه . تريد أكرمنى فى جملة من أكرم منهم ونظمنى فى عدادهم . ومحلّه النصب على الحال على معنى كائنين (فى أصحاب الجنّة) ومعدودين فيهم . (وعد الصدق) مصدر مؤكّد لأنّ قوله يتقبّل و يتجاوز وعد من الله لهم بالتقبّل والتجاوز (الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا .

قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى أبيه أبى قحافة وأمّه أمّ الخير وفى أولاده، واستجابة دعائه فيهم . فإنّه آمن بالنبى صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن ثمـان وثلاثين سنة . ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة . ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه و بنوه و بناته غير أبى بكر رضى الله عنه .

(٣) (والذى قال لوالديه) مبتدأ خبره (أولئك الذين حقّ عليهم القول). والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول . ولذلك وقع الخبر مجموعا . وعن الحسن هو فى الكافر العاقّ لوالديه المكذّب بالبعث . وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه قبل إسلامه . ويشهد

أُفٍّ لَّكُمَآ(١) أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ(٢) وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ(٣) ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ(٤) فِىٓ أُمَمٍ(٥) قَدْ خَلَتْ

لبطلانه كتاب معاوية إلى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد . فقال عبد الرحمن بن أبى بكر : "لقد جئتم بها هرقلية. أتبايعون لأبنائكم"؟ فقال مروان: يأيها الناس هذا الذى قال الله تعالى فيه (والذى قال لوالديه أفٍّ لكما). فسمعت عائشة رضى الله عنها فغضبت وقالت والله ماهو به. ولو شئت أن أسمّيه لسمّيته . ولكنّ الله تعالى لعن أباك وأنت فى صلبه . فأنت فضض من لعنة الله . أى قطعة .

(١) مدنىّ وحفص (أفٍّ) مكّىّ وشامىّ (أفَّ) غيرهم . وهو صوت إذا صوّت به الإنسان علم أنّه متضجّر، كما إذا قال حس علم أنّه متوجّع . واللام للبيان . أى هذا التأفيف لكما خاصّة ولأجلكما دون غيركما .

(٢) (أتعداننى أن) أبعث و (أخرج) من الأرض (وقد خلت القرون من قبلى) ولم يبعث منهم أحد .

(٣) أبواه (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك — وهو استعظام لقوله — ويقولان له (ويلك) — دعاء عليه بالثبور . والمراد به الحثّ والتحريض على الإيمان لاحقيقة الهلاك — (آمن) بالله وبالبعث (إنّ وعد الله) بالبعث (حقّ) صدق . (فيقول) لهما (ما هذا) القول (إلّا أساطير الأوّلين) .

(٤) أى (لأملأنّ جهنّم) .

(٥) (فى) جملة (أمم) قد مضت .

مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ۝ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟(١) وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ(٢) وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ(٣) أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا(٤) وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا(٥) فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ(٦) بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ(٧) ۝

---

(١) (ولكلّ) من الجنسين المذكورين الأبرار والفجّار (درجات ممّا عملوا) أى منازل ومراتب (من) جزاء (ما عملوا) من الخير والشرّ . أو (من) أجل (ما عملوا) منهما . وإنّما قال (درجات) ، وقد جاء "الجنّة درجات والنار دركات" ، على وجه التغليب ،

(٢) (وليوفّيهم أعمالهم) — بالياء مكّىّ وبصرىّ وعاصم — (وهم لا يظلمون) . أى (وليوفّيهم أعمالهم) ولا يظلمهم حقوقهم ، قدّر جزاءهم على مقادير أعمالهم بجعل الثواب درجات والعقاب دركات . فاللام متعلّقة بمحذوف .

(٣) عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عُرِض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به . وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم "عرضت الناقة على الحوض" يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا .

(٤) أى يقال لهم (أذهبتم) — وهو ناصب الظرف — (طيّباتكم فى حياتكم الدنيا) . أى ما كتب لكم حظّ من الطيّبات إلّا ما قد أصبتموه فى دنياكم . وقد ذهبتم به وأخذتموه . فلم يبق لكم بعد استيفاء حظّكم شيء منها . وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكنّى أستبقى طيّباتى .

(٥) بالطيّبات .

(٦) أى الهوان . وقرئ به .

(٧) تتكبرون (فى الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تفسقون) أى باستكباركم وفسقكم .

وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿(١)﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿(٢)﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ (٣) وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٤) ﴿﴾

(١) (واذكر أخا عاد) أى هودا (إذ أنذر قومه بالأحقاف) - جمع حِقْف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشىء إذا اعوجّ . عن ابن عباس رضى الله عنهما هو واد بين عمان ومهرة - (وقد خلت النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار (من بين يديه ومن خلفه) من قبل هود ومن خلف هود . وقوله (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) وقع اعتراضا بين (أنذر قومه) و بين (ألّا تعبدوا إلا الله إنّى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم). والمعنى (واذكر) إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدّمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك .

(٢) (قالوا) أى قوم هود (أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا — فالأفك الصرف . يقال أفكه عن رأيه — (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (إن كنت من الصادقين) فى وعيدك . (قال إنّما العلم) بوقت مجىء العذاب (عند الله) ولا علم لى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم .

(٣) وبالتخفيف أبو عمرو . أى الذى هو شأنى أن أبلّغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف .

(٤) أى ولكنّكم جاهلون لا تعلمون أنّ الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه .

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا(١) بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا(٢) فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ(٣) كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ(٤) ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ(٥) وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً(٦)

(١) (فلمّا رأوه) الضمير يرجع إلى (ما تعدنا) أو هو مبهم وضّح أمره بقوله (عارضا) — إمّا تمييزا أو حالا . والعارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء — (مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) . روى أنّ المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة استقبلت أوديتهم فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحا . وإضافة مستقبل وممطر مجازيّة غير معرّفة ، بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفا للنكرة .

(٢) أى قال هود (بل هو) . ويدلّ عليه قراءة من قرأ (قال هود بل هو ما استعجلتم به) من العذاب . ثمّ فسّره فقال (ريح فيها عذاب أليم تدمّر كلّ شىء) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجمّ الكثير . فعبّر عن الكثرة بالكلّية (بأمر ربّها) ربّ الريح .

(٣) عاصم وحمزة وخلف . أى (لا يرى) شىء (إلّا مساكنهم) . غيرهم (لا ترى إلّا مساكنَهم) والخطاب للرائى من كان .

(٤) أى مثل ذلك (نجزى) من أجرم مثل جرمهم . وهو تحذير لمشركى العرب . عن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح إلّا ما تلذّه الأنفس وإنّها لتمرّ من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة .

(٥) (إن) نافية . أى فيما ما مكنّاكم فيه . إلّا أنّ (إن) أحسن فى اللفظ لما فى مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع . ألا ترى أنّ الأصل فى مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء . وقد جعلت (إن) صلة وتؤوّل بأنّا (مكنّاهم فى) مثل ما (مكنّاكم فيه) . والوجه هو الأوّل . لقوله تعالى (هم أحسن أثاثا ورئيا . كانوا أكثر منهم وأشدّ قوّة وآثارا) . و (ما) بمعنى الذى أو نكرة موصوفة .

(٦) أى آلات الدرك والفهم .

فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ (١) إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ (٢) وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٣) ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ (٤) بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ (٥) وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٦) ﴿٢٨﴾

(١) أى (من شىء) من الإغناء وهو القليل منه .

(٢) (إذ) نصب بقوله (فما أغنى) . وجرى مجرى التعليل لاستواء مؤدّى التعليل والظرف فى قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء . لأنّك إذا ضربته فى وقت إساءته فإنّما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلّا أنّ إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك .

(٣) ونزل بهم (ما كانوا به يستهزئون) جزاء استهزائهم . وهذا تهديد لكفّار مكّة . ثمّ زادهم تهديدا بقوله (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكّة (من القرى) نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط . والمراد أهل القرى ولذلك قال (وصرّفنا الآيات لعلّهم يرجعون) أى كرّرنا عليهم الحجج وأنواع العبر (لعلّهم يرجعون) عن الطغيان إلى الإيمان فلم يرجعوا .

(٤) فهلّا (نصرهم الذين اتّخذوا من دون الله قربانا آلهة) القربان ما تقرّب به إلى الله تعالى . أى اتّخذوهم شفعاء متقرّبا بهم إلى الله تعالى حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله . وأحد مفعولى اتّخذ الراجع إلى الذين محذوف . أى اتّخذوهم . والثانى (آلهة) . و (قربانا) حال .

(٥) غابوا عن نصرتهم .

(٦) (وذلك) إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم . أى (وذلك) أثر (إفكهم) الذى هو اتّخاذهم إيّاها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب .

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ[1] فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ[2] ۝

(١) (وإذ صرفنا إليك نفرا) — أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك . والنفر دون العشرة — (من الجنّ) جنّ نصيبين (يستمعون القرآن) منه عليه الصلاة والسلام (فلمّا حضروه) أى الرسول صلّى الله عليه وسلّم أو القرآن . أى (فلمّا) كانوا منه بحيث يسمعون (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين . روى أنّ الجنّ كانت تسترق السمع فلمّا حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا إلّا لنبأ حدث . فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جنّ نصيبين أو نينوى منهم زوبعة . فضربوا حتّى بلغوا تهامة . ثمّ اندفعوا إلى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو قائم فى جوف الليل يصلّى أو فى صلاة الفجر . فاستمعوا لقراءته . وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على الجنّ ولا رآهم . وإنّما كان يتلو فى صلاته فمرّوا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم . وقيل بل الله أمر رسوله أن ينذر الجنّ ويقرأ عليهم . فصرف إليه نفرا منهم . فقال إنى أمرت أن أقرأ على الجنّ الليلة فمن يتبعنى؟ قالها ثلاثا . فأطرقوا إلّا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . قال لم يحضره ليلة الجنّ أحد غيرى . فانطلقنا حتّى إذا كنّا بأعلى مكّة فى شعب الحجون فخطّ لى خطّا وقال لا تخرج منه حتّى أعود إليك . ثمّ افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا . فقال لى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هل رأيت شيئا ؟ قلت نعم رجالا سودا . فقال أولئك جنّ نصيبين . وكانوا اثنى عشر ألفا . والسورة التى قرأها عليهم (اقرأ باسم ربّك) .

(٢) أى (فلمّا) فرغ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من القراءة (ولّوا إلى قومهم منذرين) إيّاهم (قالوا ياقومنا إنّا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) — وإنّما قالوا من بعد موسى لأنّهم كانوا على اليهوديّة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنّ الجنّ لم تكن سمعت بأمر عيسى

وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ(١) وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ(٢) بِقَٰدِرٍ(٣) عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ(٤) إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ(٥) يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ

عليه السلام — (مصدّقا لما بين يديه) من الكتب (يهدى إلى الحقّ) إلى الله تعالى (وإلى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعى الله) أى محمدا صلّى الله عليه وسلّم (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم). قال أبو حنيفة رضى الله عنه لاثواب لهم إلّا النّجاة من النار لهذه الآية. وقال مالك وابن أبى ليلى وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب. وعن الضحّاك أنّهم يدخلون الجنّة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جانّ)

(١) اى لا ينجى منه مهرب .

(٢) هو كقوله (وما مسّنا من لغوب) . ويقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه .

(٣) محلّه الرفع لأنّه خبر أنّ. يدلّ عليه قراءة عبد الله (قادر) . وإنّما دخلت الباء لاشتمال النفى فى أوّل الآية على أنّ وما فى حيّزها . وقال الزجّاج لوقلت ما ظننت أنّ زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر . ألا ترى إلى وقوع (بلى) مقرّرة للقدرة على كلّ شىء من البعث وغيره لا لرؤيتهم .

(٤) هو جواب للنفى .

(٥) (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يقال لهم (أليس هـذا بالحقّ) . فناصب الظرف القول المضمر . و(هذا) إشارة إلى العذاب .

قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ[1] ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ[2] مِنَ[3] ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ[4] كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ[5] بَلَٰغٌ[6] فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ[7] ﴿٣٥﴾

---

(١) بكفركم فى الدنيا .

(٢) أولو الجدّ والثبات والصبر .

(٣) من للتبعيض . والمراد بأولى العزم ما ذكر فى الأحزاب : (وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) . ويونس ليس منهم لقوله (ولا تكن كصاحب الحوت) . وكذا آدم لقوله (ولم نجد له عزما) . أو للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلّهم .

(٤) (ولا تستعجل) لكفّار قريش بالعذاب . أى لا تدع لهم بتعجيله فإنّه نازل بهم لا محالة وإن تأخّر .

(٥) اى أنّهم يستقصرون حينئذ مدّة لبثهم فى الدنيا حتّى يحسبوها ساعة من نهار .

(٦) هذا (بلاغ). أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة. أو هذا تبليغ من الرسول.

(٧) (فهل يهلك) هلاك عذاب . والمعنى فان يهلك بعذاب الله (الّا القوم الفاسقون) أى المشركون الخارجون عن الاتّعاظ به والعمل بموجبه . قال عليه السلام من قرأ سورة الأحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كلّ رملة فى الدنيا .

سورة محمّد صلّى الله عليه وسلّم

وقيل سورة القتال مدنيّة . وقيل مكّيّة

وهى ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ[1] أَعْمَٰلَهُمْ[2] ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ[3] بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ[4]

---

(١) أى أعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام. أو صدّوا غيرهم عنه. قال الجوهرى صدّ عنه يصدّ صدودا أعرض. وصدّه عن الأمر صدّا منعه وصرفه عنه . وهم المطعمون يوم بدر . أو أهل الكتاب . أو عامّ فى كلّ من كفر وصدّ .

(٢) أبطلها وأحبطها . وحقيقته جعلها ضالّة ضائعة ليس لها من يتقبّلها ويثيب عليها كالضالّة من الإبل . وأعمالهم ما عملوه فى كفرهم من صلة الأرحام وإطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام . أو ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلّم والصدّ عن سبيل الله .

(٣) هم ناس من قريش ، أو من الأنصار ، أو من أهل الكتاب ، أو عامّ .

(٤) (وآمنوا بما نزّل على محمّد) وهو القرآن. وتخصيص الإيمان بالمنزل على رسوله من بين ما يجب الإيمان به لتعظيم شأنه . وأكّد ذلك بالجملة الاعتراضية وهى قوله (وهو الحقّ من ربّهم) أى القرآن . وقيل إنّ دين محمد هو الحقّ إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره .

كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ(١) وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ(٢) ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ(٣) كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ(٤) ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟(٥) فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ(٦)

(١) ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم .

(٢) أى (وأصلح) حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد .

(٣) (ذلك) مبتدأ . وما بعده خبره . أى (ذلك) الأمر — وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيّئات الثانى والإصلاح — كائن بسبب اتّباع هؤلاء (الباطل) وهو الشيطان وهؤلاء (الحقّ) وهو القرآن .

(٤) مثل ذلك الضرب (يضرب الله) أى يبيّن الله (للناس أمثالهم) . والضمير راجع إلى الناس . أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنّه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم . وقد جعل اتّباع الباطل مثلا لعمل الكافرين واتّباع الحقّ مثلا لعمل المؤمنين . أو جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفّار وتكفير السيّئات مثلا لفوز الأبرار .

(٥) من اللقاء وهو الحرب .

(٦) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدّم المصدر فأنيب منابه مضافا إلى المفعول . وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنّك تذكر المصدر وتدلّ على الفعل بالنصبة التى فيه . و (ضرب الرقاب) عبارة عن القتل لا أنّ الواجب أن تضرب الرقاب خاصّة دون غيرها من الأعضاء . ولأنّ قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب غير رقبته .

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ[١] فَإِمَّا مَنَّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً[٢] حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا[٣]

(١) (حتى إذا) أكثرتم فيهم القتل. فأسروهم. والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به. والمعنى (فشدوا) وثاق الأسارى حتى لا يفلتوا منكم.

(٢) (فإما منا بعد) أى بعد أن تأسروهم (وإما فداء). (منا) و (فداء) منصوبان بفعليهما مضمرين أى (فإما) تمنون (منا) أوتفدون (فداء). والمعنى التخيير بين الأمرين بعد الأسر: بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم، وبين أن يفادوهم. وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق. والمن والفداء المذكوران فى الآية منسوخ بقوله (اقتلوا المشركين) لأن سورة براءة من آخر ما نزل. وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الإسلام أوضرب العنق. أو المراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا. أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية. وبالفداء أن يفادى بأساراهم أسارى المسلمين. فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة رحمه الله وهو قولهما. والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره لئلا يعودوا حربا علينا. وعند الشافعى رحمه الله تعالى للإمام أن يختار أحد الأمور الأربعة القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن.

(٣) أثقالها وآلاتها التى لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع. وقيل (أوزارها) آثامها. يعنى (حتى) يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا. و (حتى) لا يخلو من أن يتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء. فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعى رحمه الله أنهم لا يزالون على ذلك أبدا إلى ألا يكون حرب مع المشركين. وذلك إذا لم يبق لهم شوكة. وقيل إذا نزل عيسى عليه السلام. وعند أبى حنيفة رحمه الله إذا علق بالضرب والشد فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار. وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين. وإذا علق بالمن والفداء فالمعنى أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها. إلا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل.

ذَٰلِكَ[1] وَلَوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ[2] وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟[3] فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ[4] وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ[5] ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ[6] ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ[7] ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ[8] ﴿٨﴾

---

(١) أى الأمر (ذلك) فهو مبتدأ وخبر . أو افعلوا بهم (ذلك) فهو فى محلّ النصب .

(٢) (ولو يشاء الله) لانتقم منهم بغير قتال ببعض أسباب الهلاك كالخسف أو الرجفة أو غير ذلك (ولكن) أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) أى المؤمنين بالكافرين تمحيصا للمؤمنين وتمحيقا للكافرين .

(٣) بصرىّ وحفص . (قاتلوا) غيرهم .

(٤) (سيهديهم) إلى طريق الجنّة أو إلى الصواب فى جواب منكر ونكير .

(٥) يرضى خصماءهم و يقبل أعمالهم .

(٦) عن مجاهد عرّفهم مساكنهم فيها حتّى لا يحتاجون أن يسألوا . أو طيّبها لهم من العَرف . وهو طيب الرائحة .

(٧) (إن تنصروا الله) أى دين الله ورسوله (ينصركم) على عدوّكم ويفتح لكم (ويثبّت أقدامكم) فى مواطن الحرب . أو على محجّة الإسلام .

(٨) (والذين كفروا) فى موضع رفع بالابتداء. والخبر (فتعسا لهم). وعطف قوله (وأضلّ أعمالهم) على الفعل الذى نصب (تعسا) . لأنّ المعنى (ف) قال (تعسا لهم) . والتعس العثور . وعن ابن عبّاس رضى الله عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردّى فى النار .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ[(١)] فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا[(٢)] ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ[(٣)] ۝ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ[(٤)] ۝ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ[(٥)] فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝

(١) أى التعس والضلال (بأنّهم كرهوا ما أنزل الله) أى القرآن .

(٢) (أفلم يسيروا) يعنى كفّار أمّتك (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمّر الله عليهم) أهلكهم هلاك استئصال (وللكافرين) مشركى قريش (أمثالها) أمثال تلك الهلكة لأنّ التدمير يدلّ عليها .

(٣) أى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين (بأنّ الله مولى الذين آمنوا) وليّهم وناصرهم (وأنّ الكافرين لا مولى لهم) أى لا ناصر لهم فإنّ الله مولى العباد جميعا من جهة الاختراع وملك التصرّف فيهم ، ومولى المؤمنين خاصّة من جهة النصرة .

(٤) (والذين كفروا) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أيّاما قلائل (ويأكلون) غافلين غير متفكّرين فى العاقبة (كما تأكل الأنعام) فى معالفها ومسارحها غافلة عمّا هى بصدده من النحر والذبح (والنار مثوى لهم) منزل ومقام .

(٥) أى وكم (من قرية) — للتكثير . وأراد بالقرية أهلها. ولذلك قال (أهلكناهم) — (هى أشدّ قوة من قريتك التى أخرجتك) — أى وكم من قرية أشدّ قوة من قومك الذين أخرجوك أى كانوا سبب خروجك — (أهلكناهم فلا ناصر لهم) أى فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم .

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم[1] ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ[2] ﴿١٥﴾

---

(١) أى (أفمن كان على) حجة من عنده و برهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات . يعنى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (كمن زيّن له سوء عمله) هم أهل مكة الذين زيّن لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله . وقال (سوء عمله واتّبعوا أهواءهم) للحمل على لفظ (من) ومعناه .

(٢) صفة الجنّة العجيبة الشأن (التى وعد المتّقون) عن الشرك (فيها أنهار) — داخل فى حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى إلى صحّة قولك التى فيها أنهار . أو حال — أى مستقرة (فيها أنهار من ماء غير آسن) غير متغيّر اللون والريح والطعم — يقال أسِنَ الماء إذا تغيّر طعمه وريحه. (أسِن) مكّى — (وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه) كما تتغيّر ألبان الدنيا إلى الحموضة وغيرها (وأنهار من خمر لذّة) تأنيث لذ وهو اللذيذ (للشاربين) . وما هو إلّا التلذّذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (وأنهار من عسل مصفّى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره. (مثل) مبتدأ خبره (كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميا) حارًا فى النهاية (فقطّع أمعاءهم) . والتقدير أمثل الجنّة كمثل جزاء من هو خالد فى النار . وهو كلام فى صورة الإثبات ومعناه النفى لانطوائه تحت حكم كلام مصدّر بحرف الإنكار ودخوله فى حيّزه . وهو قوله (أفمن كان على بيّنة من ربّه كمن زيّن له سوء عمله) وفائدة حذف حرف الإنكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوّى بين المتمسّك بالبيّنة والتابع لهواه وأنّه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنّة التى تجرى فيها تلك الأنهار وبين النار التى يسقى أهلها الحميم .

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا[1] أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ[2] ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ[3] إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم[4] بَغْتَةً[5] فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا[6] فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ[7] ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ[8] لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ

(١) هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم . فإذا خرجوا قالوا لأولى العلم من الصحابة : ماذا قال الساعة ؟ على جهة الاستهزاء .

(٢) (والذين اهتدوا) بالإيمان واستماع القرآن (زادهم) الله (هدى) أى بصيرة وعلما أو شرح صدورهم (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها . أو آتاهم جزاء تقواهم . أو بيّن لهم مايتّقون .

(٣) أى ينتظرون .

(٤) أى إتيانها . فهو بدل اشتمال من الساعة .

(٥) فجأة .

(٦) علاماتها وهو مبعث محمّد صلّى الله عليه وسلّم وانشقاق القمر والدخان . وقيل : قطع الأرحام ، وقلة الكرام ، وكثرة اللئام .

(٧) قال الأخفش : التقدير فأنّى لهم ذكراهم إذا جاءتهم .

(٨) (فاعلم) أنّ الشان (لا إله إلّا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) . والمعنى فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانيّة الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك . وفى شرح التأويلات : جاز أن يكون له ذنب فأمره بالاستغفار له ولكنّا لا نعلمه . غير أنّ ذنب الأنبياء ترك الأفضل دون مباشرة القبيح . وذنوبنا مباشرة القبائح من الصغائر والكبائر .

وقيل : الفاءات فى هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتّصال .

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ[1] ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ[2] فَأَوْلَىٰ لَهُمْ[3] ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ[4] فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ[5] ﴿٢٢﴾

(١) (يعلم متقلّبكم) فى معايشكم ومتاجركم (ومثواكم) ويعلم حيث تستقرّون من منازلكم. أو (متقلّبكم) فى حياتكم (ومثواكم) فى القبور. أو (متقلّبكم) فى أعمالكم (ومثواكم) فى الجنّة والنار. ومثله حقيق بأن يتّقى ويخشى وأن يستغفر. وسئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال: ألم تسمع قوله (فاعلم أنّه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) فأمر بالعمل بعد العلم.

(٢) (ويقول الذين آمنوا لولا نزّلت سورة) فيها ذكر الجهاد (فإذا أنزلت سورة) فى معنى الجهاد (محكمة) مبيّنة غير متشابهة لا تحتمل وجها إلّا وجوب القتال — وعن قتادة كلّ سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لأنّ النسخ لا يرد عليها من قِبَل أنّ القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة — (وذكر فيها القتال) أى أمر فيها بالجهاد (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) نفاق. أى رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (ينظرون إليك نظر المغشىّ عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت.

(٣) وعيد بمعنى فويل لهم. وهو أفعل من الولى وهو القرب. ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه.

(٤) كلام مستأنف. أى (طاعة وقول معروف) خير لهم.

(٥) فإذا جدّ الأمر ولزمهم فرض القتال (فلو صدقوا الله) فى الإيمان والطاعة (لكان) الصدق (خيرا لهم) من كراهة الجهاد. ثمّ التفت من الغيبة إلى الخطاب بضرب من التوبيخ والإرهاب فقال: (فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطّعوا أرحامكم) أى فلعلّكم،

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ (١) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢) ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ (٣)

إن أعرضتم عن دين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسنّته ، أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه فى الجاهليّة من الإفساد فى الأرض بالتغاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا ووأد البنات . وخبر عسى (أن تفسدوا) والشرط اعتراض بين الاسم والخبر . والتقدير فهل عسيتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطّعوا أرحامكم إن تولّيتم .

(١) (أولئك) إشارة إلى المذكورين (الذين لعنهم الله) أبعدهم عن رحمته (فأصمّهم) عن استماع الموعظة (وأعمى أبصارهم) عن إبصارهم طريق الهدى . (أفلا يتدبّرون القرآن) فيعرفوا ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتّى لا يجسروا على المعاصى ؟ و (أم) فى (أم على قلوب أقفالها) بمعنى بل . وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأنّ قلوبهم مقفلة لا يتوصّل إليها ذكر . ونكّرت القلوب لأنّ المراد على قلوب قاسية مبهم أمرها فى ذلك . والمراد بعض القلوب . وهى قلوب المنافقين . وأضيفت الأقفال إلى القلوب لأنّ المراد الأقفال المختصّة بها . وهى أقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع .

(٢) (إنّ الذين ارتدّوا على أدبارهم من بعد ما تبيّن لهم الهدى) — هم المنافقون رجعوا إلى الكفر سرّا بعد وضوح الحقّ لهم — (الشيطان سوّل) زيّن (لهم) — جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لأنّ نحو إنّ زيدا عمرو مرّ به — (وأملى لهم) ومدّ لهم فى الآمال والأمانى . (وأُملِىَ) أبو عمرو . أى أمهلوا ومدّ فى عمرهم .

(٣) أى المنافقون قالوا لليهود (سنطيعكم فى بعض الأمر) أى عداوة محمد والقعود عن نصرته .

وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ(١) ﴿٢٦﴾ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ(٢) يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ(٣) ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ(٤) فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ(٥) ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ(٦) فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ(٧) وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٠﴾

---

(١) على المصدر من أسرّ ، حمزة وعلىّ وحفص . (أسرارهم) غيرهم . جمع سرّ .

(٢) أى (فكيف) يعملون ؟ وما حيلتهم حينئذ ؟

(٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفّى أحد على معصية إلاّ يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره .

(٤) (ذلك) — إشارة إلى التوفّى الموصوف — (بأنّهم) بسبب أنّهم (اتّبعوا ما أسخط الله) من معاونة الكافرين (وكرهوا رضوانه) من نصرة المؤمنين .

(٥) أحقادهم . والمعنى أظنّ المنافقون أنّ الله تعالى لا يبرز بغضهم وعداوتهم للمؤمنين ؟

(٦) لعرّفنا كهم ودللناك عليهم .

(٧) (فلعرفتهم) بعلامتهم . وهو أن يسمهم الله بعلامة يعلمون بها . وعن أنس رضى الله عنه "ما خفى على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد هـذه الآية أحد من المنافقين . كان يعرفهم بسيماهم" . (ولتعرفنّهم فى لحن القول) فى نحوه وأسلوبه الحسن من فحوى كلامهم لأنّهم كانوا لا يقدرون على كتمان ما فى أنفسهم . واللام فى (فلعرفتهم) داخلة فى جواب (لو) كالتى فى (لأريناكهم) كررت فى المعطوف . وأمّا اللام فى (ولتعرفنّهم) فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف . (والله يعلم أعمالكم) فيميز خيرها من شرّها .

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ [1] ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ [2] ﴿٣٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ [3] ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ [4] ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ [5] وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ [6]

---

(١) (ولنبلونكم) بالقتال إعلاما لا استعلاما . أو نعاملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ في إظهار العدل (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على الجهاد . أى نعلم كائنا ما علمناه أنه سيكون (ونبلو أخباركم) أسراركم . (وليبلونكم حتى يعلم. ويبلو) أبو بكر. وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها بكى وقال " اللهم لا تبلنا فإنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا ".

(٢) (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه — يعني المطعمين يوم بدر . وقد مر — (من بعد ما تبين لهم الهدى) من بعد ما ظهر لهم أنه الحق وعرفوا الرسول (لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم) التي عملوها في مشاقة الرسول . أى سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم .

(٣) (ولا تبطلوا أعمالكم) بالنفاق أو بالرياء .

(٤) قيل هم أصحاب القليب . والظاهر العموم .

(٥) فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو .

(٦) (السلم) بالكسر حمزة وأبو بكر . وهما المسالمة . أى ولا تدعوا الكفار إلى الصلح (وأنتم الأعلون) أى الأغلبون . (وتدعوا)مجزوم لدخوله في حكم النهى . (والله معكم) بالنصرة. أى ناصركم .

وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ (١) ۝ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ (٢) وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ (٣) ۝ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ (٤) تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ (٥) ۝ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ (٦)

(١) وان ينقصكم أجر أعمالكم .

(٢) تنقطع فى أسرع مدّة .

(٣) (وإن تؤمنوا) بالله ورسوله (وتتّقوا) الشرك (يؤتكم أجوركم) ثواب إيمانكم وتقواكم (ولا يسالكم أموالكم) أى لا يسالكم جميعها . بل ربع العشر . والفاعل الله أو الرسول. وقال سفيان بن عيينة غيضا من فيض .

(٤) أى يجهدكم ويطلبه كلّه . والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية فى كل شىء . يقال أحفاه فى المسألة إذا لم يترك شيئا من الإلحاح ، وأحفى شاربه إذا استأصله .

(٥) (ويخرج) أى الله أو البخل (أضغانكم) عند الامتناع أو عند سؤال الجميع لأنّه عند مسألة المال تظهر العداوة والحقد .

(٦) (ها) للتنبيه . (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) أى أنتم الذين تدعون (لتنفقوا فى سبيل الله) هى النفقة فى الغزو أو الزكاة . كأنّه قيل الدليل على أنّه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر (فمنكم من يبخل) بالرفع لأنّ (من) هذه ليست للشرط . أى فمنكم ناس يبخلون به (ومن يبخل) بالصدقة وأداء الفريضة (فإنّما يبخل عن نفسه) أى يبخل عن داعى نفسه لا عن داعى ربه . وقيل (يبخل) على نفسه يقال بخلت عليه وعنه .

وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ[(١)] وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ[(٢)] ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم[(٣)] ﴿٣٨﴾

(١) أى أنه لا يأمر بذلك لحاجته إليه لأنه غنىّ عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب .

(٢) وإن تعرضوا أيها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والإنفاق فى سبيله — وهو معطوف على (وإن تؤمنوا وتتقوا) — يخلق قوما خيرا منكم وأطوع وهم فارس . وسئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه . والذى نفسى بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريّا لتناله رجال من فارس .

(٣) أى (ثمّ لا يكونوا) فى الطاعة (أمثالكم) بل أطوع منكم .

سورة الفتح مدنيّة

وهى تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا[1] ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ[2] مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ[3]

(١) الفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب. لأنّه منغلق ما لم يظفر به. فإذا ظفر به فقد فتح . ثمّ قيل هو فتح مكّة . وقد نزلت مرجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن مكّة عام الحديبية عدة له بالفتح. وجىء به على لفظ على الماضى لأنّها فى تحقّقها بمنزلة الكائنة. وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر عنه وهو الفتح ما لا يخفى . وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المسلمون المشركين حتّى أدخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا . وقال الزجاج كان فى فتح الحديبية آية للمسلمين عظيمة وذلك أنّه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثمّ مجّه فى البئر فدرّت بالماء حتّى شرب جميع الناس. وقيل هو فتح خيبر. وقيل معناه قضينا لك قضاء بيّنا على أهل مكّة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت. من الفتاحة وهى الحكومة .

(٢) قيل الفتح ليس بسبب للمغفرة . والتقدير (إنّا فتحنا لك فتحا مبينا) فاستغفر (ليغفر لك الله). ومثله (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى قوله (فسبّح بحمد ربّك واستغفره) . ويجوز أن يكون فتح مكّة — من حيث إنّه جهاد للعدو — سببا للغفران. وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل لإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز. ولكنّه لمّا عدّد عليه هذه النعم وصلها بما هو أعظم النعم . كأنّه قيل يسّرنا لك فتح مكّة أو كذا لنجمع لك بين عزّ الدارين وأغراض العاجل والآجل .

(٣) يريد جميع ما فرط منك. أو (ما تقدّم) من حديث مارية (وما تأخّر) من امرأة زيد.

وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ(١) وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا(٢) ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا(٣) ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ(٤) وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ(٥) ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ(٦)

---

(١) (ويتمّ نعمته عليك) بإعلاء دينك وفتح البلاد على يدك .

(٢) ويثبّتك على الدين المرضيّ .

(٣) قويّا منيعا لاذلّ بعده أبدا .

(٤) السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان . أى أنزل الله فى قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح ليزدادوا يقينا إلى يقينهم . وقيل السكينة الصبر على ما أمر الله والثقة بوعد الله والتعظيم لأمر الله .

(٥) أى(ولله جنود السموات والأرض) يسلّط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته. ومن قضيّته أن سكّن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم . وإنّما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيثيبهم ويعذّب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه .

(٦) وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده . يقال فعل سوء أى مسخوط فاسد . والمراد ظنّهم أنّ الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكّة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا .

عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ[(١)] وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا[(٢)] ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا[(٣)] ۝ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا[(٤)] ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ[(٥)]

---

(١) (عليهم دائرة السُّوء) مكّىّ وأبو عمرو . أى ما يظنّونه ويتربّصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم . والسُّوء الهلاك والدمار . وغيرهما (دائرة السَّوء) بالفتح . أى الدائرة التى يذمّونها ويسخطونها . السوء والسوء كالكره والكره والضعف والضعف . إلا أنّ المفتوح غلب فى أن يضاف إليه ما يراد ذمّه من كلّ شيء . وأمّا السوء فجار مجرى الشرّ الذى هو نقيض الخير .

(٢) (وساءت مصيرا) جهنّم . (ولله جنود السموات والأرض) فيدفع كيد من عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها . (وكان الله عزيزا) غالبا فلا يردّ بأسه (حكيما) فيما دبّر .

(٣) تشهد على أمّتك يوم القيامة وهذه حال مقدّرة (ومبشّرا) للؤمنين بالجنّة (ونذيرا) للكافرين من النار .

(٤) (لتؤمنوا بالله ورسوله) — الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولأمّته — (وتعزّروه) وتقوّوه بالنصر (وتوقّروه) وتعظّموه (وتسبّحوه) من التسبيح أو من السبحة — والضمائر لله عزّ وجلّ . والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرّق الضمائر فجعل الأوّلين للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقد أبعد . (ليؤمنوا) مكّىّ وأبو عمرو . والضمير للناس وكذا الثلاثة الأخيرة بالياء عندهما — (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) الصلوات الأربع .

(٥) (إنّ الذين يبايعونك) أى بيعة الرضوان . ولمّا قال (إنّما يبايعون الله) أكّده تأكيدا على طريقة التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم) . يريد أنّ يد رسول الله صلّى الله عليه

فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ (١) وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٢) ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ (٣) شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا (٤) يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ (٥)

وسلّم التي تعلو أيدى المبايعين هى يد الله والله منزّه عن الجوارح وعن صفات الأجسام . وإنّما المعنى تقرير أنّ عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله (من يطع الرسول فقد أطاع الله) . و (إنّما يبايعون الله) خبر إنّ .

(١) (فمن) نقض العهد ولم يف بالبيعة (فإنّما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه إلّا عليه . قال جابر بن عبد الله «بايعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تحت الشجرة على الموت وعلى ألّا نفرّ : فما نكث أحد منّا البيعة إلّا جدّ بن قيس وكان منافقا . اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر مع القوم» .

(٢) يقال وفيت بالعهد وأوفيت به . ومنه قوله (أوفوا بالعقود . والموفون بعهدهم). (عليهُ الله) حفص . (فسيؤتيه) — وبالنون حجازىّ وشامىّ — (أجرا عظيما) الجنّة .

(٣) (سيقول لك) إذا رجعت من الحديبية (المخلّفون من الأعراب) هم الذين خلّفوا عن الحديبية . وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل . وذلك أنّه عليه السلام حين أراد المسير إلى مكّة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت . وأحرم هو صلّى الله عليه وسلّم وساق معه الهدى ليعلم أنّه لا يريد حربا . فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا يذهب إلى قوم غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم . وظنّوا أنّه يهلك فلا ينقلب إلى المدينة .

(٤) (شغلتنا أموالنا وأهلونا) — هى جمع أهل . اعتلّوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنّه ليس لهم من يقوم بأشغالهم — (فاستغفر لنا) ليغفر لنا الله تخلّفنا عنك .

(٥) تكذيب لهم فى اعتذارهم ، وأنّ الذى خلّفهم ليس ما يقولون وإنّما هو الشكّ فى الله والنفاق . فطلبهم الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة .

قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا[1] بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ[2] ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ[3] وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا[4] ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا[5] ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[6] يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ[7] وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا[8] ﴿١٤﴾

---

(١) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (إن أراد بكم) ما يضرّكم من قتل أو هزيمة — (ضُرًّا) حمزة وعليّ — (أو أراد بكم نفعا) من غنيمة وظفر .

(٢) زيّنه الشيطان .

(٣) من علو الكفر وظهور الفساد .

(٤) جمع بائر كعائذ وعوذ . من بار الشيء هلك وفسد أى (وكنتم قوما) فاسدين — فى أنفسكم وقلوبكم ونيّاتكم لا خير فيكم . أو هالكين عند الله مستحقّين لسخطه وعقابه .

(٥) (أعتدنا للكافرين) أى لهم .فأقيم الظاهر مقام الضمير للإيذان بأنّ من لم يجمع بين الإيمانين الإيمان بالله والإيمان برسوله فهو كافر . ونكّر (سعيرا) لأنّها نار مخصوصة . كما نكّر (نارا تلظّى) .

(٦) يدبّره تدبير قادر حكيم .

(٧) يغفر ويعذّب بمشيئته وحكمته . وحكمته المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين .

(٨) سبقت رحمته غضبه .

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ (١) قُل لَّن تَتَّبِعُونَا (٢) كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ (٣) فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤) ۝ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ (٥) سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ (٦) يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝

---

(١) (سيقول المخلّفون) الذين تخلّفوا عن الحديبية (إذا انطلقتم إلى مغانم) إلى غنائم خيبر (لتأخذوها ذرونا نتّبعكم يريدون أن يبدّلوا كلام الله) . (كلِم الله) حمزة وعلىّ . أى يريدون أن يغيّروا موعد الله لأهل الحديبية . وذلك أنّه وعدهم أن يعوّضهم من مغانم مكّة مغانم خيبر إذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا .

(٢) (لن تتّبعونا) إلى خيبر . وهو إخبار من الله بعدم اتّباعهم ولا يبدّل القول لديه .

(٣) (قال الله من قبل) انصرافهم إلى المدينة إنّ غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم .

(٤) أى لم يأمركم الله به (بل تحسدوننا) أن نشارككم فى الغنيمة. (بل كانوا لا يفقهون) من كلام الله (إلّا قليلا) إلّا شيئا قليلا. يعنى مجرّد القول. والفرق بين الإضرابين أنّ الأوّل ردّ أن يكون حكم الله ألّا يتّبعوهم وإثبات الحسد، والثانى إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطمّ منه وهو الجهل وقلّة الفقه .

(٥) هم الذين تخلّفوا عن الحديبية .

(٦) (ستدعون إلى قوم) — يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردّة الذين حاربهم أبو بكر رضى الله عنه . لأنّ مشركى العرب والمرتدّين هم الذين لا يقبل منهم إلّا الإسلام أو السيف . وقيل هم فارس وقد دعاهم عمر رضى الله عنه — (تقاتلونهم أو يسلمون) أى يكون أحد

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ (١) وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (٢) ﴿١٧﴾ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ (٣) فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (٤) ﴿١٨﴾

الأمرين إمّا المقاتلة أو الإسلام . ومعنى (يسلمون) على هذا التأويل ينقادون . لأنّ فارس مجوس تقبل منهم الجزية . وفى الآية دلالة صحّة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعى عند دعوته بقوله (فإن تطيعوا) من دعاكم إلى قتاله (يؤتكم الله أجرا حسنا) فوجب أن يكون الداعى مفترض الطاعة . (وإن تتولّوا كما تولّيتم من قبل) أى عن الحديبية (يعذّبكم عذابا أليما) فى الآخرة .

(١) نفى الحرج عن ذوى العاهات فى التخلّف عن الغزو .

(٢) (ومن يطع الله ورسوله) فى الجهاد وغير ذلك (يدخله جنّات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتولّ) يعرض عن الطاعة (يعذّبه عذابا أليما). (ندخله . نعذّبه) مدنىّ وشامىّ.

(٣) هى بيعة الرضوان . سمّيت بهذه الآية .وقصّتها أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم حين نزل بالحديبية بعث جَوّاس بن أميّة الخزاعىّ رسولا إلى مكّة . فهمّوا به . فمنعه الأحابيش . فلمّا رجع دعا بعمر ليبعثه . فقال إنّى أخافهم على نفسى لما عرف من عداوتى إيّاهم . فبعث عثمان ابن عفان فخبّرهم أنّه لم يأت لحرب . وإنّما جاء زائرا للبيت . فوقّروه واحتبس عندهم . فأرجف بأنّهم قتلوه . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا نبرح حتّى نناجز القوم . ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة على أن يناجزوا قريشا ولا يفرّوا . وكانت سمرة. وكان عدد المبايعين ألفا وأربعمائة .

(٤) (فعلم ما فى قلوبهم) من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه (فأنزل السكينة عليهم) أى الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم (وأثابهم) وجازاهم (فتحا قريبا) هو فتح خيبر غبّ انصرافهم من مكّة .

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا[1] وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا[2] ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا[3] فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ[4] وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ[5] وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ[6] وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا[7] ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا[8] وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا[9] ﴿٢١﴾

---

(١) هي مغانم خيبر. وكانت أرضا ذات عقار وأموال. فقسّمها عليهم.

(٢) (عزيزا) منيعا فلا يغالب (حكيما) فيما يحكم فلا يعارض.

(٣) هي ما أصابوه مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبعده إلى يوم القيامة.

(٤) (فعجّل لكم هذه) المغانم. يعنى مغانم خيبر.

(٥) يعنى أيدى أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاءوا لنصرتهم. فقذف الله فى قلوبهم الرعب فانصرفوا. وقيل أيدى أهل مكّة بالصلح.

(٦) (ولتكون) هذه الكفّة (آية للمؤمنين) وعبرة يعرفون بها أنّهم من الله عزّ وجلّ بمكان، وأنّه ضامن نصرتهم والفتح عليهم، فعل ذلك.

(٧) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله.

(٨) معطوفة على (هذه). أى (فعجّل لكم هذه) المغانم ... (و) مغانم (أخرى) — هى مغانم هوازن فى غزوة حنين — (لم تقدروا عليها) لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أى قدر عليها واستولى وأظهركم عليها. ويجوز فى (أخرى) النصب بفعل مضمر يفسّره (قد أحاط الله بها) تقديره (و) قضى الله (أخرى) قد أحاط بها. وأمّا (لم تقدروا عليها) فصفة لأخرى. والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بـ (لم تقدروا). و (قد أحاط الله بها) خبر المبتدأ.

(٩) قادرا.

وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا[1] ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى[2] قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا[3] ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم[4] بِبَطْنِ مَكَّةَ[5] مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ[6] عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ[7] بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

---

(١) (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكّة ولم يصالحوا — أو من حلفاء أهل خيبر — (لولّوا الأدبار) لغلبوا وانهزموا (ثمّ لا يجدون وليّا) يلي أمرهم (ولا نصيرا) ينصرهم .

(٢) فى موضع المصدر المؤكّد . أى سنّ الله غلبة أنبيائه سنّة . وهو قوله (لأغلبنّ أنا ورسلى) .

(٣) تغييرا .

(٤) أى (كفّ) أيدى أهل مكّة (وأيديكم عنهم) عن أهل مكّة . يعنى قضى بينهم وبينكم المكافّة والمحاجزة بعد ما خوّلكم الظفر عليهم والغلبة . وذلك يوم الفتح . وبه استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه على أنّ مكّة فتحت عنوة لا صلحا . وقيل كان فى غزوة الحديبية لما روى أنّ عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من هزمه وأدخله حيطان مكّة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أظهر المسلمين عليهم بالحجارة حتّى أدخلوهم البيوت .

(٥) أى بمكّة . أو بالحديبية لأنّ بعضها منسوب إلى الحرم .

(٦) أى أقدركم وسلّطكم .

(٧) وبالياء أبو عمرو .

هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ(١) مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ(٢) مَحِلَّهُ(٣) وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا(٤) ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾

---

(١) هو ما يهدى إلى الكعبة . ونصبه عطفا على (كم) فى (صدّوكم) أى (و) صدّوا (الهدى) .

(٢) محبوسا (أن يبلغ) . و (معكوفا) حال . وكان عليه السلام ساق سبعين بدنة .

(٣) مكانه الذى يحلّ فيه نحره. أى يجب. وهذا دليل على أنّ المحصر محلّ هديه الحرم. والمراد المحلّ المعهود وهو منى .

(٤) (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) بمكّة (لم تعلموهم)— صفة للرجال والنساء جميعا —(أن تطؤهم)— بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب فى (تعلموهم) — (فتصيبكم منهم معرّة) إثم وشدّة . وهى مفعلة من عرّه بمعنى عراه إذا دهاه ما يكرهه ويشقّ عليه . وهو الكفّارة إذا قتله خطأ ، وسوء قالة المشركين أنّهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز، والإثم إذا قصر. (بغير علم) متعلّق بـ(أن تطئوهم) . يعنى (أن تطئوهم) غير عالمين بهم . والوطء عبارة عن الإيقاع والإبادة . والمعنى أنّه كان بمكّة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميّزين منهم . فقيل (ولولا) كراهة أن تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهرانى المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقّة ، لما كفّ أيديكم عنهم . وقوله (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كفّ الأيدى عن أهل مكّة والمنع عن قتلهم صونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين . كأنّه قال : كان الكفّ ومنع التعذيب (ليدخل الله فى رحمته) أى فى توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم ، أو ليدخل فى الإسلام من رغب فيه من مشركيهم . (لو تزيّلوا)

إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ [1] فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ
فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ [2] وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ [3]

لو تفرّقوا وتميّز المسلمون من الكافرين (لعـذّبنا الذين كفروا منهم) من أهل مكّة (عذابا أليمـا) . وجواب (لولا) محذوف أغنى عنه جواب (لو) . ويجوز أن يكون (لو تزيّلوا) كالتكرير لـ (لولا رجال مؤمنون) لمرجعهما إلى معنى واحد ، ويكون (لعذّبنا الذين كفروا) هو الجواب . تقـديره (ولولا) أن تطئوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميّزين لعذّبناهم بالسيف .

(١) أى قريش . العامل فى (إذ)، (لعذّبنا) أى لعذّبناهم فى ذلك الوقت . أو اذكر .

(٢) المراد بحميّة الذين كفروا — وهى الأنفة — وسكينة المؤمنين — وهى الوقار — ما يروى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمّـا نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزّى ومُكْرَز بن حفص على أن يعرضوا على النبى صلّى الله عليه وسـلّم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكّة من العام القابل ثلاثة أيام . ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا . فقال عليه السلام لعلىّ رضى الله عنه : اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) . فقال سهيل وأصحابه : ما نعرف هذا . ولكن اكتب باسمك اللّهم . ثمّ قال : اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أهل مكّة . فقالوا : لو نعـلم أنّك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك . ولكن اكتب هذا ما صالح عليـه محمد بن عبد الله أهل مكّة . فقال عليه السلام : اكتب ما يريدون . فأنا أشهد أنّى رسول الله وأنا محمد بن عبد الله . فهمّ المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزّوا منه . فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقّروا وحلُموا .

(٣) الجمهور على أنّهـا كلمة الشهادة . وقيل (بسم الله الرحمن الرحيم) . والإضافة إلى التقوى باعتبار أنّها سبب التقوى وأساسها . وقيل (كلمة) أهل (التقوى) .

وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا (١) ﴿٢٦﴾ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّ (٢) لَتَدۡخُلُنَّ (٣) ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ (٤) ءَامِنِينَ (٥) مُحَلِّقِينَ (٦)

---

(١) (وكانوا) أى المؤمنون (أحقّ بها) من غيرهم (وأهلها) بتأهيل الله إيّاهم (وكان الله بكلّ شىء عليما) فيجرى الأمور على مصالحها .

(٢) أى صدقه فى رؤياه ولم يكذبه — تعالى الله عن الكذب — فحذف الجارّ وأوصل الفعل كقوله (صدقوا ما عاهدوا الله عليه) . روى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأى قبل خروجه إلى الحديبية كأنّه وأصحابه قد دخلوا مكّة آمنين وقد حلقوا وقصّروا . فقصّ الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنّهم داخلوها فى عامهم . وقالوا : إنّ رؤيا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حقّ . فلمّا تأخّر ذلك قال عبد الله بن أبىّ وغيره : والله ما حلقنا ولا قصّرنا ولا رأينا المسجد الحرام . فنزلت .

(٣) (بالحقّ) متعلّق بصدق . أى صدقه فيما رأى ، وفى كونه وحصوله صدقا ملتبسا (بالحقّ) أى بالحكمة البالغة . وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من فى قلبه مرض . ويجوز أن يكون (بالحقّ) قسما إمّا بالحقّ الذى هو نقيض الباطل ، أو بالحقّ الذى هو من أسمائه . وجوابه (لتدخلنّ المسجد الحرام) . وعلى الأوّل هو جواب قسم محذوف .

(٤) حكاية من الله تعالى ما قال رسوله لأصحابه وقصّ عليهم . أو تعليم لعباده أن يقولوا فى عداتهم مثل ذلك متأدّبين بأدب الله ومقتدين بسنته .

(٥) حال والشرط معترض .

(٦) حال من الضمير فى (آمنين) .

رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ (١) فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا (٢) فَجَعَلَ (٣) مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٤) ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٥) ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (٦)

(١) (محلّقين رءوسكم) أى جميع شعورها (ومقصّرين) بعض شعورها .

(٢) حال مؤكّدة .

(٣) (فعلم مالم تعلموا) من الحكمة فى تأخير فتح مكّة إلى العام القابل .

(٤) (فجعل من دون) فتح مكّة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر، لتستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود .

(٥) (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) بالتوحيد (ودين الحقّ) أى الإسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كلّه) على جنس الدين . يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين وأهل الكتاب ولقد حقّق ذلك سبحانه . فإنّك لا ترى دينا قطّ إلّا وللإسلام دونه العزّة والغلبة . وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الأرض كافر . وقيل هو إظهاره بالحجج والآيات . (وكفى بالله شهيدا) على أنّ ما وعده كائن . وعن الحسن شهد على نفسه أنّه سيظهر دينه . والتقدير وكفاه الله شهيدا . و (شهيدا) تمييز أو حال .

(٦) (محمّد) خبر مبتدأ . أى هو (محمّد) لتقدّم قوله (هو الذى أرسل رسوله) . أو مبتدأ خبره (رسول الله) . وقف عليه نصير . (والذين معه) — أى أصحابه — مبتدأ . والخبر (أشدّاء على الكفّار) . أو (محمّد) مبتدأ . و (رسول الله) عطف بيان (والّذين معه) عطف على المبتدأ . و (أشدّاء) خبر عن الجميع . ومعناه غلاظ (رحماء بينهم) متعاطفون . وهو خبر ثان . وهما جمعا شديد ورحيم . ونحوه (أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين) . وبلغ من تشدّدهم على الكفّار أنّهم كانوا يتحرّزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ، ومن أبدانهم أن تمسّ أبدانهم . وبلغ من ترحّمهم فيما بينهم أنّه كان لايرى مؤمن مؤمنا إلّا صافحه وعانقه .

تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا⁽¹⁾ سُجَّدًا⁽²⁾ يَبْتَغُونَ⁽³⁾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ
فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ⁽⁴⁾ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ⁽⁵⁾ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ⁽⁶⁾ وَمَثَلُهُمْ
فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ
يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا⁽⁷⁾ ﴿٢٩﴾

---

(1) راكعين .

(2) ساجدين .

(3) حال كما أن (ركعا) و (سجدا) كذلك .

(4) علامتهم (فى وجوههم من أثر السجود) أى من التأثير الذى يؤثره السجود . وعن عطاء : استنارت وجوههم من طول ما صلّوا بالليل ، لقوله عليه السلام : من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار .

(5) أى المذكور صفتهم .

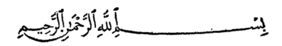
(6) وعليه وقف .

(7) (ومثلهم فى الإنجيل) مبتدأ خبره (كزرع أخرج شطأه) فراخه . يقال أشطأ الزرع إذا فرّخ (فآزره) قوّاه . (فآزره) شامىّ . (فاستغلظ) فصار من الرقّة إلى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه . جمع ساق. (يعجب الزرّاع) يتعجّبون من قوّته . وقيل مكتوب فى الإنجيل : سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وعن

عكرمة (أخرج شطأه) بأبى بكر (فآزره) بعمر (فاستغلظ) بعثمان (فاستوى على سوقه) بعلىّ رضوان الله عليهم . وهـذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الإسلام وترقّيه فى الزيادة إلى أن قوى واستحكم لأنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قام وحده ثمّ قوّاه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوّى الطاقةَ الأولى من الزرع ما يحتفّ بها ممّا يتولّد منها حتّى يعجب الزرّاع. (ليغيظ بهم الكفّار) تعليل لما دلّ عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقّيهم فى الزيادة والقوّة . ويجوز أن يعلّل به (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) لأنّ الكفّار إذا سمعوا بما أعدّ لهم فى الآخرة مع ما يعزّهم به فى الدنيا غاظهم ذلك . و(من) فى (منهم) للبيان كما فى قوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) يعنى (فاجتنبوا الرجس) الذى هو الأوثان . وقولك أنفق من الدراهم . أى اجعل نفقتك هذا الجنس . وهـذه الآية تردّ قول الروافض إنّهم كفروا بعد وفاة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . إذ الوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم إنّما يكون ان لو ثبتوا على ما كانوا عليه فى حياته .

سورة الحجرات مدنيّة

وهى ثمـان عشرة آية



يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)

(١) قدّمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدّمه إذا تقدّمه فى قوله تعالى (يقدم قومه) . وحذف المفعول ليتناول كلّ ما وقع فى النفس ممّا يقدّم من القول أو الفعل. وجاز ألّا يقصد مفعول، والنهى متوجّه إلى نفس التقدمة . كقوله (هو الذى يحيي ويميت) . أو هو من قدّم بمعنى تقدّم كوجّه بمعنى توجّه . ومنه مقدّمة الجيش . وهى الجماعة المتقدّمة منه . ويؤيّده قراءة يعقوب (لا تقدَّموا) بحذف إحدى تاءى تتقدّموا (بين يدى الله ورسوله) حقيقة قولهم جلست بين يدى فلان أن تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه . فسمّيت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسّعا كما يسمّى الشىء باسم غيره إذا جاوره . وفى هذه العبارة ضرب من المجاز الذى يسمّى تمثيلا . وفيه فائدة جليلة وهى تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة . ويجوز أن يجرى مجرى قولك سرّنى زيد وحُسْنُ حاله . أى سرّنى حسن حال زيد . فكذلك هنا المعنى بين يدى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وفائدة هذا الأسلوب الدلالة على قوّة الاختصاص . ولمّا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الله بالمكان الذى لا يخفى سلك به هذا المسلك . وفى هذا تمهيد لما نَقِم منهم من رفع أصواتهم فوق صوته عليه السلام لأنّ من فضّله الله بهذه الأُثْرة واختصّه هذا الاختصاص كان أدنى ما يجب له من التهيّب والإجلال أن يخفض بين يديه الصوت . وعن الحسن أنّ أناسا ذبحوا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ (١) لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ (٢) وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ (٣) أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ (٤)

يوم الأضحى قبل الصلاة . فنزلت وأمرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يعيدوا ذبحا آخر. وعن عائشة رضى الله عنها أنّها نزلت فى النهى عن صوم يوم الشكّ . (واتّقوا الله) فإنّكم إن اتّقيتموه عاقتكم لتقوى عن التقدمة المنهى عنها (إنّ الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون . وحقّ مثله أن يتّقى .

(١) إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كلّ خطاب وارد وتحريك منهم لئلا يغفلوا عن تأمّلهم .

(٢) أى إذا نطق ونطقتم فعليكم ألّا تبلغوا بأصواتكم وراء الحدّ الذى يبلغه بصوته، وأن تغضّوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم، وجهره باهرا لجهركم ، حتّى تكون مزيّته عليكم لائحة ، وسابقته لديكم واضحة .

(٣) أى إذا كلّمتموه وهو صامت فإيّاكم والعدول عمّا نهيتم عنه من رفع الصوت . بل عليكم ألّا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، وأن تتعمّدوا فى مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضادّ الجهر . أولا تقولوا له يامحمّد ، يا أحمد . وخاطبوه بالنبوّة والسكينة والتعظيم . ولمّا نزلت هذه الاية ما كلّم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أبو بكر وعمر إلّا كأخى السرار . وعن ابن عبّاس رضى الله عنهما أنّها نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس . وكان فى أذنه وقر. وكان جَهْوَرِىَّ الصوت . وكان إذا كلّم رفع صوته . وربّما كان يكلّم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فيتأذّى بصوته . وكاف التشبيه فى محلّ النصب . أى (لا تجهروا له) جهرا مثل (جهر بعضكم لبعض) . وفى هذا أنّهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتّى لا يسوغ لهم إلّا أن يكلّموه بالمخافتة . وإنّما نهوا عن جهر مخصوص . أعنى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم . وهو الخلو من مراعاة أبّهة النبوّة وجلالة مقدارها .

(٤) منصوب الموضع على أنّه المفعول له متعلّق بمعنى النهى . والمعنى انتهوا عمّا نهيتم عنه لحبوط أعمالكم . أى لخشية حبوطها ، على تقدير حذف المضاف .

وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ[1] ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ[2] ﴿٤﴾

---

(١) تمّ اسم (إنّ) عند قوله (رسول الله) . والمعنى يخفضون أصواتهم فى مجلسه تعظيما له . (أولئك) مبتدأ ، خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) . وتمّ صلة (الذين) عند قوله (للتقوى) . و (أولئك) مع خبره خبر (إنّ). والمعنى أخلصها للتقوى . من قولهم امتحن الذهب وفتنه إذا أذابه فخلّص إبريزه من خبثه ونقّاه . وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة . وعن عمر رضى الله عنه : أذهب الشهوات عنها . والامتحان افتعال من محنه . وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد . (لهم مغفرة وأجر عظيم) جملة أخرى . قيل نزلت فى الشيخين رضى الله عنهما لمّا كان منهما من غضّ الصوت . وهذه الآية — بنظمها الذى رتّبت عليه من إيقاع الغاضّين أصواتهم اسما لإنّ المؤكّدة ، وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا ، والمبتدأ اسم الإشارة ، واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم ، وإيراد الجزاء نكرة مبهما أمره — دالّة على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين أصواتهم . وفيها تعريض لعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم .

(٢) نزلت فى وفد بنى تميم أتوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ونادوا النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من وراء حجراته وقالوا أخرج إلينا يا محمّد . فإنّ مدحنا زين ، وذمّنا شين . فاستيقظ وخرج . والوراء الجهة التى يواريها عنك الشخص بظلّه من خلف أو قدّام . و (من) لابتداء الغاية وأنّ المناداة نشأت من ذلك المكان . والحجرة الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوّط عليها . وهى فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة . وجمعها الحجرات بضمتين ، والحجرات بفتح الجيم . وهى قراءة يزيد . والمراد حجرات نساء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وكانت لكلّ منهنّ حجرة . ومناداتهم من ورائها لعلّهم تفرّقوا على الحجرات متطلّبين له أو نادوه من وراء الحجرة التى كان عليه السلام فيها . ولكنّها جمعت إجلالا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم . والفعل وإن كان مسندا إلى

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) ﴿٥﴾

جميعهم فإنه يجوز أن يتولاّه بعضهم . وكان الباقون راضين فكأنّهم تولوّه جميعا. (أكثرهم لايعقلون) يحتمل أن يكون فيهم من قصد استثناؤه . ويحتمل أن يكون المراد النفى العامّ إذ القلّة تقع موقع النفى .

وورود الآية على النمط الذى وردت عليه فيه مالا يخفى من بيّنات إجلال محلّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل . ومنها إيقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه . ومنها التعريف باللام دون الإضافة. ولو تأمّل متأمّل من أوّل السورة إلى آخر هـذه الآية لوجدها كذلك . فتأمّل كيف ابتدأ بإيجاب أن تكون الأمور التى تنتمى إلى الله ورسوله متقدّمة على الأمور كلّها من غير تقييد . ثمّ أردف ذلك النهى عمّا هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر ، كأنّ الأوّل بساط للثانى . ثمّ أثنى على الغاضّين أصواتهم ليدلّ على عظيم موقعه عند الله. ثمّ عقّبه بما هو أطمّ ، وهجنته أتمّ من الصياح برسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبّه على فظاعة ما جسروا عليه . لأنّ من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذى بلغ فى التفاحش مبلغا .

(١) أى (ولو) ثبت صبرهم. ومحلّ (أنّهم صبروا) الرفع على الفاعليّة . والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها . قال الله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم). وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس. وقيل الصبر مرّ ، لا يتجرعه إلّا حرّ . وقوله (حتّى تخرج إليهم) يفيد أنّه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أنّ خروجه إليهم . (لكان) الصبر (خيرا لهم) فى دينهم . (والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما. فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ[1] وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ

---

(١) أجمعوا أنّها نزلت فى الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مصدّقا إلى بنى المصطلق . وكانت بينه و بينهم إحنة فى الجاهليّة . فلمّا شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه . فرجع وقال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد ارتدّوا ومنعوا الزكاة. فبعث خالد بن الوليد فوجدهم يصلّون فسلّموا إليه الصدقات فرجع . وفى تنكير الفاسق والنبأ شياع فى الفسّاق والأنباء. كأنّه قال أىّ فاسق جاءكم بأىّ نبأ. (فتبيّنوا) فتوقّفوا فيه وتطلّبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ، ولا تعتمدوا قول الفاسق . لأنّ من لايتحامى جنس الفسوق لايتحامى الكذب الذى هو نوع منه . وفى الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل. لأنّا لو توقّفنا فى خبره لسوّينا بينه وبين الفاسق، ولخلا التخصيص به عن الفائدة. والفسوق الخروج من الشىء يقال فسقت الرطبة عن قشرها . ومن مقلوبه فقّست البيضة إذا كسرتها وأخرجت ما فيها . ومن مقلوبه أيضا قفّست الشىء إذا أخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه . ثمّ استعمل فى الخروج عن القصد بركوب الكبائر . حمزة وعلىّ (فتثبّتوا) . والتثبّت والتبيّن متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرّف. (أن تصيبوا) لئلّا تصيبوا (قوما بجهالة) حال . يعنى جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصّة . (فتصبحوا) فتصيروا (على ما فعلتم نادمين). الندم ضرب من الغمّ وهو أن تغتمّ على ما وقع منك تتمنّى أنّه لم يقع وهو غمّ يصحب الإنسان صحبة لها دوام . (واعلموا أنّ فيكم رسول الله) فلا تكذبوا فإن الله يخبره فينهتك ستر الكاذب أو فارجعوا إليه واطلبوا رأيه . ثمّ قال مستأنفا (لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتّم) لوقعتم فى الجهد والهلاك . وهذا يدلّ على أنّ بعض المؤمنين زيّنوا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم الإيقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد ، وأنّ بعضهم كانوا يتصوّنون ويزعهم جدّهم فى التقوى عن

وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ[١] أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ[٢] ۝ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً[٣] وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ[٤] ۝ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا[٥]

الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله (ولكنّ الله حبّب إليكم الإيمان) وقيل هم (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) . ولمّا كانت صفة الذين حبّب الله إليهم الإيمان غايرت صفة المتقدّم ذكرهم وقعت (لكنّ) فى حاقّ موقعها من الاستدراك وهو مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا وإثباتا .

(١) (وكرّه إليكم الكفر) وهو تغطية نعم الله وغمطها بالجحود (والفسوق) وهو الخروج عن محجّة الإيمان بركوب الكبائر (والعصيان) وهو ترك الانقياد لما أمر به الشارع .

(٢) أى (أولئك) المستثنون (هم الراشدون) يعنى أصابوا طريق الحقّ ولم يميلوا عن الاستقامة . والرشد الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه. من الرشادة . وهى الصخرة .

(٣) الفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام . والانتصاب على المفعول له . أى حبّب وكرّه للفضل والنعمة .

(٤) (والله عليم) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يُفضل وينعم بالتوفيق على الأفاضل .

(٥) وقف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك ابن أبىّ بأنفه وقال خلّ سبيل حمارك فقد آذانا نَتْنه . فقال عبدالله بن رواحة والله إنّ بول حماره لأطيب من مسكك . ومضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وطال الخوض بينهما حتّى استبّا وتجالدا وجاء قوما هما — وهما الأوس والخزرج — فتجالدوا بالعصىّ وقيل بالأيدى والنعال والسّعف. فرجع إليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأصلح بينهم ونزلت. وجمع (اقتتلوا) حملا على المعنى لأنّ الطائفتين فى معنى القوم والناس . وثنّى فى (فأصلحوا بينهما) نظرا إلى اللفظ .

فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ

(١) البغى الاستطالة والظلم وإباء الصلح .

(٢) (حتى تفيء) أى ترجع — والفيء الرجوع. وقد سُمّى به الظلّ والغنيمة لأنّ الظلّ يرجع بعد نسخ الشمس، والغنيمة ما يرجع من أموال الكفّار إلى المسلمين. وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت . فإذا كفّت وقبضت عن الحرب أيديها تركت — (إلى أمر الله) المذكور فى كتابه من الصلح وزوال الشحناء . (فإن فاءت) عن البغى إلى أمر الله (فأصلحوا بينهما بالعــدل) بالإنصاف (وأقسطوا) واعدلوا . وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به فى إصلاح ذات البين .

(٣) العادلين . والقسط الجور . والقسط العدل . والفعل منه أقسط . وهمزته للسلب أى أزال القسط وهو الجور .

(٤) هذا تقرير لمــا ألزمه من تولّى الإصلاح بين من وقعت بينهم المشاقّة من المؤمنين وبيان أنّ الإيمــان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما إن لم يفضل الأخوّة لم ينقص عنها. ثمّ قد جرت العادة على أنّه إذا نشب مثل ذلك بين الأخوين ولادا لزم السائر أن يتناهضوا فى رفعه وإزاحته بالصلح بينهما. فالإخوة فى الدين أحقّ بذلك. (إخوتكم) يعقوب . (واتقوا الله لعلّكم ترحمون) أى (واتّقوا الله) فالتقوى تحملكم على التواصل والائتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله إليكم مرجوّا . والآية تدلّ على أنّ البغى لا يزيل اسم الإيمــان لأنّه سماهم مؤمنين مع وجود البغى .

(٥) القوم الرجال خاصّة لأنّهم القوّام بأمور النساء. قال الله تعالى (الرجال قوّامون على النساء). هو فى الاصل جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر. واختصاص القوم بالرجال

وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ (١) وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ (٢)

صريح فى الآية إذ لو كانت النساء داخلة فى (قوم) لم يقل (ولا نساء) وحقق ذلك زهير فى قوله .

وما أدرى ولست إخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

وأمّا قولهم فى قوم فرعون وقوم عاد، هم الذكور والإناث، فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين . ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث لأنّهن توابع لرجالهنّ . وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد (لا يسخر) بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض، وأن يقصد إفادة الشياع، وأن يصير كلّ جماعة منهم منهيّة عن السخرية . وإنّما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد إعلاما بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية، واستفظاعا للشأن الذى كانوا عليه. وقوله (عسى أن يكونوا خيرا منهم) كلام مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن علّة النهى. وإلّا فقد كان حقّه أن يوصل بما قبله بالفاء. والمعنى وجوب أن يعتقد كلّ واحد أنّ المسخور منه ربّما كان عند الله خيرا من الساخر إذ لا اطّلاع للناس إلّا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر . والذى يزن عند الله خلوص الضمائر. فينبغى ألّا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رثّ الحال أو ذا عاهة فى بدنه أو غير لبيق فى محادثته . فلعلّه أخلص ضميرا ، أو أتقى قلبا ممن هو على ضدّ صفته . فيظلم نفسه بتحقير من وقّره الله تعالى. وعن ابن مسعود رضى الله عنه "البلاء موكّل بالقول. لو سخرت من كلب لخشيت أن أحوّل كلبا " .

(١) ولا تطعنوا أهل دينكم . واللمز الطعن والضرب باللسان . (ولا تلمُزوا) يعقوب وسهل . والمؤمنون كنفس واحدة . فإذا عاب المؤمن المؤمن فكأنّما عاب نفسه . وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به . لأنّ من فعل ما استحقّ به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة .

(٢) التنابز بالألقاب التداعى بها. والنبز لقب السوء. والتلقيب المنهىّ عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذمّا له . فأمّا ما يحبّه فلا بأس به . وروى أنّ قوما من بنى تميم استهزءوا ببلال وخبّاب وعمّار وصهيب . فنزلت . وعن عائشة رضى الله عنها أنّها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة وكانت قصيرة . وعن أنس رضى الله عنه عيّرت نساء

بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ (١) وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢) ۝
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ (٣) وَلَا تَجَسَّسُواْ (٤)

النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أمّ سلمة بالقصر . وروى أنّها نزلت فى ثابت بن قيس وكان به وقر . فكانوا يوسعون له فى مجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليسمع . فأتى يوما وهو يقول تفسّحوا حتّى انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقال لرجل تنحّ . فلم يفعل . فقال من هذا؟ فقال الرجل أنا فلان . فقال بل أنت ابن فلانة . يريد أمّا كان يعيّر بها فى الجاهليّة فخجل الرجل . فنزلت . فقال ثابت لا أفخر على أحد فى الحسب بعدها أبدا .

(١) (الاسم) ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم . وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس . كأنّه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق . وقوله (بعد الإيمان) استقباح للجمع بين الإيمان وبين الفسق الذى يحظره الإيمان كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة . وقيل كان فى شتائمهم لمن أسلم من اليهود يايهودىّ يافاسق . فنهوا عنه . وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهوديّة بعد إيمانه .

(٢) (ومن لم يتب) عمّا نهى عنه (فأولئك هم الظالمون). وحّد وجمع للفظ (من) ومعناه.

(٣) يقال جنبه الشرّ إذا أبعده عنه . وحقيقته جعله فى جانب . فيعدّى إلى مفعولين . قال الله تعالى (واجنبنى وبنىّ أن نعبد الأصنام) . ومطاوعه اجتنب الشرّ فنقص مفعولا . والمأمور باجتنابه بعض الظنّ. وذلك البعض موصوف بالكثرة . ألا ترى إلى قوله (إنّ بعض الظنّ إثم) . قال الزجّاج هو ظنّك بأهل الخير سوءا . فأمّا أهل الفسق فلنا أن نظنّ فيهم مثل الذى ظهر منهم . أو معناه اجتنابا (كثيرا) أو احترزوا من الكثير ليقع التحرّز عن البعض. والإثم الذنب الذى يستحقّ صاحبه العقاب . ومنه قيل لعقوبته الأثام فعال منه كالنكال والعذاب .

(٤) أى لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم . يقال تجسّس الأمر إذا تطلّبه وبحث عنه . تفعّل من الجسّ . وعن مجاهد : خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله . وقال سهل لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده .

وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ(١) أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ(٢) وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ(٣) ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ(٤)

---

(١) الغيبة الذكر بالعيب ، فى ظهر الغيب . وهى من الاغتياب ، كالغيلة من الاغتيال وفى الحديث هو أن تذكر أخاك بما يكره . فإن كان فيه فهو غيبة . وإلا فهو بهتان . وعن ابن عباس الغيبة إدام كلاب الناس .

(٢) (ميّتا) مدنىّ . وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه . وفيه مبالغات منها الاستفهام الذى معناه التقرير . ومنها جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبّة . ومنها إسناد الفعل إلى (أحدكم) والإشعار بأنّ أحدا من الأحدين لا يحبّ ذلك . ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتّى جعل الإنسان أخا . ومنها أن لم يقتصر على لحم الأخ حتّى جعل ميتا . وعن قتادة كما تكره إن وجدت جيفة مدوّدة أن تأكل منها ، كذلك فاكره لحم أخيك وهو حىّ . وانتصب (ميتا) على الحال من اللحم أو من أخيه . ولما قرّرهم بأنّ أحدا منهم لا يحبّ أكل جيفة أخيه عقّب ذلك بقوله (فكرهتموه) أى فتحقّقت كراهتكم له باستقامة العقل . فليتحقّق أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الدين .

(٣) التوّاب البليغ فى قبول التوبة . والمعنى (واتّقوا الله) بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فإنّكم إن اتّقيتم تقبّل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المتّقين التائبين . وروى أنّ سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوّى لهما طعامهما . فنام عن شأنه يوما . فبعثاه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يبغى لهما إداما . وكان أسامة على طعام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقال ما عندى شىء . فأخبرهما سلمان . فقالا لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها . فلمّا جاءا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما ؟ فقالا ما تناولنا لحما . قال إنّكما قد اغتبتما . ومن اغتاب مسلما فقد أكل لحمه . ثم قرأ الآية . وقيل : غيبة الخلق ، إنّما تكون من الغيبة عن الحقّ .

(٤) من آدم وحوّاء . أو كلّ واحد منكم من أب وأم . فما منكم من أحد إلّا وهو يدلى بمثل ما يدلى به الآخر سواء بسواء . فلا معنى للتفاخر والتفاضل فى النسب

وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ [1] إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [2] ۝ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [3] ۝

(١) الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الستّ التى عليها العرب. وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة . فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر . والعمارة تجمع البطون . والبطن تجمع الأفخاذ . والفخذ تجمع الفصائل. خزيمة شعب ، وكنانة قبيلة. وقريش عمارة . وقصىّ بطن . وهاشم فخذ . والعباس فصيلة . وسمّيت الشعوب لأنّ القبائل تشعّبت منها .

(٢) أى إنّما رتّبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى إلى غير آبائه لا أن تتفاخروا بالآباء والأجداد وتدّعوا التفاضل فى الأنساب . ثمّ بيّن الخصلة التى يفضل بها الإنسان غيره و يكتسب الشرف والكرم عند الله فقال (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم) فى الحديث من سرّه أن يكون أكرم الناس فليتّق الله . وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى. وروى أنّه صلّى الله عليه وسلّم طاف يوم فتح مكّة فحمدالله وأثنى عليه. ثمّ قال الحمد لله الذى أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهليّة وتكبّرها يأيّها الناس إنّما الناس رجلان مؤمن تقىّ كريم على الله وفاجر شقىّ هين على الله. ثمّ قرأ الآية. وعن يزيد بن شجرة مرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشترانى فعلى شرط أن لا يمنعنى من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فاشتراه بعضهم فمرض فعاده رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثم توفّى فحضر دفنه . فقالوا فى ذلك شيئا فنزلت . (إنّ الله عليم) كرم القلوب وتقواها (خبير) بهمّ النفوس فى هواها .

(٣) (قالت الأعراب) — أى بعض الأعراب. لأنّ من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر. وهم أعراب بنى أسد . قدموا المدينة فى سنة جَدْبة فأظهروا الشهادة يريدون الصدقة ويمنّون عليه — (آمنّا) أى ظاهرا و باطنا. (قل) لهم يامحمد (لم تؤمنوا) لم تصدّقوا بقلوبكم

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ[1] ﴿١٦﴾

(ولكن قولوا أسلمنا) فالإيمان هو التصديق . والإسلام الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين بإظهار الشهادتين . ألا ترى إلى قوله (ولمـا يدخل الإيمان فى قلوبكم) فأعلم أنّ مايكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام ، وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان . وهذا من حيث اللغة . وأمّا فى الشرع فالإيمان والإسلام واحد لمـا عرف . وفى (لمـا) معنى التوقع . وهو دالّ على أنّ بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد . والآية تنقض على الكرامية مذهبهم أنّ الإيمان لايكون بالقلب ولكن باللسان. فإن قلت مقتضى نظم الكلام أن يقال (قل) لا تقولوا آمنّا (ولكن قولوا أسلمنا) . أو (قل لم تؤمنوا) ولكن أسلمتم . قلت أفاد هـذا النظم تكذيب دعواهم أوّلا فقيل (قل لم تؤمنوا) مع أدب حسن فلم يقل كذبتم تصريحا ووضع (لم تؤمنوا) الذى هو نفى ما ادّعوا إثباته موضعه واستغنى بقوله (لم تؤمنوا) عن أن يقال لا تقولوا آمنّا لاستهجان أن يخـاطبوا بلفظ مؤدّاه النهى عن القول بالإيمان . ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم (آمنّا) كذلك . ولو قيل ولكن أسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتدّ به . وليس قوله (ولمـا يدخل الإيمان فى قلوبكم) تكريرا لمعنى قوله (لم تؤمنوا) فإنّ فائدة قوله (لم تؤمنوا) تكذيب لدعواهم ،وقوله (ولمّا يدخل الإيمان فى قلوبكم) توقيت لمـا أمروا به أن يقولوه . كأنّه قيل لهم (ولكن قولوا أسلمنا) حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم . لأنّه كلام واقع موقع الحال من الضمير فى(قولوا) . (و إن تطيعوا الله ورسوله) فى السرّ بترك النفاق (لا يألتكم) بصرىّ (من أعمـالكم شيئا) أى لا ينقصكم من ثواب حسناتكم شيئا . ألت يألت وألات يأليت ولات يليت بمعنى وهو النقص (إنّ الله غفور) بستر الذنوب ، (رحيم) بهدايتهم للتوبة عن العيوب .

[1] وصف المؤمنين المخلصين ، فقال (إنّمـا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسـوله ثمّ لم يرتابوا) — ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعـه فى الشكّ مع التهمة. والمعنى أنّهم آمنـوا

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا(١) قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(٢) ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(٣) ﴿١٨﴾

ثمّ لم يقع فى نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتّهام لما صدّقوه . ولمّا كان الإيقان وزوال الريب ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدّم الإيمان تنبيها على مكانه . وعطف على الإيمان بكلمة التراخى إشعارا باستقراره فى الأزمنة المتراخية المتطاولة غضّا جديدا — (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله). يجوز أن يكون المجاهَد منويّا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى، وأن يكون جاهد مبالغة فى جهد . ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو ، وأن يتناول العبادات بأجمعها ؛ وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان فى جيش العسرة، وأن يتناول الزكاة وكلّ ما يتعلّق بالمال من أعمال البرّ. وخبر المبتدأ الذى هو (المؤمنون) ، (أولئك هم الصادقون) أى الذين صدقوا فى قولهم آمنّا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بنى أسد. أو هم الذين إيمانهم إيمان صدق وحقّ . وقوله (الذين آمنوا) صفة لهم . ولمّا نزلت هذه الآية جاءوا وحلفوا أنّهم مخلصون فنزل (قل أتعلّمون الله بدينكم) أى أتخبرونه بتصديق قلوبكم (والله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض والله بكلّ شىء عليم) من النفاق والإخلاص وغير ذلك .

(١) أى (يمنّون عليك) بـ (أن أسلموا) يعنى بإسلامهم . والمنّ ذكر الأيادى تعريضا للشكر .

(٢) أى المنّة لله عليكم (أن هداكم) بأن هداكم أو لأن (هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) إن صحّ زعمكم وصدقت دعواكم. إلّا أنّكم تزعمون وتدّعون ما الله عليم بخلافه. وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره (إن كنتم صادقين) فى ادّعائكم الإيمان بالله فلله المنّة عليكم . وقرئ (إن هداكم) .

(٣) وبالياء مكّى وهذا بيان لكونهم غير صادقين فى دعواهم . يعنى أنّه تعالى يعلم كلّ مستتر فى العالم ويبصر كلّ عمل تعملونه فى سرّكم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شىء . فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وهو علّام الغيوب ؟

سورة ق مكّيّة

وهى خمس وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ[1] ﴿٣﴾

[1] الكلام فى (ق والقرءان المجيد بل عجبوا) كالكلام فى (ص والقرءان ذى الذكر بل الذين كفروا) سواء بسواء لالتقائهما فى أسلوب واحد. و (المجيد) ذو المجد والشرف على غيره من الكتب. ومن أحاط علما بمعانيه، وعمل بما فيه، مجد عند الله وعند الناس. وقوله (بل عجبوا) أى كفّار مكّة (أن جاءهم منذر منهم) أى محمد صلّى الله عليه وسلّم، إنكار لتعجّبهم ممّا ليس بعجب. وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وأمانته. ومن كان كذلك لم يكن إلّا ناصحا لقومه خائفا أن ينالهم مكروه. وإذا علم أنّ مخوفا أظلّهم لزمه أن ينذرهم. فكيف بما هو غاية المخاوف؟ وإنكار لتعجّبهم ممّا أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والأرض وما بينهما وعلى اختراع كلّ شيء وإقرارهم بالنشأة الأولى مع شهادة العقل بأنه لابدّ من الجزاء. ثمّ عوّل على أحد الإنكارين بقوله (فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا وكنّا ترابا) ، دلالة على أنّ تعجّبهم من البعث أدخل فى الاستبعاد وأحقّ بالإنكار. ووضع (الكافرون) موضع الضمير للشهادة على أنّهم فى قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم. و(هذا) إشارة الى الرجع. و(إذا) منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نُرجع؟ (متنا) نافع وعلىّ وحمزة وحفص. (ذلك رجع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد. أى بعيد من الوهم والعادة. ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ، ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث. والوقف على (ترابا) على هذا حسن. وناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع ما دلّ عليه المنذر من المنذر به وهو البعث .

قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ (١) (٢) بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ (٣) فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ (٤) أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ (٥) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٦) وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا (٧) فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ (٨)

(١) ردّ لاستبعادهم الرجع لأنّ من لطف علمه حتّى علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا .

(٢) محفوظ من الشياطين ومن التغيّر . وهو اللوح المحفوظ . أو حافظ لما أودعه وكتب فيه .

(٣) إضراب أتبع الإضراب الأوّل للدلالة على أنّهم جاءوا بما هو أفظع من تعجّبهم . وهو التكذيب بالحقّ الذى هو النبوّة الثابتة بالمعجزات فى أوّل وهلة من غير تفكّر ولا تدبّر وقيل الحق القرآن . وقيل الإخبار بالبعث .

(٤) (فهم فى أمر) مضطرب — يقال مرج الخاتم فى الإصبع إذا اضطرب من سعته — فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرّة كاهن لايثبتون على شىء واحد .

(٥) دلّهم على قدرته على البعث فقال (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (إلى السماء فوقهم) إلى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بغير عمد (وزيّنّاها) بالنيّرات (وما لها من فروج) من فتوق وشقوق . أى أنها سليمة من العيوب لافتق فيها ولا صدع ولا خلل (والأرض مددناها) دحوناها (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت لولا هى لمالت (وأنبتنا فيها من كلّ زوج) صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه .

(٦) لنبصّر به ونذكّر كلّ (عبد منيب) راجع إلى ربّه مفكّر فى بدائع خلقه .

(٧) كثير المنافع .

(٨) أى وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما .

وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ[1] لَّهَا طَلْعٌ[2] نَّضِيدٌ[3] ۝ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ[4] وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا[5] كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ[6] ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ[7] ۝ أَفَعَيِينَا[8] بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ

---

(١) طوالا فى السماء .

(٢) هو كلّ مايطلع من ثمر النخيل .

(٣) منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكمه أو لكثرة مافيه من الثمر .

(٤) أى أنبتناها (رزقا للعباد) لأنّ الإنبات فى معنى الرزق فيكون (رزقا) مصدرا من غير لفظه . أو هو مفعول له أى أنبتناها لرزقهم .

(٥) (وأحيينا) بذلك المـاء (بلدة ميتا) قد جفّ نباتها .

(٦) أى كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم لأنّ إحياء الأموات كإحياء الموات . والكاف فى محلّ الرفع على الابتداء .

(٧) (كذّبت) قبل قريش (قوم نوح وأصحاب الرسّ) هو بئر لم تطو . وهم قوم باليمامة. وقيل أصحاب الأخدود (وثمود وعاد وفرعون) — أراد بفرعون قومه كقوله (من فرعون وملئهم) لأنّ المعطوف عليه (قوم نوح) والمعطوفات جماعات — (وإخوان لوط) — سمّاهم إخوانه لأنّ بينهم و بينه نسبا قريبا — (وأصحاب الأيكة وقوم تبّع) هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذّبوه . وسمّى به لكثرة تبعه. (كلّ) أى كلّ واحد منهم (كذّب الرسل) لأنّ من كذّب رسولا واحدا فقد كذّب جميعهم (فحقّ وعيد) فوجب وحلّ وعيدى . وفيه تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وتهديد لهم .

(٨) عيي بالأمر إذا لم يهتـد لوجه عمله . والهمزة للإنكار . أى أنّا لم نعجز عن الخلق الأوّل . فكيف نعجز عن الثانى ؟ والاعتراف بذلك اعتراف بالإعادة .

بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١) ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ (٢) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (٣) ﴿١٨﴾

(١) (بل هم فى) خلط وشبهة (من خلق جديد) بعد الموت . قد لبّس عليهم الشيطان وحيّرهم . وذلك تسويله إليهم أنّ إحياء الموتى أمر خارج عن العادة . فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح . وهو أنّ من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر . وإنّما نكّر الخلق الجديد ليدلّ على عظمة شأنه وأنّ حقّ من سمع به أن يخاف ويهتمّ به .

(٢) الوسوسة الصوت الخفىّ ووسوسة النفس ما يخطر ببال الإنسان ويهجُس فى ضميره من حديث النفس . والباء مثلها فى قوله صوّت بكذا .

(٣) المراد قرب علمه منه هو مثل فى فرط القرب. والوريد عرق فى باطن العنق. والحبل العرق. والإضافة للبيان كقولهم بعير سانية. (إذ يتلقّى المتلقّيان) يعنى الملكين الحافظين. التلقّى التلقّن بالحفظ والكتابة. والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس. وتقديره (عن اليمين) قعيد (وعن الشمال قعيد) من المتلقّيين . فترك أحدهما لدلالة الثانى عليه كقوله :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى * بريئا ومن أجل الطوىّ رمانى

أى رمانى بأمر كنت منه بريئا وكان والدى منه بريئا. و(إذ) منصوب بأقرب لما فيه من معنى يقرب . والمعنى أنّه لطيف يتوصّل علمه إلى خطرات النفس وما لا شىء أخفى منه . وهو أقرب من الإنسان من كلّ قريب حين يتلقّى الحفيظان ما يتلفّظ به إيذانا بأنّ استحفاظ الملكين أمر هو غنىّ عنه. وكيف لا يستغنى عنه وهو مطّلع على أخفى الخفيّات؟ وإنّما ذلك لحكمة وهى ما فى كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة لطف له فى الانتهاء عن السيّئات والرغبة فى الحسنات . (ما يلفظ من قول) ما يتكلّم به وما يرمى به من فيه (إلّا لديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضر . ثمّ قيل يكتبان كلّ شىء حتّى أنينه فى مرضه وقيل لا يكتبان إلّا ما فيه أجر أو وزر . وقيل إنّ الملكين لا يجتنبانه إلّا عند الغائط والجماع .

وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ[1] ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ[2] ۝ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ[3] يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ[4] ۝ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ[5] ۝ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ[6] ۝ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ۝ أَلْقِيَا[7] فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝

---

(١) لما ذكر إنكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه أعلمهم أن ما أنكروه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة. ونبّه على اقتراب ذلك بأن عبّر عنه بلفظ الماضى. وهو قوله (وجاءت سكرة الموت) أى شدّته الذاهبة بالعقل ملتبسة (بالحقّ) أى بحقيقة الأمر أو بالحكمة .

(٢) الإشارة إلى الموت . والخطاب للإنسان فى قوله (ولقد خلقنا الإنسان) على طريق الالتفات . (تحيد) تنفر وتهرب .

(٣) يعنى نفخة البعث .

(٤) أى وقت (ذلك يوم الوعيد) على حذف المضاف . والإشارة إلى مصدر (نفخ) .

(٥) أى ملكان أحدهما يسوقه إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله . ومحلّ (معها سائق) النصب على الحال من (كلّ) لتعرفه بالإضافة إلى ما هو فى حكم المعرفة .

(٦) أى يقال لها (لقد كنت فى غفلة من هذا) النازل بك اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) أى فأزلنا غفلتك بما تشاهده (فبصرك اليوم حديد) .جعلت الغفلة كأنها غطاء غطّى به جسده كلّه أو غشاوة غطّى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا . فإذا كان يوم القيامة تيقّظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر مالم يبصره من الحقّ ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته حديدا لتيقّظه .

(٧) (وقال قرينه) الجمهور على أنه الملك الكاتب الشهيد عليه . (هذا) أى ديوان عمله — مجاهد : شيطانه الذى قُيّض له فى قوله (نقيّض له شيطانا فهو له قرين) . (هذا)

ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ (١) ۝ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ (٢) ۝ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ (٣) ۝

أى الذى وكّلت به — (ما لدىّ عتيد). (هذا) مبتدأ . (وما) نكرة بمعنى شىء . والظرف بعده وصف له . وكذلك (عتيد) . و(ما) وصفتها خبر (هذا) . والتقدير (هذا) شىء ثابت (لدىّ عتيد) . ثمّ يقول الله تعالى (ألقيا) —والخطاب للسائق والشهيد . أو لمالك . وكأنّ الأصل ألق ألق . فناب (ألقيا) عن ألق ألق . لأنّ الفاعل كالجزء من الفعل فكانت تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل . وقيل أصله ألقين . والألف بدل من النون إجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن (ألقين) — (فى جهنّم كلّ كفّار) بالنعم والمنعم (عنيد) معاند مجانب للحقّ معاد لأهله (منّاع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه . أو منّاع لجنس الخير أن يصل إلى أهله (معتد) ظالم متخطّ للحقّ (مريب) شاكّ فى الله وفى دينه .

(١) (الذى) مبتدأ متضمّن معنى الشرط ، خبره (فألقياه فى العذاب الشديد) . أو بدل من (كلّ كفّار) و (فألقياه) تكرير للتوكيد . ولا يجوز أن يكون صفة لـ (كفّار) لأنّ النكرة لا توصف بالموصول .

(٢) (قال) شيطانه الذى قرن به . وهو شاهد لمجاهد . وإنّما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الأولى ، لأنّ الأولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول . أعنى مجىء كلّ نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال . وأمّا هذه فهى مستأنفة كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول كما فى مقاولة موسى وفرعون . فكأنّ الكافر قال ربّ هو أطغانى فـ (قال قرينه ربّنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد) أى ما أوقعته فى الطغيان ولكنّه طغى واختار الضلالة على الهدى .

(٣) هو استئناف مثل قوله تعالى (قال قرينه) كأنّ قائلا قال فماذا قال الله ؟ فقيل (قال لا تختصموا لدىّ وقد قدّمت إليكم بالوعيد) أى لا تختصموا فى دار الجزاء وموقف الحساب . فلا فائدة فى اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابى على الطغيان

مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ(١) لِّلْعَبِيدِ ۝ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ(٢) ۝ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ(٣) ۝ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ(٤) لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ(٥) ۝ مَّنْ(٦)

فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فما تركت لكم حجّة علىّ . والباء فى (بالوعيد) مزيدة كما فى قوله (ولا تلقوا بأيديكم) أو معدّية على أنّ قدّم مطاوع بمعنى تقدّم .

(١) أى لا تطمعوا أن أبدّل قولى ووعيدى بإدخال الكفّار فى النار (وما أنا بظلّام للعبيد) فلا أعذب عبدا بغير ذنب . وقال (بظلّام) على لفظ المبالغة لأنّه من قولك هو ظالم لعبده وظلّام لعبيده .

(٢) (يوم) — نصب بظلّام أو بمضمر هواذكر وأنذر — (يقول) — نافع وأبو بكر — أى (يقول) الله (لجهنّم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) وهو مصدر كالمحيد. أى أنّها تقول بعد امتلائها هل من مزيد؟ أى هل بقى فىّ موضع لم يمتلئ ؟ يعنى قد امتلأت أو أنّها تستزيد وفيها موضع للزيد . وهذا على تحقيق القول من جهنّم . وهو غير مستنكر كإنطاق الجوارح . والسؤال لتوبيخ الكفرة لعلمه تعالى بأنّها امتلأت أم لا .

(٣) (غير) نصب على الظرف أى مكانا (غير بعيد) . أو على الحال . وتذكيره لأنّه على زنة المصدر كالصليل . والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكّر والمؤنّث . أو على حذف الموصوف أى شيئا (غير بعيد) . ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل.

(٤) (هذا) — مبتدأ وهو إشارة الى الثواب. أو إلى مصدر (أزلفت) — (ما توعدون) — صفته . وبالياء مكّىّ — (لكلّ أوّاب) رجّاع إلى ذكر الله . خبره .

(٥) حافظ لحدوده . جاء فى الحديث من حافظ على أربع ركعات فى أوّل النهار كان أوّابا حفيظا .

(٦) مجرور المحلّ بدل من (أوّاب) . أو رفع بالابتداء وخبره (ادخلوها) على تقدير يقال لهم (ادخلوها بسلام) لأنّ (من) فى معنى الجمع .

خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ(١) وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ(٢) ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا(٣) بِسَلَـٰمٍ(٤) ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ(٥) ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ(٦) ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟(٧) فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ(٨) ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ(٩) ﴿٣٧﴾

(١) الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة . وقرن بالخشية اسمه الدالّ على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشى . وهو خشيته مع علمه أنّه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنّه خاش مع أنّ المخشىّ منه غائب .

(٢) حال من المفعول . أى خشيه وهو غائب. أو صفة لمصدر خشى . أى خشيه خشية ملتبسة بالغيب، حيث خشى عقابه وهو غائب . الحسن : "إذا أغلق الباب وأرخى الستر".

(٣) راجع إلى الله . وقيل بسريرة مرضيّة ، وعقيدة صحيحة .

(٤) أى سالمين من زوال النعم وحلول النقم .

(٥) أى يوم تقدير الخلود كقوله (فادخلوها خالدين) أى مقدّرين الخلود .

(٦) (ولدينا مزيد) على ما يشتهون . والجمهور على أنّه رؤية الله تعالى بلا كيف .

(٧) (وكم أهلكنا) قبل قومك (من قرن) من القرون الذين كذّبوا رسلهم (هم أشدّ) من قومك قوّة وسطوة (فنقّبوا) فخرّقوا (فى البلاد) وطافوا . والتنقيب التنقير عن الأمر والبحث والطلب . ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله (هم أشدّ منهم بطشا) أى شدّة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وقوّتهم عليه . ويجوز أن يراد فنقّب أهل مكّة فى أسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون . فهل رأوا لهم محيصا حتّى يؤمّلوا مثله لأنفسهم ؟ ويدلّ عليه قراءة من قرأ (فنقّبوا) على الأمر .

(٨) مهرب من الله أو من الموت .

(٩) (إنّ فى ذلك) المذكور (لذكرى) تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) واع لأنّ من لا يعى قلبه فكأنّه لا قلب له (أو ألقى السمع) أصغى إلى المواعظ (وهو شهيد) حاضر بفطنته . لأنّ من لا يحضر ذهنه فكأنّه غائب .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (١) فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ (٢) وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ (٣) وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ (٤) وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ

(١) إعياء . قيل نزلت فى اليهود — لعنت — تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والأرض فى ستّة أيّام أوّلها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلق على العرش . وقالوا إنّ الذى وقع من التشبيه فى هذه الأمّة إنّما وقع من اليهود . ومنهم أخذ . وأنكر اليهود التربيع فى الجلوس وزعموا أنّه جلس تلك الجلسة يوم السبت .

(٢) أى على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه . أو على ما يقول المشركون فى أمر البعث . فإنّ من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم .

(٣) (وسبّح) حامدا ربّك . والتسبيح محمول على ظاهره. أو على الصلاة. فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل) العشاءان أو التهجد (وأدبار السجود) التسبيح فى آثار الصلوات — والسجود والركوع يعبّر بهما عن الصلاة — وقيل النوافل بعد المكتوبات. أو الوتر بعد العشاء . والأدبار جمع دبر. (وإدبار) حجازىّ وحمزة وخلف. من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمّت . ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم .

(٤) (واستمع) لما أخبرك به من حال يوم القيامة . وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به . وقد وقف يعقوب عليه وانتصب (يوم يناد المناد) بما دلّ عليه (ذلك يوم الخروج) أى (يوم يناد المنادى) يخرجون من القبور . وقيل تقديره (واستمع) حديث (يوم ينادى المنادى). (المنادى) بالياء فى الحالين مكّىّ وسهل ويعقوب، وفى الوصل مدنىّ وأبو عمرو. وغيرهم بغير ياء فيهما . والمنادى إسرافيل ينفخ فى الصور وينادى أيّتها العظام البالية ، والأوصال المتقطّعة ، واللحوم المتمزّقة، والشعور المتفرقة إنّ الله يأمركنّ أن تجتمعن لفصل القضاء . وقيل إسرافيل ينفخ ، وجبريل ينادى بالحشر .

مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ [1] ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ [2] ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا [3] ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ [4] ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ [5] وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ [6] فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ [7] ﴿٤٥﴾

---

(١) من صخرة بيت المقــدس . وهى أقرب الأرض إلى السماء باثنى عشر ميلا . وهى وسط الأرض .

(٢) (يوم يسمعون) — بدل من (يوم يناد) — (الصيحة) النفخة الثانية (بالحقّ) متعلّق بالصيحة . والمراد به البعث والحشر للجزاء . (ذلك يوم الخروج) من القبور .

(٣) (نحيي) الخلق ونميتهم فى الدنيا (وإلينا) مصيرهم (يوم تشقّق) — خفيف كوفيّ وأبو عمرو . وغيرهم بالتشديد — (الأرض عنهم) أى تتصدّع الأرض فتخرج الموتى من صدوعها (سراعا) حال من المجرور . أى مسرعين .

(٤) هيّن . وتقديم الظرف يدلّ على الاختصاص أى لا يتيسّر مثل ذلك الأمر العظيم إلّا على القادر الذى لا يشغله شأن عن شأن .

(٥) (نحن أعلم بمــا يقولون) فيك وفينا . تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلّى الله عليــه وســلّم .

(٦) كقوله (بمسيطر) . أى ما أنت بمسلّط عليهم . إنّمــا أنت داع و باعث . وقيل هو من جبره على الأمر بمعنى أجبره . أى ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الإيمــان .

(٧) كقوله (إنّمــا أنت منذر من يخشاها) لأنّه لا ينفع إلّا فيه . والله أعلم .

سورة الذّاريات مكّيّة

وهى ستّون آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا[1] ۝ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا[2] ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ[3] ۝ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ[4] ۝

(١) (والذاريات) الرياح لأنّها تذرو التراب وغيره . وبادغام التاء فى الذال حمزة وأبو عمرو .

(٢) (ذروا) مصدر والعامل فيه اسم الفاعل. (فالحاملات) السحاب لأنّها تحمل المطر. (وقرا) مفعول الحاملات. (فالجاريات) الفلك. (يسرا) جريا ذا يسر أى ذا سهولة. (فالمقسّمات أمرا) الملائكة. لأنّها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما. أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك. أو تتولى تقسيم أمر العباد فجبريل للغلظة، وميكائيل للرحمة، وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ . ويجوز أن يراد الرياح لا غير لأنّها تنشئ السحاب ، وتقلّه وتصرّفه ، وتجرى فى الجو جريا سهلا ، وتقسّم الأمطار بتصريف السحاب . ومعنى الفاء على الأوّل أنّه أقسم بالرياح، فبالسحاب التى تسوقه، فبالفلك التى تجريها، بهبوبها فبالملائكة التى تقسّم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر ومنافعها . وعلى الثانى أنّها تبتدئ فى الهبوب ، فتذرو التراب والحصباء ، فتقلّ السحاب ، فتجرى فى الجو باسطة له ، فتقسّم المطر .

(٣) (إنّ ما توعدون) — جواب القسم . و (ما) موصولة أو مصدريّة . والموعود البعث — (لصادق) وعد صادق كعيشة راضية أى ذات رضا

(٤) (وإنّ) الجزاء على الأعمال (لواقع) لكائن .

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ (١) ۝ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٢) ۝ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٣) ۝ قُتِلَ (٤) ٱلْخَرَّٰصُونَ (٥) ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ (٦) ۝

---

(١) هذا قسم آخر. (ذات الحبك) الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح. وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسّره. جمع حبيكة كطريقة وطرق. ويقال إنّ خلقة السماء كذلك. وعن الحسن حبكها نجومها. جمع حباك.

(٢) أى قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون ، وفى القرآن سحر وشعر وأساطير الأولين.

(٣) الضمير للقرآن أو الرسول. أى يصرف عنه من صرف الصرف الذى لاصرف أشدّ منه وأعظم. أو يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحقّ لايرعوى. ويجوز أن يكون الضمير لـ(ما توعدون) أو لـ(الدين) أقسم بالذاريات على أنّ وقوع أمر القيامة حقّ ثمّ أقسم بالسماء على أنّهم فى قول مختلف فى وقوعه. فمنهم شاكّ ومنهم جاحد. ثمّ قال (يؤفك) عن الإقرار بأمر القيامة من هو مأفوك.

(٤) لعن. وأصله الدعاء بالقتل والهلاك. ثمّ جرى مجرى لعن.

(٥) الكذّابون المقدّرون مالا يصحّ. وهم أصحاب القول المختلف. واللام إشارة إليهم كأنّه قيل (قتل) هؤلاء (الخرّاصون).

(٦) (الذين هم) فى جهل يغمرهم غافلون عمّا أمروا به (يسألون) فيقولون (أيّان يوم الدين) أى متى يوم الجزاء. وتقديره أيّان وقوع يوم الدين لأنّه إنّما تقع الأحيان ظروفا للحدثان. وانتصب اليوم الواقع فى الجواب بفعل مضمر دلّ عليه السؤال أى يقع (يوم هم على النار يفتنون). ويجوز أن يكون مفتوحا لإضافته إلى غير متمكن وهو الجملة. ومحلّه نصب بالمضمر الذى هو يقع ، أو رفع على هو (يوم هم على النار يفتنون) يحرقون ويعذّبون.

ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ (١) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ (٢) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (٣) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٤) وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ (٥)

(١) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا) عذابكم وإحراقكم بالنـار . (هذا) مبتدأ خبره (الذى) . أى (هذا) العذاب هو (الذى كنتم به تستعجلون) فى الدنيا بقولكم (فأتنا بما تعدنا).

(٢) ذكر حال المؤمنين فقال (إنّ المتّقين فى جنّات وعيون) أى تكون العيون وهى الأنهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لا أنّهم فيها (آخذين ما آتاهم ربّهم) قابلين لكلّ ما أعطاهم من الثواب راضين به . و(آخذين) حال من الضمير فى الظرف . وهو خبر (إنّ) .

(٣) (إنّهم كانوا) قبل دخول الجنّة فى الدنيا (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم . وتفسير إحسانهم مابعده : (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) يناموون . و(ما) مزيدة للتوكيد — و (يهجعون) خبر كان . والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل — أو مصدرية . والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم . فيرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو فى (كانوا) ، لا بقليلا لأنّه لمـّا صار موصوفا بقوله (من الليل) خرج من شبه الفعل. وعمله باعتبار المشابهة . أى كان هجوعهم (قليلا من الليل).ولا يجوز أن تكون (ما) نافية على معنى أنّهم لايهجعون من الليل قليلا ويحيونه كلّه. لأنّ (ما) النافية لايعمل مابعدها فيما قبلها لاتقول زيدا ما ضربت .

(٤) وصفهم بأنّهم يحيون الليل متهجّدين. فإذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنّهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم . والسحر السدس الأخير من الليل .

(٥) (وفى أموالهم حقّ) لمن يسأل لحاجته (والمحروم) أى الذى يتعرّض ولا يسأل حياء .

وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ[١] ۝
وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ[٢] ۝ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ
لَحَقٌّ[٣] مِّثْلَ[٤] مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝

(١) (وفى الأرض آيات) — تدلّ على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هى مدحوّة كالبساط لما فوقها ، وفيها المسالك والفجاج للتقلّبين فيها ، وهى مجزّأة فمن سهل ومن جبل ، وصلبة ورُخوة ، وعَذَاة وسَبَخة ، وفيها عيون متفجّرة ، ومعادن مفنّنة ، ودوابّ منبثّة مختلفة الصور والأشكال ، متباينة الهيئات والأفعال — (للموقنين) للموحّدين الذين سلكوا الطريق السوى البرهانىّ الموصّل إلى المعرفة فهم نظّارون بعيون باصرة ، وأفهام نافذة . كلّما رأوا آية عرفوا وجه تأمّلها فازدادوا إيقانا على إيقانهم ، (وفى أنفسكم) فى حال ابتدائها وتنقّلها من حال إلى حال ، وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر ، وبدائع الخلق ، ماتحيّر فيه الأذهان . وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول ، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة ، والبيّنات القاطعة ، على حكمة مدبّرها وصانعها . دع الأسماع والأبصار والأطراف وسائر الجوارح وتأتّيها لما خلقت له وما سوّى فى الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنّى . فإنّه إذا جسا منها شىء جاء العجز . وإذا استرخى أناخ الذلّ (فتبارك الله أحسن الخالقين) . وما قيل إنّ التقدير أفلا تبصرون فى أنفسكم ضعيف لأنّه يفضى إلى تقديم مافى حيّز الاستفهام على حرف الاستفهام . (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر .

(٢) (وفى السماء) المطر — لأنّه سبب الأقوات . وعن الحسن أنّه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه فيه والله رزقكم ولكنّكم تحرمونه بخطاياكم — (وما توعدون) الجنّة فهى على ظهر السماء السابعة تحت العرش . أو أراد أنّ ماترزقونه فى الدنيا وما توعدونه فى العقبى كلّه مقدور مكتوب فى السماء .

(٣) الضمير يعود إلى الرزق أو إلى ماتوعدون .

(٤) (مثلُ) بالرفع كوفىّ غير حفص صفة لحقّ . أى حقّ مثل نطقكم . وغيرهم بالنصب أى (أنّه لحقّ) حقّا مثل نطقكم . ويجوز أن يكون فتحا لإضافته إلى غير متمكن . و(ما)

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ [1] إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ [2] فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا [3] قَالَ سَلَٰمٌ [4]

مزيدة . وعن الأصمعيّ أنّه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابيّ على قعود . فقال من الرجل ؟ فقلت من بنى أصمع . قال من أين أقبلت ؟ قلت من موضع يتلى فيه كلام الله . قال اتل عليّ . فتلوت (والذاريات) فلمّا بلغت قوله (وفى السماء رزقكم) قال حسبك . فقام إلى ناقته فنحرها ووزّعها على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسّرهما وولّى . فلمّا حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بى بصوت رقيق فالتفتّ فإذا أنا بالأعرابيّ وقد نحل واصفرّ فسلّم عليّ واستقرأ السورة . فلما بلغت الآية صاح وقال (قد وجدنا ماوعدنا ربّنا حقّا) ثمّ قال وهل غير هذا ؟ فقرأت (فوربّ السماء والأرض إنّه لحقّ) فصاح وقال ياسبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف ؟ لم يصدّقوه بقوله حتّى حلف . قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه .

(١) (هل أتاك)— تفخيم للحديث وتنبيه على أنّه ليس من علم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وإنّما عرفه بالوحى . وانتظامها بما قبلها باعتبار أنّه قال (وفى الأرض آيات) وقال فى آخر هذه القصّة (وتركنا فيها آية)— (حديث ضيف إبراهيم) — الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لأنّه فى الأصل مصدر ضافه . وكانوا اثنى عشر ملكا . وقيل تسعة عاشرهم جبريل . وجعلهم ضيفا لأنّهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم . أولأنّهم كانوا فى حسبانه كذلك —(المكرمين) عند الله لقوله (بل عباد مكرمون) . وقيل لأنّه خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجّل لهم القرى .

(٢) نصب بالمكرمين إذا فسّر بإكرام إبراهيم لهم . وإلّا فباضمار اذكر .

(٣) مصدر سادّ مسدّ الفعل مستغنى به عنه . وأصله نسلّم عليكم سلاما .

(٤) أى عليكم (سلام) فهو مرفوع على الابتداء . وخبره محذوف . والعدول إلى الرفع للدلالة على إثبات السلام . كأنّه قصد أن يحيّيهم بأحسن ممّا حيّوه به أخذا بأدب الله . وهذا أيضا من إكرامه لهم . حمزة وعليّ (سِلم) . والسلم السلام .

قَوْمٌ مُّنكَرُونَ(١) ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ(٢) وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ(٣) ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ(٤) فَصَكَّتْ وَجْهَهَا(٥) وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ(٦) ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ(٧) إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

(١) أى أنتم (قوم منكرون) فعرّفونى من أنتم .

(٢) فذهب إليهم فى خفيــة من ضيوفه . ومن أدب المضيف أن يخفى أمره ، وأن يبــادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفّه . وكان عامّة مال إبراهيم عليه السلام البقر (فجاء بعجل سمين فقرّبه إليهم) ليأكلوا منه فلم يأكلوا (قال ألا تأكلون) أنكر عليهم ترك الأكل أو حثّهم عليه . (فأوجس) فأضمر (منهم خيفة) خوفا لأنّ من لم يأكل طعامك ، لم يحفظ ذمامك . عن ابن عباس رضى الله عنهما : وقع فى نفسه أنّهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) إنّا رسل الله . وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بأمّه

(٣) أى يبلغ ويعلم. والمبشّر به إسحق عند الجمهور .

(٤) فى صيحة. من صرّ القلم والبــاب . قال الزجاج الصرّة شدّة الصياح ههنا . ومحلّه النصب على الحال . أى فجاءت صارّة . وقيل فأخذت فى صياح . وصرّتها قولها (ياويلتا) .

(٥) فلطمت ببسط يديها . وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجّب .

(٦) أى أنا (عجوز) فكيف ألد ؟ كما قال فى موضع آخر (أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا) .

(٧) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربّك) أى إنّمــا نخبرك عن الله تعــالى والله قادر على ماتستبعدين (إنّه هو الحكيم) فى فعله (العليم) فلا يخفى عليه شىء . وروى أنّ جبريل قال لهــا حين استبعدت : انظرى إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة .

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝

(١) لمّا علم أنّهم ملائكة وأنّهم لا ينزلون إلاّ بأمر الله رسلا فى بعض الأمور (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وما طلبتكم وفيم أرسلتم (أيّها المرسلون) : أرسلتم بالبشارة خاصّة، أو لأمر آخر أو لها ؟ (قالوا إنّا أرسلنا إلى قوم مجرمين) أى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) أريد السجّيل . وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتّى صار فى صلابة الحجارة .

(٢) معلّمة من السُومة وهى العلامة على كلّ واحد منها اسم من يهلك به .

(٣) فى ملكه وسلطانه .

(٤) سمّاهم مسرفين كما سمّاهم عادين لإسرافهم وعدوانهم فى عملهم حيث لم يقتنعوا بما أبيح لهم .

(٥) فى القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة .

(٦) يعنى لوطا ومن آمن به .

(٧) أى غير أهل بيت . وفيه دليل على أنّ الإيمان والإسلام واحد . لأنّ الملائكة سمّوهم مؤمنين ومسلمين هنا .

(٨) (وتركنا) فى قراهم (آية للذين يخافون العذاب الأليم) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم . قيل هى ماء أسود منتن .

(٩) معطوف على (وفى الأرض آيات) . أو على قوله (وتركنا فيها آية) على معنى (و) جعلنا (فى موسى) آية كقوله * علفتها تبنا وماء باردا *

(١٠) بحجّة ظاهرة . وهى اليد والعصا .

فَتَوَلَّىٰ(١) بِرُكْنِهِۦ(٢) وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ(٣) ۝ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ(٤) ۝ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ(٥) ۝ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ(٦) ۝ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ(٧) ۝ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ(٨) وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ(٩) ۝

---

(١) فأعرض عن الإيمان .

(٢) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه . والركن ما يركن إليه الإنسان من مال وجند .

(٣) أى هو (ساحر أو مجنون) .

(٤) آت بما يلام عليه من كفره وعناده . وإنما وصف يونس عليه السلام به فى قوله (فالتقمه الحوت وهو مليم) لأن موجبات اللوم تختلف . وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم . فراكب الكفر ملوم على مقداره ، وراكب الكبيرة والصغيرة والذلة كذلك . والجملة مع الواو حال من الضمير فى (فأخذناه)

(٥) هى التى لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر . وهى ريح الهلاك . واختلف فيها . والأظهر أنها الدبور لقوله عليه السلام " نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور " .

(٦) هو كل مارم أى بلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك . والمعنى ما تترك من شىء هبت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم إلا أهلكته .

(٧) (وفى ثمود) آية أيضا (إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) . تفسيره قوله (تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام)

(٨) فاستكبروا عن امتثاله (فأخذتهم الصاعقة) العذاب — وكل عذاب مهلك صاعقة . (الصعقة) على . وهى المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة — (وهم ينظرون) لأنها كانت نهارا يعاينونها (فما استطاعوا من قيام) أى هرب . أو هو من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه .

(٩) ممتنعين من العذاب . أو لم يمكنهم مقابلتنا بالعذاب لأن معنى الانتصار المقابلة .

وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١) ۝ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ (٢) وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٣) ۝ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤) ۝ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ (٥) لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٦) ۝ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ (٧) إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٨) ۝

(١) أى (و) أهلكنا (قوم نوح) لأنّ ماقبله يدلّ عليه . أو (و) اذكر (قوم نوح) . و بالجرّ أبو عمرو وعلىّ وحمزة . أى (و) فى (قوم نوح) آية . و يؤيّده قراءة عبدالله (وفى قوم نوح من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (إنّهم كانوا قوما فاسقين) كافرين .

(٢) (والسماء) نصب بفعل يفسّره (بنيناها بأيد) بقوّة - والأيد القوّة .

(٣) لقادرون . من الوسع وهى الطاقة . والموسع القوىّ على الإنفاق . أو (لموسعون) ما بين السماء والأرض .

(٤) بسطناها ومهّدناها . وهى منصوبة بفعل مضمر . أى فرشنا الأرض فرشناها (فنعم الماهدون) نحن .

(٥) (ومن كلّ شىء) من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وأنثى . وعن الحسن السماء والأرض ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والبرّ والبحر ، والموت والحياة . فعدّد أشياء وقال كلّ اثنين منها زوج . والله تعالى فرد لامثل له .

(٦) أى فعلنا ذلك كلّه من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج لتتذكّروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه .

(٧) أى من الشرك إلى الإيمان بالله . أو من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن . أو ممّا سواه إليه .

(٨) التكرير للتوكيد . والإطالة فى الوعيد أبلغ .

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ[1] ۝ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ[2] بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ[3] ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ[4] فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ[5] ۝ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ[6] ۝ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ[7] ۝

(١) الأمر مثل ذلك . وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أو مجنونا . ثمّ فسّر ما أجمل بقوله (ما أتى الذين من قبلهم) من قبل قومك(من رسول إلّا قالوا)هو (ساحر أو مجنون) . رموهم بالسحر أو الجنون لجهلهم .

(٢) الضمير للقول .أى أتواصى الأوّلون والآخرون بهذا القول حتّى قالوه جميعا متّفقين عليه .

(٣) أى لم يتواصوا به لأنّهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلّة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه .

(٤) فأعرض عن الذين كرّرت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عنادا .

(٥) فلا لوم عليك فى إعراضك بعد ما بلّغت الرسالة و بذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة.

(٦) وعظ بالقرآن (فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين) بأن تزيد فى (*) عملهم .

(٧) العبادة إن حملت على حقيقتها فلا تكون الآية عامّة .بل المراد بها المؤمنون من الفريقين . دليله السياق أعنى (وذكّر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين) وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما (وما خلقت الجنّ والإنس من المؤمنين) وهذا لأنه لايجوز أن يخلق الذين علم منهم أنّهم لا يؤمنون ،للعبادة . لأنّه إذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلا بدّ أن توجد منهم . فإذا لم يؤمنوا علم أنّه خلقهم لجهنّم كما قال (ولقد ذرأنا لجهنّم كثيرا من الجنّ والإنس). وقيل إلّا لآمرهم بالعبادة . وهو منقول عن علىّ رضى الله عنه . وقيل إلّا ليكونوا عبادا لى . والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما كلّ عبادة فى القرآن فهى توحيد . والكلّ يوحّدونه فى الآخرة لما عرف أنّ الكفار كلّهم مؤمنون موحّدون فى الآخرة . دليله قوله (ثمّ لم تكن فتنتهم إلّا أن قالوا والله ربّنا ما كنّا

(*) فى نسخة علمهم .

مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ (١) وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٢) ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ (٣) ۝ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٤) ۝ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ (٥) ۝

مشركين) . نعم قد أشرك البعض فى الدنيا لكن مدّة الدنيا بالإضافة إلى الأبد أقلّ من يوم. ومن اشترى غلاما وقال ما اشتريته إلاّ للكتابة كان صادقا فى قوله ما اشتريته إلاّ للكتابة وإن استعمله فى يوم من عمره لعمل آخر.

(١) ماخلقتهم ليرزقوا أنفسهم أو واحدا من عبادى .

(٢) قال ثعلب أن يطعموا عبادى . وهى إضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرا عن الله تعالى " من أكرم مؤمنا فقد أكرمنى . ومن آذى مؤمنا فقد آذانى " .

(٣) الشديد القوة . و(المتين) بالرفع صفة لذو. وقرأ الأعمش بالجرّ صفة للقوة على تأويل الاقتدار .

(٤) (فإنّ للذين ظلموا) رسول الله بالتكذيب من أهل مكّة (ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم) نصيبا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة — قال الزجاج الذنوب فى اللغة النصيب — (فلا يستعجلون) نزول العذاب. وهذا جواب النضر وأصحابه حين استعجلوا العذاب . (ليعبدونى . أن يطعمونى . فلا يستعجلونى) بالياء فى الحالين يعقوب . وافقه سهل فى الوصل . الباقون بغير ياء .

(٥) أى من يوم القيامة . وقيل من يوم بدر . والله أعلم .

سورة الطور مكّيّة

وهى تسع وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالطُّورِ ۞ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۞ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۞ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۞ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۞ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۞ [1] مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۞ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۞ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۞ [2]

(1) (والطور) — هو الجبل الذى كلّم الله عليه موسى وهو بمدين — (وكتاب مسطور) — هو القرآن . ونكّر لأنّه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب . أو اللوح المحفوظ أو التوراة — (فى رقّ) — هو الصحيفة أو الجلد الذى يكتب فيه — (منشور) مفتوح لا ختم عليه . أو لائح (والبيت المعمور) — أى الضُّراح . وهو بيت فى السماء حيال الكعبة . وعمرانه بكثرة زوّاره من الملائكة . روى أنّه يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثمّ لا يعودون إليه أبدا . وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجّاج والعمّار — (والسقف المرفوع) أى السماء أو العرش (والبحر المسجور) المملوء أو الموقد . والواو الأولى للقسم والبواقى للعطف. وجواب القسم (إنّ عذاب ربّك) أى الذى أوعد الكفّار به (لواقع) لنازل . قال جبير ابن مُطعِم أتيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أكلّمه فى الأسارى . فلقيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور . فلمّا بلغ (إنّ عذاب ربّك لواقع) أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب .

(2) (ما له من دافع) لا يمنعه مانع . والجملة صفة (لواقع) أى واقع غير مدفوع . والعامل فى (يوم)، (لواقع) أى يقع فى ذلك اليوم. أو اذكر (يوم تمور) تدور كالرحى مضطربة (السماء مورا وتسير الجبال سيرا) فى الهواء كالسحاب لأنّها تصير هباء منثورا .

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝ يَوْمَ يُدَعُّونَ[1] إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ[2] ۝ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[3] ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ۝ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا[4] بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝

---

(١) غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل والكذب ومنه قوله (وكنّا نخوض مع الخائضين). ويبدل (يوم يدعّون إلى نار جهنم دعّا) من (يوم تمور). والدعّ الدفع العنيف. وذلك أنّ خزنة النار يغلّون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ويدفعونهم إلى النار دفعا على وجوههم وزخًّا فى أقفيتهم فيقال لهم (هذه النار التى كنتم بها تكذّبون) فى الدنيا .

(٢) (هذا) مبتدأ و (سحر) خبره . يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر (أفسحر هذا) ؟ يريد أهذا المصداق أيضا سحر ؟ — ودخلت الفاء لهذا المعنى — (أم أنتم لاتبصرون) كما كنتم لاتبصرون فى الدنيا . يعنى أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر ؟ وهذا تقريع وتهكّم .

(٣) خبر (سواء) محذوف أى (سواء عليكم) الأمران الصبر وعدمه . وقيل على العكس. وعلّل استواء الصبر وعدمه بقوله (إنّما تجزون ما كنتم تعملون) لأنّ الصبر إنّما يكون له مزيّة على الجزع لنفعه فى العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير . فأمّا الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزيّة له على الجزع .

(٤) (إنّ المتّقين فى) أيّة (جنّات و) أىّ (نعيم) بمعنى الكمال فى الصفة. أو (فى جنّات ونعيم) مخصوصة بالمتّقين خلقت لهم خاصّة . (فاكهين) حال من الضمير فى الظرف. والظرف خبر . أى متلذّذين (بما آتاهم ربّهم) . وعطف قوله (ووقاهم ربّهم) على (فى جنّات) أى (إنّ

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ(١) وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ(٢) ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا(٣) بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ(٤) كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ(٥) ۝ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ(٦) ۝ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا(٧)

المتقين) استقروا (فى جنات ...... ووقاهم ربهم) أو على (آتاهم ربهم) على أن تجعل (ما) مصدرية . والمعنى (فا كهين) بإيتائهم ربهم ووقايتهم (عذاب الجحيم) . أو الواو للحال "وقد" بعدها مضمرة . يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أكلا وشربا (هنيئا) . أو طعاما وشرابا (هنيئا) . وهو الذى لا تنغيص فيه .

(١) (متكئين) حال من الضمير فى (كلوا واشربوا).(على سرر) جمع سرير .(مصفوفة) موصول بعضها ببعض .

(٢) وقرناهم (بحور) جمع حوراء (عين) عظام الأعين حسانها .

(٣) (والذين) مبتدأ . و (ألحقنا بهم) خبره . (وأتبعناهم) أبو عمرو . (ذريتهم) أولادهم .(بإيمان) حال من الفاعل. أى نلحق الأولاد بإيمانهم وأعمالهم درجات الآباء و إن قصرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء. وقيل إن الذرية وإن لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الإيمان استدلالا و إنما تلقنوا منهم تقليدا فهم يلحقون بالآباء. (ذريتُهم.ذرياتِهم) مدنى (ذرياتِهم.ذرياتِهم) أبو عمرو . (ذرياتُهم ذرياتِهم) شامى .

(٤) (وما) نقصناهم (من) ثواب (عملهم من شىء) (ألِتناهم) مكى. ألَت يألِت وألِت يألَت لغتان. (من) الأولى متعلقة بـ (ألتناهم) ، والثانية زائدة .

(٥) أى مرهون فنفس المؤمن مرهونة بعمله وتجازى به .

(٦) وزدناهم فى وقت بعد وقت (بفاكهة ولحم مما يشتهون) وإن لم يقترحوا .

(٧) خمرا . أى يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم يتناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا .

لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ[1] ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ[2] ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ[3] ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ[4] ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ[5] ﴿٢٨﴾

---

(١) (لا لغو) فى شربها (ولا تأثيم) أى لا يجرى بينهم ما يلغى يعنى لا يجرى بينهم باطل ، ولا ما فيه إثم لو فعله فاعل فى دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما كشاربى خمر الدنيا لأنّ عقولهم ثابتة فيتكلّمون بالحكم والكلام الحسن. (لا لغوَ فيها ولا تأثيمَ) مكّىّ وبصرىّ .

(٢) (ويطوف عليهم غلمان) مملوكون (لهم) مخصوصون بهم (كأنّهم) من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) فى الصدف. لأنّه رطبا أحسن وأصفى. أو مخزون لأنّه لا يخزن إلّا الثمين الغالى القيمة. فى الحديث : — "إن أدنى أهل الجنّة منزلة من ينادى الخادم من خدّامه فيجيبه ألف ببابه لبّيك لبّيك" .

(٣) يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استحقّ به نيل ما عند الله .

(٤) (إنّا كنّا) فى الدنيا (فى أهلنا مشفقين) أرقّاء القلوب من خشية الله. أو خائفين من نزع الإيمان وفوت الأمان. أو من ردّ الحسنات، والأخذ بالسيّئات (فمنّ الله علينا) بالمغفرة والرحمة (ووقانا عذاب السموم) هى الريح الحارّة التى تدخل المسامّ فسمّيت بها نار جهنّم لأنّها بهذه الصفة .

(٥) (إنّا كنّا من) قبل لقاء الله تعالى والمصير إليه — يعنون فى الدنيا — (ندعوه) نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الوقاية (إنّه هو البرّ) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذى إذا عُبد أثاب ، وإذا سئل أجاب . (أنّه) بالفتح مدنىّ وعلىّ أى بأنّه أو لأنّه .

فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝ (١) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝ (٢) قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۝ (٣) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝ (٤) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ (٥) بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝ (٦) فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝

(١) فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم (فما أنت) برحمة (ربّك) و إنعامه عليك بالنبوّة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما زعموا . وهو فى موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربّك .

(٢) (أم يقولون) هو (شاعر نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر أى ننتظر نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة. و (أم) فى أوائل هذه الآى منقطعة بمعنى بل والهمزة .

(٣) أتربّص هلاككم كما تتربّصون هلاكى .

(٤) (أم تأمرهم) عقولهم (بهذا) التناقض فى القول — وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون . وكانت قريش يُدعَون أهل الأحلام والنهى — (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحدّ فى العناد مع ظهور الحقّ لهم . وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز.

(٥) اختلقه محمد من تلقاء نفسه .

(٦) ردّ عليهم . أى ليس الأمر كما زعموا . (بل لا يؤمنون) . فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنّه ليس بمتقوّل لعجز العرب عنه وما محمد إلّا واحد من العرب . (فليأتوا بحديث) مختلق مثل القرآن (إن كانوا صادقين) فى أنّ محمّدا تقوّله من تلقاء نفسه لأنّه بلسانهم وهم فصحاء .

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ[1] بَل لَّا يُوقِنُونَ[2] ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ[3] فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ[4] ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ[5] ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ[6] ﴿٤١﴾

---

(١) (أم) أُحدثوا وقُدّروا التقدير الذى عليه فطرتهم (من غير شيء) من غير مقدّر (أم هم) الذين خلقوا أنفسهم حيث لايعبدون الخالق . وقيل أخلقوا من أجل لاشيء من جزاء ولا حساب (أم هم الخالقون) فلا يأتمرون (أم خلقوا السموات والأرض) فلا يعبدون خالقهما .

(٢) أى لايتدبّرون فى الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والأرض .

(٣) (أم عندهم خزائن ربّك) من النبوّة والرزق وغيرهما فيخصّوا من شاءوا بما شاءوا (أم هم المصيطرون) الأرباب الغالبون حتّى يدبّروا أمر الربوبيّة ويبنوا الأمور على مشيئتهم . وبالسين مكّىّ وشامىّ . (أم لهم سلّم) منصوب يرتقون به إلى السماء (يستمعون فيه) كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتّى يعلموا ماهو كائن من تقدّم هلاكه على هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون . قال الزجاج (يستمعون فيه) أى عليه .

(٤) بحجّة واضحة تصدّق استماع مستمعهم .

(٥) سفّه أحلامهم حيث اختاروا لله مايكرهون وهم حكماء عند أنفسهم .

(٦) (أم تسألهم أجرا) على التبليغ والإنذار (فهم من مغرم مثقلون) المغرم أن يلتزم الإنسان ماليس عليه . أى لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهّدهم ذلك فى اتّباعك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتّى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لم نعذّب .

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا[١] فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟[٢] هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ[٣] ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ[٤] سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ[٥] ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ[٦] ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ[٧] وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾

---

(١) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله و بالمؤمنين .

(٢) إشارة إليهم أو أريد بهم كلّ من كفر بالله تعالى .

(٣) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم و يحيق بهم مكرهم وذلك أنّهم قتلوا يوم بدر . أو المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته .

(٤) (أم لهم إله غير الله) يمنعهم من عذاب الله .

(٥) الكسف القطعة. وهو جواب قولهم (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) . يريد أنّهم لشدّة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا (سحاب مركوم) — قد ركم أى جمع بعضه على بعض — يمطرنا ، ولم يصدّقوا أنّه كسف ساقط للعذاب .

(٦) بضم الياء عاصم وشامىّ. الباقون بفتح الياء . يقال صعقه فصعق. وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق .

(٧) (و إنّ) لهؤلاء الظلمة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة. وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر (ولكنّ أكثرهم لايعلمون) ذلك .

وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ[1] ۝

(١) أمره بالصبر إلى أن يقع بهم العذاب فقال (واصبر لحكم ربّك) بإمهالهم وبما يلحقك فيه من المشقّة (فإنّك بأعيننا) أى بحيث نراك ونكاؤك. وجمع العين لأنّ الضمير بلفظ الجماعة . ألا ترى إلى قوله (ولتصنع على عينى). (وسبّح بحمد ربّك حين تقوم) للصلاة وهو ما يقال بعد التكبير سبحانك اللّهم وبحمدك. أو من أىّ مكان قمت. أو من منامك .(ومن الليل فسبّحه وإدبار النجوم) وإذا أدبرت النجوم من آخر اللّيل .(وأدبار) زيد . أى فى أعقاب النجوم وآثارها إذا غربت . والمراد الأمر بقول سبحان الله وبحمده فى هذه الأوقات . وقيل التسبيح الصلاة إذا قام من نومه (ومن الليل) ، صلاة العشاءين ، (وإدبار النجوم) صلاة الفجر . وبالله التوفيق .

سورة النجم مكيّة

وهى اثنتان وستّون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (١) ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ (٢) ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ (٣) ۝

(١) أقسم بالثريا — أو بجنس النجوم — (إذا هوى) إذا غرب أو انتثر يوم القيامة . وجواب القسم (ماضلّ) عن قصد الحقّ (صاحبكم) أى محمد صلّى الله عليه وسلّم — والخطاب لقريش —(وما غوى) فى اتّباع الباطل.وقيل الضلال نقيض الهدى والغىّ نقيض الرشد . أى هو مهتد راشد . وليس كما تزعمون من نسبتكم إيّاه إلى الضلال والغىّ .

(٢) وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه إنّما هو وحى من عند الله يوحى إليه . ويحتجّ بهذه الآية من لايرى الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام . ويجاب بأن الله تعالى إذا سوّغ لهم الاجتهاد وقرّرهم عليه كان كالوحى لا نطقا عن الهوى .

(٣) علّم محمدا عليه السلام (شديد القوى) ملك شديد قواه . والإضافة غير حقيقيّة لأنّها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها . وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور. ومن قوّته أنّه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثمّ قلبها . وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين .

ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ (١) ﴿١١﴾

---

(١) (ذو) منظر حسن — عن ابن عباس — (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقيّة دون الصورة التى كان يتمثّل بها كلّما هبط بالوحى . وكان ينزل فى صورة دحية . وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أحبّ أن يراه فى صورته التى جبل عليها (فاستوى) له فى الأفق الأعلى — وهو أفق الشمس — فملأ الأفق — وقيل مارآه أحد من الأنبياء عليهم السلام فى صورته الحقيقيّة سوى محمد صلّى الله عليه وسلّم مرّتين مرّة فى الأرض ومرّة فى السماء — (وهو) أى جبريل عليه السلام (بالأفق الأعلى) مطلع الشمس (ثمّ دنا) جبريل من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (فتدلّى) فزاد فى القرب — والتّدلّى هو النزول بقرب الشىء — (فكان قاب قوسين) مقدار قوسين عربيّتين . وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع . ومنه لاصلاة إلى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين . وفى الحديث " لقاب قوس أحدكم من الجنّة وموضع قدّه خير من الدنيا وما فيها" . والقدّ السوط . وتقديره (فكان) مقدار مسافة قربه مثل (قاب قوسين) — فحذفت هذه المضافات — (أو أدنى) أى على تقديركم كقوله (أو يزيدون) . وهذا لأنّهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رمحين أو أنقص . وقيل بل (أدنى فأوحى) جبريل عليه السلام (إلى عبده) إلى عبد الله — وإن لم يجر لاسمه ذكر لأنّه لايلتبس . كقوله (ماترك على ظهرها) — (ما أوحى) تفخيم للوحى الذى أوحى إليه . قيل أوحى إليه " إنّ الجنّة محرّمة على الأنبياء حتّى تدخلها، وعلى الأمم حتّى تدخلها أمّتك" . (ماكذب) فؤاد محمد (ما رأى) مارآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام . أى ما قال فؤاده لمّا رآه لم أعرفك . ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنّه عرفه . يعنى أنّه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشكّ فى أنّ مارآه حقّ . وقيل المرئىّ هو الله سبحانه . رآه بعين رأسه . وقيل بقلبه .

أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١) ۝ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (٢) ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ (٣) ۝ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (٤) ۝ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (٥) ۝ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ (٦) ۝

(١) أفتجادلونه . من المراء وهو المجادلة . واشتقاقه من مَرَى الناقةَ . كأنّ كلّ واحد من المتجادلين يَمْرِى ماعند صاحبه . (أَفَتَمْرُونه) حمزة وعلىّ وخلف ويعقوب . أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته . ولما فيه من معنى الغلبة قال (على مايرى) فعدّى بعلى كما تقول غلبته على كذا . وقيل (أفتمرونه) أفتجحدونه يقال مريته حقّه إذا جحدته . وتعدّيته بعلى لاتصحّ إلّا على مذهب التضمين .

(٢) (ولقد) رأى محمّد جبريل عليهما السلام (نزلة أخرى) مرّة أخرى من النزول. نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرّة لأنّ الفعلة اسم للمرّة من الفعل . فكانت فى حكمها . أى نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها . وذلك ليلة المعراج (عند سدرة المنتهى) الجمهور على أنّها شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش . و (المنتهى) بمعنى موضع الانتهاء. أو الانتهاء. كأنّها فى منتهى الجنّة وآخرها. وقيل لم يجاوزها أحد. وإليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم . ولا يعلم أحد ماوراءها . وقيل تنتهى إليها أرواح الشهداء .

(٣) أى الجنّة التى يصير إليها المتّقون . وقيل تأوى إليها أرواح الشهداء .

(٤) أى رآه (إذ يغشى السدرة مايغشى) وهو تعظيم وتكثير لما يغشاها . فقد علم بهذه العبارة أنّ ما يغشاها من الخلائق الدالّة على عظمة الله تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف . وقيل يغشاها الجمّ الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها . وقيل يغشاها فراش من ذهب .

(٥) بصر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ماعدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها . ومكن منها (وما طغى) وما جاوز ما أمر برؤيته .

(٦) والله (لقد رأى من آيات ربّه الكبرى) الآيات التى هى كبراها وعظماها . يعنى حين رقى به إلى السماء فأرى عجائب الملكوت .

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ (١) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ (٢) أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ (٣)

(١) أى أخبرونا عن هذه الأشياء التى تعبدونها من دون الله عزّ وجلّ هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها ربّ العزة؟ اللات والعزّى ومناة أصنام لهم. وهى مؤنّثات. فاللات كانت لثقيف بالطائف. وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش. وهى فعلة من لوى لأنّهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة. والعزّى كانت لغطفان. وهى سَمُرة وأصلها تأنيث الأعزّ. وقطعها خالد بن الوليد. ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة. وقيل لثقيف. وكأنّها سمّيت مناة لأنّ دماء النسائك كانت تمنى عندها أى تراق. (ومناءة) مكّى. مفعلة من النوء. كأنّهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبرّكا بها. (الأخرى) هى صفة ذمّ أى المتأخّرة الوضيعة المقدار. كقوله وقالت أخراهم لأولاهم. أى وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم. ويجوز أن تكون الأوّلية والتقدّم عندهم اللات والعزّى.

(٢) كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنّهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم لهنّ فقيل لهم (ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى). أى جعلكم لله البنات ولكم البنين (قسمة ضيزى) أى جائرة من ضازه يضيزه إذا ضامه. و (ضيزى) فُعلى إذ لا فِعلى فى النعوت. فكسرت الضاد للياء كما قيل بيض وهو بوض مثل حمر وسود. (ضئزى) بالهمز مكّى من ضأزه مثل ضازه. (إن هى) ما الأصنام (إلا أسماء) ليس تحتها فى الحقيقة مسمّيات لأنّكم تدّعون الإلهيّة لما هو أبعد شىء منها وأشدّ منافاة لها. (سمّيتموها) أى سمّيتم بها — يقال سمّيته زيدا وسمّيته بزيد — (أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) حجّة (إن يتبعون إلّا الظنّ) الّا توهّم أنّ ما هم عليه حقّ (وما تهوى الأنفس) وما تشتهيه أنفسهم (ولقد جاءهم من ربّهم الهدى) الرسول والكتاب فتركوه ولم يعملوا به.

(٣) هى أم المنقطعة. ومعنى الهمزة فيها الانكار. أى ليس (للإنسان) يعنى الكافر (ماتمنّى) من شفاعة الأصنام، أو من قوله (ولئن رجعت إلى ربّى إنّ لى عنده للحسنى). وقيل هو تمنّى بعضهم أن يكون هو النبىّ.

فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ (١) ۝ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ (٢) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ۝ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا (٣) ۝ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا (٤) وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ (٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ (٦) ۝

---

(١) أى هو مالكهما وله الحكم فيهما يعطى النبوّة والشفاعة من شاء وارتضى لامن تمنّى .

(٢) يعنى أنّ أمر الشفاعة ضيّق . فإنّ الملائكة مع قربتهم وكثرتهم لوشفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم شيئا قطّ ولا تنفع (إلّا) إذا شفعوا (من بعد أن يأذن الله) لهم فى الشفاعة (لمن يشاء) الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لأن يشفع له . فكيف تشفع الأصنام إليه لعبدتهم ؟

(٣) أى (ليسمّون) كلّ واحدمنهم (تسمية الأنثى) لأنّهم إذا قالوا للملائكة بنات الله فقد سمّوا كلّ واحد منهم بنتا وهى تسمية الأنثى (وما لهم به من علم) أى بما يقولون. وقرئ (بها) أى بالملائكة والتسمية (إن يتّبعون إلّا الظنّ) هو تقليد الآباء (وإنّ الظنّ لا يغنى من الحقّ شيئا) أى إنّما يعرف الحقّ الذى هو حقيقة الشىء وما هو عليه ، بالعلم والتيقّن لا بالظنّ والتوهّم

(٤) (فأعرض عمّن) رأيته معرضا عن ذكر الله أى القرآن .

(٥) (ذلك) أى اختيارهم الدنيا والرضا بها (مبلغهم من العلم) منتهى علمهم .

(٦) أى (هو أعلم) بالضالّ والمهتدى ومجازيهما .

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى[١] ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ[٢] يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ[٣] إِلَّا ٱللَّمَمَ[٤] إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ[٥] هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾

---

(١) (ليجزى الذين أساءوا بـ) عقاب (ماعملوا) من السوء . أو بسبب ماعملوا من السوء (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنّة . أو بسبب الأعمال الحسنى. والمعنى أنّ الله عزّ وجلّ إنّما خلق العالم وسوّى هذه الملكوت ليجزى المحسن من المكلّفين والمسىء منهم . إذ الملك أهل لنصر الأولياء وقهر الأعداء .

(٢) (الذين) بدل . أو فى موضع رفع على المدح . أى هم (الذين يجتنبون كبائر الإثم) أى الكبائر من الإثم لأنّ الإثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر . والكبائر الذنوب التى يكبر عقابها . (كبير) حمزة وعلىّ . أى النوع الكبير منه .

(٣) ما فحش من الكبائر. كأنّه قال (والفواحش) منها خاصّة. قيل الكبائر ما أوعد الله عليه النار . والفواحش ما شرع فيها الحدّ .

(٤) أى (إلّا) الصغائر. والاستثناء منقطع لأنّه ليس من الكبائر والفواحش. وهو كالنظرة والقبلة واللمسة والغمزة. (إنّ ربّك واسع المغفرة) فيغفر ما يشاء من الذنوب من غير توبة .

(٥) (إذ أنشأكم) أى أباكم (من الأرض وإذ أنتم أجنّة) جمع جنين (فى بطون أمّهاتكم فلا تزكّوا أنفسكم) فلا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات أو إلى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها. فقد علم الله الزكىّ منكم والتقىّ أوّلا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل أن تخرجوا من بطون أمّهاتكم . وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثمّ يقولون صلاتنا وصيامنا وحجّنا فنزلت . وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فإنّه جائز . لأنّ المسرّة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (هو أعلم بمن اتّقى) فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس .

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ۝ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ۝ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝ (١) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝ (٢) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝

(١) (أفرأيت الذى) أعرض عن الإيمان (وأعطى قليلا وأكدى) قطع عطيّته وأمسك. وأصله إكداء الحافر. وهو أن تلقاه كُدْية وهى صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر. عن ابن عباس رضى الله عنهما فيمن كفر بعد الإيمان. وقيل فى الوليد بن المغيرة. وكان قد اتّبع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعيّره بعض الكافرين، وقال له تركت دين الأشياخ وزعمت أنهم فى النار. قال إنّى خشيت عذاب الله. فضمن له، إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه، أن يتحمّل عنه عذاب الله. ففعل وأعطى الذى عاتبه بعض ما كان ضمن له ثمّ بخل به ومنعه. (أعنده علم الغيب فهو يرى) فهو يعلم أنّ ما ضمنه من عذاب الله حق؟ (أم لم ينبأ) يخبر (بما فى صحف موسى) أى التوراة (وإبراهيم) أى وفى صحف (إبراهيم الذى وفّى) أى وفّر وأتمّ. كقوله (فأتمّهنّ). وإطلاقه ليتناول كلّ وفاء وتوفية. وقرئ مخفّفا. والتشديد مبالغة فى الوفاء. وعن الحسن ما أمره الله بشىء إلّا وفّى به. وعن عطاء بن السائب: عهد ألّا يسأل مخلوقا. فلمّا قذف فى النار قال له جبريل ألك حاجة؟ فقال أمّا إليك فلا. وعن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم. وفّى عمله كلّ يوم بأربع ركعات فى صدر النهار وهى صلاة الضحى. وروى ألا أخبركم لم سمّى الله خليله (الذى وفّى)؟ كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى (فسبحان الله حين تمسون) إلى (حين تظهرون). وقيل: وفّى سهام الإسلام وهى ثلاثون: عشرة فى التوبة (التائبون) وعشرة فى الأحزاب (إنّ المسلمين) وعشرة فى المؤمنين (قد أفلح المؤمنون).

(٢) أعلم بما فى صحف موسى وإبراهيم فقال: (ألّا تزر وازرة وزر أخرى). (تزر) من وزر يزر إذا اكتسب وزرا وهو الإثم. و(أن) مخفّفة من الثقيلة. والمعنى أنّه (لا تزر). والضمير ضمير الشأن. ومحلّ (أن) وما بعدها الجرّ بدلا من (ما فى صحف موسى) أو الرفع على هو (أن لا تزر) كأنّ قائلا قال وما فى صحف موسى وإبراهيم؟ فقيل (ألّا تزر وازرة

وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (١) ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٢) ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٣) ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (٤) ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٥) ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ (٦) ﴿٤٩﴾

وزر أخرى) أى لاتحمل نفس ذنب نفس (وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى) إلّا سعيه . وهذه أيضا ممّا فى صحف إبراهيم وموسى. وأمّا ماصح فى الأخبار من الصدقة عن الميّت والحجّ عنه فقد قيل إنّ سعى غيره لمّا لم ينفعه إلامبنيّا على سعى نفسه — وهو أن يكون مؤمنا — كان سعى غيره كأنّه سعى نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه. ولأنّ سعى غيره لاينفعه إذا عمله لنفسه . ولكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه . (وأنّ سعيه سوف يرى) أى يرى هو سعيه يوم القيامة فى ميزانه (ثمّ يجزاه) ثمّ يجزى العبد سعيه — يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله — بحذف الجارّ وإيصال الفعل . ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثمّ فسّره بقوله (الجزاء الأوفى) أو أبدله عنه . (وأنّ إلى ربّك المنتهى) هذا كلّه فى الصحف الأولى . والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء . أى ينتهى إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله (وإلى الله المصير) .

(١) خلق الضحك والبكاء. وقيل خلق الفرح والحزن. وقيل (أضحك) المؤمنين فى العقبى بالمواهب ، وأبكاهم فى الدنيا بالنوائب .

(٢) قيل (أمات) الآباء، (وأحيا) الأبناء . أو (أمات) بالكفر (وأحيا) بالإيمان . أو (أمات) هنا (وأحيا) ثمّة .

(٣) إذا تُدْفَق فى الرحم . يقال منى وأمنى .

(٤) الإحياء بعد الموت .

(٥) وأعطى القُنية . وهى المال الذى تأثّلته وعزمت ألّا تخرجه من يدك .

(٦) هو كوكب يطلع بعد الجوزاء فى شدّة الحرّ . وكانت خزاعة تعبدها . فأعلم الله أنّه ربّ معبودهم هذا .

وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ (١) ۝ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ (٢) ۝ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ (٣) ۝ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ (٤) ۝ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ (٥) ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٦) ۝ هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ (٧) ۝

(١) هم قوم هود . وعاد الأخرى إرم . (عَادَ الُّولى) مدنىّ و بصرىّ غير سهل بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمّتها إلى لام التعريف .

(٢) حمزة و عاصم . الباقون (وثمودًا). وهو معطوف على (عادا). ولا ينصب بـ(فما أبقى) لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيا قبله لاتقول زيدا فضربت . وكذا ما بعد النفى لا يعمل فيا قبله . والمعنى وأهلك ثمود فما أبقاهم .

(٣) أى (و)أهلك (قوم نوح من) قبل عاد وثمود (إنّهم كانواهم أظلم وأطغى) من عاد وثمود لأنّهم كانوا يضربونه حتّى لايكون به حراك ، وينفرّون عنه حتّى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه .

(٤) والقرى التى ائتفكت بأهلها — أى انقلبت. وهم قوم لوط. يقال أَفَكه فأتفك — (أهوى) أى رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثمّ أهواها إلى الأرض أى أسقطها. (والمؤتفكة) منصوب بـ (أهوى) .

(٥) ألبسها (ماغشّى). تهويل وتعظيم لما صبّ عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود .

(٦) (فبأىّ آلاء ربّك) أيّها المخاطب (تمارى) تتشكّك؟ بما أولاك من النعم؟ أو بما كفاك من النقم ؟ أو بأىّ نعم ربّك الدالّة على وحدانيّته وربوبيّته تشكّك ؟

(٧) أى محمد منذر (من النذر الأولى) من المنذرين الأوّلين . وقال (الأولى) على تأويل الجماعة . أو (هذا) القرآن (نذير من النذر الأولى) أى إنذار من جنس الإنذارات (الأولى) التى أنذربها من قبلكم .

أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ (١) ۝ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ (٢) ۝ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ (٣) ۝ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ (٤) ۝

---

(١) قربت الموصوفة بالقرب فى قوله (اقتربت الساعة) .

(٢) أى (ليس لها) نفس كاشفة أى مبيّنة متى تقوم . كقوله (لا يجلّيها لوقتها إلّا هو) أو (ليس لها) نفس كاشفة أى قادرة على كشفها إذا وقعت إلّا الله تعالى. غير أنّه لا يكشفها .

(٣) أى (أفمن) القرآن (تعجبون) إنكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) خشوعا (وأنتم سامدون) غافلون أو لاهون لاعبون . وكانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه .

(٤) أى (فاسجدوا لله) واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة . والله أعلم .

سورة القمر مكّيّة

وهي خمس وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ (١) ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) ۝ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) ۝

(١) قربت القيامة (وانشقّ) القمر نصفين. وقرئ (وقد انشقّ). أى (اقتربت الساعة) وقد حصل من آيات اقترابها أنّ القمر قد انشقّ كما تقول أقبل الأمير وقد جاء المبشّر بقدومه. قال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين فلقتى القمر. وقيل معناه ينشقّ يوم القيامة. والجمهور على الأوّل وهو المروىّ فى الصحيحين. ولا يقال لو انشقّ لما خفى على أهل الأقطار. ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترا لأنّ الطباع جبلت على نشر العجائب. لأنّه يجوز أن يحجبه الله عنهم بغيم.

(٢) (وإن يروا) يعنى أهل مكّة (آية) تدلّ على صدق محمّد صلّى الله عليه وسلّم (يعرضوا) عن الإيمان به (ويقولوا سحر مستمرّ) محكم قوىّ من المرّة القوة. أو دائم مطّرد. أو مارّ ذاهب يزول ولا يبقى.

(٣) (وكذّبوا) النبىّ صلّى الله عليه وسلّم (واتّبعوا أهواءهم) وما زيّن لهم الشيطان من دفع الحقّ بعد ظهوره. (وكلّ أمر) وعدهم الله (مستقرّ) كائن فى وقته. وقيل (كلّ) ما قدّر واقع. وقيل (كلّ أمر) من أمرهم واقع (مستقرّ) أى سيثبت ويستقرّ عند ظهور العقاب والثواب.

وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ(١) ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ(٢) بَٰلِغَةٌ(٣) فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ(٤) ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ(٥) يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ(٦) ﴿٦﴾ خُشَّعًا(٧) أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ(٨) ﴿٧﴾

(١) (ولقد جاءهم) أهل مكّة (من الأنباء) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفّار (مافيه مزدجر) ازدجار عن الكفر. تقول زجرته وازدجرته أى منعته وأصله ازتجر. ولكن التاء إذا وقعت بعد زاى ساكنة أبدلت دالا. لأنّ التاء حرف مهموس، والزاى حرف مجهور. فأبدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا. وهذا فى آخر كتاب سيبويه.

(٢) بدل من (ما) أو على هو (حكمة).

(٣) نهاية الصواب أو (بالغة) من الله إليهم.

(٤) (ما) نفى. والنذر جمع نذير. وهم الرسل، أو المنذر به. أو النذر مصدر بمعنى الإنذار (فتولّ عنهم) لعلمك أنّ الانذار لا يغنى فيهم.

(٥) نصب (يوم) بيخرجون أو بإضمار اذكر. (الداعى. إلى الداعى) سهل ويعقوب ومكّىّ فيهما. وافق مدنىّ وأبو عمرو فى الوصل. ومن أسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها. وحذف الواو من (يدعو) فى الكتابة لمتابعة اللفظ. و (الداعى) إسرافيل عليه السلام.

(٦) منكر فظيع تنكره النفوس لأنّها لم تعهد بمثله. وهو هول يوم القيامة. (نكْر) بالتخفيف مكّىّ.

(٧) (خاشعا) عراقىّ غير عاصم. وهو حال من الخارجين. وهو فعل للأبصار. وذكّر كما تقول يخشع أبصارهم — غيرهم (خُشَّعًا) على يخشعن أبصارهم. وهى لغة من يقول أكلونى البراغيث. ويجوز أن يكون فى (خشّعا) ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه. وخشوع الأبصار كناية عن الذلّة لأنّ ذلّة الذّليل وعزّة العزيز تظهران فى عيونهما.

(٨) (يخرجون) من القبور (كأنّهم جراد منتشر) فى كثرتهم وتفرّقهم فى كلّ جهة. والجراد مثل فى الكثرة والتموّج. يقال فى الجيش الكثير المائج بعضه فى بعض جاءوا كالجراد.

مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (١)(٢) ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ (٣)(٤) ۝ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ (٥) ۝ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ (٦)(٧) ۝ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (٨)(٩)(١٠) ۝

(١) مسرعين مادّى أعناقهم إليه .

(٢) صعب شديد .

(٣) (كذّبت) قبل أهل مكّة (قوم نوح فكذّبوا عبدنا) نوحا عليه السلام . ومعنى تكرار التكذيب أنّهم كذّبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلّما مضى منهم قرن مكذّب تبعه قرن مكذّب أو كذّبت (قوم نوح) الرسل (فكذّبوا عبدنا) أى لمّا كانوا مكذّبين بالرسل جاحدين للنبوّة رأسا كذّبوا نوحا لأنّه من جملة الرسل .

(٤) أى هو (مجنون) . (وازدجر) زجر عن أداء الرسالة بالشتم وهدّد بالقتل . أو هو من جملة قيلهم . أى (قالوا) هو (مجنون) وقد ازدجرته الجنّ وتخبّطته وذهبت بلبّه .

(٥) أى بأنّى (مغلوب) غلبنى قومى فلم يسمعوا منّى واستحكم اليأس من إجابتهم لى (فانتصر) فانتقم لى منهم بعذاب تبعثه عليهم .

(٦) (ففتّحنا) شامىّ ويزيد وسهل ويعقوب .

(٧) منصبّ فى كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما .

(٨) وجعلنا الأرض كلّها كأنّها عيون تتفجّر . وهو أبلغ من قولك وفجّرنا عيون الأرض .

(٩) أى مياه السماء والأرض . وقرئ (الماءان) أى النوعان من الماء السماوىّ والأرضىّ .

(١٠) على حال قدرها الله كيف شاء . أو (على أمر قد قدر) فى اللوح المحفوظ أنّه يكون . وهو هلاك قوم نوح بالطوفان .

وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ (١) تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا (٢) جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (٣) وَلَقَد تَّرَكْنَـٰهَآ ءَايَةً (٤) فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٧)

(١) أراد السفينة . وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدّى مؤدّاها بحيث لا يفصل بينها و بينها . ونحوه "ولكنّ قميصى مسرودة من حديد" أراد ولكن قميصى درع . ألا ترى أنّك لو جمعت بين السفينة و بين هـذه الصفة لم يصحّ . وهذا من فصيح الكلام و بديعه . والدسر جمع دسار وهو المسمار . فعال من دسره إذا دفعه لأنّه يدسر به منفذه .

(٢) بمرأى منّا أو بحفظنا . أو (بأعيننا) حال من الضمير فى (تجرى) أى محفوظة بنا .

(٣) (جزاء) مفعول له لمـا قدّم من فتح أبواب السماء وما بعده . أى فعلنا ذلك (جزاء لمن كان كفر)وهو نوح عليه السلام . وجعله مكفورا لأنّ النبىّ نعمة من الله ورحمة. قال الله تعالى (وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين) فكان نوح نعمة مكفورة .

(٤) أى السفينة أو الفعلة . أى جعلناها (آية) يعتبر بهـا . وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة . وقيل على الجودىّ دهرا طويلا حتّى نظر إليها أوائل هذه الأمّة .

(٥) متّعظ يتّعظ و يعتبر . وأصله مذتكر بالذال والتاء . ولكن التاء أبدلت منها الدال . والدال والذال من موضع. فأدغمت الذال فى الدال .

(٦) جمع نذير وهو الإنذار . (ونذرى) يعقوب فيهما . وافقه سهل فى الوصل. غيرهما بغير ياء. وعلى هذا الاختلاف ما بعده إلى آخر السورة .

(٧) سهّلناه للادّكار والاتّعاظ بأن شحنّاه بالمواعظ الشافية وصرّفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من مدّكر) متّعظ يتّعظ؟ وقيل ولقد سهّلناه للحفظ وأعنّا عليه من أراد حفظه. فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ؟ ويروى أنّ كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل والزبور لا يتلوها أهلها إلّا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن .

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١) ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (٢) ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٣) ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ (٤) ﴿٢٦﴾

---

(١) أى وإنذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله . أو وإنذاراتى فى تعذيبهم لمن بعدهم .

(٢) (إنّا أرسلنا عليهم ريحا) باردة أو شديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) دائم الشرّ . فقد استمرّ عليهم حتّى أهلكهم . وكان فى أربعاء فى آخر الشهر .

(٣) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفّون آخذا بعضهم بأيدى بعض ويتداخلون فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسّون فيها فتنزعهم وتكبّهم وتدقّ رقابهم (كأنّهم) حال (أعجاز نخل منقعر) أصول نخل منقلع عن مغارسه . وشبّهوا بأعجاز النخل لأنّ الريح كانت تقطع رءوسهم فتبقى أجسادا بلا رءوس فيتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال (كأنّهم أعجاز نخل) وهى أصولها بلا فروع . وذكّر صفة (نخل) على اللفظ . ولو حملها على المعنى لأنّث كما قال (كأنّهم أعجاز نخل خاوية) .

(٤) انتصب (بشرا) بفعل يفسره (نتّبعه) تقديره أنتّبع بشرا منّا واحدا (إنّا اذاً لفى ضلال وسعر) كان يقول إن لم تتّبعونى كنتم فى ضلال عن الحقّ (وسعر) ونيران . جمع سعير . فعكسوا عليه فقالوا إن اتّبعناك كنّا إذا كما تقول . وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب، والسعر الجنون . وقولهم (أبشرا) إنكار لأن يتّبعوا مثلهم فى الجنسيّة وطلبوا أن يكون من الملائكة وقالوا (منّا) لأنّه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى . وقالوا (واحدا) إنكارا لأن تتبع الأمة رجلا واحدا . أو أرادوا (واحدا) من أفنائهم ليس من أشرفهم وأفضلهم . ويدلّ عليه قوله (أألقى

إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ (١) ۝ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ (٢) كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٣) ۝ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (٤) ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ (٥) ۝

الذكر عليه من بيننا) أى أأنزل عليه الوحى من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوّة (بل هو كذّاب أشر) بطر متكبّر حمله بطره وطلبه التعظّم علينا على ادّعاء ذلك . (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذّاب الأشر) أصالح أم من كذّبه؟ (ستعلمون) شامىّ وحمزة على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم . أو هو كلام الله على سبيل الالتفات .

(١) (إنّا) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء . وهو مفعول له أو حال. (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصّر ما هم صانعون (واصطبر) على أذاهم ولا تعجل حتّى يأتيك أمرى .

(٢) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم . وقال (بينهم) تغليبا للعقلاء .

(٣) محضور يحضر القوم الشرب يوما وتحضر الناقة يوما .

(٤) (فنادوا) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم غير مكترث له (فعقر) الناقة. أو فتعاطى الناقة فعقرها . أو فتعاطى السيف. وإنّما قال (فعقروا الناقة) فى آية أخرى لرضاهم به . أو لأنّه عقر بمعونتهم .

(٥) (إنّا أرسلنا عليهم) فى اليوم الرابع من عقرها (صيحة واحدة) صاح بهم جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) . والهشيم الشجر اليابس المتهشّم المتكسّر . و (المحتظر) الذى يعمل الحظيرة . وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطّؤه البهائم فيتحطّم ويتهشّم . وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أى الحظيرة .

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝[1] نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ۝[2] وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ۝[3] وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ[4] فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ[5] ۝

---

(١) يعنى (أرسلنا) على قوم لوط (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أى ترميهم (إلا آل لوط) ابنتيه ومن آمن معه (نجّيناهم بسحر) من الأسحار . ولذا صرفه . ويقال لقيته بسحر إذا لقيته فى سحر يومه . وقيل هما سحران . فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر . والآخر عند انصداعه .

(٢) (نعمة) مفعول له أى إنعاما (من عندنا كذلك نجزى من شكر) نعمة الله بإيمانه وطاعته .

(٣) (ولقد أنذرهم) لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فكذّبوا بالنذر متشاكّين .

(٤) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فطمسنا أعينهم) أعميناهم . وقيل مسحناها وجعلناها كسائر الوجه لايرى لها شقّ . روى أنهم لمّا عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلّهم يدخلوا (إنّا رسل ربّك لن يصلوا إليك) فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون إلى الباب حتّى أخرجهم لوط .

(٥) (ف) قلت لهم على ألسنة الملائكة (ذوقوا عذابى ونذر ولقد صبحهم بكرة) أوّل النهار (عذاب مستقر) ثابت قد استقرّ عليهم إلى أن يفضى بهم إلى عذاب الآخرة .

وفائدة تكرير (فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر) أن يجدّدوا عند استماع كلّ نبأ من أنباء الأوّلين ادّكارا واتّعاظا وأن يستأنفوا تنبّها واستيقاظا إذا سمعوا

وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ(١) ۝ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ(٢) ۝ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَـٰٓئِكُمْ(٣) أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ(٤) ۝ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ(٥) ۝ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ(٦) ۝ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ(٧) وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ(٨) وَأَمَرُّ(٩) ۝

الحث على ذلك والبعث عليه . وهذا حكم التكرير فى قوله (فبأى آلآء ربكما تكذبان) عند كل نعمة عدها ، وقوله (ويل يومئذ للمكذبين) عند كل آية أوردها . وكذلك تكرير الأنباء والقصص فى أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان ، مذكورة غير منسية فى كل أوان .

(١) موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء . أو هو جمع نذير وهو الإنذار .

(٢) (كذبوا) بالآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شىء.

(٣) (أكفاركم) يأهل مكة (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون. أى أهم خير قوة وآلة ومكانة فى الدنيا ؟ أو أقل كفرا وعنادا ؟ يعنى أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم .

(٤) (أم) أنزلت عليكم يأهل مكة (براءة) فى الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة ؟

(٥) (نحن جميع) — جماعة أمرنا مجتمع — (منتصر) ممتنع لا نرام ولا نضام .

(٦) (سيهزم) جمع أهل مكة (ويولون الدبر) أى الأدبار كما قال * كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * أى ينصرفون منهزمين . يعنى يوم بدر . وهذه من علامات النبوة .

(٧) موعد عذابهم بعد بدر .

(٨) أشد من موقف بدر . والداهية الأمر المنكر الذى لا يهتدى لدوائه .

(٩) (وأمر) مذاقا من عذاب الدنيا وأشد . من المرة .

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ(١) ۝ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ(٢) ۝ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ(٣) ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ(٤) ۝

(١) (إنّ المجرمين فى ضلال) عن الحقّ فى الدنيا (وسعر) ونيران فى الآخرة. أو فى هلاك ونيران (يوم يسحبون فى النار) يجرّون فيها (على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مسّ سقر) كقولك وجد مسّ الحمّى وذاق طعم الضرب . لأنّ النار إذا أصابتهم بحرّها فكأنّها تمسّهم مسّا بذلك ، و (سقر) غير منصرف للتأنيث والتعريف لأنّها علم لجهنّم من سقرته النار إذا لوّحته .

(٢) (كلّ) منصوب بفعل مضمر يفسّره الظاهر . وقرئ بالرفع شاذّا. والنصب أولى لأنه لو رفع لأمكن أن يكون (خلقناه) فى موضع الجرّ وصفا لشىء ويكون الخبر (بقدر) وتقديره (إنّا كلّ شىء) مخلوق لنا كائن (بقدر) . ويحتمل أن يكون (خلقناه) هو الخبر وتقديره (إنّا كلّ شىء) مخلوق لنا (بقدر) . فلمّا تردّد الأمر فى الرفع عدل إلى النصب. وتقديره إنّا خلقنا كلّ شىء بقدر . فيكون الخلق عامّا لكلّ شىء وهو المراد بالآية . ولا يجوز فى النصب أن يكون (خلقناه)صفة لشىء لأنّه تفسير الناصب والصفة لاتعمل فى الموصوف. والقدْر والقدَر التقدير . أى بتقدير سابق . أو خلقنا كلّ شىء مقدّرا محكما مرتّبا على حسب ما اقتضته الحكمة . أو مقدّرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه . قال أبو هريرة جاء مشركو قريش إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يخاصمونه فى القدر . فنزلت الآية . وكان عمر يحلف أنّها نزلت فى القدريّة .

(٣) (وما أمرنا) إلّا كلمة واحدة . أى (وما أمرنا) لشىء نريد تكوينه إلّا أن نقول له كن فيكون (كلمح بالبصر) على قدر مايلمح أحدكم ببصره . وقيل المراد بأمرنا القيامة كقوله (وما أمر الساعة إلّا كلمح البصر) .

(٤) (ولقد أهلكنا) أشباهكم فى الكفر من الأمم (فهل من مدّكر) متّعظ ؟

وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ[1] ۝ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ[2] ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ[3] ۝

(١) (فعلوه) أى أولئك الكفّار. أى (وكلّ شىء) مفعول لهم ثابت (فى الزبر) فى دواوين الحفظة: ففعلوه فى موضع جرّ نعت لشىء. و(فى الزبر) خبر لكلّ. (وكلّ صغير وكبير) من الأعمال ومن كلّ ما هو كائن (مستطر) مسطور فى اللوح.

(٢) وأنهار. اكتفى باسم الجنس. وقيل هو السعة والضياء. ومنه النهار.

(٣) فى مكان مرضىّ. (عند مليك) عنديّة منزلة وكرامة لامسافة ومماسّة، (مقتدر) قادر. وفائدة التنكير فيهما أن يعلم أن لا شىء إلّا وهو تحت ملكه وقدرته. وهو على كلّ شىء قدير.

سورة الرحمن جلّ وعلا مدنيّة

وهى ستّ وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ (١) ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٢) ۝ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝

(١) (خلق الإنسان) أى الجنس أو آدم أو محمدا عليهما السلام .

عدّد الله عزّ وجل آلاءه. فأراد أن يقدّم أوّل شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهى نعمة الدين. فقدّم من نعمة الدين ما هو سنام فى أعلى مراتبها وأقصى مراقيها. وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنّه أعظم وحى الله رتبة ، وأعلاه منزلة ، وأحسنه فى أبواب الدين أثرا . وهو سنام الكتب السماويّة ومصداقها ، والعيار عليها . وأخّر ذكر خلق الإنسان عن ذكره . ثمّ أتبعه إيّاه ليعلم أنّه إنّما خلقه للدين ، وليحيط علما بوحيه وكتبه . وقدّم ما خلق الإنسان من أجله عليه . ثمّ ذكر ما تميّز به من سائر الحيوان من البيان . وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا فى الضمير . و (الرحمن) مبتدأ . وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد . كما تقول زيد أغناك بعد فقر ، أعزّك بعد ذلّ ، كثّرك بعد قلّة ، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد . فما تنكر من إحسانه ؟

(٢) (بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوىّ يجريان فى بروجهما ومنازلهما . وفى ذلك منافع للناس . منها علم السنين والحساب . (والنجم) النبات الذى ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول (والشجر) الذى له ساق — وقيل النجم نجوم السماء — (يسجدان) ينقادان لله تعالى

وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا[(١)] وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ[(٢)] ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ[(٣)] ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ[(٤)] ﴿١٠﴾

فيما خلقا له تشبيها بالساجد من المكلّفين فى انقياده . واتّصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوىّ لما علم أنّ الحسبان حسبانه . والسجود له لا لغيره ، كأنّه قيل (الشمس والقمر) بحسبانه ، (والنجم والشجر يسجدان) له . ولم يذكر العاطف فى الجمل الأولى ثمّ جىء به بعد، لأنّ الأولى وردت على سبيل التعـديد تبكيتا لمن أنكر آلاءه كما يبكّت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه فى المثال المذكور . ثمّ ردّ الكلام الى منهاجه بعد التبكيت فى وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف . وبيان التناسب أنّ الشمس والقمر سماويّان، والنجم والشجر أرضيّان . فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل . وإنّ السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين . وإنّ جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله. فهو مناسب لسجود النجم والشجر .

(١) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ، ومصدر قضاياه ، ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه . ونبّه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه .

(٢) أى كلّ ما توزن به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقَرَسْطون ومكيال ومقياس . أى خلقه موضوعا على الأرض حيث علّق به أحكام عباده من التسوية والتعديل فى أخذهم وإعطائهم .

(٣) لـ(ألّا تطغوا) . أو هى (أن) المفسّرة . (وأقيموا الوزن بالقسط) وقوّموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه . أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ، وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان . وكرّر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحثّ عليه .

(٤) خفضها مدحوّة على المـاء (للأنام) للخلق ، وهو كلّ ما على ظهر الأرض من دابّة . وعن الحسن الإنس والجنّ . فهى كالمهاد لهم يتصرّفون فوقها .

فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ (١) ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ (٢) رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣) ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ (٤) ۝ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (٥) ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ (٦) ۝

(١) (فيها) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الأكمام) هى أوعية الثمر. الواحد كِمّ بكسر الكاف. أو كلّ ما يَكُم أى يغطّى من ليفه وسعفه وكُفُرّاه. وكلّه منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجمّاره وجذوعه (والحبّ ذو العصف) هو ورق الزرع أو التبن (والريحان) الرزق وهو اللبّ. أراد (فيها) ما يتلذّذ به من الفواكه، والجامع بين التلذّذ والتغذّى وهو ثمر النخل، وما يتغذّى به وهو الحبّ. (والريحانِ) بالجرّ حمزة وعلىّ أى (والحبّ ذو العصف) الذى هو علف الأنعام، (والريحانِ) الذى هو مطعم الأنام. والرفع على (و) ذو (الريحان) فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقيل معناه (و) فيها (الريحان) الذى يشمّ (والحبَّ ذا العصف والريحانَ) شامىّ أى وخلق الحبّ والريحان. أو وأخصّ الحبّ والريحان.

(٢) أى النعم مما عدد من أوّل السورة. جمع أَلَى و إلًى.

(٣) الخطاب للثقلين بدلالة الأنام عليهما.

(٤) (من) طين يابس له صلصلة (كالفخّار) أى الطين المطبوخ بالنار. وهو الخزف. ولا اختلاف فى هذا وفى قوله (من حمإ مسنون. من طين لازب. من تراب) لاتّفاقها معنى. لأنّه يفيد أنّه خلقه من تراب ثمّ جعله طينا ثمّ حمأ مسنونا ثمّ صلصالا.

(٥) (وخلق) أبا الجنّ — قيل هو إبليس — (من مارج) — هو اللهب الصافى الذى لا دخان فيه. وقيل المختلط بسواد النار. من مرج الشىء إذا اضطرب واختلط — (من نار) هو بيان لمارج كأنّه قيل من صاف (من نار) أو مختلط (من نار) أو أراد (من نار) مخصوصة كقوله (فأنذرتكم نارا تلظّى).

(٦) أراد مشرقى الشمس فى الصيف والشتاء ومغربيهما.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١) ﴿﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ (٢) لَّا يَبْغِيَانِ (٣) ﴿﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿﴾ يَخْرُجُ (٤) مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ (٥) ﴿﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ (٦) ٱلْمُنشَـَٔاتُ (٧) فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ (٨) ﴿﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٩) ﴿﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿﴾

---

(١) أى أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين المائين فى مرأى العين .

(٢) حاجز من قدرة الله تعالى .

(٣) لا يتجاوزان حدّيهما ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة .

(٤) (يُخرَج) مدنىّ و بصرىّ .

(٥) (اللولؤ) بلا همز، أبو بكر ويزيد . وهو كبار الدرّ (والمرجان) صغاره . وإنّما قال منهما وهما يخرجان من الملح، لأنّهما لمّا التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما ، كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ، ولكن من بعضه . وتقول خرجت من البلد ، وإنّما خرجت من محلّة من محالّه . وقيل لا يخرجان إلّا من ملتقى الملح والعذب.

(٦) ولله (الجوار) السفن . جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء . والاختيار وصلها و إن وقف عليها واقف بغير ياء فذا جائز على بعد. ولكن يروم الكسر فى الراء ليدلّ على حذف الياء

(٧) المرفوعات الشُرُع . (المنشِئات) بكسر الشين ، حمزة ويحيى ، الرافعات الشُرُع . أو اللاتى ينشئن الأمواج بجريهن .

(٨) جمع علم . وهو الجبل الطويل .

(٩) (كلّ من) على الأرض (فان ويبقى وجه ربّك) ذاته (ذو الجلال) ذو العظمة والسلطان ـــ وهو صفة الوجه ـــ (والإكرام) بالتجاوز والإحسان . وهذه الصفة من عظيم صفات الله . وفى الحديث " أَلِظّوا بياذا الجلال والإكرام " وروى أنّه عليه السلام مرّ برجل وهو يصلّى ويقول ياذا الجلال والإكرام فقال " قد استجيب لك " .

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١) يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ (٢) كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ (٣)

(١) النعمة فى الفناء باعتبار أنّ المؤمنين به يصلون إلى النعيم السرمد. وقال يحيى بن معاذ "حبذا الموت فهو الذى يقرّب الحبيب إلى الحبيب".

(٢) وقف عليها نافع. كلّ من أهل السموات والأرض مفتقرون إليه فيسأله أهل السموات ما يتعلّق بدينهم، وأهل الأرض ما يتعلق بدينهم ودنياهم.

(٣) (كلّ) ينتصب ظرفا بما دلّ عليه (هو فى شأن) أى كلّ وقت وحين يحدث أمورا ويجدّد أحوالا. كما روى أنّه عليه السلام تلاها فقيل له وما ذلك الشأن؟ فقال "من شأنه أن يغفر ذنبا، ويفرّج كربا، ويرفع قوما، ويضع آخرين". وعن ابن عيينة "الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم الذى هو مدّة الدنيا. فشأنه فيه الأمر والنهى، والإحياء والاماتة، والإعطاء والمنع. والآخر يوم القيامة. فشأنه فيه الجزاء والحساب". وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا إنّ الله لا يقضى يوم السبت شأنا. وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستمهله إلى الغد. وذهب كئيبا يفكّر فيها. فقال غلام له أسود: يا مولاى أخبرنى ما أصابك لعلّ الله يسهل لك على يدى. فأخبره. فقال أنا أفسّرها للملك. فأعلمه. فقال "أيها الملك شأن الله أنّه يولج الليل فى النهار، ويولج النهار فى الليل، ويخرج الحىّ من الميّت، ويخرج الميّت من الحىّ، ويشفى سقيما، ويسقم سليما، ويبتلى معافى، ويعافى مبتلى، ويعزّ ذليلا، ويذلّ عزيزا، ويفقر غنيا، ويغنى فقيرا". فقال الأمير "أحسنت" وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة. فقال "يامولاى هذا من شأن الله". وقيل سوق المقادير إلى المواقيت. وقيل إنّ عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له "أشكلت علىّ ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى: قوله (فأصبح من النادمين) وقد صحّ أنّ الندم توبة، وقوله (كلّ يوم هو فى شأن) وقد صحّ أنّ القلم جفّ بما هو كائن إلى يوم القيامة، وقوله (وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى) فما بال الأضعاف؟" فقال الحسين يجوز ألّا يكون الندم توبة فى تلك الأمّة. وقيل إنّ ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله. وكذا قيل (وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى) مخصوص بقوم إبراهيم وموسى عليهما السلام. وأما قوله (كلّ يوم هو فى شأن) فإنّها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها. فقام عبد الله وقبّل رأسه وسوّغ خراجه.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ سَنَفْرُغُ لَكُمْ[(١)] أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ[(٢)] ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ[(٣)] إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ[(٤)] ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ[(٥)] ۞

(١) مستعار من قول الرجل لمن يتهدّده سأفرغ لك يريد سأتجرد للإيقاع بك من كلّ ما يشغلني عنه . والمراد التوفر على النكاية فيه ، والانتقام منه . ويجوز أن يراد ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤون الخلق التى أرادها بقوله (كلّ يوم هو فى شأن) فلا يبقى إلّا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل . (سيفرغ) حمزة وعلىّ . أى الله تعالى .

(٢) الإنس والجنّ . سمّيا بذلك لأنّهما ثقلا الأرض .

(٣) هو كالترجمة لقوله (أيّها الثقلان) .

(٤) أى إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هربا من قضائى فاخرجوا . ثمّ قال (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (إلّا بسلطان) بقوّة وقهر وغلبة . وأنّى لكم ذلك ؟ وقيل دلّهم على العجز عن قوتهم للحساب غدا بالعجز عن نفوذ الأقطار اليوم. وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة حين تحدق بهـــم الملائكة . فإذا رآهم الجنّ والإنس هربوا فلا يأتون وجها إلّا وجدوا الملائكة احتاطت به .

(٥) (شواظ) بكسر الشين مكّى. وكلاهما اللهب الخالص. (ونحاس) أى دخان. (ونحاسٍ) مكّىّ وأبو عمرو . فالرفع عطف على (شواظ) . والجرّ على (نار) . والمعنى إذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما لهب خالص من النار ودخان يسوقكم إلى المحشر (فلا تنتصران) فلا تمتنعان منهما.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً
كَٱلدِّهَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن
ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ [1] ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُعْرَفُ
ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ [2] فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ [3] ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ۝ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ يَطُوفُونَ
بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ [4] ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [5] ۝

---

(١) (فإذا) انفكّ بعضها من بعض لقيام الساعة (فكانت وردة) فصارت كلون الورد الأحمر — وقيل أصل لون السماء الحمرة ولكن من بُعدها ترى زرقاء — (كالدهان) كدهن الزيت — كما قال (كالمهل) وهو دردىّ الزيت. وهو جمع دهن. وقيل (الدهان) الأديم الأحمر — فيوم تنشق السماء (لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جانّ) أى ولا جنّ. فوضع الجانّ الذى هو أبو الجنّ موضع الجنّ كما يقال هاشم ويراد ولده. والتقدير لا يسأل إنس ولا جانّ عن ذنبه. والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله (فوربّك لنسألنّهم أجمعين) وقوله (وقفوهم إنّهم مسؤلون) أنّ ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون فى موطن ولايسألون فى آخر. وقال قتادة قد كانت مسألة ثمّ ختم على أفواه القوم وتكلّمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. وقيل (لا يسأل عن ذنبه) ليعلم من جهته، ولكن يسأل للتوبيخ.

(٢) بسواد وجوههم وزرقة عيونهم.

(٣) أى يؤخذ تارة بالنواصى وتارة بالأقدام.

(٤) ماء حارّ قد انتهى حرّه. أى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم.

(٥) النعمة فى هذا نجاة الناجى منه بفضله ورحمته، وما فى الإنذار به من التنبيه.

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ[1] ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ[2] ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ[3] ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ[4] ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ[5] وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ[6] ۝

---

(١) (ولمن خاف مقام ربّه) فترك المعاصى أو فأدّى الفرائض (جنّتان) جنّة الإنس وجنّة الجنّ لأنّ الخطاب للثقلين وكأنّه قيل لكلّ خائفين منكما جنّتان جنّة للخائف الإنسىّ وجنّة للخائف الجنىّ . (مقام ربّه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة . وقيل هو مقحم كقوله "ونفيت عنه مقام الذئب" أى نفيت عنه الذئب .

(٢) أغصان . جمع فنن . وخصّ الأفنان لأنّها هى التى تورق وتثمر . فمنها تمتدّ الظلال ، ومنها تجتنى الثمار . أو ألوان . جمع فنّ . أى له فيها ما تشتهى الأنفس وتلذّ الأعين . قال :

ومن كلّ أفنان اللذاذة والصبا * لهوت به والعيش أخضر ناضر

(٣) فى الجنّتين (عينان تجريان) حيث شاءوا فى الأعالى والأسافل . وعن الحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل .

(٤) صنفان صنف معروف وصنف غريب .

(٥) (متّكئين) — نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لأنّ (من خاف) فى معنى الجمع — (على فرش) جمع فراش (بطائنها) — جمع بطانة — (من إستبرق) ديباج ثخين وهو معرّب . قيل ظهائرها من سندس وقيل لا يعلمها إلّا الله .

(٦) وثمرها قريب يناله القائم والقاعد والمتّكئ .

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ(١) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ(٢) ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ(٣) ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ(٤) ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُدْهَآمَّتَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ(٥) ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝

---

(١) فى الجنّتين — لاشتمالها على أماكن وقصور ومجالس . أو فى هذه الآلاء المعدودة من الجنّتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى — (قاصرات الطرف) نساءقصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ لاينظرن إلى غيرهم .

(٢) (لم يطمثهنّ) — بكسر الميم الدورىّ . وعلىّ بضمّ الميم . والطمث الجماع بالتدمية — (إنس قبلهم ولا جانّ) . وهذا دليل على أنّ الجنّ يطمثون كما يطمث الإنس .

(٣) (كأنّهنّ الياقوت) صفاء (والمرجان) بياضا . فهو أبيض من اللؤلؤ .

(٤) (هل جزاء الإحسان) فى العمل (إلّا الإحسان) فى الثواب . وقيل ما جزاء من قال لا إله إلّا الله إلّا الجنّة . وعن إبراهيم الخوّاص فيه : هل جزاء الإسلام، إلّا دار السلام .

(٥) (ومن) دون تينك الجنّتين الموعودتين للقرّبين ، (جنّتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (مدهامّتان) سوداوان من شدّة الخضرة . قال الخليل الدهمة السواد . (فيهما عينان

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٍ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٍ (١) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ (٢)

نضّاختان) فوّارتان بالمـاء لاتنقطعان . (فيهما فاكهة) ألوان الفواكه (ونخل ورمّان) . والرمّان والتمر ليسا من الفواكه عندأبى حنيفة رضى الله تعالى عنه للعطف، ولأنّ التمر فاكهة وغذاء ، والرمّان فاكهة ودواء . فلم يخلصا للتفكّه . وهما قالا إنّما عطفا على الفاكهة لفضلهما كأنّهما جنسان آخران لمـا لهما من المزيّة كقوله(وجبريل وميكال) . (فيهنّ خيرات حسان) أى خيّرات خففت . وقرئ (خيّرات) على الأصل . والمعنى فاضلات الأخلاق حسان الخَلْق (حور مقصورات فى الخيام) أى مخدّرات — يقال امرأة قصيرة ومقصورة أى مخـدّرة . قيل الخيام من الدرّ المجوّف — (لم يطمثهنّ إنس قبلهم) قبل أصحاب الجنّتين . ودلّ عليهم ذكر الجنّتين .

(١) (متّكئين)— نصب على الاختصاص —(على رفرف)— هو كلّ ثوب عريض . وقيل الوسائد — (خضر وعبقرىّ حسان) ديباج أو طنافس .

وإنّمـا تقاصرت صفات هاتين الجنّتين عن الأولين حتّى قيل (ومن دونهما)، لأنّ (مدهامّتان) دون (ذواتا أفنان) ، و (نضّاختان) دون (تجريان) ، و (فاكهة) دون (كلّ فاكهة) . وكذلك صفة الحور والمتّكأ .

(٢) (ذى) العظمة — (ذو الجلال) شامىّ صفة للاسم —(والإكرام) لأوليائه بالإنعام . روى جابر أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قرأ سورة الرحمن فقال : مالى أراكم سكوتا ؟ ! الجنّ كانوا أحسن منكم ردّا . ما أتيت على قول الله (فبأىّ آلاء ربّكما تكذّبان) إلّا قالوا"ولا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب . فلك الحمد،ولك الشكر". وكرّرت هذه الآية فى هذه السورة إحدى وثلاثين مرّة ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صـنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ، ثمّ سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنّم ، وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنّتين وأهلهما على عدد أبواب الجنّة ، وثمانية أخرى بعدها للجنّتين اللتين دونهما . فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنّة وأغلقت عنه أبواب جهنّم . نعوذ بالله منها . والله أعلم .

سورة الواقعة مدنيّة

وهى سبع وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣)
إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥)

(١) (إذا) قامت القيامة. وقيل وصفت بالوقوع لأنّها تقع لامحالة . فكأنّه قيل : إذا وقعت الواقعة التى لا بدّ من وقوعها . ووقوع الأمر نزوله . يقال وقع ما كنت أتوقّعه أى نزل ما كنت أترقّب نزوله . وانتصاب (إذا) باضمار اذكر .

(٢) نفس(كاذبة) . أى لاتكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب فى تكذيب الغيب لأنّ كلّ نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدّقة . وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذّبات . واللام مثلها فى قوله تعالى (ياليتنى قدّمت لحياتى) .

(٣) أى هى (خافضة رافعة) ترفع أقواما وتضع آخرين .

(٤) حرّكت تحريكا شديدا حتّى ينهدم كلّ شىء فوقها من جبل وبناء . وهو بدل من (إذا وقعت) . ويجوز أن ينتصب بـ(خافضة رافعة) . أى تخفض وترفع وقت رجّ الارض وبسّ الجبال .

(٥) وفتّت حتّى تعود كالسويق . أو سيقت من بسّ الغنم إذا ساقها كقوله (وسيّرت الجبال) .

فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝

(١) (فكانت) غبارا متفرقا (وكنتم أزواجا) أصنافا — يقال للأصناف التى بعضها من بعض أو يذكر بعضها مع بعض، أزواج — (ثلاثة) صنفان فى الجنّة وصنف فى النار. ثمّ فسّر الأزواج فقال (فأصحاب الميمنة) — مبتدأ. وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم — (ما أصحاب الميمنة) مبتدأ وخبر. وهما خبر المبتدأ الأوّل. وهو تعجيب من حالهم فى السعادة، وتعظيم لشأنهم. كأنّه قال ماهم وأىّ شيء هم؟ (وأصحاب المشأمة) أى الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم. أو أصحاب المنزلة السنيّة وأصحاب المنزلة الدنيّة الخسيسة. من قولك فلان منّى باليمين وفلان منّى بالشمال إذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة. وذلك لتيمّنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل. وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال.

(٢) أى أىّ شيء هم؟ وهو تعجيب من حالهم بالشقاء.

(٣) (والسابقون) — مبتدأ — (السابقون) خبره. تقديره (السابقون) إلى الخيرات (السابقون) إلى الجنّات. وقيل الثانى تأكيد للأوّل. والخبر (أولئك المقربون) والأوّل أوجه.

(٤) أى هم (فى جنّات النعيم).

(٥) أى هم (ثلّة). والثلّة الأمّة من الناس الكثيرة. والمعنى أنّ السابقين كثير (من الأوّلين) وهم الأمم من لدن آدم إلى نبينا محمد عليهما السلام (وقليل من الآخرين) وهم أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم. وقيل (من الأوّلين) من متقدّمى هذه الأمّة، و (من الآخرين) من متأخّريها. وعن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم "الثلّتان جميعا من أمّتى".

(٦) جمع سرير ككثيب وكثب.

(٧) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبّكة بالدرّ والياقوت.

مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ[1] ۝ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ[2] ۝ بِأَكْوَابٍ[3] وَأَبَارِيقَ[4] وَكَأْسٍ[5] مِّن مَّعِينٍ[6] ۝ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا[7] وَلَا يُنزِفُونَ[8] ۝ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ[9] ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ[10] ۝

(١) (متّكئين) حال من الضمير فى (على) وهو العامل فيها . أى استقرّوا عليها (متّكئين عليها متقابلين) ينظر بعضهم فى وجوه بعض ولا ينظر بعضهم فى أقفاء بعض . وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق وصفاء المودّة . و (متقابلين) حال أيضا .

(٢) يخدمهم (ولدان) غلمان — جمع وليد — (مخلّدون) مبقّون أبدا على شكل الولدان لا يتحوّلون عنه . وقيل مقرّطون . والخَلَدة القرط . قيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيّئات فيعاقبوا عليها. وفى الحديث أولاد الكفّار خدّام أهل الجنّة.

(٣) جمع كوب . وهى آنية لا عروة لها ولا خرطوم .

(٤) جمع إبريق . وهو ما له خرطوم وعروة .

(٥) وقدح فيه شراب . وإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس .

(٦) من خمر تجرى من العيون .

(٧) أى بسببها . وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها . أو لا يفرّقون عنها .

(٨) (ولا يُنزَفون) ولا يسكرون . نُزِفَ الرجل ذهب عقله بالسكر . (ولا ينزِفون) بكسر الزاى كوفى أى لا ينفد شرابهم . يقال أنزف القوم إذا فنى شرابهم .

(٩) يأخذون خيره وأفضله .

(١٠) يتمنّون .

وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ[1] ۝ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ[2] ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا[3] ۝ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ[4] ۝ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ[5] ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ[6] ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ[7] ۝

---

(١) (وحور) جمع حوراء (عين) جمع عيناء. أى (و) فيها (حور عين) أو (و) لهم (حور عين). ويجوز أن يكون عطفا على (ولدان). (وحورٍ) يزيد وحمزة وعلىّ عطفا على (جنّات النعيم) كأنّه قال هم فى جنّات النعيم...وفاكهة... ولحم... وحور (كأمثال اللؤلؤ) فى الصفاء والنقاء (المكنون) المصون وقال الزجاج كأمثال الدرّ حين يخرج من صدفه لم يغيّره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال .

(٢) (جزاء) مفعول له. أى يفعل بهم ذلك كلّه لجزاء أعمالهم. أو مصدر. أى يجزون (جزاء) .

(٣) (لايسمعون) فى الجنّة (لغوا) باطلا (ولا تأثيما) هذيانا (إلّا قيلا سلاما سلاما) إلّا قولا ذا سلامة. والاستثناء منقطع. و (سلاما) بدل من (قيلا) أو مفعول به لقيلا. أى (لا يسمعون فيها) إلّا أن يقولوا (سلاما سلاما). والمعنى أنّهم يفشون السلام بينهم فيسلّمون سلاما بعد سلام .

(٤) السدر شجر النبق. والمخضود الذى لا شوك له كأنّما خضد شوكه .

(٥) الطلح شجر الموز. والمنضود الذى نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق بارزة .

(٦) ممتدّ منبسط كظلّ ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس .

(٧) جار بلا حدّ ولا خدّ أى يجرى على الأرض فى غير أخدود .

وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ (١) ۝ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ۝ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ (٢) ۝ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا (٣) ۝ عُرُبًا (٤) أَتۡرَابٗا (٥) ۝ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ (٦) ۝ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ (٧) ۝

(١) أى كثيرة الأجناس (لا مقطوعة) لا تنقطع فى بعض الأوقات كفوا كه الدنيا بل هى دائمة. (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها بوجه. وقيل (لا مقطوعة) بالأزمان، (ولا ممنوعة) بالأثمـان .

(٢) (وفرش) رفيعة القدر. أونضدت حتّى ارتفعت. أو (مرفوعة) على الأسرّة. وقيل هى النساء. لأن المرأة يكنى عنها بالفراش. (مرفوعة) على الأرائك. قال الله تعالى (هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متّكؤن). ويدلّ عليه قوله (إنّا أنشأناهنّ إنشاء) ابتدأنا خلقهنّ ابتداء من غير ولادة . فإمّا أن يراد اللاتى ابتدئ إنشاؤهنّ أو اللاتى أعيد إنشاؤهنّ . وعلى غير هذا التأويل أضمر لهنّ لأنّ ذكر الفرش وهى المضاجع دلّ عليهنّ .

(٣) عذارى كلّما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ أبكارا .

(٤) (عرْبا) حمزة وخلف ويحيى وحماد. جمع عروب وهى المتحبّبة إلى زوجها الحسنة التبعّل .

(٥) مستويات فى السنّ بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهنّ كذلك .

(٦) من صلة (أنشأنا) .

(٧) أى أصحاب اليمين (ثلّة من الأوّلين وثلّة من الآخرين). فإن قلت كيف قال قبل هـذا (وقليل من الآخرين) ثمّ قال هنا (وثلة من الآخرين) ؟ قلت ذاك فى السابقين . وهذا فى أصحاب اليمين وأنّهـم يتكاثرون من الأوّلين والآخرين جميعا . وعن الحسن سابقو الأمم أ كثر من سابقى أمّتنا وتابعو الأمم مثل تابعى هذه الأمّة .

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ (١) ۝ فِى سَمُومٍ (٢) وَحَمِيمٍ (٣) ۝ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤) ۝ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٥) ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ (٦) ۝ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٧) ۝ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ (٨) ۝

(١) الشمال والمشأمة واحدة .

(٢) فى حرّ نار ينفذ فى المسامّ .

(٣) وماء حارّ متناهى الحرارة .

(٤) من دخان أسود .

(٥) نفى لصفتى الظلّ عنه يريد أنّه ظلّ ولكن لا كسائر الظلال . سمّاه ظلاًّ ثمّ نفى عنه برد الظلّ وروحه ونفعه من يأوى إليه من أذى الحرّ — وذلك كرمه — ليمحق ما فى مدلول الظلّ من الاسترواح إليه . والمعنى أنّه ظل حارّ ضارّ .

(٦) (إنّهم كانوا) فى الدنيا (مترفين) منعّمين . فمنعهم ذلك من الانزجار، وشغلهم عن الاعتبار (وكانوا يصرّون) يداومون (على الحنث العظيم) أى على الذنب العظيم. أو على الشرك لأنّه نقض عهد الميثاق. والحنث نقض العهد المؤكّد باليمين. أو الكفر بالبعث. بدليل قوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) .

(٧) تقديره (أ) نبعث (إذا متنا) . وهو العامل فى الظرف. وجاز حذفه إذ (مبعوثون) يدلّ عليه . ولا يعمل فيه (مبعوثون) لأنّ (إنّ) والاستفهام يمنعان أن يعمل ما بعدهما فيما قبلهما .

(٨) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف . وحسن العطف على المضمر فى (لمبعوثون) من غير توكيد بنحن ، للفاصل الذى هو الهمزة، كما حسن فى قوله (ما أشركنا ولا آباؤنا) لفصل لا المؤكّدة للنفى. (أوْ آباؤنا) مدنىّ وشامىّ .

قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ[1] ﴿﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ[2] ﴿﴾ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ[3] ﴿﴾

---

(١) إلى ما وقّتت به الدنيا من يوم معلوم . والإضافة بمعنى من كخاتم فضّة . والميقات ما وقّت به الشيء أى حدّ . ومنه مواقيت الإحرام . وهى الحدود التى لا يجاوزها من يريد دخول مكّة إلّا محرما .

(٢) (ثمّ إنّكم أيّها الضالّون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث — وهم أهل مكّة ومن فى مثل حالهم — (لآكلون من شجر) — (من) لابتداء الغاية — (من زقّوم) —(من) لبيان الشجر — (فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم) — أنّث ضمير الشجر على المعنى، وذكّره على اللفظ فى (منها) و (عليه) — (فشاربون شرب) — بضمّ الشين مدنىّ وعاصم وحمزة وسهل . وبفتح الشين غيرهم . وهما مصدران — (الهيم) هى إبل عطاش لا تروَى . جمع أهيم وهيماء . والمعنى أنّه يسلّط عليهم من الجوع ما يضطرّهم إلى أكل الزقّوم الذى هو كالمهل . فإذا ملئوا منه البطون سلّط عليهم من العطش ما يضطرّهم إلى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم . وإنّما صحّ عطف الشاربين على الشاربين — وهما لذوات متّفقة وصفتان متّفقتان — لأنّ كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهى الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب، وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا . فكانتا صفتين مختلفتين .

(٣) (هذا نزلهم) — هو الرزق الذى يعدّ للنازل تكرمة له — (يوم الدين) يوم الجزاء .

نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (١) ۝ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٢) ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ (٣) أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ (٤) ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ (٥) ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦) ۝ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٧) ۝

---

(١) فهلّا (تصدّقون) تحضيض على التصديق إمّا بالخلق — لأنّهم و إن كانوا مصدّقين به إلّا أنّه لمـّا كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنّهـم مكذّبون به — و إمّا بالبعث . لأنّ من خلق أوّلا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيـا .

(٢) ما تمنونه أى تقذفونه فى الأرحام من النطف .

(٣) تقدّرونه وتصوّرونه وتجعلونه بشرا سويّا .

(٤) (نحن قدّرنا بينكم الموت) تقـديرا وقسمناه عليكم قسـمة الأرزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا . فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسّط. (قدرنا) بالتخفيف مكّى. سبقته بالشيء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه. فمعنى قوله (وما نحن بمسبوقين على أن نبدّل أمثالكم) أنّا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه — و (أمثالكم) جمع مِثْل. أى (على أن نبدّل) منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق — (وننشئكم فيما لا تعلمون) — (و) على أن (ننشئكم فى) خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها . يعنى أنّا نقدر على الأمرين جميعا على خلق ما يمـاثلكم وما لا يمـاثلكم . فكيف نعجز عن إعادتكم ؟ ويجوز أن يكون (أمثالكم) جمع مَثَل . أى (على أن نبدّل) ونغيّر صفاتكم التى أنتم عليها فى خلقكم وأخلاقكم وننشئكم فى صفات لاتعلمونها.

(٥) (النشاءة) مكّى وأبو عمرو .

(٦) (فلولا تذكّرون) أنّ من قدر على شئ مرّة لم يمتنع عليه ثانيـا . وفيه دليل صحّة القياس حيث جهّلهم فى ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى .

(٧) ما تحرثونه من الطعام أى تثيرون أرضه وتلقون فيها بذره .

ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ (1) ۝ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا (2)
فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (3) ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (4) ۝
أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ (5) ۝ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (6) ۝

(1) (أأنتم) تنبتونه وتردّونه نباتا (أم نحن) المنبتون. وفى الحديث "لا يقولنّ أحدكم زرعت. وليقل حرثت".

(2) هشيما متكسّرا قبل إدراكه.

(3) تعجبون أو تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصى التى أصبتم بذلك من أجلها.

(4) أى تقولون (إنّا) — (أئنا) أبو بكر — (لمغرمون) لملزمون غرامة ما أنفقنا. أو مهلكون لهلاك رزقنا. من الغرام وهو الهلاك. (بل نحن) قوم (محرومون) محارَفون محدودون لا مجدودون لا حظّ لنا ولا بخت لنا. ولو كنّا مجدودين لما جرى علينا هذا.

(5) أى (أفرأيتم الماء) العذب الصالح للشرب (أأنتم أنزلتموه من المزن) — السحاب الأبيض وهو أعذب ماء — (أم نحن المنزلون) بقدرتنا؟

(6) (لو نشاء جعلناه) ملحا أو مرّا لا يقدر على شربه. فهلّا (تشكرون). ودخلت اللام على جواب (لو) فى قوله (لجعلناه حطاما) ونزعت منه هنا لأنّ (لو) لمّا كانت داخلة على جملتين معلّقة ثانيتهما بالأولى تعلّق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها وإنّما سرى فيها معنى الشرط اتّفاقا من حيث إفادتها فى مضمونى جملتيها أنّ الثانى امتنع لامتناع الأوّل، افتقرت فى جوابها إلى ما ينصب علما على هذا التعلّق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك. ولمّا شهر موقعه لم يبال بإسقاطه عن اللفظ لعلم كلّ أحد به وتساوى حالى حذفه وإثباته. على أنّ تقدّم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية.

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ (١) ۝ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (٢) ۝ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٣) ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝

ولأنّ هذه اللام تفيد معنى التأكيد لا محالة، فأدخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أنّ أمر المطعوم مقدّم على أمر المشروب ، وأنّ الوعيد بفقده أشدّ وأصعب من قِبَل أنّ المشروب إنّما يحتاج إليه تبعا للطعوم . ولهذا قدّمت آية المطعوم على آية المشروب .

(١) (أفرأيتم النار التى) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد — والعرب تقدح بعودين تحكّ أحدهما على الآخر ويسمّون الأعلى الزند والأسفل الزندة شبّهوهما بالفحل والطروقة — (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد (أم نحن) الخالقون لها ابتداء . (نحن جعلناها) أى النار (تذكرة) تذكيرا لنار جهنّم حيث علّقنا بها أسباب المعاش وعمّمنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به (ومتاعا) ومنفعة (للقوين) للسافرين النازلين فى القَواء وهى القفر . أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام . من قولهم أقوت الدار إذا خلت من ساكنيها .

بدأ بذكر خلق الإنسان فقال (أفرأيتم ما تمنون) لأنّ النعمة فيه سابقة على جميع النعم . ثمّ بما به قوامه وهو الحبّ فقال (أفرأيتم ما تحرثون) ثمّ بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء . ثمّ بما يخبز به وهو النار . لحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد ما دام حيّا .

(٢) فنزّه ربّك عمّا لا يليق به أيّها المستمع المستدلّ . أو أراد بالاسم الذكر . أى (فسبّح) بذكر (ربّك العظيم) صفة للضاف أو للضاف إليه . وقيل قل سبحان ربّى العظيم . وجاء مرفوعا أنّه لمّا نزلت هذه الآية قال اجعلوها فى ركوعكم .

(٣) أى فأقسم — و (لا) مزيدة مؤكّدة مثلها فى قوله (لئلّا يعلم أهل الكتاب) . وقرئ (فلأُقسم) ومعناه فلأَنا أقسم . اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر

فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ(١) ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ(٢) إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ(٣) ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ(٤) ۝ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ(٥) ۝ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ(٦) ۝

وهى أنا أقسم ثمّ حذف المبتدأ. ولا يصحّ أن تكون اللام لام القسم لأنّ حقّها أن تقرن بها النون المؤكدة — (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغاربها. (بموقع) حمزة وعلىّ. ولعلّ لله تعالى فى آخر الليل إذا انحطّت النجوم إلى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة ، أو للملائكة عبادات موصوفة، أو لأنّه وقت قيام المتهجّدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم، فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم) وهو اعتراض فى اعتراض . لأنه اعترض به بين القسم والمقسم عليه . وهو قوله (إنّه لقرآن كريم) — حسن مرضىّ ، أو نفّاع جمّ المنافع. أو (كريم) على الله — واعترض بـ (لو تعلمون) بين الموصوف وصفته .

(١) أى اللوح المحفوظ .

(٢) مصون عن أن يأتيه الباطل. أو من غير المقرّبين من الملائكة لا يطّلع عليه من سواهم.

(٣) (لا يمسّه إلّا المطهّرون) من جميع الأدناس أدناس الذنوب وغيرها إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح. وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغى أن يمسّه إلّا من هو على الطهارة من الناس . والمراد مسّ المكتوب منه .

(٤) (تنزيل) صفة رابعة للقرآن. أى منزل (من ربّ العالمين) . أو وصف بالمصدر. لأنّه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنّه فى نفسه تنزيل . ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه . فقيل جاء فى التنزيل كذا، ونطق به التنزيل . أو هو (تنزيل) على حذف المبتدأ .

(٥) أى (أفبهذا) القرآن (أنتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن فى بعض الأمر أى يلين جانبه ولا يتصلّب فيه تهاونا به .

(٦) أى تجعلون شكر رزقكم التكذيب. أى وضعتم التكذيب موضع الشكر. وفى قراءة علىّ رضى الله عنه وهى قراءة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (وتجعلون شكركم أنّكم تكذّبون) أى (تجعلون شكركم) لنعمة القرآن (أنّكم تكذّبون) به. وقيل نزلت فى الأنواء ونسبتهم السقيا

فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾(١) فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾(٢) وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾(٣)

إليها . والرزق المطر . أى (وتجعلون) شكر ما يرزقكم الله من الغيث (أنكم تكذّبون) بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم .

(١) (فلولا إذا بلغت) النفس أى الروح عند الموت (الحلقوم) ممرّ الطعام والشراب (وأنتم حينئذ تنظرون) الخطاب لمن حضر الميّت تلك الساعة (ونحن أقرب إليه) إلى المحتضر (منكم ولكن لا تبصرون) لا تعقلون ولا تعلمون (فلولا إن كنتم غير مدينين) مربوبين — من دان السلطان الرعيّة إذا ساسهم — (ترجعونها) تردّون النفس وهى الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (إن كنتم صادقين) أنّكم غير مربوبين مقهورين . (فلولا) فى الآيتين للتحضيض يستدعى فعلا وذا قوله (ترجعونها) واكتفى بذكره مرّة . وترتيب الآية (فلولا) ترجعونها (إذا بلغت الحلقوم) إن كنتم غير مدينين . و (فلولا) الثانية مكرّرة للتأكيد. (ونحن أقرب إليه منكم) يأهل الميّت بقدرتنا وعلمنا ، أو بملائكة الموت . والمعنى أنّكم فى جحودكم آيات الله فى كلّ شىء : إن أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء ، وإن أرسل إليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذّاب ، وإن رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدّى إلى الإهمال والتعطيل . فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثمّة قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد ؟

(٢) (فأمّا إن كان) المتوفى (من المقرّبين) من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة فى أوّل السورة (فروح) فله استراحة (وريحان) ورزق (وجنة نعيم) .

(٣) أى (فسلام لك) ياصاحب ايمين (من) إخوانك (أصحاب اليمين) أى يسلّمون عليك كقوله (إلا قيلا سلاما سلاما) .

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ [(١)] ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ [(٢)] ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ [(٣)] ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

(١) هم الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم فى هذه السورة (ثمّ إنّكم أيّها الضالّون المكذّبون) .

(٢) أى إدخال فيها . وفى هذه الآيات إشارة إلى أنّ الكفر كلّه ملّة واحدة ، وأنّ أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لأنّهم غير مكذّبين .

(٣) (إنّ هذا) الذى أنزل فى هذه السورة (لهو حقّ اليقين) أى الحقّ الثابت من اليقين. روى أنّ عثمان بن عفـان رضى الله عنه دخل على ابن مسعود رضى الله عنه فى مرض موته فقال له : ما تشتكى ؟ فقال : ذنوبى . فقال : ماتشتهى ؟ قال : رحمة ربّى . قال : أفلا ندعو الطبيب؟ قال : الطبيب أمرضنى. فقال : ألا نأمر بعطائك؟ قال : لاحاجة لى فيه. قال : ندفعه إلى بناتك. قال : لا حاجة لهنّ فيه. قد أمرتهنّ أن يقرأن سورة الواقعة . فإنّى سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: "من قرأ سورة الواقعة فى كلّ ليلة لم تصبه فاقة أبدا" . وليس فى هذه السور الثلاث ذكر الله (اقتربت ، الرحمن ، الواقعة) . والله أعلم .

سورة الحديد مكّيّة

وهى تسع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ (١) لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ (٢) وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) ۝ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ (٤) وَيُمِيتُ

(١) جاء فى بعض الفواتح (سبّح) بلفظ الماضى، و فى بعضها بلفظ المضارع، وفى بنى إسرائيل بلفظ المصدر، وفى الأعلى بلفظ الأمر، استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها. وهى أربع المصدر والماضى والمضارع والأمر. وهذا الفعل قد عدّى باللام تارة، و بنفسه أخرى فى قوله (وتسبّحوه). وأصله التعدّى بنفسه لأنّ معنى سبّحته بعّدته من السوء ، منقول من سبّح إذا ذهب و بعد. فاللام إمّا أن تكون مثل اللام فى نصحته ونصحت له ، و إمّا أن يراد بـ (سبّح لله) اكتسب التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصا .

(٢) ما يتأتّى منه التسبيح و يصحّ .

(٣) (وهو العزيز) المنتقم من مكلّف لم يتسبّح له عنادا ، (الحكيم) فى مجازاة من سبّح له انقيادا .

(٤) (له ملك السموات والأرض) لا لغيره . وموضع (يحيى) رفع. أى هو (يحيى) الموتى (و يميت) الأحياء . أو نصب أى (له ملك السموات والأرض) محيا ومميتا .

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ[1] وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ[2] ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[3] ۝

(١) هو القديم الذى كان قبل كلّ شىء (والآخر) الذى يبقى بعد هلاك كلّ شىء (والظاهر) بالأدلّة الدالّة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواسّ وإن كان مرئيّا. والواو الأولى معناها الدلالة على أنّه الجامع بين الصفتين الأوّليّة والآخريّة، والثالثة على أنّه الجامع بين الظهور والخفاء، وأمّا الوسطى فعلى أنّه الجامع بين مجموع الصفتين الأولين ومجموع الصفتين الأخريين. فهو مستمر الوجود فى جميع الأوقات الماضية والآتية. وهو فى جميعها ظاهر وباطن. وقيل (الظاهر) العالى على كلّ شىء الغالب له — من ظهر عليه إذا علاه وغلبه — (والباطن) الذى بطن كلّ شىء أى علم باطنه.

(٢) عن الحسن "من أيّام الدنيا". ولو أراد أن يجعلها فى طرفة عين لفعل. ولكن جعل الستّة أصلا ليكون عليها المدار.

(٣) (ثمّ) استوى (على العرش يعلم ما يلج فى الأرض) ما يدخل فى الأرض من البذر والقطر والكنوز والموتى (وما يخرج منها) من النبات وغيره (وما ينزل من السماء) من الملائكة والأمطار (وما يعرج فيها) من الأعمال والدعوات (وهو معكم أينما كنتم) بالعلم والقدرة عموما وبالفضل والرحمة خصوصا (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على حسب أعمالكم.

لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ(١) وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟(٢) مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ(٣) فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟(٤) مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ(٥) إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

---

(١) يدخل الليل فى النهار بأن ينقص من الليل و يزيد فى النهار .

(٢) يحتمل الزكاة والإنفاق فى سبيل الله .

(٣) يعنى أنّ الأموال التى فى أيديكم إنّما هى أموال الله بخلقه و إنشائه لها . و إنما مولكم إيّاها للاستمتاع بها ، وجعلكم خلفاء فى التصرّف فيها . فليست هى بأموالكم فى الحقيقة ، وما أنتم فيها إلّا بمنزلة الوكلاء والنوّاب. فأنفقوا منها فى حقوق الله تعالى،وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل الإنفاق من مال غيره إذا أذن له فيه. أو (جعلكم مستخلفين) ممن كان قبلكم فيما فى أيديكم بتوريثه إيّاكم وسينقله منكم إلى من بعدكم. فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به .

(٤) (فالذين آمنوا) بالله ورسوله .

(٥) (لا تؤمنون بالله) حال من معنى الفعل فى (مالكم) كما تقول مالك قائمـا بمعنى ما تصنع قائمـا . أى (ومالكم) كافرين بالله . والواو فى (والرسول يدعوكم) واو الحال . فهما حالان متداخلتان . والمعنى وأىّ عذر لكم فى ترك الايمان (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربّكم وقد أخذ ميثاقكم) (و) قبل ذلك (قد أخذ) الله (ميثاقكم)بقوله (ألست بربّكم) أو بما ركّب فيكم من العقول ، ومكّنكم من النظر فى الأدلّة . فاذا لم تبق لكم علّة بعـد أدلّة العقول وتنبيه الرسول ، فما لكم لا تؤمنون (إن كنتم مؤمنين) لموجب ما ؟ فإن هذا الموجب لا مزيد عليه . (أُخذ ميثاقُكم) أبو عمرو .

هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١) ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ (٢) ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) ۝

---

(١) (هو الذى ينزّل على عبده) محمد صلّى الله عليه وسلّم (آيات بيّنات) يعنى القرآن (ليخرجكم) الله تعالى أو محمّد بدعوته (من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (وإنّ الله بكم لرءوف) بالمدّ والهمزة، حجازىّ وشامىّ وحفص. الرأفة أشدّ الرحمة .

(٢) (ومالكم) فى (ألّاتنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض) يرث كلّ شىء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره . يعنى وأىّ غرض لكم فى ترك الإنفاق فى سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم. وهو من أبلغ البعث على الإنفاق فى سبيل الله. ثمّ بيّن التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أى فتح مكّة قبل عزّ الإسلام وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجا، ومن أنفق من بعد الفتح. فحذف. لأنّ قوله (من الذين أنفقوا من بعد) يدلّ عليه. (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح — (و) هم (السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار) الذين قال فيهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم "لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه" — (أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلّا) أى كلّ واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنّة مع تفاوت الدرجات. (وكلّا) مفعول أوّل لوعد. و (الحسنى) مفعول ثان. (وكلّ) شامىّ أى (وكلّ وعد) ه (الله الحسنى): نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه لأنّه أوّل من أسلم وأوّل من أنفق فى سبيل الله. وفيه دليل على فضله وتقدّمه .

(٣) فيجازيكم على قدر أعمالكم .

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا(١) فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ(٢) وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ(٣) ﴿١١﴾ يَوْمَ(٤) تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ(٥) تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ(٦) يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا(٧) نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ(٨) قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا(٩)

(١) بطيب نفسه. والمراد الإنفاق فى سبيله. واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء

(٢) أى يعطيه أجره على إنفاقه أضعافا مضاعفة من فضله. (فيضعّفُه) مكىّ (فيضعّفَه) شامىّ (فيضاعفَه) عاصم وسهل (فيضاعفُهُ) غيرهم. فالنصب على جواب الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه، أو عطف على (يقرض).

(٣) أى وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف (كريم) فى نفسه.

(٤) ظرف لقوله (وله أجر كريم) أو منصوب بإضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم.

(٥) يمضى (نورهم) نور التوحيد والطاعات. وإنما قال (بين أيديهم وبأيمانهم) لأنّ السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أنّ الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور فى الجهتين شعارا لهم وآية لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا، وبصحائفهم البيض أفلحوا. فإذا ذهب بهم إلى الجنّة ومرّوا على الصراط يسعون، سعى بسعيهم ذلك النور، وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنّات) أى دخول جنّات لأنّ البشارة تقع بالأحداث دون الجثث.

(٦) هو بدل من (يوم ترى).

(٧) أى انتظرونا لأنّه يسرع بهم إلى الجنّة كالبروق الخاطفة. (أَنظِرونا) حمزة من النظرة. وهى الإمهال. جعل اتّئادهم فى المضىّ إلى أن يلحقوا بهم إنظارا لهم.

(٨) نصب منه. وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به.

(٩) طرد لهم وتهكّم بهم. أى تقول لهم الملائكة أو المؤمنون (ارجعوا) إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثمّ يقتبس. أو (ارجعوا) إلى الدنيا (فالتمسوا نورا) بتحصيل سببه وهو الإيمان.

فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾[1] يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ[2] ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ[3] ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ[4]

---

(١) (فضرب) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار — قيل هو الأعراف — (له) لذلك السور (باب) لأهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور أو الباب . وهو الشق الذى يلى الجنة (فيه الرحمة) أى النور أو الجنة (وظاهره) ما ظهر لأهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) أى الظلمة أو النار .

(٢) أى ينادى المنافقون المؤمنين (ألم نكن معكم) يريدون مرافقتهم فى الظاهر (قالوا) أى المؤمنون (بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) وشككتم فى التوحيد (وغرتكم الأمانى) طول الآمال، والطمع فى امتداد الأعمار (حتى جاء أمر الله) أى الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم ، أو بأنه لا بعث ولاحساب .

(٣) (لاتؤخذ) — بالتاء شامى — (منكم) أيها المنافقون (فدية) مايفتدى به (ولامن الذين كفروا. مأواكم النار) مرجعكم . (هى مولاكم) هى أولى بكم . وحقيقة (مولاكم) محراكم أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم أى مكان لقول القائل إنه لكريم . (وبئس المصير) النار .

(٤) من أنى الأمر يأنى إذا جاء إناه أى وقته . قيل كانوا مجدبين بمكة . فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة . ففتروا عما كانوا عليه . فنزلت . وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين . وعن أبى بكر رضى الله عنه إن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا . فنظر إليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب .

لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ[1] مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ[2] فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ[3] وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ[4] ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[5] ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ[6] وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا[7] يُضَٰعَفُ لَهُمْ[8] وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ[9] ﴿١٨﴾

---

(١) (نزل) بالتخفيف، نافع وحفص. الباقون (نزّل). و (ما) بمعنى الذى. والمراد بالذكر (وما نزل من الحقّ) القرآن . لأنّه جامع للأمرين للذكر والموعظة وأنّه حقّ نازل من السماء .

(٢) القراءة بالياء عطف على (تخشع). و بالتاء ورش على الالتفات . و يجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن وبّخوا . وذلك أنّ بنى إسرائيل كان الحق يحول بينهم و بين شهواتهم و إذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقّت قلوبهم . فلمّا طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة ، واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره .

(٣) (فطال عليهم) الأجل أو الزمان (فقست قلوبهم) باتّباع الشهوات .

(٤) خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين . أى وقليل منهم مؤمنون .

(٥) قيل هذا تمثيل لأثر الذكر فى القلوب وأنّه يحييها كما يحيى الغيث الأرض .

(٦) بتشديد الدال وحده ، مكّىّ وأبو بكر . وهو اسم فاعل من صدّق وهم الذين صدّقوا الله ورسوله . . يعنى المؤمنين . الباقون بتشديد الصاد والدال . وهو اسم فاعل من تصدّق فأدغمت التاء فى الصاد . وقرئ على الأصل .

(٧) هو عطف على معنى الفعل فى (المصّدّقين) لأن اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو اصّدّقوا. كأنّه قيل (إنّ) الذين اصّدّقوا (وأقرضوا). والقرض الحسن أن يتصدّق من الطّيب عن طيبة النفس وصحّة النيّة على المستحق للصدقة .

(٨) (يضعّف) مكّىّ وشامىّ .

(٩) أى الجنّة .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ[1] وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ[2] ۝ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

---

(١) يريد أنّ المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصدّيقين والشهداء — وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستُشهدوا فى سبيل الله — (لهم أجرهم ونورهم) أى مثل أجر الصدّيقين والشهداء ومثل نورهم . ويجوز أن يكون (والشهداء) مبتدأ و (لهم أجرهم) خبره .

(٢) (اعلموا أنّما الحياة الدنيا لعب) كلعب الصبيان ، (ولهو) كلهو الفتيان ، (وزينة) كزينة النسوان ، (وتفاخر بينكم) كتفاخر الأقران ، (وتكاثر) كتكاثر الدَّهقان (فى الأموال والأولاد) أى مباهاة بهما — والتكاثر ادّعاء الاستكثار — (كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرّا) بعد خضرته (ثمّ يكون حطاما) متفتّتا . شبه حال الدنيا وسرعة تقضّيها مع قلّة جدواها ، بنبات أنبته الغيث فاستوى وقوى وأعجب به الكفّار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات . فبعث عليه العاهة فهاج واصفرّ وصار حطاما ، عقوبة لهم على جحودهم ، كما فعل بأصحاب الجنّة وصاحب الجنّتين . وقيل الكفّار الزرّاع . (وفى الآخرة عذاب شديد) للكفّار (ومغفرة من الله ورضوان) للمؤمنين. يعنى أنّ الدنيا وما فيها ليست إلّا من محقّرات الأمور . وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر . وأما الآخرة فما هى إلّا أمور عظام. وهى العذاب الشديد، والمغفرة والرضوان من الله الحميد. والكاف فى (كمثل غيث) فى محلّ رفع على أنه خبر بعد خبر . أى الحياة الدنيا مثل غيث . (وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور) لمن ركن إليها واعتمد عليها . قال ذو النون : "يا معشر المريدين

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ[1] أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ[2] ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ[3] ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ[4] ﴿٢٣﴾

لا تطلبوا الدنيا . وإن طلبتموها فلا تحبّوها. فإنّ الزاد منها، والمقيل فى غيرها". ولمّا حقر الدنيا وصغّر أمرها وعظّم أمر الآخرة ، بعث عباده على المسارعة إلى نيل ما وعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد ، والفوز بدخول الجنّة ، بقوله (سابقوا) أى بالأعمال الصالحة (إلى مغفرة من ربّكم) . وقيل سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم فى المضمار .

(١) قال السدّى كعرض سبع السموات وسبع الأرضين . وذكر العرض دون الطول لأنّ كلّ ما له عرض وطول فإنّ عرضه أقلّ من طوله . فإذا وصف عرضه بالبسطة عرف أنّ طوله أبسط. أو أريد بالعرض البسطة. وهذا ينفى قول من يقول إنّ الجنة فى السماء الرابعة لأنّ التى فى إحدى السموات لا تكون فى عرض السموات والأرض .

(٢) وهذا دليل على أنّها مخلوقة .

(٣) (ذلك) الموعود من المغفرة والجنّة (فضل الله يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون . وفيه دليل على أنّه لا يدخل أحد الجنّة إلّا بفضل الله (والله ذو الفضل العظيم) .

(٤) بيّن أنّ كلّ كائن بقضاء الله وقدره بقوله (ما أصاب من مصيبة فى الأرض) من الجدب وآفات الزروع والثمار — وقوله (فى الأرض) فى موضع الجرّ أى (ما أصاب من مصيبة) ثابتة (فى الأرض) — (ولا فى أنفسكم) من الأمراض والأوصاب وموت الأولاد (إلّا فى كتاب) فى اللوح — وهو فى موضع الحال — أى إلّا مكتوبا فى اللوح (من قبل أن نبرأها) من قبل أن نخلق الأنفس (إنّ ذلك) إنّ تقدير ذلك وإثباته فى كتاب (على الله يسير) وإن كان

ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ[(١)] وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ[(٢)] وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ[(٣)] ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ[(٤)]

عسيرا على العباد. ثمّ علّل ذلك وبيّن الحكمة فيه بقوله (لكيلا تأسوا) تحزنوا حزنا يطغيكم (على مافاتكم) من الدنيا وسعتها. أومن العافية وصحّتها (ولاتفرحوا) فرح المختال الفخور (بما آتاكم) أعطاكم. من الإيتاء . أبو عمرو (أتاكم) أى جاءكم. من الإتيان. يعنى أنّكم إذا علمتم أنّ كلّ شيء مقدّر مكتوب عند الله قلّ أساكم على الفائت وفرحكم على الآتى . لأنّ من علم أنّ ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لأنّه وطّن نفسه على ذلك . وكذلك من علم أنّ بعض الخير واصل إليه وأنّ وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله . وليس أحد إلّا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرّة تنزل به . ولكن ينبغى أن يكون الفرح شكرا ، والحزن صبرا . وإنّما يذمّ من الحزن الجزع المنافى للصبر ، ومن الفرح الأشر المطغى الملهى عن الشكر . (والله لايحبّ كلّ مختال فخور) لأنّ من فرح بحظّ من الدنيا وعظم فى نفسه ، اختال وافتخر به وتكبّر على الناس .

(١) (الذين) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من (كلّ مختال فخور) . كأنّه قال (لايحبّ) الذين يبخلون . يريد الذين يفرحون الفرح المطغى إذا رزقوا مالا وحظّا من الدنيا فلحبّهم له وعزّته عندهم يزوونه عن حقوق الله و يبخلون به .

(٢) و يحضّون غيرهم على البخل و يرغّبونهم فى الإمساك .

(٣) (ومن) يعرض عن الإنفاق أو عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عمّا نهى عنه من الأسى على الفائت والفرح بالآتى (فإنّ الله هو الغنىّ) عن جميع المخلوقات — فكيف عنه ؟ — (الحميد) فى أفعاله . (فإنّ الله الغنىّ) بترك (هو) مدنىّ وشامىّ .

(٤) يعنى أرسلنا الملائكة إلى الأنبياء (بالبيّنات) بالحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أى الوحى. وقيل الرسل الأنبياء. والأوّل أولى، لقوله(معهم). لأنّ الأنبياء ينزل عليهم الكتاب،

وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ (١) فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ (٢) ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ (٣) فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (٤) ۝ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم (٥)

(١) روى أنّ جبريل نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال مر قومك يزنوا به (ليقوم الناس) ليتعاملوا بينهم إيفاء واستيفاء (بالقسط) بالعدل ولا يظلم أحد أحدا .

(٢) قيل نزل آدم من الجنّة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة .وروى ومعه المَرّ والمسحاة. وعن الحسن (وأنزلنا الحديد) خلقناه (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) فى مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم . فما من صناعة إلّا (و)الحديد آلة فيها أو مايعمل بالحديد (ليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة أعداء الدين. وقال الزجاج (ليعلم الله) من يقاتل مع رسوله فى سبيله (بالغيب) غائبا عنهم (إنّ الله قوىّ) يدفع بقوّته، بأس من يعرض عن ملّته (عزيز) يربط بعزّته جأش من يتعرّض لنصرته

والمناسبة بين هذه الأشياء الثلاثة أنّ الكتاب قانون الشريعة ودستور الأحكام الدينية، يبين سبل المراشد والعهود ، ويتضمن جوامع الأحكام والحدود ، ويأمر بالعدل والإحسان ، وينهى عن البغى والطغيان، واستعمال العدل والاجتناب عن الظلم إنّما يقع بآلة يقع بها التعامل، ويحصل بها التساوى والتعادل. وهى الميزان. ومن المعلوم أنّ الكتاب الجامع للأوامر الإلهيّة، والآلة الموضوعة للتعامل بالتسوية، إنّما تحض العامّة على اتّباعهما بالسيف، الذى هو حجة الله على من جحد وعند، ونزع عن صفقة الجماعة اليد. وهو الحديد، الذى وصف بالبأس الشديد.

(٣) خصا بالذكر لأنّهما أبوان للأنبياء عليهم السلام . (وجعلنا فى ذريّتهما) أولادهما (النبوّة والكتاب) الوحى. وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخطّ بالقلم. يقال كتب كتابا وكتابة.

(٤) فمن الذرّية أو المرسل إليهم — وقد دلّ عليهم ذكر الإرسال والمرسلين — (مهتد وكثير منهم فاسقون). هذا تفصيل لحالهم. أى (فمنهم) من اهتدى باتّباع الرسل و(منهم) من فسق أى خرج عن الطاعة . والغلبة للفساق .

(٥) أى نوح وإبراهيم ومن مضى من الأنبياء .

بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً(١) وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا(٢) فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ(٣) ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ(٤)

---

(١) (وجعلنا فى قلوب الذين اتّبعوه) مودّة ولينا (ورحمة) تعطّفا على إخوانهم كما قال فى صفة أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم (رحماء بينهم).

(٢) (ورهبانيّة) هى ترهبهم فى الجبال فارّين من الفتنة فى الدين مخلّصين أنفسهم للعبادة. وهى الفعلة المنسوبة إلى الرّهبان. وهو الخائف. فعلان من رهب، كخشيان من خشى. وانتصابها بفعل مضمر يفسّره الظاهر تقديره (و) ابتدعوا (رهبانية ابتدعوها) أى أخرجوها من عند أنفسهم ونذروها (ما كتبناها عليهم) لم نفرضها نحن عليهم (إلّا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع. أى ولكنّهم ابتدعوها (ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنّه عهد مع الله لا يحلّ نكثه.

(٣) أى أهل الرأفة والرحمة الذين اتّبعوا عيسى عليه السلام أو الذين آمنوا بمحمد صلّى الله عليه وسلّم (وكثير منهم فاسقون) الكافرون.

(٤) الخطاب لأهل الكتاب. (اتّقوا الله وآمنوا برسوله) محمّد صلّى الله عليه وسلّم (يؤتكم) الله (كفلين) نصيبين (من رحمته) لإيمانكم بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم وإيمانكم بمن قبله (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به) وهو النور المذكور فى قوله (يسعى نورهم) الآية (ويغفر لكم) ذنوبكم.

وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ (١) وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٢) ۝

---

(١) ليعلم (أهل الكتاب) الذين لم يسلموا — و (لا) مزيدة — (أن لا يقدرون). (أن) مخففة من الثقيلة أصله أنّه (لا يقدرون). يعنى أنّ الشأن (لا يقدرون على شىء من فضل الله) أى لا ينالون شيئا ممّا ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لأنّهم لم يؤمنوا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قطّ .

(٢) (وأنّ الفضل) — عطف على (أن لا يقدرون) — (بيد الله) أى فى ملكه وتصرّفه (يؤتيه من يشاء) من عباده (والله ذو الفضل العظيم) . والله أعلم .

سورة المجادلة مدنيّة

وهى اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ (١) فِي زَوْجِهَا (٢) وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ (٣) وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ (٤) إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (٥) ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ (٦) مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم (٧)

(١) تحاورك . وقرئ بها . وهى خولة بنت ثعلبة ، امرأة أوس بن الصامت ، أخى عبادة. رآها وهى تصلّى . وكانت حسنة الجسم . فلمّا سلّمت راودها ، فأبت فغضب ، فظاهر منها . فأتت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالت إنّ أوسا تزوّجنى وأنا شابّة مرغوب فىّ . فلما خلا سنّى ونَثَرتُ بطنى — أى كثر ولدى — جعلنى عليه كأمّه . وروى أنّها قالت إنّ لى صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إلىّ جاعوا . فقال صلّى الله عليه وسلّم ماعندى فى أمرك شىء . وروى أنّه قال لها حرمت عليه . فقالت يارسول الله ماذكر طلاقا . وإنّما هو أبو ولدى وأحبّ النـاس إلىّ . فقال حرمت عليه . فقالت أشكو إلى الله فاقتى ووجدى . كلّما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم "حرمت عليه" ، هتفت وشكت ، فنزلت .

(٢) فى شأنه ومعناه .

(٣) تظهر ما بها من المكروه .

(٤) مراجعتكما الكلام . من حار إذا رجع .

(٥) (إنّ الله سميع) يسمع شكوى المضطرّ (بصير) بحاله .

(٦) (يُظَاهِرون) عاصم (يظّهّرون) حجازىّ وبصرىّ . غيرهم (يَظّاهَرون). وفى (منكم) توبيخ للعرب لأنّه كان من أيمان أهل جاهليّتهم خاصّة دون سائر الأمم .

(٧) زوجاتهم .

مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ[1] إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ[2] ۝ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ[3] ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟[4] فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ[5] مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا[6]

(١) (أمّهاتُهم) المفضّل . الأوّل حجازيّ والثانى تميميّ .

(٢) يريد أنّ الأمّهات على الحقيقة الوالدات . والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع . وكذا أزواج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لزيادة حرمتهنّ . وأمّا الزوجات فأبعدشىء من الأمومة . فلذا قال (وإنّهم ليقولون منكرا من القول) تنكره الحقيقة والأحكام الشرعيّة (وزورا) وكذبا باطلا منحرفا عن الحقّ (وإنّ الله لعفوّ غفور) لما سلف منهم .

(٣) بيّن فى الآية الأولى أنّ ذلك من قائله منكر وزور . وبيّن فى الثانية حكم الظهار .

(٤) العود الصيرورة ابتداء أو بناء . فمن الأول قوله تعالى (حتّى عاد كالعرجون القديم) ومن الثانى (وإن عدتم عدنا) . ويعدّى بنفسه كقولك عدته إذا أتيته وصرت إليه ، وبحرف الجرّ بإلى وعلى وفى واللام كقوله (ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه) ومنه (ثمّ يعودون لما قالوا) أى (يعودون لـ) نقض (ما قالوا) أو لتداركه على حذف المضاف . وعن ثعلبة (يعودون) لتحليل ما حرّموا على حذف المضاف أيضا . غير أنّه أراد بما قالوا ما حرّموه على أنفسهم بلفظ الظهار ، تنزيلا للقول منزلة المقول فيه ، كقوله (ونرثه ما يقول) أراد المقول فيه وهو المال والولد . ثمّ اختلفوا أنّ النقض بما ذا يحصل؟ فعندنا بالعزم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة . وعند الشافعى بمجرد الإمساك . وهو ألّا يطلقها عقيب الظهار .

(٥) فعليه إعتاق رقبة مؤمنة أو كافرة . ولم يجز المدبّر وأمّ الولد والمكاتب الذى أدّى شيئا .

(٦) الضمير يرجع إلى مادلّ عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها . والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر إلى فرجها بشهوة .

ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ[(1)] وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا[(2)] ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ[(3)] وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ[(4)] ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ[(5)]

---

(1) (ذلكم) الحكم (توعظون به) لأنّ الحكم بالكفّارة دليل على ارتكاب الجناية . فيجب أن تتّعظوا بهذا الحكم حتّى لا تعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه .

والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علىّ كظهر أمّى . وإذا وضع موضع أنت عضوا منها يعبّر به عن الجملة ، أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر إليه من الأمّ كالبطن والفخذ ، أو مكان الأمّ ذات رحم محرم منه بنسب أو رضاع أو صهر أو جماع — نحو أن يقول أنت علىّ كظهر أختى من الرضاع أو عمّتى من النسب أو امرأة ابنى أو أبى أو أمّ امرأتى أو ابنتها — فهو مظاهر . وإذا امتنع المظاهر من الكفّارة ، للمرأة أن ترافعه . وعلى القاضى أن يجبره على أن يكفّر وأن يحبسه . ولا شىء من الكفّارات يجبر عليه ويحبس إلّا كفّارة الظهار . لأنّه يضرّ بها فى ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع . فإن مسّ قبل أن يكفر استغفر الله ولا يعود حتّى يكفّر . وإن أعتق بعض الرقبة ثمّ مسّ ، عليه أن يستأنف عند أبى حنيفة رضى الله عنه .

(2) (فمن لم يجد) الرقبة (ف) عليه (صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسّا فمن لم يستطع) الصيام (ف) عليه (إطعام ستّين مسكينا) لكلّ مسكين نصف صاع من برّ أو صاع من غيره . ويجب أن يقدّمه على المسيس . ولكن لا يستأنف إن جامع فى خلال الإطعام .

(3) (ذلك) البيان والتعليم للأحكام (لتؤمنوا) لتصدّقوا (بالله ورسوله) فى العمل بشرائعه التى شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه فى جاهليّتكم .

(4) (وتلك) الأحكام التى وصفنا فى الظهار والكفّارة (حدود الله) التى لا يجوز تعدّيها (وللكافرين) الذين لا يتّبعونها (عذاب أليم) مؤلم .

(5) (إنّ الذين) يعادون ويشاقّون (الله ورسوله كبتوا) أخزوا وأهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) من أعداء الرسل .

وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ (٢) أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ (٤) ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

(١) (وقد أنزلنا آيات) تدلّ على صدق الرسول وصحّة ما جاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزّهم وكبرهم .

(٢) (يوم) — منصوب بمهين ، أو باضمار اذكر ، تعظيما لليوم — (يبعثهم الله جميعا) كلّهم لا يترك منهم أحدا غير مبعوث أو مجتمعين فى حال واحدة (فينبئهم بما عملوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنّون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزى على رءوس الأشهاد .

(٣) أحاط به عددا لم يفته منه شىء (ونسوه) لأنّهم تهاونوا به حين ارتكبوه وإنّما تحفظ معظّمات الأمور (والله على كلّ شىء شهيد) لا يغيب عنه شىء .

(٤) (ما يكون) من كان التامة . أى ما يقع (من نجوى ثلاثة) — النجوى التناجى . وقد أضيفت إلى ثلاثة — أى (من نجوى ثلاثة) نفر (إلّا هو) أى الله (رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى) ولا أقلّ (من ذلك ولا أكثر إلّاهو معهم) يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ماهم فيه — وقد تعالى عن المكان علوّا كبيرا — (أينما كانوا ثمّ ينبّئهم بما عملوا يوم القيامة) فيجازيهم عليه .

وتخصيص الثلاثة والخمسة لأنّها نزلت فى المنافقين. وكانوا يتحلّقون للتناجى مغايظة للمؤمنين على هذين العددين. فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة (ولا أدنى من) عدديهم (ولا أكثر) إلّا والله معهم يسمع مايقولون. ولأنّ أهل التناجى فى العادة طائفة من أهل الرأى والتجارب. وأوّل عددهم الاثنان فصاعدا إلى خمسة إلى ستّة إلى ما اقتضته الحال . فذكر عزّ وعلا الثلاثة والخمسة وقال (ولا أدنى من ذلك) فدلّ على الاثنين والأربعة ، وقال (ولا أكثر) فدلّ على ما يقارب هذا العدد .

إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ[1] وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ[2] وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ[3] ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟[4] إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ[5]

---

[1] كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين ويريدون أن يغيظوهم ويوهموهم فى نجواهم وتغامزهم أنّ غزاتهم غلبوا وأنّ أقاربهم قتلوا . فنهاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فعادوا لمثل فعلهم . وكان تناجيهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته . (وينتجون) حمزة وهو بمعنى الأول .

[2] يعنى أنّهم يقولون فى تحيّتك السام عليك يامحمد . والسام الموت . والله تعالى يقول (وسلام على عباده الذين اصطفى) ويأيها الرسول ويأيها النبىّ .

[3] أى يقولون فيما بينهم لو كان نبيًّا لعاقبنا الله بما نقوله . فقال الله تعالى (حسبهم جهنّم) عذابا (يصلونها) حال أى يدخلونها (فبئس المصير) المرجع ، جهنّم .

[4] (يأيّها الذين آمنوا) بألسنتهم وهو خطاب للمنافقين . والظاهر أنّه خطاب للمؤمنين.

[5] أى (إذا تناجيتم) فلا تشبّهوا باليهود والمنافقين فى تناجيهم بالشرّ (وتناجوا بالبرّ) بأداء الفرائض والطاعات (والتقوى) وترك المعاصى (واتّقوا الله الذى إليه تحشرون) للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير أو شرّ . (إنّما النجوى) بالإثم والعدوان (من الشيطان) من تزيينه (ليحزن) — أى الشيطان . وبضم الياء نافع — (الذين آمنوا وليس) الشيطان أو الحزن (بضارّهم شيئا إلّا بإذن الله) بعلمه وقضائه وقدره .

وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ[1] ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟[2] يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ[3] وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ[4] ﴿١١﴾

(١) أى يكلون أمرهم إلى الله و يستعيذون به من الشيطان .

(٢) (إذا قيل لكم تفسّحوا فى المجلس) توسّعوا فيــه — (فى المجالس) عاصم ونافع . والمراد مجلس رسول الله صلّى الله عليه وسـلّم . وكانوا يتضامّون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه . وقيل هو المجلس من مجالس القتال ، وهى مراكز الغزاة . كقوله (مقاعد للقتال) . مُقاتِل : فى صلاة الجمعة — (فافسحوا) فوسّعوا .

(٣) مطلق فى كلّ ما يبتغى النـاس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك .

(٤) (وإذا قيل) انهضوا للتوسعة على المقبلين — أو انهضوا عن مجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا أمرتم بالنهوض عنه . أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير — (فانشزوا) — بالضمّ فيهما مدنىّ وشامىّ وعاصم غير حمّاد — (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بامتثال أوامره وأوامر رسوله (والذين أوتوا العلم) والعالمين منهم خاصّة (درجات) . وفى الدرجات قولان . أحدهما فى الدنيا فى المرتبة والشرف ، والآخر فى الآخرة . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنّه كان إذا قرأها قال : "يأيّها الناس افهموا هذه الاية ولْترغبْكم فى العلم" . وعن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : "فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب" . وعنه صلّى الله عليه وسلّم "عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة" . وعنه صلّى الله عليه وسلّم "يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثمّ العلماء ثمّ الشهداء" . فأعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوّة والشهادة بشهادة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : "خيّر سليمان عليه السلام بين العلم والمـال والملك ، فاختار العلم . فأعطى المـال والملك معه" . وقال صلّى الله عليه وسلّم : "أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إنّى عليم أحبّ كلّ عليم" . وعن بعض الحكماء : "ليت شعرى أىّ شىء أدرك من فاته العلم ؟ وأىّ شىء فات من أدرك العلم ؟" وعن الزبيرىّ : "العلم ذكر فلا يحبّه إلّا ذكورة الرجال" . والعلوم أنواع فأشرفها أشرفها معلوما .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً[1] ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[2] ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ[3] فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ[4] ﴿١٣﴾

---

(١) إذا أردتم مناجاته (فقدّموا بين يدى نجواكم صدقة) أى قبل نجواكم. وهى استعارة ممن له يدان. كقول عمر رضى الله عنه "من أفضل ما أوتيت العرب، الشعر يقدّمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم" يريد قبل حاجته.

(٢) (ذلك) التقديم (خير لكم) فى دينكم (وأطهر) لأنّ الصدقة طُهْرة. (فإن لم تجدوا) ما تتصدّقون به (فإنّ الله غفور رحيم) فى ترخيص المناجاة من غير صدقة. قيل: كان ذلك عشر ليال ثمّ نسخ. وقيل: ما كان إلّا ساعة من نهار ثمّ نسخ. وقال علىّ رضى الله عنه: "هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلى، ولا يعمل بها أحد بعدى. كان لى دينار فصرفته. فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهم، وسألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عشر مسائل فأجابنى عنها. قلت يارسول الله ما الوفاء؟ قال التوحيد وشهادة لا إله إلّا الله. قلت وما الفساد؟ قال الكفر والشرك بالله. قلت وما الحقّ؟ قال الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك. قلت وما الحيلة؟ قال ترك الحيلة. قلت وما علَىّ؟ قال طاعة الله وطاعة رسوله. قلت وكيف أدعو الله تعالى؟ قال بالصدق واليقين. قلت وماذا أسأل الله؟ قال العافية. قلت وما أصنع لنجاة نفسى؟ قال: كل حلالا، وقل صدقا. قلت وما السرور؟ قال الجنّة. قلت وما الراحة؟ قال لقاء الله. فلمّا فرغت منها نزل نسخها".

(٣) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الإنفاق الذى تكرهونه؟

(٤) (فإذ لم تفعلوا) ما أمرتم به وشقّ عليكم (وتاب الله عليكم) أى خفّف عنكم وأزال عنكم المؤاخذة بترك تقديم الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذة بالذنب عن التائب عنه (فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الله ورسوله) أى فلا تفرّطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (والله خبير بما تعملون) وهذا وعد ووعيد.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم(١) مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ(٢) وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٣) ۝ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا(٤) إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ(٥) ۝ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ(٦) فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ(٧) ۝ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا(٨) أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ(٩) أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝

(١) كان المنافقون يتولّون اليهود — وهم الذين غضب الله عليهم فى قوله (من لعنه الله وغضب عليه) — وينقلون إليهم أسرار المؤمنين .

(٢) (ماهم منكم) يامسلمون (ولا منهم) ولا من اليهود . كقوله (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) .

(٣) أى يقولون والله إنّا لمسلمون لا منافقون (وهم يعلمون) أنّهم كاذبون منافقون .

(٤) نوعا من العذاب متفاقما .

(٥) (إنّهم) كانوا فى الزمان الماضى مصرّين على سوء العمل . أو هى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة .

(٦) (اتّخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنّة) وقاية دون أموالهم ودمائهم (فصدّوا) الناس فى خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) عن طاعته والإيمان به .

(٧) وعدهم العذاب المخزى لكفرهم وصدّهم كقوله (الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب) .

(٨) (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من) عذاب (الله شيئا) قليلا من الإغناء .

(٩) (فيحلفون له) أى لله فى الآخرة أنّهم كانوا مخلصين فى الدنيا غير منافقين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا على ذلك (ويحسبون أنّهم) فى الدنيا (على شىء) من النفع . أو يحسبون أنّهم على شىء من النفع ثَمَّ بأيمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا. (ألا إنّهم هم الكاذبون) حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة .

ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ (١) أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ (٢) أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ (٣) ۝ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ (٤) ۝ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ (٥)

---

(١) استولى (عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله). قال شاه الكرمانى "علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والمشارب والملابس، ويشغل قلبه عن التفكر فى آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها، ويشغل لسانه عن ذكر ربّه بالكذب والغيبة والبهتان، ويشغل لبّه عن التفكّر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها".

(٢) جنده .

(٣) فى جملة من هو أذلّ خلق الله تعالى لا ترى أحدا أذلّ منهم .

(٤) (كتب الله) فى اللوح (لأغلبنّ أنا ورسلى) بالحجّة والسيف أو بأحدهما (إنّ الله قوىّ) لا يمتنع عليه ما يريد (عزيز) غالب غير مغلوب .

(٥) (يوادّون) — هو مفعول ثان لتجد. أو حال أو صفة لقوما. و (تجد) بمعنى تصادف على هذا — (من حادّ الله) خالفه وعاداه (ورسوله) . أى من الممتنع أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين. والمراد أنّه لا ينبغى أن يكون ذلك . وحقّه أن يمتنع ولا يوجد بحال . مبالغة فى الزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلّب فى مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم . وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)، وبقوله (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان) أى أثبته فيها ، وبمقابلة قوله (أولئك حزب الشيطان) بقوله (أولئك حزب الله) .

وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ[1] وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ[2] أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ[3] أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ[4] ﴿٢٢﴾

---

(1) أى بكتاب أنزله ، فيه حياة لهم . ويجوز أن يكون الضمير للإيمان أى (بروح) من الإيمان ، على أنّه فى نفسه روح ، لحياة القلوب به .

وعن الثورىّ أنّه قال كانوا يرون أنّها نزلت فيمن يصحب السلطان . وعن عبد العزيز ابن أبى روّاد أنّه لقيه المنصور فلمّا عرفه هرب منه . وتلاها . وقال سهل "من صحّح إيمانه وأخلص توحيده فإنّه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة . ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن . ومن أجاب مبتدعا لطلب عزّ الدنيا أو غناها أذلّه الله بذلك العزّ وأفقره بذلك الغنى . ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه . ومن لم يصدّق فليجرب" .

(2) (رضى الله عنهم) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه الجسيم فى الآخرة أو بما قضى عليهم فى الدنيا .

(3) أنصار حقّه ودعاة خلقه .

(4) الباقون فى النعيم المقيم ، الفائزون بكلّ محبوب ، الآمنون من كلّ مرهوب .

سورة الحشر مدنيّة

وهى أربع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ [1] ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ [2]

---

(١) روى أنّ هذه السورة نزلت بأسرها فى بنى النضير . وذلك أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم حين قدم المدينة صالح بنو النضير رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على ألّا يكونوا عليه ولاله . فلمّا ظهر يوم بدر ، قالوا هوالنبىّ الذى نعته فى التوراة. فلمّا هزم المسلمون يوم أحد ارتابو ونكثوا . فخرج كعب بن الأشرف فى أربعين راكبا إلى مكّة . فحالف أبا سفيان عند الكعبة . فأمر صلّى الله عليه وسلّم محمد بن مسلمة الأنصارىّ فقتل كعبا غيلة . ثمّ خرج صلّى الله عليه وسلّم مع الجيش إليهم فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة . وأمر بقطع نخيلهم . فلمّا قذف الله الرعب فى قلوبهم طلبوا الصلح . فأبى عليهم إلّا الجلاء ، على أن يحمل كلّ ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا من متاعهم . فجلوا إلى الشام إلى أريحاء وأذرعات .

(٢) يعنى (أخرج) يهود بنى النضير (من ديارهم) بالمدينة. واللام فى (لأوّل الحشر) تتعلّق بأخرج. وهى اللام فى قوله تعالى (ياليتنى قدمت لحياتى) وقولك جئته لوقت كذا. أى أخرج الذين كفروا عند أوّل الحشر. ومعنى أوّل الحشر أنّ هذا أوّل حشرهم إلى الشأم . وكانوا

مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ (١) وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ (٢)
فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ (٣) وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ (٤)

من سبط لم يصبهم جلاء قطّ . وهم أوّل من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشأم . أو هذا أوّل حشرهم . وآخر حشرهم إجلاء عمر إيّاهم من خيبر إلى الشام . أو آخر حشرهم حشر يوم القيامة . قال ابن عباس رضى الله عنهما من شكّ أنّ المحشر بالشأم فليقرأ هذه الآية . فهم الحشر الأوّل وسائر الناس الحشر الثانى . وقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا خرجوا : "امضوا فإنّكم أوّل الحشر ونحن على الأثر". قتادة : "إذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس إلى أرض الشأم وبها تقوم عليهم القيامة". وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لأوّل ما حشر لقتالهم لأنّه أوّل قتال قاتلهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

(١) (ما ظننتم أن يخرجوا) لشدّة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدّتهم .

(٢) أى (ظنّوا) أنّ حصونهم تمنعهم من بأس الله. والفرق بين هذا التركيب و بين النظم الذى جاء عليه أنّ فى تقديم الخبر على المبتدأ دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إيّاهم ، وفى تصيير ضميرهم اسما لأنّ و إسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنّهم فى عزّة ومنعة لا يبالىَ معها بأحد يتعرّض لهم أو يطمع فى مغازاتهم . وليس ذلك فى قولك وظنّوا أنّ حصونهم تمنعهم .

(٣) أى (فأتاهم) أمر الله وعقابه. وفى الشواذ (فآتاهم الله) أى فآتاهم الهلاك (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنّوا ولم يخطر ببالهم . وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرّة على يد أخيه رضاعا .

(٤) الخوف .

يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ (١) فَٱعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ (٢) ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ (٣) ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٤) ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا (٥)

---

(١) (يخرّبون) أبو عمرو. والتخريب والإخراب الإفساد بالنقض والهدم. والخُربة الفساد. وكانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وألّا تبقى لهم بالمدينة دار، ولا منهم ديّار. والذى دعاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدّوا بها أفواه الأزقّة، وألّا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين، وأن ينقلوا معهم ما كان فى أبنيتهم من جيّد الخشب والساج. وأمّا المؤمنون فداعيهم إلى التخريب إزالة متحصّنهم، وأن يتّسع لهم مجال الحرب. ومعنى تخريبهم لها بأيدى المؤمنين أنّهم لمّا عرّضوهم بنكث العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكأنّهم أمروهم به وكلّفوهم إيّاه.

(٢) أى فتأمّلوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذى استحقّوا به ذلك. فاحذروا أن تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم. وهذا دليل على جواز القياس.

(٣) (ولولا أن كتب الله عليهم) الخروج من الوطن مع الأهل والولد (لعذّبهم فى الدنيا) بالقتل والسبي كما فعل ببنى قريظة (ولهم) سواء أجلوا أو قتلوا (فى الآخرة عذاب النار) الذى لا أشدّ منه.

(٤) أى إنّما أصابهم ذلك بسبب أنّهم (شاقّوا الله) خالفوه (ورسوله ومن يشاقّ الله) ورسوله (فإنّ الله شديد العقاب).

(٥) (من لينة) بيان لما قطعتم. ومحلّ (ما) نصبٌ بقطعتم. كأنّه قيل أىّ شيء (قطعتم). وأنّث الضمير الراجع إلى (ما) فى قوله (أو تركتموها) لأنّه فى معنى اللينة. واللينة النخلة، من الألوان. وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها. وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنّهم اشتقّوها من اللين.

قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ(١) وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ(٢) ۝ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ(٣) وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ(٤) ۝ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ(٥) فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ

---

(١) فقطعها وتركها بإذن الله .

(٢) وليذلّ اليهود و يغيظهم ، أذن فى قطعها .

(٣) (وما) جعله فيئا له خاصّة (منهم) من بنى النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) فلم يكن ذلك بإيجاف خيل أو ركاب منكم على ذلك . والركاب الإبل . والمعنى (فما أوجفتم) على تحصيله وتغنيمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم فى القتال عليه . و إنّما مشيتم إليه على أرجلكم لأنّه على ميلين من المدينة . وكان صلّى الله عليه وسلّم على حمار فحسب .

(٤) يعنى أنّ ما خوّل الله رسوله من أموال بنى النضير شىء لم تحصّلوه بالقتال والغلبة . ولكن سلّطه الله عليهم وعلى ما فى أيديهم كما كان يسلّط رسله على أعدائهم . فالأمر فيه مفوّض إليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التى قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا . فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الأنصار إلّا ثلاثة منهم لفقرهم .

(٥) إنّما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لأنّها بيان للأولى . فهى منها غير أجنبيّة عنها . بيّن لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الأقسام الخمسة . وزيّف هذا القول بعض المفسّرين وقال الآية الأولى نزلت فى أموال بنى النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصّة ، وهذه الآية فى غنائم كلّ قرية تؤخذ بقوّة الغزاة . وفى الآية بيان مصرف خمسها فهى مبتدأة .

كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ(١) وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ(٢) ۝ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ(٣) يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا(٤) وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ(٥) أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ(٦) ۝

---

(١) (تكون دولةٌ) يزيد، على كان التامة . والدُولة والدَولة ما يدول للإنسان أى يدور من الجدّ. ومعنى قوله (كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) كى لا يكون الفىء، الذى حقّه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها ، جدًا بين الأغنياء يتكاثرون به .

(٢) أى ما أعطاكم من قسمة غنيمة أو فىء (فخذوه) فاقبلوه (وما نهاكم عنه) عن أخذه منها (فانتهوا) عنه ولا تطلبوه (واتّقوا الله) أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه (إنّ الله شديد العقاب) لمن خالف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . والأجود أن يكون عامًا فى كلّ ما آتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونهى عنه . وأمر الفىء داخل فى عمومه .

(٣) (للفقراء) — بدل من قوله (ولذى القربى) والمعطوف عليه . والذى منع الإبدال من (لله وللرسول) وإن كان المعنى لرسول الله ، أن الله عزّ وجلّ أخرج رسوله من الفقراء فى قوله (وينصرون الله ورسوله) وأنّه يترفّع برسول الله عن التسمية بالفقير ، وأنّ الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عزّ وجلّ — (المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) بمكّة . وفيه دليل على أنّ الكفار يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لأنّ الله تعالى سمّى المهاجرين فقراء مع أنّه كانت لهم ديار وأموال .

(٤) (يبتغون) — حال — (فضلا من الله ورضوانا) أى يطلبون الجنّة ورضوان الله .

(٥) أى (ينصرون) دين الله (و) يعينون (رسوله) .

(٦) (الصادقون) فى إيمانهم وجهادهم .

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ (١) يُحِبُّونَ (٢) مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ (٣) وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ (٤) وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (٥)

---

(١) (والذين) معطوف على المهاجرين . وهم الأنصار (تبوّءوا الدار) توطنوا المدينة (والإيمان) وأخلصوا الإيمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * أو وجعلوا الإيمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكّنهم واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك . أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان فأقام لام التعريف فى الدار مقام المضاف إليه وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه .

(٢) من قبل المهاجرين، لأنّهم سبقوهم فى تبوّء دار الهجرة والإيمان . وقيل من قبل هجرتهم .

(٣) (يحبّون من هاجر إليهم) حتّى شاطروهم أموالهم وأنزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن إحداهما حتّى تزوّج بها رجل من المهاجرين .

(٤) (ولا) يعلمون (فى أنفسهم) طلب محتاج إليه مما أوتى المهاجرون من الفىء وغيره . والمحتاج إليه يسمى حاجة . يعنى أنّ نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح إلى شىء منه تحتاج إليه . وقيل (حاجة) حسدا ممّا أعطى المهاجرون من الفىء حيث خصّهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم به . (و) قيل (لا يجدون فى صدورهم) مسّ (حاجة من) فقد (ما أوتوا) فحذف المضافان .

(٥) فقر . وأصلها خصاص البيت وهى فروجه . والجملة فى موضع الحال . أى مفروضة خصاصتهم . روى أنّه نزل برجل منهم ضيف فنوّم الصبية وقرّب الطعام وأطفأ المصباح ليشبع ضيفه ولا يأكل هو . وعن أنس أهدى لبعضهم رأس مشوىّ وهو مجهود فوجّهه إلى جاره فتداولته تسعة أنفس حتّى عاد إلى الأوّل . أبو زيد قال لى شابّ من أهل بلخ ما الزهد عندكم ؟ قلت إذا وجدنا أكلنا ، وإذا فقدنا صبرنا . فقال هكذا عندنا كلاب بلخ . بل إذا فقدنا صبرنا وإذا وجدنا آثرنا .

وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ[1] ۝ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ[2] يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ[3] وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ[4] ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ[5] ۝

---

(١) الظافرون بما أرادوا . والشحّ اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزّة حريصة على المنع. وأمّا البخل فهو المنع نفسه . وقيل الشحّ أكل مال أخيك ظلما . والبخل منع مالك . وعن كسرى الشحّ أضرّ من الفقر . لأنّ الفقير يتّسع إذا وجد بخلاف الشحيح .

(٢) عطف أيضا على (المهاجرين) وهم الذين هاجروا من بعد . وقيل التابعون بإحسان . وقيل من بعدهم إلى يوم القيامة . قال عمر رضى الله عنه دخل فى هذا الفىء كلّ من هو مولود إلى يوم القيامة فى الإسلام . فجعل الواو للعطف فيهما . وقرئ (للذين) فيهما.

(٣) قيل هم المهاجرون والأنصار . عائشة رضى الله عنها "أمروا بأن يستغفروا لهم فسبّوهم".

(٤) (ولا تجعل فى قلوبنا) حقدا (للذين آمنوا) يعنى الصحابة . وقيل لسعيد بن المسيب "ما تقول فى عثمان وطلحة والزبير ؟" قال "أقول ما قولنيه الله" . وتلا هذه الآية .

(٥) عجّب نبيه . أى (ألم تر) يا محمّد (إلى) عبد الله بن أبىّ وأشياعه (يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى بنى النضير . والمراد أخوّة الكفر (لئن أخرجتم) من دياركم (لنخرجنّ معكم) . روى أنّ ابن أبىّ وأصحابه دسّوا إلى بنى النضير حين حاصرهم النبى صلّى الله عليه وسلّم لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لانخذلكم و (لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم) فى قتالكم (أحدا أبدا) من رسول الله والمسلمين إن حملنا عليه. أو فى خذلانكم و إخلاف ماوعدناكم من النصرة. (و إن قوتلتم لننصرنّكم والله يشهد إنّهم لكاذبون) فى مواعيدهم لليهود . وفيه دليل على صحّة النبوّة لأنّه إخبار بالغيب .

لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ[١] ۝ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ[٢] ۝ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ[٣] بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ[٤] تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ[٥] ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ[٦] ۝ كَمَثَلِ[٧] ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

---

(١) إنّما قال (ولئن نصروهم) بعد الإخبار بأنّهم لا ينصرونهم ، على الفرض والتقدير. كقوله (لئن أشركت ليحبطنّ عملك). وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون. والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمنّ المنافقون (ثمّ لا ينصرون) بعد ذلك . أى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم . أو لينهزمنّ اليهود ثمّ لا ينفعهم نصرة المنافقين .

(٢) أى أشدّ مرهوبيّة. مصدر رهب المبنىّ للمفعول . وقوله (فى صدورهم) دلالة على نفاقهم . يعنى أنّهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وأنتم أهيب (فى صدورهم من الله ذلك بأنّهم قوم لا يفقهون) لا يعلمون الله وعظمته حتّى يخشوه حقّ خشيته .

(٣) لا يقدرون على مقاتلتكم (جميعا) — مجتمعين يعنى اليهود والمنافقين — (إلّا) كائنين (فى قرى محصنة) بالخنادق والدروب (أو من وراء جدر) . (جدار) مكّىّ وأبو عمرو .

(٤) يعنى أنّ البأس الشديد الذى يوصفون به إنّما هو بينهم إذا اقتتلوا . ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدّة لأنّ الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله .

(٥) (تحسبهم) أى اليهود والمنافقين (جميعا) مجتمعين ذوى ألفة واتّحاد (وقلوبهم شتّى) متفرّقة لا ألفة بينها . يعنى أنّ بينهم إحنا وعداوات فلا يتعاضدون حقّ التعاضد . وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم .

(٦) (ذلك) التفرّق (بأنّهم قوم لا يعقلون) أن تشتّت القلوب ممّا يوهن قواهم ويعين على أرواحهم .

(٧) أى مثلهم كمثل أهل بدر . فحذف المبتدأ .

قَرِيبًا (١) ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢) ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٣) ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا (٤) وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ (٥) وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ (٦) مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ (٧)

(١) أى استقروا (من قبلهم) زمنا (قريبا) .

(٢) (ذاقوا) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم. من قولهم كلأ وبيل وخيم سيّئ العاقبة . يعنى ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) أى ولهم مع ذلك فى الآخرة عذاب النار .

(٣) أى مثل المنافقين فى إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم إيّاهم النصر ثمّ متاركتهم لهم وإخلافهم، كمثل الشيطان إذ استغوى الإنسان بكيده ثمّ تبرّأ منه فى العاقبة . وقيل المراد استغواؤه قريشا يوم بدر . وقوله لهم (لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّى جار لكم) إلى قوله (إنّى برىء منكم) .

(٤) (فكان) عاقبة الانسان الكافر والشيطان (أنّهما فى النار خالدين فيها). (عاقبتهما) خبر (كان) مقدّم . وأنّ مع اسمها وخبرها ، أى (فى النار) ، فى موضع الرفع على الاسم . و (خالدين) حال .

(٥) (اتّقوا الله) فى أوامره فلا تخالفوها .

(٦) نكّر النفس تقليلا للأنفس النواظر فيما قدّمن للآخرة .

(٧) يعنى يوم القيامة. سمّاه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له . أو عبّر عن الآخرة بالغد . كأنّ الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد . وتنكيره لتعظيم أمره . أى (لغد) لا يعرف كنهه لعظمه . وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنّة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدّمنا خسرنا ما خلّفنا.

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ(١) ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ(٢) فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ(٣) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ(٤) ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ(٥) ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(٦) ﴿٢١﴾

---

(١) كرّر الأمر بالتقوى تأكيدا . أو (اتّقوا الله) فى أداء الواجبات لأنّه قرن بما هو عمل (واتقوا الله) فى ترك المعاصى لأنّه قرن بما يجرى مجرى الوعيد وهو (إنّ الله خبير بما تعملون) . وفيه تحريض على المراقبة لأنّ من علم وقت فعله أنّ الله مطّلع على ما يرتكب من الذنوب يمتنع عنه .

(٢) تركوا ذكر الله عزّ وجلّ وما أمرهم به .

(٣) فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق .

(٤) الخارجون عن طاعة الله .

(٥) هـذا تنبيه للناس وإيذان بأنّهم لفرط غفلتهم وقلّة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتّباع الشهوات كأنّهم لا يعرفون الفرق بين الجنّة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأنّ الفوز العظيم مع أصحاب الجنّة والعذاب الأليم مع أصحاب النار فمن حقّهم أن يعلموا ذلك وينبّهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبّهه بذلك على حقّ الأبوّة الذى يقتضى البرّ والتعطّف . وقد استدلّت الشافعيّة بهذه الآية على أنّ المسلم لا يقتل بالكافر وأنّ الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء . وقد أجبنا عن مثل هذا فى أصول الفقه والكافى .

(٦) أى من شأن القرآن وعظمته أنّه لو جعل فى الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع أى لخضع وتطأطأ وتصدّع أى تشقّق (من خشية الله). وجائزأن يكون هذا تمثيلا كما فى قوله

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ (١) هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ (٢) ٱلسَّلَٰمُ (٣) ٱلْمُؤْمِنُ (٤) ٱلْمُهَيْمِنُ (٥) ٱلْعَزِيزُ (٦) ٱلْجَبَّارُ (٧) ٱلْمُتَكَبِّرُ (٨) سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩) ﴿٢٣﴾

(إنّا عرضنا الأمانة). ويدلّ عليه قوله (وتلك الأمثال نضربها للنّاس لعلّهم يتفكّرون) وهى إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله فى مواضع من التنزيل . والمراد توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلّة تخشّعه عند تلاوة القرآن وتدبّر قوارعه وزواجره .

(١) ردّ على من أشرك وشبّهه بخلقه فقال (هو الله لذى لا إله إلّا هو عالم الغيب والشهادة) أى السرّ والعلانية . أو الدنيا والآخرة . أو المعدوم والموجود .

(٢) (الملك) الذى لا يزول ملكه (القدوس) المنزّه عن القبائح . وفى تسبيح الملائكة سَبّوح قَدّوس ربّ الملائكة والروح .

(٣) الذى سلم الخلق من ظلمه ، عن الزّجاج .

(٤) واهب الأمن . وعن الزّجّاج الذى آمن الخلق من ظلمه . أو المؤمن من عذابه من أطاعه .

(٥) الرقيب على كلّ شىء الحافظ له . مفيعل من الأمن إلّا أنّ همزته قلبت هاء .

(٦) الغالب غير المغلوب .

(٧) العالى العظيم الذى يذلّ له من دونه . أو العظيم الشأن فى القدرة والسلطان . أو القهّار ذو الجبروت .

(٨) البليغ الكبرياء والعظمة .

(٩) نزّه ذاته عمّا يصفه به المشركون .

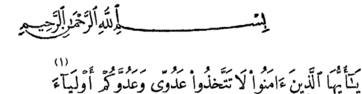
هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ(١) يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ(٢) ﴿٢٤﴾

(١) (الخالق) المقدّر لما يوجده (البارئ) الموجد (المصوّر) فى الأرحام (له الأسماء الحسنى) الدالّة على الصفات العلا .

(٢) ختم السورة بما بدأ به . عن أبى هريرة رضى الله عنه " سألت حبيبى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الاسم الأعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته . فأعدت عليه فأعاد علىّ . فأعدت عليه فأعاد علىّ " .

سورة الممتحنة مدنيّة

وهى ثلاث عشرة آية



يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ (١)

---

(١) (يأيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء). روى أنّ مولاة لأبى عمرو بن صيفى ابن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة وهو يتجهّز للفتح فقال لها أمسلمة جئت ؟ قالت لا. قال أفمهاجرة جئت؟ قالت لا. قال فما جاء بك ؟ قالت احتجت حاجة شديدة. فحثّ عليها بنى عبد المطلب فكسوها وحملوها وزوّدوها. فأتاها حاطب بن أبى بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا إلى أهل مكّة نسخته: من حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكّة اعلموا أنّ رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارّة ونزل جبريل بالخبر. فبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليّا وعمّارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد. وكانوا فرسانا. وقال انطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخ فإنّ بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكّة فخذوه منها وخلّوها. فإن أبت فاضربوا عنقها. فادركوها فجحدت وحلفت. فهمّوا بالرجوع. فقال علىّ والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسلّ سيفه. وقال أخرجى الكتاب أو تضعى رأسك. فأخرجته من عِقاص شعرها. وروى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمّن جميع الناس يوم الفتح إلّا أربعة هى أحدهم. فاستحضر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاطبا وقال: ما حملك عليه ؟ فقال يا رسول الله، ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكنّى كنت امرأ مُلْصَقا فى قريش. ولم أكن من أنفسها. وكلّ من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكّة يحمون أهاليهم وأموالهم، غيرى. فخشيت على أهلى

تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ[1] إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ[2] جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى[3]

فأردت أن أتّخذ عندهم يدا، وقد علمت أنّ الله ينزل عليهم بأسه، وأنّ كتابى لا يغنى عنهم شيئا. فصدّقه وقبل عذره. فقال عمر رضى الله عنه: دعنى يارسول الله، أضرب عنق هذا المنافق. فقال صلّى الله عليه وسلّم وما يدريك ياعمر لعلّ الله قد اطّلع على أهل بدر. فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. ففاضت عينا عمر رضى الله عنه. فنزل (يأيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء). عدّى اتّخذ إلى مفعوليه وهما (عدوّى) و (أولياء). والعدوّ فعول من عدا كعفوّ من عفا. ولكنّه على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد. وفيه دليل على أنّ الكبيرة لا تسلب اسم الإيمان.

(١) (تلقون) حال من الضمير فى (لا تتّخذوا). والتقدير لا تتّخذوهم أولياء ملقين (إليهم بالمودّة). أو مستأنف بعد وقف، على التوبيخ. والإلقاء عبارة عن إيصال المودّة والإفضاء بها إليهم. والباء فى (بالمودّة) زائدة مؤكّدة للتعدّى كقوله (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة). أو ثابتة على أنّ مفعول (تلقون) محذوف. معناه (تلقون إليهم) أخبار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (بـ) سبب (المودّة) التى بينكم وبينهم (وقد كفروا) — حال من (لا تتّخذوا) أو من (تلقون). أى لا تتولّوهم — أو توادّونهم؟ — وهذه حالهم — (بما جاءكم من الحقّ) دين الإسلام والقرآن. (يخرجون الرسول وإيّاكم) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوّهم أو حال من (كفروا). (أن تؤمنوا) تعليل لـ(يخرجون) أى يخرجونكم من مكّة لإيمانكم (بالله ربّكم).

(٢) متعلّق بـ(لا تتّخذوا). أى لا تتولّوا أعدائى (إن كنتم) أوليائى. وقول(*) النحويّين فى مثله: هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه.

(٣) (جهادا) مصدر فى موضع الحال أى (إن كنتم خرجتم) مجاهدين (فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) ومبتغين مرضاتى.

(*) القول بمعنى المقول وهو مبتدأ خبره هو شرط الخ.

تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾

---

(١) أى تفضون إليهم بمودّتكم سرّا . أو (تسرّون إليهم) أسرار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (بـ) سبب (المودة) — وهو استئناف — (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم). والمعنى أىّ طائل لكم فى إسراركم وقد علمتم أنّ الإخفاء والإعلان سيّان فى علمى وأنا مطلع رسولى على ماتسرّون؟ (ومن يفعله) أى هذا الإسرار (منكم فقد ضلّ سواء السبيل) فقد أخطأ طريق الحقّ والصواب .

(٢) إن يظفروا بكم و يتمكّنوا منكم (يكونوا لكم أعداء) خالصى العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (و يبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتل والشتم (وودّوا لو تكفرون) وتمنّوا لو ترتدّون عن دينكم . فإذًا موادّة أمثالهم خطأ عظيم منكم . والماضى و إن كان يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة . كأنّه قيل ودّوا قبل كلّ شىء كفركم وارتدادكم . يعنى أنّهم يريدون أن يلحقوا بكم مضارّ الدنيا والدين من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض . وردّكم كفّارا أسبق المضارّ عندهم وأوّلها لعلمهم أنّ الدين أعزّ عليكم من أرواحكم لأنّكم بذّالون لها دونه . والعدوّ أهمّ شىء عنده أن يقصد أهمّ شىء عند صاحبه .

(٣) (لن تنفعكم) قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون الكفّار من أجلهم وتتقرّبون إليهم محاماة عليهم . ثمّ قال (يوم القيامة يفصل بينكم) و بين أقاربكم وأولادكم (يوم يفرّ المرء من أخيه) الآية . فما لكم ترفضون حقّ الله مراعاة لحقّ من يفرّ منكم غدا ؟ (يَفْصِلُ) عاصم (يُفَصِّل) حمزة وعلىّ . والفاعل هو الله عزّ وجلّ . (يُفَصَّلُ) ابن ذكوان[*] . غيرهم (يُفْصَل) . (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على أعمالكم .

(*) ابن عامر اهـ د

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ (١) وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ (٢) رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا (٣) وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٤) ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٥) ۝

---

(١) (قد كانت لكم) قدوة فى التبرّى من الأهل (حسنة فى إبراهيم) – أى فى أقواله. ولهذا استثنى منها (إلّا قول إبراهيم)– (والذين معه) من المؤمنين وقيل كانوا أنبياء (إذ قالوا لقومهم إنّا برآء منكم) – جمع برىء كظريف وظرفاء – (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا و بينكم العداوة) بالأفعال، (والبغضاء) بالقلوب (أبدا حتّى تؤمنوا بالله وحده) فحينئذ نترك عداوتكم. (إلّا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك). وذلك (لموعدة وعدها إيّاه). أى اقتدوا به فى أقواله ولا تأتسوا به فى الاستغفار لأبيه الكافر.

(٢) أى من هداية ومغفرة وتوفيق. وهذه الجملة لاتليق بالاستثناء. ألا ترى إلى قوله (قل فمن يملك لكم من الله شيئا). ولكن المراد استثناء جملة قوله لأبيه. والقصد إلى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له. كأنّه قال أستغفر لك ومافى طاقتى إلّا الاستغفار.

(٣) متّصل بما قبل الاستثناء. وهو من جملة الأسوة الحسنة. وقيل معناه قولوا (ربّنا) فهو ابتداء أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه.

(٤) (وإليك) أقبلنا (وإليك المصير) المرجع.

(٥) أى لاتسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب (واغفر لنا ربّنا إنّك أنت العزيز الحكيم) أى الغالب الحاكم.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ(١) ۝ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٢) ۝ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ(٣) وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ(٤)

---

(١) كرّر الحثّ على الائتساء بإبراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم . ولذا جاء به مصدّرا بالقسم لأنّه الغاية فى التأكيد، وأبدل من قوله (لكم) قوله (لمن كان يرجو الله) أى ثوابه — أو يخشى الله، وعقّبه بقوله (ومن يتولّ) يعرض عن أمرنا و يوال الكفّار (فإنّ الله هو الغنىّ) عن الخلق (الحميد) المستحقّ للحمد . فلم يترك نوعا من التأكيد إلّا جاء به .

(٢) لمّـا أنزلت هذه الآيات وتشدّد المؤمنون فى عداوة آبائهم وأبنائهم و جميع أقربائهم من المشركين ، أطمعهم فى تحوّل الحال إلى خلافه فقال : (عسى الله أن يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم) أى من أهل مكّة من أقربائكم (مودّة) بأن يوفّقهم للإيمـان . فلمّا يسّر فتح مكّة أظفرهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتمّ بينهم التحابّ . و (عسى) وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى أو لعـلّ فلا تبقى شـبهة للمحتاج فى تمـام ذلك أو أريد به إطماع المؤمنـين . (والله قدير) على تقليب القلوب وتحويل الأحوال وتسهيل أسباب المودّة (والله غفور رحيم) لمن أسلم من المشركين .

(٣) تكرموهم وتحسنوا إليهم قولا وفعلا . ومحلّ (أن تبرّوهم) جرّ على البدل من (الذين لم يقاتلوكم) . وهو بدل اشتمال . والتقدير (عن) برّ (الذين) .

(٤) وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم . و إذا نهى عن الظلم فى حقّ المشرك فكيف فى حقّ المسلم ؟

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ[1] ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ[2] مُهَٰجِرَٰتٍ[3] فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ[4] فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟[5]

---

(١) (أن تولّوهم) بدل من (الذين قاتلوكم). والمعنى لا ينهاكم عن مبرّة هؤلاء . وإنّما ينهاكم عن تولّى هؤلاء (ومن يتولّهم) منكم (فأولئك هم الظالمون) حيث وضعوا التولّى غير موضعه .

(٢) سّماهنّ مؤمنات لنطقهنّ بكلمة الشهادة أو لأنّهنّ مشارفات لثبات إيمانهنّ بالامتحان.

(٣) نصب على الحال .

(٤) فابتلوهنّ بالنظر فى الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهنّ . وعن ابن عباس امتحانها أن تقول أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمدا رسول الله. (الله أعلم بإيمانهنّ) منكم . فإنّكم وإن رزتم أحوالهنّ لاتعلمون ذلك حقيقة . وعند الله حقيقة العلم به .

(٥) (فإن علمتموهنّ مؤمنات) العلم الذى تبلغه طاقتكم وهو الظنّ الغالب بظهور الأمارات- وتسمية الظنّ علما يؤذن بأنّ الظنّ الغالب ومايقضى إليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل فى قوله (ولا تقف ما ليس لك به علم) — (فلا ترجعوهنّ إلى الكفّار) فلا تردّوهن إلى أزواجهنّ المشركين (لاهنّ حلّ لهم ولاهم يحلّون لهنّ) أى لاحلّ بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة (وآتوهم ما أنفقوا) وأعطوا أزواجهنّ مثل مادفعوا إليهنّ من المهور . نزلت الآية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على أن يردّ على أهل مكّة من جاء مؤمنا منهم . فأنزل الله هذه الآية بيانا لأنّ ذلك فى الرجال لا فى النساء لأنّ المسلمة لاتحلّ للكافر . وقيل نسخت هذه الآية الحكم الأوّل .

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ [1] وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ [2] وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ [3] وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

---

(١) نفى عنهم الجناح فى تزوّج هؤلاء المهاجرات (إذا آتيتموهنّ أجورهنّ) أى مهورهنّ لأنّ المهر أجر البضع . وبه احتجّ أبو حنيفة رضى الله عنه على أن لاعدّة على المهاجرة .

(٢) (ولا تُمَسّكوا) بصرىّ (بعصم الكوافر) . العصمة ما يعتصم به من عقد وسبب . والكوافر جمع كافرة . وهى التى بقيت فى دار الحرب ، أو لحقت بدار الحرب مرتدّة . أى لا يكن بينكم وبينهنّ عصمة ولا علقة زوجيّة . قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكّة فلا يعتدّنّ بها من نسائه . لأنّ اختلاف الدارين قطع عصمتها منه . (واسألوا ما أنفقتم) من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفّار ممن تزوّجها (وليسألوا ما أنفقوا) من مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوّجها منّا . (ذلكم) أى جميع ما ذكر فى هذه الآية (حكم الله) . (يحكم بينكم) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير . أى يحكمه الله . أو جعل الحكم حاكما على المبالغة . وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لا منّا ولا منهم .

(٣) وإن انفلت أحد منهنّ إلى الكفّار — وهو فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه (أحد) — (فعاقبتم) فأصبتموهم فى القتال بعقوبة حتّى غنمتم — عن الزجّاج — (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) فأعطوا المسلمين الذين ارتدّت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة . وقيل هذا الحكم منسوخ أيضا .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ[1] فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ[2]

(١) (إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) — حال — (على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهنّ) يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهنّ) — كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك . كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا . لأنّ بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذى تلده به بين الرجلين — (ولا يعصينك فى معروف) طاعة الله ورسوله (فبايعهنّ واستغفر لهنّ الله) عمّا مضى (إنّ الله غفور) بتحقيق ما سلف ، (رحيم) بتوفيق ما ائتنف . وروى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا فرغ يوم فتح مكّة من بيعة الرجال أخذ فى بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل منه يبايعهنّ عنه بأمره ويبلغهنّ عنه وهند بنت عتبة امرأة أبى سفيان متقنعة متنكّرة خوفا من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يعرفها لما صنعت بحمزة. فقال عليه السلام "أبايعكنّ على أن لا تشركن بالله شيئا" فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيئا فقال عليه السلام "ولا يسرقن" فقالت هند إن أبا سفيان رجل شحيح . وإنّى أصبت من ماله هنات . فقال أبو سفيان . ما أصبت فهو لك حلال . فضحك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وعرفها فقال لها "إنّك لهند" قالت نعم فاعف عمّا سلف يا نبيّ الله عفا الله عنك . فقال "ولا يزنين" فقالت أو تزنى الحرّة ؟ فقال "ولا يقتلن أولادهنّ" فقالت ربّيناهم صغارا وقتلتهم كبارا . فأنتم وهم أعلم . وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر . فضحك عمر حتّى استلقى وتبسّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال "ولا يأتين ببهتان" فقالت والله إنّ البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلّا بالرشد ومكارم الأخلاق . فقال "ولا يعصينك فى معروف" فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شيء . وهو يشير إلى أنّ طاعة الولاة لا تجب فى المنكر .

(٢) ختم السورة بما بدأ به . قيل هم المشركون .

قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ[1] ﴿١٣﴾

---

(١) (قد يئسوا) من ثوابها لأنّهم ينكرون البعث (كما يئس الكفّار) أى كما يئسوا — إلّا أنّه وضع الظاهر موضع الضمير —(من أصحاب القبور)أن يرجعوا إليهم. أو كما يئس أسلافهم الذين هم فى القبور من الآخرة . أى هؤلاء كسلفهم .وقيل هم اليهود أى (لا تتولّوا قوما) مغضوبا عليهم (قد يئسوا من) أن يكون لهم حظّ فى (الآخرة) لعنادهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهم يعلمون أنّه الرسول المنعوت فى التوراة (كما يئس الكفّار من) موتاهم أن يبعثوا و يرجعوا أحياء . وقيل (من أصحاب القبور) بيان للكفّار أى (كما يئس الكفّار) الذين قبروا من خير الآخرة . لأنّهم تبيّنوا قبح حالهم وسوء منقلبهم . والله أعلم .

سورة الصف مدنيّة

وهى أربع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (١) ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) ۝

(١) (يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) روى أنّهم قالوا قبل أن يؤمروا بالجهاد لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله لعملناه . فنزلت آية الجهاد فتباطأ بعضهم فنزلت (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) ؟ (لم) هى لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجرّ فى قولك بم وفيم وممّ وعمّ وإلام وعلام . وإنّما حذفت الألف لأنّ ما واللام أو غيرها كشىء واحد . وهو كثير الاستعمال فى كلام المستفهم . وقد جاء استعمال الأصل قليلا قال * على ما قام يشتمنى جرير * والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان . ومن أسكن فى الوصل فلإجرائه مجرى الوقف .

(٢) قصد فى (كبر) التعجّب من غير لفظه كقوله * غلت نابٌ كليبٌ بواؤها * ومعنى التعجّب تعظيم الأمر فى قلوب السامعين لأنّ التعجب لا يكون إلّا من شىء خارج عن نظائره . وأسند إلى (أن تقولوا) ونصب (مقتا) على التمييز . وفيه دلالة على أنّ قولهم مالا يفعلون مقت خالص لاشوب فيه . والمعنى (كبر) قولكم مالا تفعلون مقتا عند الله . واختير لفظ المقت لأنه أشدّ البغض . وعن بعض السلف أنّه قيل له حدّثنا . فقال أتأمروننى أن أقول مالا أفعل فأستعجل مقت الله ؟

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا[1] كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ[2] ﴿٤﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ[3] فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ[4] ﴿٥﴾ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ[5] إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ[6]

---

(١) أعلم الله عزّ وجلّ مايحبّه فقال (إنّ الله يحبّ الذين يقاتلون فى سبيله صفا) أى صافّين أنفسهم . مصدر وقع موقع الحال .

(٢) لاصق بعضه ببعض . وقيل أريد به استواء نيّاتهم فى حرب عدوّهم حتّى يكونوا فى اجتماع الكلمة كالبنيان الذى رصّ بعضه إلى بعض . وهو حال أيضا .

(٣) (وإذ) — منصوب باذكر — (قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى) بجحود الآيات والقذف بما ليس فىّ (وقد تعلمون) فى موضع الحال أى (لم تؤذوننى) عالمين علما يقينا (أنّى رسول الله إليكم) وقضيّة علمكم بذلك توقيرى وتعظيمى لا أن تؤذونى .

(٤) (فلمّا) مالوا عن الحقّ (أزاغ الله قلوبهم) من الهداية . أو لمّا تركوا أوامره نزع نور الإيمان من قلوبهم. أو فلمّا اختاروا الزيغ (أزاغ الله قلوبهم) أى خذلهم وحرمهم توفيق اتّباع الحقّ (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى لا يهدى من سبق فى علمه أنّه فاسق .

(٥) ولم يقل ياقوم كما قال موسى لأنّه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه .

(٦) أى أرسلت إليكم فى حال تصديق ماتقدّمنى من التوراة وفى حال تبشيرى برسول يأتى من بعدى . يعنى أنّ دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدّم وتأخر . (بعدىَ) حجازىّ وأبو عمرو وأبو بكر .وهو اختيار الخليل وسيبويه . وانتصب (مصدّقا) (ومبشّرا) بما فى الرسول من معنى الإرسال .

فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١) ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢) ۝ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ (٣) وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ (٤) لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ (٥) وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم (٦) مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝

---

(١) (فلمّا جاءهم) عيسى أو محمّد عليهما السلام (بالبيّنات) بالمعجزات (قالوا هذا سحر مبين). (ساحر) حمزة وعليّ .

(٢) وأيّ الناس أشدّ ظلما ممن يدعوه ربّه على لسان نبيه إلى الإسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل، مكان إجابته إليه، افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده إلى الحقّ : (هذا سحر)، والسحر كذب وتمويه .

(٣) هذا تهكّم بهم فى إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم فى القرآن (هذا سحر). مثّلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه. والمفعول محذوف. واللام للتعليل. والتقدير (يريدون) الكذب (ليطفؤا نور الله بأفواههم) أى بكلامهم (والله متمّ نوره) مكّىّ وحمزة وعلىّ وحفص. (متمٌّ نورَه) غيرهم . أى متمّ الحقّ ومبلغه غايته .

(٤) أى الملّة الحنيفيّة .

(٥) ليعليه (على الدين كلّه) على جميع الأديان المخالفة له. ولعمرى لقد فعل. فما بقى دين من الأديان الّا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام. وعن مجاهد إذا نزل عيسى لم يكن فى الأرض إلّا دين الإسلام .

(٦) (تنجّيكم) شامىّ .

تُؤْمِنُونَ (١) بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢) ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ (٣) ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ (٤) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٥) ﴿١٣﴾

---

(١) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل؟ فقال (تؤمنون). وهو بمعنى آمنوا عند سيبويه. ولهذا أجيب بقوله (يغفر لكم). ويدل عليه قراءة ابن مسعود: (آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا). وإنما جيء به على لفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين.

(٢) اى ماذكر من الإيمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وأنفسكم (إن كنتم تعلمون) أنه خير لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ماتحبون أموالكم وأنفسكم فتفلحون وتخلصون.

(٣) أى إقامة وخلود. يقال عدن بالمكان إذا أقام به. كذا قيل.

(٤) (و) لكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب فى الآجلة نعمة (أخرى) عاجلة محبوبة إليكم. ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) أى عاجل. وهو فتح مكة والنصر على قريش. أوفتح فارس والروم. وفى (تحبونها) شيء من التوبيخ على محبة العاجل. وقال صاحب الكشف (*) "معناه (هل أدلكم على تجارة تنجيكم) (و) على تجارة (أخرى تحبونها). ثم قال (نصر) أى هى (نصر)."

(٥) عطف على (تؤمنون) لأنه فى معنى الأمر. كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم، (وبشر) يارسول الله (المؤمنين) بذلك. وقيل هو عطف على "قل" مرادا قبل (يأيها الذين آمنوا هل أدلكم).

(*) فى بعض النسخ الكشاف وبمراجعته لم توجد فيه هذه العبارة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ [1] كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ [2] ﴿١٤﴾

[1] أى (أنصار) دينه . (أنصارًا لله) حجازىّ وأبو عمرو .

[2] ظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى (من أنصارى إلى الله). ولكنّه محمول على المعنى ؛ أى (كونوا أنصار الله كما) كان الحواريّون أنصار عيسى حين قال لهم (من أنصارى إلى الله). ومعناه (من) جندى متوجّها (إلى) نصرة (الله) ليطابق جواب الحواريّين وهو قوله (قال الحواريّون نحن أنصار الله)أى نحن الذين ينصرون الله. ومعنى (من أنصارى) مَن الأنصار الذين يختصّون بى و يكونون معى فى نصرة الله. و (الحواريّون) أصفياؤه. وهم أوّل من آمن به. و كانوا اثنى عشر رجلا . وحوارىّ الرجل صفيّه وخالصته. من الحور وهو البياض الخالص. وقيل كانوا قصّارين يحوّرون الثياب أى يبيّضونها. (فآمنت طائفة من بنى إسرائيل) بعيسى و كفرت طائفة به . فقوّينا مؤمنيهم على كفّارهم . فغلبوا عليهم . والله ولىّ المؤمنين . والله أعلم .

سورة الجمعة مدنيّة

وهى إحدى عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (١) هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ (٢) يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٣)

(١) التسبيح إمّا أن يكون تسبيح خلقة . يعنى إذا نظرت إلى كلّ شىء دلتك خلقته على وحدانيّة الله تعالى وتنزيهه عن الأشباه . أو تسبيح معرفة بأن يجعل الله بلطفه فى كلّ شىء ما يعرف به الله تعالى و يتزّهه . ألا ترى إلى قوله (و إن من شىء إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) . أو تسبيح ضرورة بأن يجرى الله التسبيح على كلّ جوهر من غير معرفة له بذلك .

(٢) (هو الذى) أرسل (فى الأمّيّين رسولا منهم) أى بعث رجلا أمّيًا فى قوم أمّيّين. وقيل (منهم) كقوله (من أنفسكم) يعلمون نسبه وأحواله . والأمّىّ منسوب إلى أمّة العرب لأنّهم كانوا لايكتبون ولايقرءون من بين الأمم. وقيل بدئت الكتابة بالطائف. وهم أخذوها من أهل الحيرة . وأهل الحيرة من أهل الأنبار .

(٣) (يتلوا عليهم) القرآن (ويزكّيهم) و يطهّرهم من الشرك وخبائث الجاهليّة (ويعلّمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنّة أو الفقه فى الدين (وإن كانوا من قبل) من قبل محمد صلّى الله عليه وسلم (لفى ضلال مبين) كفر وجهالة . (وإن) مخفّفة من الثقيلة . واللام دليل عليها . أى كانوا فى ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه .

وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ [(١)] وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ [(٢)] ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ [(٣)] وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا [(٤)] بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ [(٥)]

---

(١) مجرور معطوف على (الأمّيين) يعنى أنّه بعثه (فى الأمّيّن) الذين على عهده (و) فى (آخرين) من الأمّيّين (لمّا يلحقوا بهم) أى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم . وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم. أو هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم الدين . وقيل هم العجم . أو منصوب معطوف على المنصوب فى(و يعلّمهم) أى يعلّمهم (و) يعلم (آخرين) . لأنّ التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كلّه مستندا إلى أوّله فكأنّه هو الذى تولّى كلّ ما وجد منه .

(٢) (وهو العزيز الحكيم) فى تمكينه رجلا أمّياً من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره إيّاه من بين كافّة البشر .

(٣) (ذلك) الفضل الذى أعطاه محمدا — وهو أن يكون نبىّ أبناء عصره ونبىّ أبناء العصور الغوابر — هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) إعطاءه وتقتضيه حكمته .

(٤) (مثل الذين) كلّفوا علمها والعمل بما فيها ثمّ لم يعملوا بها فكأنّهم لم يحملوها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) جمع سفر وهو الكتاب الكبير . و (يحمل) فى محلّ النصب على الحال . أو الجرّ على الوصف لأنّ الحمار كاللئيم فى قوله * ولقد أمرّ على اللئيم يسبّنى *

شبّه اليهود فى أنّهم حملة التوراة وقرّاؤها وحفّاظ ما فيها ثمّ لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بآياتها — وذلك أنّ فيها نعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والبشارة به فلم يؤمنوا به — بالحمار حمل كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشى بها ولا يدرى منها إلّا ما يمرّ بجنبيه وظهره من الكدّ والتعب . وكلّ من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله .

(٥) أى (بئس) مثلا (مثل القوم الذين كذّبوا بآيات الله) . أو (بئس مثل القوم) المكذّبين مثلهم . وهم اليهود الذين كذّبوا بآيات الله الدالّة على صحّة نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم .

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١) ۝ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ (٢) إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ (٣) ۝ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم (٤) بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا (٥) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ

(١) أى وقت اختيارهم الظلم . أو (لا يهدى) من سبق فى علمه أنّه يكون ظالمـا .

(٢) هاد يهود إذا تهوّد .

(٣) كانوا يقولون (نحن أبناء الله وأحبّاؤه) . أى إن كان قولكم حقًّا وكنتم على ثقة فتمنّوا على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا إلى دار كرامته التى أعدّها لأوليائه . ثمّ قال (ولا يتمنّونه أبدا بمـا قدّمت أيديهم) أى بسبب ماقدّموا من الكفر . ولا فرق بين لا ولن فى أنّ كلّ واحدة منهما نفى للستقبل، إلّا أنّ فى لن تأكيدا وتشديدا ليس فى لا . فأتى مرّة بلفظ التأكيد (ولن يتمنّوه) ومرّة بغير لفظه (ولا يتمنّونه) . (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم .

(٤) (إنّ الموت الذى تفرّون منه) ولا تجسرون أن تمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم (فإنّه ملاقيكم) لا محالة — والجملة خبر (إنّ) ودخلت الفاء لتضمّن (الذى) معنى الشرط — (ثمّ تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بمـا كنتم تعملون) فيجازيكم بمـا أنتم أهله من العقاب .

(٥) النداء الأذان. و (من) بيان لإذا وتفسير له و يوم الجمعة سيد الأيّام . وفى الحديث " من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر " .

فَٱسْعَوْاْ(١) إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ(٢) وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ(٣) ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ(٤) إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ(٥) وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا(٦) لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا(٧)

---

(١) فامضوا . وقرئ بها . وقال الفرّاء السعي والمضيّ والذهاب واحد. وليس المراد به السرعة فى المشى .

(٢) أى إلى الخطبة عند الجمهور . و به استدلّ أبو حنيفة رضى الله عنه على أنّ الخطيب إذا اقتصر على "الحمد لله" جاز .

(٣) أراد الأمر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا . و إنّما خصّ البيع من بينها لأنّ يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال. فقيل لهم : بادروا تجارة الآخرة، واتركوا تجارة الدنيا ، واسعوا إلى ذكر الله الذى لا شىء أنفع منه وأربح ،(وذروا البيع) الذى نفعه يسير .

(٤) أى السعى إلى ذكر الله (خير لكم) من البيع والشراء .

(٥) أى (فإذا) أدّيت (الصلاة فانتشروا فى الأرض) — أمر إباحة — (وابتغوا من فضل الله) الرزق ، أو طلب العلم ، أو عيادة المريض، أو زيارة أخ فى الله .

(٦) واشكروه على ما وفّقكم لأداء فرضه .

(٧) تفرّقوا عنك إليها . وتقديره (و إذا رأوا تجارة) انفضوا إليها (أولهوا) انفضوا إليه . فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه . و إنّما خصّ التجارة لأنّها كانت أهمّ عندهم .

روى أنّ أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء ، فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشأم، والنبىّ صلّى الله عليه وسلّم يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه فما بقى معه إلّا ثمانية أو اثنا عشر. فقال صلّى الله عليه وسلّم " والذى نفس محمّد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادى نارا " وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق . فهو المراد باللهو .

وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا[١] قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ[٢] ﴿١١﴾

---

(١) (وتركوك) على المنبر (قائما) تخطب . وفيه دليل على أنّ الخطيب ينبغي أن يخطب قائما .

(٢) (ما عند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة . والله خير الرازقين) أى لا يفوتهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين . والله أعلم .

سورة المنافقون مدنيّة

إحدى عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ[(١)] إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ[(٢)] ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً[(٣)] فَصَدُّوا۟[(٤)] عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾

(١) أرادوا شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم .

(٢) أى (والله يعلم) إنّ الأمر كما يدلّ عليه قولهم (إنّك لرسول الله. والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون) فى ادّعاء المواطأة. أو إنّهم (لكاذبون) فيه لأنّه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة. فهم كاذبون فى تسميته شهادة . أو إنّهم (لكاذبون) عند أنفسهم لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ قولهم (إنك لرسول الله) كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه .

(٣) وقاية من السبي والقتل . وفيه دليل على أن أشهد يمين .

(٤) (فصدّوا) الناس (عن سبيل الله) عن الإسلام بالتنفير(*) وإلقاء الشبه (إنّهم ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدّهم الناس عن سبيل الله. وفى (ساء) معنى التعجّب الذى هو تعظيم أمرهم عند السامعين .

(*) فى بعض النسخ بالتنغير بالغين المعجمة أى بالصياح .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ[1] عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ[2] فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ[3] ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ[4] كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ[5]

---

(١) (ذلك) إشارة إلى قوله (ساء ما كانوا يعملون). أى (ذلك) القول الشاهد عليهم بأنّهم أسوأ الناس أعمالا (ب)سبب (أنّهم آمنوا ثمّ كفروا). أو إلى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالأيمان. أى ذلك كله (ب)سبب (أنّهم آمنوا) أى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الإسلام (ثمّ كفروا) ثمّ ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم إن كان ما يقوله محمد حقّا فنحن حمير، ونحو ذلك. أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثمّ نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام. كقوله (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) الآية.

(٢) ختم عليها حتّى لا يدخلها الإيمان جزاء على نفاقهم.

(٣) لا يتدبّرون أو لا يعرفون صحّة الإيمان.

(٤) الخطاب لرسول الله أو لكلّ من يخاطب. كان ابن أُبيّ رجلا جسيما صبيحا فصيحا، وقوم من المنافقين فى مثل صفته. فكانوا يحضرون مجالس النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن. فكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومن حضر يعجبون بهيا كلهم ويسمعون إلى كلامهم.

(٥) رفع على هم (كأنّهم خشب) — أو كلام مستأنف لا محلّ له — (مسنّدة) إلى الحائط. شبّهوا فى استنادهم — وما هم إلّا أجرام خالية عن الإيمان والخير — بالخشب المسندة إلى الحائط. لأنّ الخشب إذا انتفع به كان فى سقف أو جدار أو غيرهما من مظانّ الانتفاع. وما دام متروكا غير منتفع به أسند إلى الحائط. فشبّهوا به فى عدم الانتفاع. أو لأنّهم أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام. (خشْب) أبو عمرو غير عبّاس وعليّ، جمع خشبة كبدنة وبدن. و (خُشُب) كثمرة وثُمُر.

يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ(١) قَاتَلَهُمُ اللَّهُ(٢) أَنَّى يُؤْفَكُونَ(٣) ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ(٤) وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ(٥) ﴿٥﴾

(١) (كلّ صيحة) مفعول أوّل. والمفعول الثانى (عليهم). وتمّ الكلام. أى (يحسبون كل صيحة) واقعة (عليهم) وضارّة لهم لخيفتهم ورعبهم. يعنى إذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابّة أو أنشدت ضالّة ظنّوه إيقاعا بهم. ثمّ قال (هم العدوّ) أى هم الكاملون فى العداوة لأنّ أعدى الأعداء العدوّ المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوىّ (فاحذرهم) ولا تغترر بظاهرهم.

(٢) دعاء عليهم. أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك.

(٣) كيف يعدلون عن الحقّ؟ تعجّبا من جهلهم وضلالتهم.

(٤) عطفوها وأمالوها إعراضا عن ذلك واستكبارا. (لووا) بالتخفيف نافع.

(٥) يعرضون (وهم مستكبرون) عن الاعتذار والاستغفار.

روى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين لقى بنى المصطلق على المريسيع — وهو ماء لهم — وهزمهم وقتلهم، ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر، وسنان الجهنىّ حليف لابن أبىّ واقتتلا. فصرخ جهجاه: ياللمهاجرين! وسنان: ياللأنصار! فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين، ولطم سنانا. فقال عبد الله لجعال: وأنت هناك! وقال: "ماصحبنا محمّدا إلّا لنلطم. والله مامثلنا ومثلهم إلّا كما قال: سمّن كلبك يأكلك. أما والله (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ)" عنى بالأعزّ نفسه وبالأذلّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. ثمّ قال لقومه: "والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم. فلا تنفقوا عليهم حتّى ينفضوا من

سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ[1] إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَـٰسِقِينَ ۝ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ[2] وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ[3]

حول محمّد" فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث . فقال : "أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك. ومحمّد على رأسه تاج المعراج، فى عزّ من الرحمن، وقوة من المسلمين". فقال عبدالله : "اسكت ! فإنّما كنت ألعب" . فأخبر زيد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقال عمر رضى الله عنه : "دعنى أضرب عنق هذا المنافق يارسول الله" . فقال : "إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب". قال : "فإن كرهت أن يقتله مهاجرىّ، فأمر به أنصاريا" . قال : "فكيف إذا تحدّث الناس أنّ محمدا يقتل أصحابه ؟" وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله. "أنت صاحب الكلام الذى بلغنى". قال : "والله الذى أنزل عليك الكتاب ماقلت شيئا من ذلك، وإنّ زيدا لكاذب". فهو قوله (اتّخذوا أيمانهم جنّة). فقال الحاضرون : "يارسول الله. شيخنا وكبيرنا لا تصدّق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم" . فلمّا نزلت قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لزيد : "ياغلام إنّ الله قد صدّقك وكذّب المنافقين" . فلمّا بان كذب عبد الله قيل له : "قد نزلت فيك آى شداد . فاذهب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يستغفر لك ، فلوى رأسه . فقال : أمرتمونى أن أومن فآمنت وأمرتمونى أن أزكّى مالى فزكّيت. ومابقى لى إلاّ أن أسجد لمحمّد". فنزل (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله) ولم يلبث إلاّ أيّاما حتّى اشتكى ومات .

(١) أى (لن يغفر الله لهم) ماداموا على النفاق . والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لأنّهم لايلتفتون إليه ولا يعتدّون به لكفرهم . أو لأنّ الله لايغفر لهم . وقرئ (استغفرت) على حذف حرف الاستفهام . لأن (أم) المعادلة تدلّ عليه .

(٢) يتفرّقوا .

(٣) أى وله الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم .

وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ [(١)] يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ [(٢)] إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ [(٣)] وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ [(٤)] وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ [(٥)] وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم [(٦)] مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ [(٧)] أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ

---

(١) ولكنّ عبد الله وأضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزيّن لهم الشيطان .

(٢) (لئن رجعنا) من غزوة بنى المصطلق .

(٣) (ولله) الغلبة والقوة ولمن أعزّه الله وأيّده من رسوله ومن المؤمنين . وهم الأخصّاء بذلك كما أنّ المذلّة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين . وعن بعض الصالحات وكانت فى هيئة رثّة : "ألست على الإسلام وهو العزّ الذى لا ذلّ معه والغنى الذى لا فقر معه؟" وعن الحسن بن علىّ رضى الله عنهما أنّ رجلا قال له : "إنّ الناس يزعمون أنّ فيك تيها" . قال "ليس بتيه . ولكنّه عزّة" . وتلا هذه الآية .

(٤) لا تشغلكم (أموالكم)والتصرّف فيها والسعى فى تدبير أمرها بالنماء وطلب النتاج (ولا أولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم (عن ذكر الله) أى عن الصلوات الخمس أو عن القرآن .

(٥) يريد الشغل بالدنيا عن الدين . وقيل : من يشتغل بتثمير أمواله ، عن تدبير أحواله ، وبمرضاة أولاده عن إصلاح معاده ، (فأولئك هم الخاسرون)فى تجارتهم حيث باعوا الباقى بالفانى .

(٦) (من) للتبعيض . والمراد بالإنفاق الواجب .

(٧) أى (من قبل أن) يرى دلائل الموت ، ويعاين ما ييئس معه من الإمهال ، ويتعذّر عليه الإنفاق .

فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ[1] ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ[2] ﴿١١﴾

---

(١) هلّا أخرت موتى إلى زمان قليل فأتصدّق — وهو جواب (لولا) — (وأكن من الصالحين)من المؤمنين . والآية فى المؤمنين. وقيل فى المنافقين.(وأكون) أبو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ .والجزم على موضع (فأصّدّق) كأنّه قيل إن أخّرتنى أصّدّق وأكن .

(٢) (ولن يؤخّر الله نفسا) عن الموت(إذا جاء أجلها)المكتوب فى اللوح المحفوظ (والله خبير بما تعملون)—(يعملون) حمّاد ويحيى —والمعنى أنّكم إذا علمتم أنّ تأخير الموت عن وقته ممّا لاسبيل إليه وأنّه هاجم لامحالة وأنّ الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره، لم يبق إلّا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى . والله أعلم بالصواب .

سورة التغابن

ثمانى عشرة آية مختلف فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ (١) وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ (٢) وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ (٣)

(١) قدّم الظرفان ليدلّ بتقديمها على اختصاص الملك والحمد بالله عزّ وجل. وذلك لأنّ الملك على الحقيقة له لأنّه مبدئ كلّ شيء والقائم به. وكذا الحمد لأنّ أصول النعم وفروعها منه. وأمّا ملك غيره فتسليط منه واسترعاء، وحمد غيره اعتداد بأنّ نعمة الله جرت على يده.

(٢) أى فمنكم آت بالكفر وفاعل له، ومنكم آت بالإيمان وفاعل له. ويدلّ عليه قوله (والله بما تعملون بصير) أى عالم و بصير بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم. والمعنى (هو الذى) تفضّل عليكم بأصل النعم الذى هو الخلق والإيجاد من العدم. وكان يجب أن تكونوا بأجمعكم شاكرين. فما بالكم تفرّقتم أمما (فمنكم كافر ومنكم مؤمن)؟ وقدّم الكفر لأنّه الأغلب عليهم والأكثر فيهم. وهو ردّ لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين. وقيل: (هو الذى خلقكم فمنكم كافر) بالخلق وهم الدهريّة (ومنكم مؤمن) به.

(٣) بالحكمة البالغة. وهو أن جعلها مقارّ المكلّفين ليعملوا فيجازيهم.

وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ(١) وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ(٢) ۝ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ(٣) ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ(٤) نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ(٥) فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٦) ۝

---

(١) أى جعلكم أحسن الحيوان كلّه وأبهاه بدليل أنّ الإنسان لا يتمنّى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور . ومن حسن صورته أنّه خلق منتصبا غير منكبّ . ومن كان دميما مشوّه الصورة سمج الخلقة فلا سماجة ثمّ . ولكن الحسن على طبقات . فلانحطاطها عمّا فوقها لا تستملح. ولكنّها غير خارجة عن حدّ الحسن. وقالت الحكماء "شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان" .

(٢) (وإليه المصير) فأحسنوا سرائركم كما أحسن صوركم .

(٣) نبّه بعلمه ما فى السموات والأرض ثمّ بعلمه بما يسرّه العباد و يعلنونه ثمّ بعلمه بذات الصدور ، أنّ شيئا من الكلّيّات والجزئيّات غير خاف عليه . فحقّه أن يتّقى ويحذر ولا يجترأ على شيء ممّا يخالف رضاه . وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد .

وكلّ ما ذكره بعد قوله (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) فى معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته .

(٤) الخطاب لكفّار مكّة .

(٥) يعنى قوم نوح وهود وصالح ولوط .

(٦) أى ذاقوا وبال كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) فى العقبى .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا
فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ[١] ۝ زَعَمَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟[٢] قُلْ بَلَىٰ[٣] وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ[٤] ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ
وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ
أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ[٥] ۝ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ[٦]

---

(١) (ذلك) — إشارة إلى ماذكر من الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا وما أعدّ لهم من العذاب فى الآخرة — (بأنّه) بأنّ الشأن والحديث (كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا) أنكروا الرسالة للبشر، ولم ينكروا العبادة للحجر (فكفروا) بالرسل (وتولّوا) عن الإيمان (واستغنى الله) أطلق ليتناول كلّ شيء، ومن جملته إيمانهم وطاعتهم (والله غنىّ) عن خلقه (حميد) على صنعه .

(٢) أى (زعم) أهل مكّة — والزعم ادّعاء العلم . ويتعدّى تعدّى العلم — (أن لن يبعثوا) . (أن) مع مافى حيّزه قائم مقام المفعولين . وتقديره أنّهم (لن يبعثوا) .

(٣) هو إثبات لما بعد (لن) وهو البعث .

(٤) أكّد الإخبار باليمين * فإن قلت مامعنى اليمين على شيء أنكروه ؟ قلت هو جائز لأنّ التهديد به أعظم موقعا فى القلب . فكأنّه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة .

(٥) (وذلك) البعث (على الله يسير) هيّن (فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلّى الله عليه وسلّم (والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن لأنّه يبين حقيقة كلّ شيء فيهتدى به كما بالنور (والله بما تعملون خبير) فراقبوا أموركم .

(٦) (يوم يجمعكم) — انتصب الظرف بقوله (لتنبؤّن) أو باضمار اذكر — (ليوم الجمع) يجمع فيه الأوّلون والآخرون .

ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ (١) وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا (٢) يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ (٣) جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ (٤) إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ (٥) وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ (٦) وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (٧) ۝

(١) هو مستعار من تغابن القوم فى التجارة ، وهو أن يغبن بعضهم بعضا ، لنزول السعداء منازل الأشقياء التى كانوا ينزلونها لوكانوا سعداء ، ونزول الأشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لوكانوا أشقياء . كما ورد فى الحديث . ومعنى (ذلك يوم التغابن) — وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم — استعظام له ، وأنّ تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى أمور الدنيا .

(٢) صفة للصدر أى عملا (صالحا) .

(٣) وبالنون فيهما مدنىّ وشامىّ .

(٤) شدّة ومرض وموت أهل أو شىء يقتضى همّا .

(٥) (إلّا) بعلمه وتقديره ومشيئته . كأنّه أذن للصيبة أن تصيبه .

(٦) (يهد قلبه) للاسترجاع عند المصيبة حتّى يقول (إنّا لله وإنّا إليه راجعون) أو يشرحه للازدياد من الطاعة والخير. أو (يهد قلبه) حتّى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . وعن مجاهد : " إن ابتلى صبر ، وإن أعطى شكر ، وإن ظلم غفر " .

(٧) (فإن تولّيتم) عن طاعة الله وطاعة رسوله (فإنّما على رسولنا البلاغ المبين) أى فعليه التبليغ وقد فعل .

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ(١) ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا(٢) لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ(٣) وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٤) ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ(٥) ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ(٦)

---

(١) بعث لرسول الله صلّى الله عليـه وسلّم على التوكّل عليه حتّى ينصره على من كذّبه وتولّى عنه .

(٢) أى إنّ من الأزواج أزواجا يعادين بعولتهنّ و يخاصمنهم ، ومن الأولاد أولادا يعادون آباءهم و يعقّونهم .

(٣) الضمير للعدوّ أو للأزواج والأولاد جميعا . أى لما علمتم أنّ هؤلاء لا يخلون من عدوّ ، فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرّهم .

(٤) (و إن تعفوا) عنهم إذا اطّلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها (وتصفحوا) تعرضوا عن التو بيخ (وتغفروا) تستروا ذنو بهم (فإن الله غفور رحيم) يغفر لكم ذنو بكم و يكفّر عنكم سيّئاتكم . قيل إن ناسا أرادوا الهجرة عن مكّة فثبّطهم أزواجهم وأولادهم ، وقالوا تنطلقون وتضيعوننا. فرقّوا لهم ووقفوا . فلمّا هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا فى الدين ، أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم . فزيّن لهم العفو .

(٥) (إنّما أموالكم وأولادكم) بلاء ومحنة لأنّهم يوقعون فى الإثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما (والله عنده أجر عظيم) أى فى الآخرة . وذلك أعظم من منفعتكم بأموالكم وأولادكم . ولم يدخل فيه (مِنْ) كما فى العداوة . لأنّ الكلّ لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب . وقد يخلو بعضهم عن العداوة .

(٦) جهدكم ووسعكم . قيل هو تفسير لقوله (حقّ تقاته) .

وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ (١) وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ (٢) فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا (٣) يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (٤) ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٥) ﴿١٨﴾

(١) (واسمعوا) ما توعظون به (وأطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وأنفقوا) فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها (خيرا لأنفسكم) أى إنفاقا خيرا لأنفسكم. وقال الكسائىّ يكن الإنفاق (خيرا لأنفسكم). والأصح أنّ تقديره ائتوا (خيرا لأنفسكم) وافعلوا ما هو خير لها. وهو تأكيد للحثّ على امتثال هذه الأوامر، وبيان لأنّ هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أنتم عاكفون عليه من حبّ الشهوات وزخارف الدنيا.

(٢) أى البخل بالزكاة والصدقة الواجبة.

(٣) (إن تقرضوا الله) بنيّة وإخلاص. وذكر القرض تلطّف فى الاستدعاء.

(٤) (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرا أو سبعمائة إلى ما شاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يقبل القليل ويعطى الجزيل (حليم) يقيل الجليل من ذنب البخيل. أو يضعف الصدقة لدافعها، ولا يعجّل العقوبة لمانعها.

(٥) أى يعلم ما استتر من سرائر القلوب (والشهادة) أى ما انتشر من ظواهر الخطوب (العزيز) المعزّ بإظهار السيوب (الحكيم) فى الإخبار عن الغيوب. والله أعلم.

سورة الطلاق مدنيّة

وهى اثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ (١) فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ (٢) وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ (٣) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ (٤)

(١) خصّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالنداء وعمّ بالخطاب ، لأنّ النبيّ إمام أمّته وقدوتهم . كما يقال لرئيس القوم يافلان افعلوا كذا إظهارا لتقدّمه واعتبارا لترؤسه ، وأنّه قدوة قومه . فكان هو وحده فى حكم كلّهم ، وسادّا مسدّ جميعهم . وقيل التقدير (يأيّها النبيّ) والمؤمنون . ومعنى (إذا طلّقتم النساء) إذا أردتم تطليقهنّ وهممتم به . على تنزيل المقبل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه . كقوله عليه السلام " من قتل قتيلا فله سلبه " . ومنه كان الماشى إلى الصلاة والمنتظر لها فى حكم المصلى .

(٢) (فطلّقوهنّ) مستقبلات (لعدّتهنّ). وفى قراءة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (فى قبل عدّتهن) . وإذا طلّقت المرأة فى الطهر المتقدّم للقرء الأوّل من أقرائها فقد طلّقت مستقبلة لعدّتها . والمراد أن تطلّق المدخول بهنّ من المعتدّات بالحيض فى طهر لم يجامعن فيه ، ثمّ يخلّين حتّى تنقضى عدّتهنّ . وهذا أحسن الطلاق .

(٣) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهنّ وخوطب الأزواج لغفلة النساء .

(٤) (لا تخرجوهنّ) حتّى تنقضى عدّتهنّ (من بيوتهنّ) من مساكنهنّ التى يسكنّها قبل العدّة . وهى بيوت الأزواج . وأضيفت إليهنّ لاختصاصها بهنّ من حيث السكنى . وفيه

إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ[1] وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ[2] وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا[3] ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ[4] وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ[5] وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ[6]

دليل على أنّ السكنى واجبة ، وأنّ الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما إذا حلف لا يدخل داره . ومعنى الإخراج ألّا يخرجهنّ البعولة غضبا عليهنّ وكراهة لمساكنتهنّ أو لحاجة لهم إلى المساكن ، وألّا يأذنوا لهنّ فى الخروج إذا طلبن ذلك ، إيذانا بأنّ إذنهم لا أثر له فى رفع الحظر . (ولا يخرجن) بأنفسهنّ إن أردن ذلك .

(١) قيل هى الزنا . أى إلّا أن يزنين فيخرجن لإقامة الحدّ عليهنّ . وقيل خروجها قبل انقضاء العدّة فاحشة فى نفسه .

(٢) أى الأحكام المذكورة .

(٣) (لا تدرى) أيّها المخاطب (لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرا) بأن يقلب قلبه من بغضها إلى محبّتها ، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ، ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه ، فيراجعها . والمعنى (فطلّقوهنّ لعدّتهنّ وأحصوا العدّة) ولا تخرجوهنّ من بيوتهنّ لعلّكم تندمون فتراجعون.

(٤) (فإذا) قاربن آخر العدّة فأنتم بالخيار إن شئتم فالرجعة والإمساك بالمعروف والإحسان . وإن شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتّقاء الضرار . وهو أن يراجعها فى آخر عدّتها ثمّ يطلّقها تطويلا للعدّة عليها وتعذيبا لها .

(٥) يعنى (وأشهدوا) عند الرجعة والفرقة جميعا — وهذا الإشهاد مندوب إليه لئلا يقع بينهما التجاحد — (ذوى عدل منكم) من المسلمين .

(٦) لوجهه خالصا . وذلك أن يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحقّ ودفع الضرر .

ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ[١] وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ[٢] وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ[٣] إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ[٤]

---

(١) (ذلكم) الحثّ على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى إنّما ينتفع به هؤلاء .

(٢) هـذه جملة اعتراضية مؤكّدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة . والمعنى (ومن يتّق الله) فطلق للسنة ولم يضارّ المعتدّة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد (يجعل) الله (له مخرجا) ممّا فى شأن الأزواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرّج عنه ويعطه الخلاص (ويرزقه من حيث لايحتسب) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه . ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله (ذلكم يوعظ به) . أى (ومن يتّق الله يجعل له مخرجا) ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة . وعن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قرأها ، فقال (مخرجا) من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة . وقال صلّى الله عليه وسلّم "إنى لأعلم آية لوأخذ الناس بها لكفتهم: (ومن يتّق الله)". فمازال يقرؤها ويعيدها. وروى أنّ عوف بن مالك أسر المشركون ابنا له فأتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال أسر ابنى وشكا إليه الفاقة . فقال: ما أمسى عند آل محمد إلّا مدّ. فاتّق الله واصبر وأكثر من قول لاحول ولا قوة إلّا بالله العلىّ العظيم .فعاد إلى بيته وقال لامرأته إنّ رسول الله أمرنى وإيّاك أن نستكثر من قول لاحول ولاقوة إلّا بالله العلىّ العظيم . فقالت : نعم ما أمرنا به . فجعلا يقولان ذلك . فبينما هو فى بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفّل عنها العدو فاستاقها . فنزلت هذه الآية .

(٣) (ومن) يكل أمره إليه عن طمع غيره وتدبير نفسه (فهو حسبه) كافيه فى الدارين .

(٤) حفص . أى منفذ أمره . غيره (بالغٌ أمرَه) . أى يبلغ ما يريد لايفوته مراد ولا يعجزه مطلوب .

قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا[١] ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ[٢] إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ[٣] وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ[٤] وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ[٥] وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا[٦] ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا[٧] ﴿٥﴾

(١) تقديرا وتوقيتا . وهذا بيان لوجوب التوكّل على الله وتفويض الأمر إليه ، لأنّه إذا علم أنّ كلّ شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلّا بتقديره وتوقيته لم يبق إلّا التسليم للقدر والتوكّل .

(٢) روى أنّ ناسا قالوا قد عرفنا عدّة ذوات الأقراء فما عدّة اللائى لم يحضن . فنزلت .

(٣) أى (إن) أشكل عليكم حكمهنّ وجهلتم كيف يعتددن (فعدّتهنّ ثلاثة أشهر) أى فهذا حكمهنّ . وقيل (إن ارتبتم) فى دم البالغات مبلغ اليأس — وقد قدّروه بستّين سنة وبخمس وخمسين — أهو دم حيض أو استحاضة ، (فعدّتهنّ ثلاثة أشهر) . وإذا كانت هذه عدّة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك .

(٤) هنّ الصغائر . وتقديره (واللائى لم يحضن) فعدّتهنّ ثلاثة أشهر . فحذفت الجملة لدلالة المذكور عليها .

(٥) (وأولات الأحمال) عدّتهنّ (أن يضعن حملهنّ) . والنصّ يتناول المطلّقات والمتوفّى عنهنّ أزواجهنّ . وعن علىّ وابن عباس رضى الله عنهما عدّة الحامل المتوفّى عنها زوجها أبعد الأجلين .

(٦) ييسّر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى .

(٧) أى ما علم من حكم هؤلاء المعتدّات (أنزله إليكم) من اللوح المحفوظ (ومن يتّق الله) فى العمل بما أنزله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه (يكفّر عنه سيّئاته ويعظم له أجرا) .

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم(١) مِّن وُجْدِكُمْ(٢) وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ(٣) وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ(٤) فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ(٥) وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم(٦)

(١) بيّن التقوى فى قوله (ومن يتّق الله) . كأنّه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدّات ؟ فقيل (أسكنوهنّ) — وكذا وكذا — (من حيث سكنتم) . هى (من) التبعيضيّة مبعّضها محذوف . أى (أسكنوهنّ) مكانا (من حيث سكنتم) أى بعض مكان سكنا كم .

(٢) هو عطف بيان لقوله (من حيث سكنتم) وتفسير له . كأنّه قيل (أسكنوهنّ) مكانا من مسكنكم ممّا تطيقونه. والوجد الوسع والطاقة. وقرئ بالحركات الثلاث. والمشهور الضمّ.

والنفقة والسكنى واجبتان لكلّ مطلّقة . وعند مالك والشافعىّ لا نفقة للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس أنّ زوجها أبتّ طلاقها . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لاسكنى لك ولا نفقة . وعن عمر رضى الله عنه لا ندع كتاب ربّنا وسنّة نبيّنا بقول امرأة لعلّها نسيت أو شبّه لها . سمعت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يقول لها السكنى والنفقة .

(٣) ولا تستعملوا معهنّ الضرار (لتضيّقوا عليهنّ) فى المسكن ببعض الأسباب من إنزال من لا يوافقهنّ أو يشغل مكانهنّ أو غير ذلك حتّى تضطرّوهنّ إلى الخروج .

(٤) (وإن كنّ) أى المطلّقات (أولات حمل) ذوات أحمال (فأنفقوا عليهنّ حتّى يضعن حملهنّ). وفائدة اشتراط الحمل أنّ مدّة الحمل ربّما تطول فيظنّ ظانّ النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدّة الحائل . فنفى ذلك الوهم .

(٥) يعنى هؤلاء المطلّقات إن أرضعن لكم ولدا من ظئرهنّ أو منهنّ بعد انقطاع عصمة الزوجيّة (فآتوهنّ أجورهنّ) فحكمهنّ فى ذلك حكم الأظآر. ولا يجوز الاستئجار إذا كان الولد منهنّ ما لم يبن ، خلافا للشافعىّ رحمه الله .

(٦) أى تشاوروا على التراضى فى الأجرة. أو ليأمر بعضكم بعضا. والخطاب للآباء والأمّهات.

بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ (١) (٢) ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ (٣) لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا (٤) سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٥) ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ (٦)

---

(١) بما يليق بالسنّة و يحسن فى المروءة . فلا يماكس الأب ولا تعاسر الأمّ لأنّه ولدهما وهما شريكان فيه وفى وجوب الإشفاق عليه .

(٢) (وإن) تضايقتم فلم ترض الأمّ بما ترضع به الأجنبيّة ولم يزد الأب على ذلك (فسترضع له أخرى) فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأمّ ترضعه . وفيه طرف من معاتبة الأمّ على المعاسرة. وقوله (له) أى للأب. أى سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمّه.

(٣) أى لينفق كلّ واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه. يريد ما أمر به من الإنفاق على المطلّقات والمرضعات . ومعنى (قدر عليه رزقه) ضيّق . أى رزقه الله على قدر قوته .

(٤) أعطاها من الرزق .

(٥) (سيجعل الله بعد) ضيق فى المعيشة سعة . وهذا وعد لذى العسر باليسر .

(٦) (وكأيّن من) أهل (قرية عتت) أى عصت (عن أمر ربّها ورسله) أعرضت عنه على وجه العتوّ والعناد (فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذّبناها عذابا نكرا) (نكُرا) مدنىّ وأبو بكر. منكرا عظيما (فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا) أى خسارا وهلاكا. والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر. وجىء

قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا[(١)] يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ[(٢)] وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا[(٣)] قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا[(٤)] ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ[(٥)]

به على لفظ الماضى لأنّ المنتظر من وعد الله ووعيده ملقّ فى الحقيقة . وما هو كائن فكأن قد . (أعدّ الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد و بيان لكونه مترقبا . كأنّه قال (أعدّ الله لهم) هذا العذاب . فليكن لكم ذلك (يا أولى الألباب) من المؤمنين لطفا فى تقوى الله وحذر عقابه . و يجوز أنّه يراد إحصاء السيّئات واستقصاؤها عليهم فى الدنيا و إثباتها فى صحائف الحفظة ، وما أصيبوا به من العذاب فى العاجل ، وأن يكون (عتت) وما عطف عليه صفة للقرية ، و (أعدّ الله لهم) جوابا لـ (كأيّن) .

(١) (ذكرا) أى القرآن. وانتصب (رسولا) بفعل مضمر . تقديره أرسل رسولا. أو بدل من(ذكرا) كأنّه فى نفسه ذكر . أو على تقدير حذف المضاف أى (قد أنزل الله إليكم) ذا ذكر (رسولا) ، أو أريد بالذكر الشرف. كقوله (و إنّه لذكر لك ولقومك) أى ذا شرف ومجد عند الله ؛ و بالرسول جبريل أو محمد عليهما السلام .

(٢) (يتلوا) أى الرسول أو الله عزّ وجلّ (عليكم آيات الله مبيّنات ليخرج) الله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى ليحصل لهم ماهم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح. أو ليخرج الذين علم أنّهم يؤمنون (من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر أو الجهل إلى نور الإيمان أو العلم .

(٣) (يدخله) — و بالنون مدنىّ وشامىّ — (جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) . وحّد و جمع حملا على لفظ (من) ومعناه .

(٤) فيه معنى التعجّب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب .

(٥) مبتدأ وخبر .

سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ (١) يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ (٢) لِتَعْلَمُوٓاْ (٣) أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا (٤) ﴿١٢﴾

(١) أجمع المفسّرون على انّ السموات سبع . (ومن الأرض مثلهنّ) بالنصب عطفا على (سبع سموات) قيل ما فى القرآن آية تدلّ على أنّ الأرضين سبع إلّا هذه الآية . وبين كلّ سماءين مسيرة خمسمائة عام . وغلظ كلّ سماء كذلك . والأرضون مثل السموات . وقيل الأرض واحدة . إلّا أنّ الأقاليم سبعة .

(٢) أى يجرى أمر الله وحكمه بينهنّ وملكه ينفذ فيهنّ .

(٣) اللام يتعلّق بخلق .

(٤) هو تمييز . أو مصدر من غير لفظ الأوّل . أى قد علم كلّ شىء علما . وهو علّام الغيوب .

سورة التحريم مدنيّة

وهى اثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ (٢)

(١) روى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خلا بمارية فى يوم عائشة رضى الله عنها وعلمت بذلك حفصة . فقال لها اكتمى علىّ . وقد حرّمت مارية على نفسى . وأبشرك أنّ أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمّتى . فأخبرت به عائشة . وكانتا مصادقتين. وقيل خلا بها فى يوم حفصة . فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلّقها . واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية . فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فإنّها صوّامة قوّامة . وإنّها لمن نسائك فى الجنّة . وروى أنّه شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقالتا له : إنّا نشمّ منك ريح المغافير . وكان يكره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التَفَل . فحرّم العسل . فمعناه (لم تحرّم ما أحلّ الله لك) من ملك اليمين أو من العسل (تبتغى مرضات أزواجك) تفسير لتحرّم، أو حال، أو استئناف . وكان هذا زلّة منه، لأنّه ليس لأحد أن يحرّم ما أحلّ الله . (والله غفور) قد غفر لك ما زللت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به .

(٢) قد قدّر الله لكم ما تحلّلون به أيمانكم . وهى الكفّارة . أوقد شرع لكم تحليلها بالكفّارة . أو شرع الله لكم الاستثناء فى أيمانكم . من قولك حلّل فلان فى يمينه إذا استثنى فيها وذكر إن

وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ[١] ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ[٢] فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ[٣] ﴿٣﴾

شاء الله عقيبها حتى لا يحنث . وتحريم الحلال يمين عندنا . وعن مقاتل أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعتق رقبة فى تحريم مارية . وعن الحسن أنّه لم يكفر لأنّه كان مغفورا له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر . وإنّما هو تعليم للؤمنين .

(١) (والله) سيّدكم ومتولّى أموركم . وقيل (مولاكم) أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم أنفسكم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فيما أحلّ وحرّم .

(٢) يعنى (وإذ أسرّ النبيّ إلى) حفصة حديث مارية وإمامة الشيخين (فلمّا) أفشته إلى عائشة رضى الله عنها (وأظهره الله عليه) وأطلع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على إفشائها الحديث على لسان جبريل عليه السلام ، (عرّف بعضه) أعلم ببعض الحديث (وأعرض عن بعض) فلم يخبر به تكرّما . قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام . (عرف) بالتخفيف ، علىّ . أى جازى عليه . من قولك للمسيء لأعرفنّ لك ذلك . وقيل المعروف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية . وروى أنّه قال لها : ألم أقل لك اكتمى علىّ ؟ قالت : "والذى بعثك بالحقّ ما ملكت نفسى"، فرحا بالكرامة التى خصّ الله بها أباها .

(٣) (فلمّا) نبّأ النبيّ حفصة بما أفشت من السرّ إلى عائشة (قالت) حفصة للنبى صلّى الله عليه وسلّم (من أنباك هذا قال نبّأنى العليم) بالسرائر (الخبير) بالضمائر .

إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا[1] وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ[2] وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ[3] ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ[4] أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ[5]

(١) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى معاتبتهما . وجواب الشرط محذوف . والتقدير (إن تتوبا إلى الله) فهو الواجب . ودلّ على المحذوف (فقد صغت) مالت (قلوبكما) عن الواجب فى مخالصة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من حبّ ما يحبّه وكراهة ما يكرهه .

(٢) (تظاهرا) بالتخفيف كوفىّ. وإن تعاونا عليه بما يسوءه من الإفراط فى الغيرة و إفشاء سرّه (فإنّ الله هو) وليّه وناصره — وزيادة (هو) إيذان بأنّه يتولّى ذلك بذاته — (وجبريل) أيضا وليّه (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين . أى كلّ من آمن وعمل صالحا . وقيل: من برئ من النفاق . وقيل: الصحابة . قيل: واحد أريد به الجمع. كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس . وقيل أصله صالحو المؤمنين لحذفت الواو من الخطّ موافقة للفظ .

(٣) (والملائكة) على تكاثر عددهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وجبريل وصالحى المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له . فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ؟ ولمّا كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله قال (بعد ذلك) تعظيما لنصرتهم ومظاهرتهم .

(٤) (يبدّله) — مدنىّ وأبو عمرو . فالتشديد للكثرة — (أزواجا خيرا منكنّ) . فإن قلت كيف تكون المبدّلات خيرا منهنّ ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أمّهات المؤمنين ؟ قلت إذا طلّقهنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لإيذائهنّ إيّاه لم يبقين على تلك الصفة ، وكان غيرهنّ من الموصوفات بهذه الأوصاف خيرا منهنّ .

(٥) مقرّات مخلصات .

قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا[(١)] ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ[(٢)] لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[(٣)] ﴿٧﴾

(١) (قانتات) مطيعات — فالقنوت هو القيام بطاعة الله. وطاعة الله فى طاعة رسوله — (تائبات) من الذنوب أو راجعات إلى الله و إلى أمر رسوله (عابدات) لله (سائحات) مهاجرات — أو صائمات. وقيل للصائم سائح لأنّ السائح لازاد معه فلا يزال ممسكا إلى أن يجد مايطعمه. فشبّه به الصائم فى إمساكه إلى أن يجىء وقت إفطاره — (ثيّبات وأبكارا) إنّما وسط العاطف بين الثيّبات والأبكار دون سائر الصفات لأنّهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر الصفات.

(٢) (قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لا تتّقد إلّا بالناس والحجارة كما يتّقد غيرها من النيران بالحطب (عليها) يلى أمرها وتعذيب أهلها (ملائكة) يعنى الزبانية التسعة عشر وأعوانهم (غلاظ شداد) فى أجرامهم غلظة وشدّة أو غلاظ الأقوال، شداد الأفعال (لا يعصون الله) فى موضع الرفع على النعت (ما أمرهم) فى محلّ النصب على البدل. أى (لا يعصون) ما أمر الله. أى أمره. كقوله (أفعصيت أمرى). أو لا يعصونه فيما أمرهم (و يفعلون ما يؤمرون). وليست الجملتان فى معنى واحد. إذ معنى الأولى أنّهم يتقبّلون أوامره و يلتزمونها، ومعنى الثانية أنّهم يؤدّون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه.

(٣) أى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار: (لا تعتذروا) لأنّه لا عذر لكم أو لأنّه لا ينفعكم الاعتذار. (إنّما تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا(١) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ(٢) وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ(٣) لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ(٤) نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ(٥) يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا(٦) وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ(٧) جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ

---

(١) صادقة ، عن الأخفش رحمه الله . وقيل خالصة . يقال عسل ناصح إذا خلص من الشمع . وقيل (نصوحا) من نصاحة الثوب . أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترمّ خللك . ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل على مقتضياتها . وبضمّ النون حمّاد ويحيى . وهو مصدر . أى ذات (نصوح) أو تنصح نصوحا . وجاء مرفوعا " إنّ التوبة النصوح أن يتوب ثمّ لا يعود إلى الذنب إلى أن يعود اللبن فى الضرع". وعن حذيفة "بحسب الرجل من الشرّ أن يتوب عن الذنب ثمّ يعود فيه". وعن ابن عباس رضى الله عنهما : "هى الاستغفار باللسان، والندم بالجنان، والإقلاع بالأركان" .

(٢) هذا على ما جرت به عادة الملوك من الإجابة بعسى ولعلّ ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبتّ .

(٣) نصب بيدخلكم .

(٤) فيه تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر .

(٥) (نورهم) مبتدأ . (يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) فى موضع الخبر .

(٦) يقولون ذلك إذا انطفأ نور المنافقين .

(٧) (جاهد الكفّار) بالسيف (والمنافقين) بالقول الغليظ ، والوعد البليغ — وقيل بإقامة الحدود عليهم — (واغلظ عليهم) على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجّة باللسان .

وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١) ۞

---

(١) مثّل الله عزّ وجلّ حال الكفّار فى أنّهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم و بينهم من النسب والمصاهرة و إن كان المؤمن الذى يتّصل به الكافر نبيّا، بحال امرأة نوح وامرأة لوط لمّا نافقتا وخانتا الرسولين بإفشاء أسرارهما، فلم يغن الرسولان (عنهما) أى عن المرأتين بحقّ ما بينهما و بينهما من الزواج إغناءما من عذاب الله ، (وقيل) لهما — عند موتهما ، أو يوم القيامة — (ادخلا النار مع) سائر (الداخلين) الذين لا وصلة بينهم و بين الأنبياء أو مع داخليها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط .

ومثّل حال المؤمنين فى أنّ وصلة الكافرين لا تضرّهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله ، بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله ، ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين ، مع أنّ قومها كانوا كفّارا .

وفى طىّ هذين التمثيلين تعريض بأمّى المؤمنين المذكورتين فى أوّل السورة ، وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما كرهه ، وتحذير لهما على أغلظ وجه ، و إشارة إلى أنّ من حقّهما أن تكونا فى الإخلاص كهاتين المؤمنتين وألّا تتّكلا على أنّهما زوجا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ[1] إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ[2] ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ[3] ﴿١٢﴾

---

(١) هى آسية بنت مزاحم . آمنت بموسى فعذّبها فرعون بالأوتاد الأربعة .

(٢) (إذ قالت) وهى تعذّب (ربّ ابن لى عندك بيتا فى الجنّة) — فكأنّها أرادت الدرجة العالية ، لأنه تعالى منزّه عن المكان ، فعبّرت عنها بقولها (عندك) — (ونجّنى من فرعون وعمله) أى من عمل فرعون ، أو من نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجّنى من القوم الظالمين) من القبط كلّهم . وفيه دليل على أنّ الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل ، من سير الصالحين .

(٣) (أحصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا) فنفخ جبريل بأمرنا (فيه) فى الفرج (من روحنا) المخلوقة لنا (وصدّقت بكلمات ربّها) أى بصحفه التى أنزلها على إدريس وغيره (وكتبه) بصرىّ وحفص يعنى الكتب الأربعة (وكانت من القانتين) . لمّا كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين ، غلب ذكوره على إناثه . و (من) للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنّها ولدت (من القانتين) لأنّها من أعقاب هرون أخى موسى عليهما السلام .

سورة الملك مكيّة

وهى ثلاثون آية . وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقى قارئها من عذاب القبر وجاء مرفوعا " من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب "

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ (٢)

(١) (تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذى بيده الملك) أى بتصرّفه الملك والاستيلاء على كلّ موجود ، وهو مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء (وهو على كلّ شىء) من المقدورات ، أو من الإنعام والانتقام (قدير) قادر على الكمال .

(٢) (الذى خلق الموت) — خبر مبتدأ محذوف أو بدل من (الذى) قبله — (والحيوة) أى مايصحّ بوجوده الإحساس. والموت ضدّه. ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحّح وإعدامه . والمعنى (خلق) موتكم وحياتكم أيّها المكلفون (ليبلوكم) ليمتحنكم بأمره ونهيه فيما بين الموت الذى يعمّ الأمير والأسير، والحياة التى لاتفى بعليل ولا طبيب، فيظهر منكم ماعلم أنّه يكون منكم ، فيجازيكم على عملكم لاعلى علمه بكم. (أيّكم) مبتدأ وخبره (أحسن عملا) أى أخلصه وأصوبه فالخالص أن يكون لوجه الله . والصواب أن يكون على السنّة. والمراد أنّه أعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وسلّط عليكم الموت الذى هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح. فما وراءه إلّا البعث والجزاء الذى لابدّ منه. وقدّم الموت على الحياة

ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا(١) مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ(٢) فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ(٣) ۝ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ(٤) ۝ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا(٥)

لأنّ أقوى الناس داعيا إلى العمل من تصب موته بين عينيه. فقدّم لأنّه فيا يرجع إلى المسوق له الآية أهمّ. ولمّا قدّم الموت الذى هو أثر صفة القهر، على الحياة التى هى أثر اللطف، قدّم صفة القهر على صفة اللطف بقوله (وهو العزيز) أى الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل، (الغفور) الستور الذى لا ييئس منه أهل الإساءة والزلل .

(١) مطابقة بعضها فوق بعض. من طابق النعل إذا خصفها طبقا على طبق. وهذا وصف بالمصدر. أو على ذات طباق. أو على طوبقت (طباقا). وقيل جمع طبق كجمل وجمال.

(٢) (ما ترى فى خلق الرحمن) — الخطاب للرسول أو لكل مخاطب — (من تفوّت) حمزة وعلى . ومعنى البناءين واحد كالتعاهد والتعهّد . أى من اختلاف واضطراب . وعن السدّى: من عيب. وحقيقة التفاوت عدم التناسب. كأنّ بعض الشىء يفوت بعضا ولا يلائمه. وهذه الجملة صفة لـ (طباقا) . وأصلها (ما ترى) فيهنّ (من تفاوت). فوضع (خلق الرحمن) موضع الضمير، تعظيما لخلقهنّ وتنبيها على سبب سلامتهنّ من التفاوت، وهو أنّه خلق الرحمن، وأنّه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب .

(٣) (فارجع البصر) ردّه إلى السماء حتّى يصحّ عندك ما أخبرت به بالمعاينة فلا تبقى معك شبهة فيه : (هل ترى من فطور) صدوع وشقوق . جمع فَطْر وهو الشقّ .

(٤) (ثمّ) كرّر النظر (كرّتين) أى مرّتين مع الأولى . وقيل سوى الأولى . فتكون ثلاث مرات. وقيل: لم يرد الاقتصار على مرّتين بل أراد به التكرير بكثرة. أى كرّر نظرك ودقّقه هل ترى خللا أو عيبا. وجواب الأمر (ينقلب) يرجع (إليك البصر خاسئا) ذليلا أو بعيدا ممّا تريد—وهو حال من البصر — (وهو حسير) كليل مُعْيٍ ولم ير فيها خللا .

(٥) القربى . أى (السماء الدنيا) منكم .

بِمَصَٰبِيحَ[1] وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ[2] وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ[3] ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ[4] ۝ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ[5] ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ[6]

(١) بكواكب مضيئة كإضاءة الصبح . والمصابيح السرج . فسمّيت بها الكواكب . والناس يزيّنون مساجدهم ودورهم بإيقاد المصابيح . فقيل (ولقد زيّنا) سقف الدار التى اجتمعتم فيها (بمصابيح) أى بأىّ مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة .

(٢) أى لأعدائكم الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات. قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها . فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلّف مالا علم له به. والرجوم جمع رجم . أو هو مصدر سمّى به مايرجم به. ومعنى كونها (رجوما للشياطين) أن ينفصل عنها شهاب قبس يؤخذ من نار فيقتل الجنىّ أو يخبله ، لأنّ الكواكب لا تزول عن أماكنها لأنّها قارّة فى الفلك على حالها .

(٣) (وأعتدنا) للشياطين (عذاب السعير) فى الآخرة بعد الإحراق بالشهب فى الدنيا .

(٤) ولكلّ من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنّم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك (وبئس المصير) المرجع ، جهنّم .

(٥) (إذا) طرحوا فى جهنّم كما يطرح الحطب فى النار العظيمة (سمعوا لها) لجهنّم (شهيقا) صوتا منكرا كصوت الحمير. شبّه حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه .

(٦) (تكاد) تميّز يعنى تتقطّع و تتفرّق (من الغيظ) على الكفّار بجعلت كالمغتاظة عليهم استعارة لشدّة غليانها بهم .

كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ[١] ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ[٢] فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ[٣] ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ[٤] ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ[٥] فَسُحْقًا[٦] لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾

(١) (كلّما ألقى فيها) جماعة من الكفّار (سألهم خزنتها) مالك وأعوانه من الزبانية، توبيخا لهم: (ألم يأتكم نذير) رسول يخوّفكم من هذا العذاب. فالنذير بمعنى الإنذار. ثمّ وصف به منذروهم لغلوّهم فى الإنذار كأنّهم ليسوا إلّا إنذارا.

(٢) اعتراف منهم بعدل الله وإقرار بأنّه تعالى أزاح عللهم ببعث الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه.

(٣) أى فكذّبناهم (وقلنا ما نزّل الله من شىء) ممّا تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك، (إن أنتم إلّا فى ضلال كبير) أى قال الكفّار للمنذرين ما أنتم إلّا فى خطأ عظيم. وجاز أن يكون هذا كلام الخزنة للكفّار على إرادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك. أو سمّوا جزاء الضلال باسمه كما سمّى جزاء السيّئة والاعتداء سيّئة واعتداء. ويسمّى المشاكلة فى علم البيان. أو كلام الرسل لهم حكوه للخزنة. أى قالوا لنا هذا فلم نقبله.

(٤) (لو كنّا نسمع) الإنذار سماع طالب الحقّ (أو نعقل) أى نعقله عقل متأمّل (ما كنّا فى أصحاب السعير) فى جملة أهل النار. وفيه دليل على أنّ مدار التكليف على أدلّة السمع والعقل، وأنّهما حجّتان ملزمتان.

(٥) بكفرهم فى تكذيبهم الرسل.

(٦) وبضمّ الحاء يزيد وعلىّ. فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته، اعترفوا أو جحدوا. فإنّ ذلك لا ينفعهم. وانتصابه على أنّه مصدر وقع موقع الدعاء.

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١) ۝ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢) ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (٣) ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا (٤) فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (٥) ۝

---

(١) (إنّ الذين يخشون ربّهم) قبل معاينة العذاب (لهم مغفرة) للذنوب (وأجر كبير) أى الجنّة.

(٢) ظاهره الأمر بأحد الأمرين الإسرار والإجهار. ومعناه ليستو عندكم إسراركم وإجهاركم فى علم الله بهما. روى أنّ مشركى مكّة كانوا ينالون من رسول الله صلّى عليه وسلّم فيخبره جبريل بما قالوه فيه ونالوه منه. فقالوا فيما بينهم أسرّوا قولكم لئلا يسمع إله محمّد. فنزلت. ثمّ علّله بقوله (إنّه عليم بذات الصدور) أى بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها، فكيف لايعلم ما تكلّم به ؟ .

(٣) (من) فى موضع رفع بأنّه فاعل يعلم. أنكر ألّا يحيط علما بالمضمر والمسرّ والمجهر من خلقها وصفته أنّه (اللطيف) أى العالم بدقائق الأشياء (الخبير) العالم بحقائق الأشياء. وفيه إثبات خلق الأقوال، فيكون دليلا على خلق أفعال العباد. وقال أبو بكر بن الأصمّ وجعفر بن حرب (من) مفعول. والفاعل مضمر. وهو الله تعالى. فاحتالا بهذا لنفى خلق الأعمال.

(٤) ليّنة سهلة مذلّلة لا تمنع المشى فيها.

(٥) (فامشوا فى) جوانبها استدلالا واسترزاقا — أو جبالها، أو طرقها — (وكلوا من رزقه) أى من رزق الله فيها (وإليه النشور) أى وإليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم.

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ[١] ۝ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا[٢] فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ[٣] ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ[٤] ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ[٥]

(١) أى (أأمنتم من) ملكوته (فى السماء) لأنّها مسكن ملائكته ، ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه، فكأنّه قال (أأمنتم) خالق السماء وملكه . أو لأنّهم كانوا يعتقدون التشبيه ، وأنّه فى السماء ، و أنّ الرحمة والعذاب ينزلان منه . فقيل لهم على حسب اعتقادهم (أأمنتم من) تزعمون أنّه (فى السماء) وهو متعال عن المكان (أن يخسف بكم الأرض) كما خسف بقارون (فإذا هى تمور) تضطرب وتتحرّك .

(٢) حجارة . (أن يرسل) بدل من بدل الاشتمال . وكذا (أن يخسف) .

(٣) أى إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذارى حين لا ينفعكم العلم .

(٤) (ولقد كذّب الذين) من قبل قومك (فكيف كان نكير) أى إنكارى عليهم إذ أهلكتهم .

(٥) نبّه على قدرته على الخسف و إرسال الحاصب بقوله (أو لم يروا إلى الطير) جمع طائر (فوقهم) فى الهواء (صافّات) باسطات أجنحتهنّ فى الجوّ عند طيرانهنّ (و يقبضن) و يضممنها إذا ضربن بها جنوبهنّ . (و يقبضن) معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى . أى يصففن (و يقبضن)، أو (صافّات) وقابضات . واختيار هذا التركيب باعتبار أنّ أصل الطيران هو صفّ الأجنحة لأنّ الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء ، والهواء للطائر كالماء للسابح . والأصل فى السباحة مدّ الأطراف و بسطها . وأمّا القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرّك . فجيء بما هو طارئ بلفظ الفعل، على معنى أنّهن صافّات و يكون منهنّ

إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ [(١)] أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ [(٢)] إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ [(٣)] أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ [(٤)] بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ [(٥)] أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ [(٦)]

القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح . (ما يمسكهنّ) عن الوقوع عند القبض والبسط (إلّا الرحمن) بقدرته . و إلّا فالثقيل يتسفّل طبعا ولا يعلو . وكذا لو أمسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الأفلاك . و (ما يمسكهنّ) مستأنف . و إن جعل حالا من الضمير فى (يقبضن) يجوز .

(١) يعلم كيف يخلق وكيف يدبّر العجائب .

(٢) (من) مبتدأ خبره (هذا) . و يبدل من هذا (الذى هو جند لكم) . ومحلّ (ينصركم من دون الرحمن) رفع نعت لجند محمول على اللفظ . والمعنى من المشار إليه بالنصر غير الله تعالى.

(٣) أى ما هم (إلّا فى غرور) .

(٤) (أم من) يشار إليه و يقال (هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه) وهذا على التقدير . و يجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان لاعتقادهم أنّهم يُحفظون من النوائب و يُرزقون ببركة آلهتهم . فكأنّهم الجند الناصر والرازق .

(٥) لمّا لم يتّعظوا أضرب عنهم فقال (بل لجّوا) تمادوا (فى عتوّ) استكبار عن الحقّ (ونفور) وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتّبعوه .

(٦) ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (أفمن يمشى مكبّا على وجهه) أى ساقطا على وجهه يعثر كلّ ساعة و يمشى معتسّفا — وأكبّ مطاوع كبّه يقال كببته فأكبّ — (أهدى) أرشد — خبر (من) — (أم من يمشى سويّا) مستويا منتصبا سالما من العثور والخرور (على صراط مستقيم) على طريق مستو . وخبر (من) محذوف لدلالة (أهدى) عليه . وعن الكلبيّ : عنى بالمكبّ أبو جهل ، و بالسوىّ النبيّ عليه السلام .

قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ[1] ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ[2] ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ[3] ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ[4] ﴿٢٧﴾

---

(١) (هو الذى) خلقكم ابتداء (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) . خصّها لأنّها آلات العلم.(قليلا ماتشكرون) هـذه النعم لأنّكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة . والمعنى (تشكرون) شكرا قليلا. و (ما) زائدة. وقيل القلّة عبارة عن العدم .

(٢) (هو الذى) خلقكم (فى الأرض وإليه تحشرون) للحساب والجزاء . (ويقولون) أى الكافرون للمؤمنين استهزاء : (متى هذا الوعد) الذى تعدوننا به ؟ يعنى العذاب . (إن كنتم صادقين) فى كونه فأعلمونا زمانه .

(٣) أى (قل) علم وقت العذاب (عند الله وإنّما أنا نذير) مخوّف (مبين) أبيّن لكم الشرائع .

(٤) (فلمّا رأوه) أى الوعد يعنى العذاب الموعود (زلفة) قريبا منهم — وانتصابها على الحال — (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة والمساءة وغشيتها القترة والسواد (وقيل هذا الذى) — القائلون الزبانية — (كنتم به تدّعون) تفتعلون من الدعاء أى تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا . أو هو من الدعوى أى كنتم بسببه تدّعون أنّكم لا تبعثون . وقرأ يعقوب (تدعون) .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ (١) قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ (٢) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا (٣) فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ (٤) ۝

---

(١) أى (إن) أماتنى الله — كقوله (إن امرؤ هلك) — (ومن معى) من أصحابى (أو رحمنا) أو أخّر فى آجالنا (فمن يجير) ينجى (الكافرين من عذاب أليم) مؤلم؟ كان كفّار مكّة يدعون على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون متربّصون لإحدى الحسنيين إمّا أن نهلك كما تمنّون فننقلب إلى الجنّة ، أو نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو . فأنتم ماتصنعون؟ من مجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار ؟ لابدّ لكم منه .

(٢) أى الذى أدعوكم إليه (الرحمن آمنّا به) صدّقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكّلنا) فوّضنا إليه أمورنا (فستعلمون) إذا نزل بكم العذاب — وبالياء، على — (من هو فى ضلال مبين) نحن أم أنتم .

(٣) غائرا ذاهبا فى الأرض لاتناله الدلاء . وهو وصف بالمصدر ، كعدل بمعنى عادل .

(٤) جار يصل إليه من أراده . وتليت عند ملحد فقال يأتى بالمعول والمعْن . فذهب ماء عينه فى تلك الليلة وعمى . وقيل إنّه محمد بن زكريّا المتطبّب . زادنا الله بصيرة .

سورة ن مكّيّة

وهى اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ [1] وَٱلْقَلَمِ [2] وَمَا يَسْطُرُونَ [3] ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ [4] ﴿٢﴾

(١) الظاهر أنّ المراد به هذا الحرف من حروف المعجم . وأمّا قول الحسن إنّه الدواة، وقول ابن عباس إنّه الحوت الذى عليه الأرض واسمه بهموت ، فمشكل لأنّه لا بدّ له من الإعراب سواء كان اسم جنس ، أو اسم علم . فالسكون دليل على أنّه من حروف المعجم .

(٢) أى ما كتب به اللوح ، أو قلم الملائكة، أو الذى يكتب به الناس. أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف .

(٣) أى ما يسطره الحفظة ، أو مايكتب به من الخير من كتب . و (ما) موصولة أو مصدريّة .

(٤) جواب القسم . ف(أنت) اسم(ما) . وخبرها (بمجنون).و (بنعمة ربّك) — أى بإنعامه عليك بالنبوّة وغيرها — اعتراض بين الاسم والخبر .والباء فى (بنعمة ربّك) تتعلّق بمحذوف.ومحلّه النصب على الحال،والعامل فيها (بمجنون). وتقديره (ما أنت) بمجنون منعما عليك بذلك.ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنّها زائدة لتأكيد النفى . وهو جواب قولهم (وقالوا يأيّها الذى نزّل عليه الذكر إنّك لمجنون) .

وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (١) ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٢) ۝ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ (٣) ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٤) ۝ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٥) ۝ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٦) ۝

---

(١) (وإنّ لك) على احتمال ذلك والصبر عليه (لأجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع ، أو (غير ممنون) عليك به .

(٢) قيل هو ما أمره الله تعالى به فى قوله (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين). وقالت عائشة رضى الله عنها: "كان خلقه القرآن" أى مافيه من مكارم الأخلاق. وإنّما استعظم خلقه لأنّه جاد بالكونين وتوكّل على خالقهما .

(٣) أى عن قريب ترى ويرون — وهذا وعد له ووعيد لهم — (بأيّكم المفتون) المجنون لأنّه فتن أى محن بالجنون . والباء مزيدة . أو المفتون مصدر كالمعقول أى (بأيّكم) الجنون. وقال الزجّاج الباء بمعنى فى. تقول كنت ببلد كذا أى فى بلد كذا. وتقديره فى(أيّكم المفتون)أى فى أىّ الفريقين منكم المجنون فريق الإسلام أو فريق الكفر .

(٤) أى هو أعلم بالمجانين على الحقيقة . وهم الذين ضلّوا عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين) أى هو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون .

(٥) تهييج للتصميم على معاصاتهم . وقد أرادوه على أن يعبد الله مدّة وآلهتهم مدّة ويكفّوا عنه غوائلهم .

(٦) (ودّوا) لو تلين لهم فيلينون لك. ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمنّى لأنّه عدل به إلى طريق آخر. وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف . أى (ف) هم (يدهنون) أى فهم الآن يدهنون لطمعهم فى إدهانك .

وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ[1] ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ[2] ﴿١٥﴾

---

(١) (ولا تطع كلّ) كثير الحلف فى الحقّ والباطل — وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف — (مهين) حقير فى الرأى والتميز، من المهانة وهى القلّة والحقارة. أو كذّاب لأنّه حقير عند الناس (همّاز) عيّاب طعّان مغتاب (مشّاء بنميم) نقّال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم — والنميم والنميمة السعاية — (منّاع للخير) بخيل — والخير المال. أو منّاع أهله من الخير. وهو الإسلام. والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور. وكان يقول لبنيه العشرة من أسلم منكم منعته رفدى — (معتد) مجاوز فى الظلم حدّه (أثيم) كثير الآثام (عتلّ) غليظ جافٍ (بعد ذلك) بعد ما عدّ له من المثالب (زنيم) دعىّ. وكان الوليد دعيّا فى قريش ليس من سِنخهم. ادّعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده. وقيل بغت أمّه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية. والنطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها. روى أنّه دخل على أمّه وقال إنّ محمّدا وصفنى بعشر صفات وجدت تسعا فىّ. فأمّا الزنيم فلا علم لى به. فإن أخبرتنى بحقيقته، وإلّا ضربت عنقك فقالت: إنّ أباك عنّين. وخفت أن يموت فيصل ماله إلى غير ولده. فدعوت راعيا إلى نفسى فأنت من ذلك الراعى. قالوا لمّا عاب الوليد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم — كاذبا — باسم واحد وهو المجنون، سمّاه الله تعالى بعشرة أسماء صادقا. فإن كان من عدله أن يجزى المسىء إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعشرة، كان من فضله أنّ من صلّى عليه واحدة صلّى الله عليه بها عشرا.

(٢) (أن كان) متعلّق بقوله (ولا تطع). أى ولا تطعه مع هذه المثالب لـ (أن كان ذا مال) أى ليساره وحظّه من الدنيا. ويجوز أن يتعلّق بما بعده. أى لـ (أن كان ذا مال وبنين) كذب بآياتنا. يدلّ عليه (إذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الأوّلين). ولا يعمل فيه (قال) لأنّ ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله. (أأن) حمزة وأبو بكر. أى ألأن كان ذا مال كذّب؟ (آأن) شامىّ ويزيد ويعقوب وسهل.

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ (١) ۝ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ (٢) كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ (٣) إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ وَلَا يَسْتَثْنُونَ (٤) ۝ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ (٥) ۝ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ۝ أَنِ ٱغْدُوا۟ (٦) عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ۝

---

(١) سنكويه (على الخرطوم) على أنفه مهانة له وعلما يعرف به . وتخصيص الأنف بالذكر لأنّ الوسم عليه أبشع . وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت سمة على خرطومه .

(٢) امتحنّا أهل مكّة بالقحط والجوع حتّى أكلوا الجيف والرمم بدعاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حيث قال "اللّهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف" .

(٣) هم قوم من أهل الصلاث كانت لأبيهم هذه الجنّة بقرية يقال لها ضروان . وكانت على فرسخين من صنعاء . وكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدّق بالباقى على الفقراء . فلمّا مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ، ونحن أولو عيال . فحلفوا (ليصرمنّها مصبحين) فى السَّدَف، خيفة من المساكين . ولم يستثنوا فى يمينهم . فأحرق الله جنّتهم . وقال الحسن كانوا كفّارا . والجمهور على الأوّل .

(٤) حلفوا (ليصرمنّها) ليقطعنّ ثمرها (مصبحين) داخلين فى الصبح قبل انتشار الفقراء — حال من فاعل (ليصرمنّها) — (ولا يستثنون) ولا يقولون إن شاء الله . وسمّى استثناء وإن كان شرطا صورة لأنّه يؤدّى مؤدّى الاستثناء من حيث إنّ معنى قولك لأخرجنّ إن شاء الله، ولا أخرج إلّا أن يشاء الله ، واحد .

(٥) نزل عليها بلاء . قيل أنزل الله تعالى عليها نارا فأحرقتها (وهم نائمون) أى فى حال نومهم (فأصبحت) فصارت الجنّة (كالصريم) كالليل المظلم . أى احترقت فاسودّت . أو كالصبح .أى صارت أرضا بيضاء بلا شجر .وقيل كالمصرومة أى كأنّها صرمت لهلاك ثمرها .

(٦) نادى بعضهم بعضا عند الصباح (أن اغدوا) باكروا (على حرثكم) ولم يقل إلى حرثكم لأنّ الغدوّ إليه ليصرموه كان غدوّا عليه . أوضمّن الغدوّ معنى الإقبال . أى فأقبلوا على حرثكم باكرين (إن كنتم صارمين) مريدين صرامه .

فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٌ[١] ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٍ قَٰدِرِينَ[٢] ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ[٣] ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ[٤] ﴿٢٩﴾

---

(١) ذهبوا (وهم يتخافتون) يتسارّون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين (أن لّا يدخلنّها) أى الجنّة . و(أن) مفسّرة . وقرئ بطرحها بإضمار القول . أى (يتخافتون) يقولون (لا يدخلنّها اليوم عليكم مسكين). والنهى عن دخول المسكين نهى عن التمكين . أى لا تمكّنوه من الدخول .

(٢) (وغدوا) على جدّ فى المنع (قادرين) عند أنفسهم على المنع . كذا عن نفطويه . أو الحرد القصد والسرعة . أى (وغدوا) قاصدين إلى جنّتهم بسرعة (قادرين) عند أنفسهم على صرامها وزىّ منفعتها عن المساكين . أو هو علم للجنّة أى (غدوا على) تلك الجنّة (قادرين) على صرامها عند أنفسهم .

(٣) (فلمّا رأوها) أى جنّتهم محترقة (قالوا) فى بديهة وصولهم (إنّا لضالّون) أى ضللنا جنّتنا وما هى بها لما رأوا من هلاكها . فلمّا تأمّلوا وعرفوا أنّها هى قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا .

(٤) (قال) أعدلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبّحون) هلّا تستثنون إذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما فى معنى التعظيم لله . لأنّ الاستثناء تفويض إليه . والتسبيح تنزيه له . وكلّ واحد من التفويض والتنزيه تعظيم . أو (لولا) تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيّتكم . كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك : اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة . فعصوه فعيّرهم . ولهذا (قالوا سبحان ربّنا . إنّا كنّا ظالمين) فتكلّموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم إلى التكلّم به أوّلا وأقرّوا على أنفسهم بالظلم فى منع المعروف وترك الاستثناء ونزّهوه عن أن يكون ظالما .

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۝ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (١) ۝ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا (٢) إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣) ۝ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤) ۝ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٥) ۝

(١) (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا بما فعلو من الهرب من المساكين ويحيل كلّ واحد منهم اللائمة على الآخر . ثمّ اعترفوا جميعا بأنّهم تجاوزوا الحدّ بقوله (قالوا ياويلنا إنّا كنّا طاغين) بمنع حقّ الفقراء وترك الاستثناء .

(٢) (أن يبدّلنا) — بالتشديد مدنيّ وأبو عمرو — (خيرا منها) من هذه الجنّة .

(٣) طالبون منه الخير راجون لعفوه . عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها . وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى أنّهم أخلصوا فأبدلهم بها جنّة تسمّى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا .

(٤) أى مثل ذلك العذاب الذى ذكرناه ، عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم منه . (لو كانوا يعلمون) لما فعلوا ما يفضى إلى هذا العذاب . ثمّ ذكر ما عنده للمؤمنين فقال (إنّ للمتّقين) عن الشرك (عند ربّهم) أى فى الآخرة (جنّات النعيم) جنّات ليس فيها إلّا التنعم الخالص بخلاف جنّات الدنيا .

(٥) استفهام إنكار على قولهم لو كان ما يقول محمّد حقّا فنحن نعطى فى الآخرة خيرا ممّا يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا . فقيل لهم (أ) نحيف فى الحكم (فنجعل المسلمين) كالكافرين ؟ ثمّ قيل لهم على طريقة الالتفات (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الأعوج — وهو التسوية بين المطيع والعاصى — كأنّ أمر الجزاء مفوّض إليكم حتّى تحكموا فيه بما شئتم .

أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ[1] ۝ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۝ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ[2] ۝ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ[3]

(١) (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرءون فى ذلك الكتاب (إنّ لكم فيه لما تخيّرون) أى أنّ ماتختارونه وتشتهونه لكم . والأصل تدرسون أنّ لكم ما تخيّرون بفتح أنّ لأنّه مدروس لوقوع الدرس عليه . وإنّما كسرت لمجىء اللام . ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح) . وتخيّر الشىء واختاره أخذ خيره .

(٢) (أم لكم) عهود مؤكّدة بالأيمان (بالغة إلى يوم القيامة) — (بالغة) نعت (أيمان) . ويتعلّق (إلى يوم القيامة) ببالغة. أى أنّها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى إليه وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم عليــه من التحكيم . أو بالمقدّر فى الظرف . أى هى ثابتــة لكم علينا (إلى يوم القيامة) لا نخرج عن عهدتها إلّا يومئذ إذا حكّمنا كم وأعطيناكم ما تحكمون — (إنّ لكم لمـا تحكمون) به لأنفسكم . وهو جواب القسم . لأنّ معنى (أم لكم أيمـان علينا) أم أقسمنا لكم بأيمـان مغلّظة متناهية فى التوكيد. (سلهم) أى المشركين (أيّهم بذلك) الحكم (زعيم) كفيل بأنّه يكون ذلك. (أم لهم شركاء) أى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه ؟ (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) فى دعواهم. يعنى أنّ أحدا لا يسلّم لهم هذا ولا يساعدهم عليه ، كما أنّه لا كتاب لهم ينطق به ، ولا عهــد لهم به عند الله ، ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا .

(٣) ناصب الظرف (فليأتوا) أو اذكر مضمرا. والجمهور على أنّ الكشف عن الساق عبارة عن شدّة الأمر وصعوبة الخطب . فمعنى (يوم يكشف عن ساق) يوم يشتدّ الأمر ويصعب ولا كشف ثمّة ولا ساق . ولكن كنى به عن الشدّة لأنّهم إذا ابتلوا بشدّة كشفوا عن الساق. وهذا كما تقول للأقطع الشحيح "يده مغلولة" ولا يد ثمّة ولا غلّ وإنّمـا هو كناية عن البخل. وأمّا من شبّه فلضيق عطنه وقلّة نظره فى علم البيان. ولو كان الأمر كما زعم المشبّه لكان من حقّ الساق أن يعرّف لأنّها ساق معهودة عنده .

وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ[١] ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ[٢] وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ[٣] ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ[٤] سَنَسْتَدْرِجُهُم[٥] مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ[٦] ﴿٤٤﴾

---

(١) (ويدعون) أى الكفّار ثمّة (إلى السجود) لا تكليفا ولكن توبيخا على تركهم السجود فى الدنيا (فلا يستطيعون) ذلك لأنّ ظهورهم تصير كصياصى البقر لا تنثنى عند الخفض والرفع .

(٢) (خاشعة) ذليلة — حال من الضمير فى (يدعون) — (أبصارهم). أى (يدعون) فى حال خشوع أبصارهم (ترهقهم ذلّة) يغشاهم صغار .

(٣) (وقد كانوا يدعون) على ألسن الرسل (إلى السجود) فى الدنيا (وهم سالمون) أى وهم أصحّاء ، فلا يسجدون . فلذلك منعوا عن السجود ثمّ .

(٤) يقال ذرنى وإيّاه أى كله إلىّ فإنّى أكفيكه .(ومن يكذّب) — معطوف على المفعول أومفعول معه — (بهذا الحديث) بالقرآن. والمراد كل أمره إلىّ وخلّ بينى وبينه فإنّى عالم بما ينبغى أن يفعل به مطيق له .فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكّل علىّ فى الانتقام منه. تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وتهديد للمكذّبين .

(٥) سندنيهم من العذاب درجة درجة . يقال استدرجه إلى كذا أى استنزله إليه درجة فدرجة حتّى يورّطه فيه . واستدراج الله تعالى العصاة أن يرزقهم الصحّة والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة إلى ازدياد المعاصى .

(٦) من الجهة التى لا يشعرون أنّه استدراج . قيل كلّما جدّدوا معصية جدّدنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها . قال عليه السلام إذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنّه مستدرج . وتلا الآية .

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ[١] ۝ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ[٢] ۝ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ[٣] ۝ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ[٤] وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ[٥] وَهُوَ مَكْظُومٌ[٦] ۝ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ[٧] ۝

(١) وأمهلهم (إنّ كيدى متين) قوىّ شديد. فسمّى إحسانه وتمكينه كيدا كما سمّاه استدراجا، لكونه فى صورة الكيد، حيث كان سببا للهلاك. والأصل أنّ معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الأخذ من جهة الأمن. ولا يجوز أن يسمّى الله كائدا وماكرا ومستدرجا.

(٢) (أم تسألهم) على تبليغ الرسالة (أجرا فهم من مغرم) غرامة (مثقلون) فلا يؤمنون؟ استفهام بمعنى النفى. أى لست تطلب أجرا على تبليغ الوحى فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك.

(٣) (أم عندهم) اللوح المحفوظ — عند الجمهور — (فهم يكتبون) منه مايحكمون به.

(٤) (فاصبر لحكم ربّك) وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم، لأنّهم أمهلوا لم يهملوا.

(٥) (ولا تكن) كيونس عليه السلام فى العجلة والغضب على القوم حتّى لا تبتلى ببلائه. والوقف على الحوت. لأنّ (إذ) ليس بظرف لما تقدّمه. إذ النداء طاعة فلا ينهى عنه. بل مفعول محذوف. أى اذكر (إذ نادى) دعا ربّه فى بطن الحوت بـ (لا إله إلّا أنت سبحانك إنّى كنت من الظالمين).

(٦) مملوء غيظا. من كظم السقاء إذا ملأه.

(٧) (لولا أن تداركه) رحمة (من ربّه) أى لولا أنّ الله أنعم عليه بإجابة دعائه وقبول عذره (لنبذ) من بطن الحوت (بالعراء) بالفضاء (وهو مذموم) معاتب بزلّته. لكنّه رحم فنبذ غير مذموم.

فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١) ۝ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ (٢) لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ (٣) لِّلْعَٰلَمِينَ ۝

(١) اصطفاه لدعائه وعذره (فجعله من الصالحين) من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له زلة. وقيل: من الأنبياء. وقيل: من المرسلين. والوجه هو الأول لأنه كان مرسلا ونبيا قبله لقوله تعالى (وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون) الآيات .

(٢) (ليزلقونك) بفتح الياء، مدني. (إن) مخففة من الثقيلة واللام علمها. زلقه وأزلقه أزاله عن مكانه. أي قارب الكفار من شدة نظرهم إليك شزرا بعيون العداوة أن يزيلوك بأبصارهم عن مكانك، أو يهلكوك لشدة حنقهم عليك. وكانت العين في بني أسد. فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله إلا هلك. فأريد بعض العيانين على أن يقول في رسول الله مثل ذلك. فقال: لم أر كاليوم مثله رجلا. فعصمه الله من ذلك. وفي الحديث: العين حق وإن العين لتدخل الجمل القدر، والرجل القبر. وعن الحسن: رقية العين هذه الآية :

(٣) (لما سمعوا) القرآن (ويقولون) حسدا على ما أوتيت من النبوة: (إنه لمجنون) إن محمدا (لمجنون) حيرة في أمره وتنفيرا عنه، (وما) القرآن (إلا ذكر) وعظ (للعالمين) للجن والإنس. يعني أنهم جننوه لأجل القرآن. وما القرآن إلا موعظة للعالمين. فكيف يجنن من جاء بمثله؟ وقيل (لما سمعوا الذكر) أي ذكره عليه السلام (وما هو) أي محمد عليه السلام (إلا ذكر) شرف (للعالمين) فكيف ينسب إليه الجنون؟ والله أعلم .

سورة الحاقّة مكّيّة

إحدى وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ (١) مَا ٱلْحَآقَّةُ (٢) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ

(١) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجىء التى هى آتية لاريب فيها . من حقّ يحق بالكسر أى وجب .

(٢) مبتدأ وخبر . وهما خبر الحاقّة . والأصل (الحاقّة) ما هى ؟ أى أىّ شىء هى ؟ تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها . أى حقّها أن يستفهم عنها لعظمها . فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التهويل .

(٣) وأىّ شىء أعلمك (ما الحاقّة)؟ يعنى أنّك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها لأنّه من العظم والشدّة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين. (وما) رفع بالابتداء . و (أدراك) الخبر . والجملة بعده فى موضع نصب لأنّها مفعول ثان لأدرى .

(٤) أى بالحاقّة . فوضعت القارعة موضعها لأنّها من أسماء القيامة . وسمّيت بها لأنّها تقرع الناس بالأفزاع والأهوال .

(٥) لمّا ذكرها وفخّمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذّب بها وما حلّ بهم بسبب التكذيب ، تذكيرا لأهل مكّة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم : (فأمّا ثمود فأهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحدّ فى الشدّة . واختلف فيها . فقيل الرجفة . وقيل الصيحة . وقيل الطاغية مصدر كالعافية . أى بطغيانهم. ولكنّ هذا لا يطابق قوله (وأمّا عاد فأهلكوا بريح) أى بالدبور لقوله صلى الله عليه وسلم " نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور " .

صَرْصَرٍ (١) عَاتِيَةٍ (٢) ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ (٣) وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا (٤) فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٥) ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٦) ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ (٧) وَالْمُؤْتَفِكَاتُ (٨) بِالْخَاطِئَةِ (٩) ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (١٠) ﴿١٠﴾

(١) شديدة الصوت . من الصَّرّة الصيحة. أو باردة من الصِرّ كأنّها التى كرّر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدّة بردها .

(٢) شديد العصف. أو عتت على خزّانها فلم يضبطوها بإذن الله، غضبا على أعداء الله .

(٣) سلّطها (عليهم سبع ليال وثمانية أيّام) . وكان ابتداء العذاب يوم الأربعاء آخر الشهر إلى الأربعاء الأخرى .

(٤) أى متتابعة لا تنقطع . جمع حاسم كشهود. تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى إعادة الكىّ على الداء كرّة بعد أخرى حتّى ينحسم . وجاز أن يكون مصدرا . أى تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا .

(٥) (فترى) أيّها المخاطب (القوم فيها) فى مهابّها أو فى الليالى والأيّام (صرعى) — حال جمع صريع — (كأنّهم) — حال أخرى — (أعجاز) أصول (نخل) جمع نخلة (خاوية) ساقطة أو بالية .

(٦) (من) نفس (باقية) . أو (من) بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان .

(٧) (ومن) تقدّمه من الأمم. (ومن قِبَله) بصرىّ وعلىّ . أى ومن عنده من أتباعه .

(٨) قرى قوم لوط فهى ائتفكت أى انقلبت بهم .

(٩) بالخطأ أو بالفعلة . أو بالأفعال ذات الخطأ العظيم .

(١٠) (فعصوا) أى قوم لوط (رسول ربّهم) لوطا (فأخذهم أخذة رابية) شديدة زائدة فى الشدّة كما زادت قبائحهم فى القبح .

إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ (١) ۝ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (٢) ۝ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا (٣) وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ (٤) ۝

---

(١) (لمّا) ارتفع وقت الطوفان على أعلى جبل فى الدنيا خمسة عشر ذراعا (حملناكم) أى آباءكم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها) — أى الفعلة . وهى إنجاء المؤمنين و إغراق الكافرين — (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعيها) وتحفظها (أذن) — بضم الذال ، غير نافع — (واعية) حافظة لما تسمع . قال قتادة : وهى أذن عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت .

(٢) (فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) — هى النفخة الأولى . ويموت عندها الناس . والثانية يبعثون عندها — (وحملت الأرض والجبال) رفعتا عن موضعهما (فدكّتا دكّة واحدة) دقّتا وكسرتا ، أى ضرب بعضها ببعض حتّى تندقّ وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثّا ، (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) نزلت النازلة . وهى القيامة . وجواب (إذا) ، (وقعت) ، و (يومئذ) بدل من (إذا) .

(٣) فتّحت أبوابا (فهى يومئذ واهية) مسترخية ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة (والملك) — للجنس بمعنى الجمع . وهو أعمّ من الملائكة — (على أرجائها) جوانبها . واحدها رجا مقصور . لأنّها إذا انشقّت وهى مسكن الملائكة فيلجئون إلى أطرافها .

(٤) (ويحمل عرش ربّك) فوق الملك الذين على أرجائها (يومئذ ثمانية) منهم . واليوم تحمله أربعة . وزيدت أربعة أخرى يوم القيامة . وعن الضحّاك ثمانية صفوف . وقيل ثمانية أصناف .

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١) ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (٢) ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ (٣) أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٤) ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٥) ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٦) ﴿٢٢﴾

(١) (تعرضون) للحساب والسؤال — شبّه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرّف أحواله — (لا تخفى منكم خافية) سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا. و بالياء كوفىّ غير عاصم. وفى الحديث "يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات . فأمّا عرضتان بجدال ومعاذير . وأمّا الثالثة فعندها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه ، والهالك كتابه بشماله" .

(٢) (فأمّا) — تفصيل للعرض — (من أوتى كتابه بيمينه فيقول) سرورا به لما يرى فيه من الخيرات ، خطابا لجماعته : (هاؤم) اسم للفعل. أى خذوا (اقرءوا كتابيه). تقديره (هاؤم) كتابى (اقرءوا كتابيه) فحذف الأوّل لدلالة الثانى عليه . والعامل فى (كتابيه) اقرءوا عند البصريّين . لأنّهم يعملون الأقرب . والهاء فى (كتابيه) و (حسابيه) و (ماليه) و (سلطانيه) للسكت . وحقّها أن تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل. وقد استحبّ إيثار الوقف إيثارا لثباتها لثبوتها فى المصحف .

(٣) علمت. وإنّما أجرى الظنّ مجرى العلم ، لأنّ الظنّ الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والأحكام ، ولأنّ ما يدرك بالاجتهاد قلّما يخلو عن الوسواس والخواطر. وهى تفضى إلى الظنون فجاز إطلاق لفظ الظنّ عليها لما لا يخلو عنه .

(٤) معاين حسابى .

(٥) ذات رضا يرضى بها صاحبها . كلابن .

(٦) رفيعة المكان . أو رفيعة الدرجات . أو رفيعة المبانى والقصور . وهو خبر بعد خبر .

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (١) ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓئًا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢) ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ (٣) ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٤) ﴿٣٢﴾

---

(١) ثمارها قريبة من مريدها ينالها القائم والقاعد والمتكئ .

(٢) يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) أكلا وشربا هنيئا لا مكروه فيهما ولا أذى . أو هنئتم هنيئا — على المصدر — (بما أسلفتم) بما قدمتم من الأعمال الصالحة (فى الأيام الخالية) الماضية من أيام الدنيا . وعن ابن عباس : هى فى الصائمين . أى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله .

(٣) (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) لما يرى فيه من الفضائح (ولم أدر ما حسابيه) أى ياليتنى لم أعلم ما حسابى (ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) أى القاطعة لأمرى . فلم أبعث بعدها ، ولم ألق ما ألقى . (ماأغنى عنى ماليه) أى لم ينفعنى ماجمعته فى الدنيا . فـ (ما) نفى والمفعول محذوف أى شيئا . (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيرا ذليلا . وعن ابن عباس رضى الله عنهما . ضلت عنى حجتى . أى بطلت حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا .

(٤) فيقول الله تعالى لخزنة جهنم (خذوه فغلوه) أى اجمعوا يديه إلى عنقه (ثم الجحيم صلوه) أى أدخلوه — يعنى ثم لا تصلوه إلا الجحيم ، وهى النار العظمى . أو نصب الجحيم بفعل يفسره (صلوه) — (ثم فى سلسلة ذرعها) طولها (سبعون ذراعا) — بذراع الملك ، عن ابن جريج . وقيل لا يعرف قدرها إلا الله — (فاسلكوه) فأدخلوه . والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية .

إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ (١) ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾
فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ (٢) ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣) ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ
إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ (٤) ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٥) ﴿٣٩﴾

(١) تعليل . كأنّه قيل : ماله يعذّب هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بأنه (كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحضّ على طعام المسكين) على بذل طعام المسكين . وفيه إشارة إلى أنّه كان لا يؤمن بالبعث . لأنّ الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم و إنّما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب فى الآخرة فإذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على إطعامهم . أى أنّه مع كفره لا يحرّض غيره على إطعام المحتاجين وفيه دليل قوىّ على عظم جرم حرمان المسكين لأنّه عطفه على الكفر وجعله دليلا عليه وقرينة له ، ولأنّه ذكر الحضّ دون الفعل ليعلم أنّ تارك الحضّ إذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحقّ . وعن أبى الدرداء أنّه كان يحضّ امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين ، و يقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان فلنخلع نصفها بهذا . وهذه الآيات ناطقة على أنّ المؤمنين يرحمون جميعا ، والكافرين لا يرحمون . لأنّه قسم الخلق نصفين فجعل صنفا منهم أهل اليمين ووصفهم بالإيمان فحسب بقوله (إنّى ظننت أنّى ملاق حسابيه) ، وصنفا منهم أهل الشمال ووصفهم بالكفر بقوله (إنّه كان لا يؤمن بالله العظيم). وجاز أنّ الذى يعاقب من المؤمنين إنّما يعاقب قبل أن يؤتى كتابه بيمينه .

(٢) قريب يرفع عنه و يحترق له قلبه .

(٣) غسالة أهل النار . فعلين من الغسل . والنون زائدة . وأريد به هنا ما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم .

(٤) الكافرون أصحاب الخطايا . وخطئ الرجل إذا تعمّد الذنب .

(٥) (فلا أقسم بما تبصرون) من الأجسام والأرض والسماء (وما لا تبصرون) من الملائكة والأرواح . فالحاصل أنّه أقسم بجميع الأشياء .

إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ[1] ۝ تَنزِيلٌ[2] مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ[3] ۝ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ[4] ۝

---

(١) أى إنّ القرآن (لقول رسول كريم) أى محمد صلّى الله عليه وسلّم أو جبريل عليه السلام . أى يقوله و يتكلّم به على وجه الرسالة من عند الله (وما هو بقول شاعر) كما تدّعون (قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن) كما تقولون (قليلا ما تذّكّرون). و بالياء فيهما مكّىّ وشامىّ و يعقوب وسهل . و بتخفيف الذال كوفىّ غير أبى بكر. والقلّة فى معنى العدم . يقال هذه أرض قلّما تنبت . أى لا تنبت أصلا . والمعنى لا تؤمنون ولا تذّكّرون البتّة .

(٢) هو (تنزيل) . بيانا لأنّه قول رسول نزل عليه (من ربّ العالمين) .

(٣) ولو ادّعى علينا شيئا لم نقله (لأخذنا منه باليمين) لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذّب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام. فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول . وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته . وخصّ اليمين لأنّ القتّال إذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ بيساره . وإذا أراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف — وهو أشدّ على المصبور لنظره إلى السيف — أخذ بيمينه. ومعنى (لأخذنا منه باليمين) لأخذنا بيمينه. وكذا (ثمّ لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه . وهو نياط القلب إذا قطع مات صاحبه .

(٤) الخطاب للناس أو للسلمين . (من) زائدة . (عنه) عن قتل محمد . وجمع (حاجزين) وإن كان وصف (أحد) لأنّه فى معنى الجماعة . ومنه قوله تعالى (لا نفرّق بين أحد من رسله) .

وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝ (١) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝ (٢)

(١) وإنّ القرآن (لتذكرة) لعظة (للمتّقين وإنّا لنعلم أنّ منكم مكذّبين وإنّه) وإنّ القرآن (لحسرة على الكافرين) به المكذّبين له إذا رأوا ثواب المصدّقين به (وإنّه) وإنّ القرآن (لحقّ اليقين) لعين اليقين ومحض اليقين .

(٢) (فسبّح) الله بذكر اسمه (العظيم) وهو قوله سبحان الله .

سورة المعارج مكّيّة

وهى أربع وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ (١) بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (٢) لِّلْكَافِرِينَ (٣) لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ مِّنَ اللَّهِ (٤) ذِي الْمَعَارِجِ (٥) ۝ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٦) ۝

(١) هو النضر بن الحرث . قال (إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) . أو هو النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . دعا بنزول العذاب عليهم . (سال) بغير همز ، مدنىّ وشامىّ . وهو من السؤال أيضا إلّا أنّه خفّف بالتليين . و (سائل) مهموز إجماعا .

(٢) لمّا ضمّن سأل معنى دعا عدّى تعديته كأنّه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه . ومنه قوله تعالى (يدعون فيها بكلّ فاكهة) .

(٣) صفة لعذاب . أى (بعذاب واقع) كائن (للكافرين) .

(٤) (ليس) لذلك العذاب (دافع) رادّ. (من الله) متّصل بواقع . أى واقع من عنده . أو بدافع . أى ليس له دافع من جهته تعالى إذا جاء وقته .

(٥) أى مصاعد السماء للملائكة . جمع مِعرَج وهو موضع العروج .

(٦) وصف المصاعد وبعد مداها فى العلوّ والارتفاع فقال (تعرج) تصعد — وبالياء علىّ — (الملائكة والروح) — أى جبريل عليه السلام. خصّه بالذكر بعد العموم لفضله

فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ (١) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ (٢) يَوْمَ (٣) تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ (٤) وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ (٥) وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ (٦)

وشرفه . أو خلق هم حفظة على الملائكة كما أنّ الملائكة حفظة علينا . أو أرواح المؤمنين عند الموت — (إليه) إلى عرشه ومهبط أمره (فى يوم) — من صلة (تعرج) — (كان مقداره خمسين ألف سنة) من سنى الدنيا لو صعد فيه غير الملك . أو من صلة (واقع) . أى يقع (فى يوم) طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم . وهو يوم القيامة . فإمّا أن يكون استطالة له لشدّته على الكفّار أو لأنّه على الحقيقة كذلك . فقد قيل : فيه خمسون موطنا كلّ موطن ألف سنة . وما قدر ذلك على المؤمن إلاّ كما بين الظهر والعصر .

(١) بلا جزع ولا شكوى . متعلّق بـ (سأل سائل) لأنّ استعجال النضر بالعذاب إنّما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلّى الله عليه وسلّم والتكذيب بالوحى . وكان ذلك ممّا يضجر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأمر بالصبر عليه .

(٢) إنّ الكفار (يرونه) أى العذاب أو يوم القيامة (بعيدا) مستحيلا (ونراه قريبا) كائنا لا محالة . فالمراد بالبعيد البعيد من الإمكان ، وبالقريب القريب منه .

(٣) نصب بـ (قريبا) . أى يمكن فى ذلك اليوم . أو هو بدل عن (فى يوم) فيمن علّقه بـ (واقع) .

(٤) كدردىّ الزيت أو كالفضّة المذابة فى تلوّنها .

(٥) كالصوف المصبوغ ألوانا . لأنّ الجبال (جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) فإذا بسّت وطيّرت فى الجوّ أشبهت العهن المنفوش إذا طيّرته الريح .

(٦) (ولا يسأل) قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه . وعن البزىّ والبرجمىّ بضمّ الياء . أى (ولا يُسأل) قريب عن قريب . أى لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه .

يُبَصَّرُونَهُمْ (١) يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى (٢) مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (٣) ﴿١٤﴾ كَلَّآ (٤) إِنَّهَا لَظَىٰ (٥) ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (٦) ﴿١٦﴾

(١) صفة . أى (حميما) مبصَّرين معرَّفين إيّاهم . أو مستأنف . كأنّه لمّا قال (ولا يسأل حميم حميما) قيل لعلّه لا يبصره فقيل (يبصّرونهم) ولكنّهم لتشاغلهم لم يتمكّنوا من تساؤلهم . والواو ضمير الحميم الأوّل . و (هم) ضمير الحميم الثانى . أى يبصّر الأحماء الأحماء . فلا يخفون عليهم . وإنّما جمع الضميران وهما للحميمين لأنّ فعيلا يقع موقع الجمع .

(٢) يتمنّى المشرك . وهو مستأنف . أو حال من الضمير المرفوع أو المنصوب من (يبصّرونهم) .

(٣) (يومَئذ) بالفتح مدنىّ وعلىّ على البناء، للإضافة إلى غير متمكّن . (وصاحبته) وزوجته . (وفصيلته) وعشيرته الأدنين (التى تؤويه) تضمّه انتماء إليها . و بغير همز يزيد . (ومن فى الأرض جميعا) من الناس . (ثمّ ينجيه) الافتداء . عطف على (يفتدى) .

(٤) ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على أنّه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب .

(٥) إنّ النّار — ودلّ ذكر العذاب عليها . أو هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر . أو ضمير القصّة — (لظى) علم للنار .

(٦) (نزّاعةً) حفص والمفضّل ، على الحال المؤكّدة . أو على الاختصاص ، للتهويل . وغيرهما بالرفع ؛ خبر بعد خبر لإنّ . أو على هى (نزّاعةٌ للشوى) لأطراف الإنسان كاليدين والرجلين . أو جمع شواة . وهى جلدة الرأس تنزعها نزعا فتفرّقها ثمّ تعود إلى ما كانت .

تَدْعُوا۟[1] مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ[2] ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا[3] ۝ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ[4] ۝ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ[5] ۝ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ[6] ۝

---

(١) (تدعو) بأسمائهم يا كافر يا منافق إلىّ. إلىّ. أو تهلك. من قولهم دعاك الله أى أهلكك. أو لمّا كان مصيره إليها جعلت كأنّها دعته .

(٢) (من أدبر) عن الحقّ (وتولّى) عن الطاعة (وجمع) المال (فأوعى) بجعله فى وعاء ولم يؤدّ حقّ الله منه .

(٣) (إنّ الإنسان) — أريد به الجنس ليصحّ استثناء المصلّين منه — (خلق هلوعا) . عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيره ما بعده (إذا مسّه الشرّ جزوعا وإذا مسّه الخير منوعا). والهلع سرعة الجزع عند مسّ المكروه وسرعة المنع عند مسّ الخير . وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع ، فقال قد فسّره الله تعالى. ولا يكون تفسير أبين من تفسيره . وهو الذى إذا ناله شرّ أظهر شدّة الجزع ، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس . وهذا طبعه . وهو مأمور بمخالفة طبعه ، وموافقة شرعه . والشرّ الضرّ والفقر ، والخير السعة والغنى أو المرض والصحّة .

(٤) أى (على) صلواتهم الخمس (دائمون) أى يحافظون عليها فى مواقيتها ، عن ابن مسعود رضى الله عنه .

(٥) يعنى الزكاة لأنّها مقدّرة معلومة . أو صدقة يوظّفها الرجل على نفسه يؤدّيها فى أوقات معلومة (للسّائل) الذى يسأل (والمحروم) الذى يتعفّف عن السؤال فيحسب غنيّا فيحرم .

(٦) أى يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة .

وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ[١] ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ[٢] ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ[٣] ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ[٤] ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ[٥] ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ[٦] ﴿٣٤﴾

---

(١) (مشفقون) خائفون . واعترض بقوله (إنّ عذاب ربّهم غير مأمون) بالهمز سوى أبي عمرو . أى لا ينبغى لأحد و إن بالغ فى الاجتهاد والطاعة أن يأمنه ، وينبغى أن يكون مترجّحا بين الخوف والرجاء .

(٢) (إلّا على) نسائهم (أو ما ملكت أيمانهم) أى إمائهم (فإنّهم غير ملومين) على ترك الحفظ .

(٣) (فمن) طلب منكحا (وراء ذلك) أى غير الزوجات والمملوكات (فأولئك هم العادون) المتجاوزون عن الحلال إلى الحرام . وهذه الآية تدلّ على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والاستمناء بالكفّ .

(٤) (والذين هم لأماناتهم) — مكّىّ . وهى تتناول أمانات الشرع وأمانات العباد — (وعهدهم) أى عهودهم — ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والأيمان — (راعون) حافظون غير خائنين ولا ناقضين . وقيل الأمانات ما تدلّ عليه العقول ، والعهد ما أتى به الرسول .

(٥) (والذين هم بشهاداتهم) — سهل . و بالألف ، حفص و يعقوب — (قائمون) يقيمونها عند الحكّام بلا ميل إلى قريب وشريف ، وترجيح للقوىّ على الضعيف ، إظهارا للصلابة فى الدين ، و رغبة فى إحياء حقوق المسلمين .

(٦) كرّر ذكر الصلاة لبيان أنّها أهمّ . أو لأنّ أحداهما للفرائض ، والأخرى للنوافل . وقيل الدوام عليها الاستكثار منها ، والمحافظة عليها ألّا تضيع عن مواقيتها . أو الدوام عليها أداؤها فى أوقاتها ، والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها .

أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ[1] ﴿٣٥﴾ فَمَالِ[2] ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ[3] ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ[4] ﴿٣٨﴾ كَلَّآ[5] إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ[6] ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ[7] ﴿٤١﴾

---

(١) أصحاب هذه الصفات (فى جنّات مكرمون) . هما خبران .

(٢) كتب مفصولا اتّباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه .

(٣) (قبلك) — نحوك — معمول (مهطعين) مسرعين. حال من (الذين كفروا). (عن اليمين وعن الشمال) عن يمين النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وعن شماله (عزين) حال. أى فرقاشتّى. جمع عزة. وأصلها عزوة كأنّ كلّ فرقة تعتزى إلى غير من تعتزى إليه الأخرى فهم مفترقون. كان المشركون يحتفّون حول النبىّ صلّى الله عليه وسلّم حلقا حلقا ، وفرقا فرقا ، يستمعون ويستهزئون بكلامه ، ويقولون إن دخل هؤلاء الجنّة كما يقول محمد فلندخلنّها قبلهم. فنزلت.

(٤) (أن يدخل) — بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضّل — (جنّة نعيم) كالمؤمنين .

(٥) ردع لهم عن طمعهم فى دخول الجنة .

(٦) أى من النطفة المذرة . ولذلك أبهم إشعارا بأنّه منصب يستحيا من ذكره . فمن أين يتشرّفون ويدّعون التقدّم ويقولون لندخلنّ الجنّة قبلهم ؟ أو معناه (إنّا خلقناهم) من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلّهم . ومن حكمنا ألّا يدخل أحد الجنّة إلّا بالإيمان. فلم يطمع أن يدخلها من لا إيمان له ؟ .

(٧) (فلا أقسم بربّ) مطالع الشمس ومغاربها (إنّا لقادرون على أن نبدّل خيرا منهم) على أن نهلكهم ونأتى بخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) بعاجزين .

فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ[1] ﴿٤٣﴾ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ[2] ﴿٤٤﴾

(١) فدع المكذبين (يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) فيه العذاب (يوم) — بدل من (يومهم) — (يخرجون) — بفتح الياء وضم الراء سوى الأعشى — (من الأجداث) القبور (سراعا) — جمع سريع . حال . أى إلى الداعى — (كأنهم) — حال — (إلى نصب) — شامى وحفص وسهل . (نَصَب) المفضل . (نَصْب) غيرهم . وهو كل ما نصب وعبد من دون الله — (يوفضون) يسرعون .

(٢) (خاشعة) حال من ضمير (يخرجون) . أى ذليلة (أبصارهم) يعنى لا يرفعونها لذلتهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم هوان . (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا وهم يكذبون به .

سورة نوح عليه السلام مكّية

وهى ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا(١) إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ(٢) قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٣) ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ(٤) إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ(٥) ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ(٦) وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ(٧) ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى(٨)

(١) قيل معناه بالسريانيّة الساكن .

(٢) خوّف . أصله بأن أنذر . فحذف الجارّ وأوصل الفعل ومحلّه عند الخليل جرّ ، وعند غيره نصب . أو (أن) مفسّرة بمعنى أى لأنّ فى الإرسال معنى القول .

(٣) عذاب الآخرة أو الطوفان .

(٤) أضافهم إلى نفسه إظهارا للشفقة .

(٥) مخوّف (مبين) أبيّن لكم رسالة الله بلغة تعرفونها .

(٦) وحّدوه . و (أن) هذه نحو (أن أنذر) فى الوجهين .

(٧) واحذروا عصيانه (وأطيعون) فيما آمركم به وأنهاكم عنه . وإنّما أضافه إلى نفسه لأنّ الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة .

(٨) (يغفرلكم) جواب الأمر. (من ذنوبكم) للبيان كقوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) أو للتبعيض لأنّ ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الإسلام كالقصاص وغيره . كذا فى شرح التأويلات. (ويؤخّركم إلى أجل مسمّى) وهو وقت موتكم .

إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١) ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا (٢) ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٣) ﴿٩﴾

---

(١) (إنّ) الموت (إذا جاء لا يؤخّر لو كنتم تعلمون) . أى (لو كنتم تعلمون) ما يحلّ بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم ، لآمنتم . قيل إنّ الله تعالى قضى مثلا أنّ قوم نوح إن آمنوا عمّرهم ألف سنة ، وإن لم يؤمنوا أهلكهم على رأس تسعمائة . فقيـل لهم : آمنوا يؤخّركم إلى أجل مسمّى . أى تبلغوا الألف سنة. ثمّ أخبر أنّ الأجل إذا جاء لا يؤخّر كما يؤخّر هـذا الوقت . وقيل إنّهـم كانوا يخافون على أنفسهم الإهلاك من قومهم بإيمـانهم وإجابتهم لنوح عليه السلام . فكأنّه عليه السلام أمّنهـم من ذلك ووعدهم أنّهم بإيمـانهم يبقون إلى الأجل الذى ضرب لهم لو لم يؤمنوا . أى أنّكم إن أسـلمتم بقيتم إلى أجل مسمّى آمنين من عدوّكم .

(٢) (دعوت قومى) دائما بلا فتور (فلم يزدهم دعائى إلّا فرارا) عن طاعتك . ونسب ذلك إلى دعائه لحصوله عنـده ، وإن لم يكن الدعاء سببا للفرار فى الحقيقة . وهو كقوله (وأمّا الذين فى قلوبهـم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) والقرآن لا يكون سببا لزيادة الرجس . وكان الرجل يذهب بابنـه إلى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فلا يغرّنّك فإنّ أبى قد وصّانى به .

(٣) (كلّما دعوتهم) إلى الإيمـان بك (لتغفر لهم) أى ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر المسبّب (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) سدّوا مسامعهم لئلا يسمعوا كلامى (واستغشوا ثيابهم) وتغطّوا بثيابهـم لئلا يبصرونى كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم فى دين الله (وأصرّوا) وأقاموا على كفرهم (واستكبروا استكبارا) وتعظّموا عن إجابتى . وذكر المصدر دليـل على

فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ[1] إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا[2] ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾
وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا[3] ﴿١٢﴾

فرط استكبارهم (ثمّ إنّى دعوتهم جهارا) مصدر فى موضع الحال . أى مجاهرا . أو مصدر (دعوتهم) كقعد القرفصاء لأنّ الجهار أحد نوعى الدعاء . يعنى أظهرت لهم الدعوة فى المحافل (ثمّ إنّى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) أى خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السرّ. فالحاصل أنّه دعاهم ليلا ونهارا فى السرّ ، ثمّ دعاهم جهارا ، ثمّ دعاهم فى السرّ والعلن ، وهكذا يفعل الآمر بالمعروف: يبتدئ بالأهون ثمّ بالأشدّ فالأشدّ . فافتتح بالمناصحة فى السرّ. فلمّا لم يقبلوا ثنّى بالمجاهرة . فلمّا لم تؤثّر ثلّث بالجمع بين الإسرار والإعلان . و (ثمّ) تدلّ على تباعد الأحوال لأنّ الجهار أغلظ من الإسرار . والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما .

(١) (استغفروا ربّكم) من الشرك . لأنّ الاستغفار طلب المغفرة . فإن كان المستغفر كافرا فهو من الكفر . وإن كان عاصيا مؤمنا فهو من الذنوب .

(٢) لم يزل غفّارا لذنوب من ينيب إليه .

(٣) (يرسل) المطر (عليكم مدرارا) كثيرة الدرور — ومفعال يستوى فيه المذكّر والمؤنّث — (ويمددكم بأموال وبنين) يزدكم أموالا وبنين (ويجعل لكم جنّات) بساتين (ويجعل لكم أنهارا) جارية لمزارعكم وبساتينكم . وكانوا يحبّون الأموال والأولاد فحرّكوا بهذا على الإيمان. وقيل لمّا كذّبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة أو سبعين . فوعدهم أنّهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب، ورفع عنهم ما كانوا فيه . وعن عمر رضى الله عنه أنّه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار . فقيل له ما رأيناك استسقيت . فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر . شبّه عمر الاستغفار بالأنواء الصادقة التى لا تخطئ . وقرأ الآيات . وعن الحسن أنّ رجلا شكا إليه الجدب . فقال استغفر الله . وشكا إليه آخر الفقر ، وآخر قلّة النسل ، وآخر قلّة ريع أرضه ، فأمرهم كلّهم بالاستغفار . فقال له الربيع بن صبيح : أتاك رجال يشكون أبوابا ، فأمرتهم كلّهم بالاستغفار . فتلا الآيات.

مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا(١) ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا(٢) ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا(٣) وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا(٤) ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا(٥) ﴿١٨﴾

(١) (ما لكم) لا تخافون (لله) عظمة، عن الأخفش. قال: والرجاء هنا الخوف. لأنّ مع الرجاء طرفا من الخوف ومن اليأس. والوقار العظمة. أو لا تأملون له توقيرا أى تعظيما. والمعنى مالكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إيّاكم فى دار الثواب (وقد خلقكم أطوارا) فى موضع الحال. أى مالكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للإيمان به. لأنّه (خلقكم أطوارا) أى تارات وكرات: خلقكم أوّلا نطفا، ثمّ خلقكم علقا، ثمّ خلقكم مضغا، ثمّ خلقكم عظاما ولحما.

(٢) نبّههم أوّلا على النظر فى أنفسهم لأنّها أقرب، ثمّ على النظر فى العالم وما سوّى فيه من العجائب الدالّة على الصانع بقوله (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضا على بعض.

(٣) (فيهنّ) أى فى السموات. وهو فى السماء الدنيا. لأنّ بين السموات ملابسة من حيث إنّها طباق. فجاز أن يقال فيهنّ كذا، وإن لم يكن فى جميعهنّ، كما يقال فى المدينة كذا، وهو فى بعض نواحيها. وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم "إنّ الشمس والقمر وجوههما مما يلى السموات وظهورهما مما يلى الأرض". فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لأنّها لطيفة لا تحجب نوره.

(٤) مصباحا يبصر أهل الدنيا فى ضوئها كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره. وضوء الشمس أقوى من نور القمر. وأجمعوا على أنّ الشمس فى السماء الرابعة.

(٥) (والله) أنشأكم. استعير الإنبات للإنشاء. (نباتا) فنبتم نباتا (ثمّ يعيدكم فيها) بعد الموت (ويخرجكم) يوم القيامة (إخراجا) أكّده بالمصدر. أى أىّ إخراج.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا[1] ﴿٢٠﴾
قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ
إِلَّا خَسَارًا[2] ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا[3] كُبَّارًا[4] ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ
وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا[5] ﴿٢٣﴾

[1] (والله جعل لكم الأرض) مبسوطة (لتسلكوا منها) لتتقلّبوا عليها كما يتقلّب الرجل على بساطه . (سبلا) طرقا (فجاجا) واسعة أو مختلفة .

[2] (عصونى) فيما أمرتهم به من الإيمان والاستغفار (واتّبعوا) أى السفلة والفقراء (من لم يزده ماله وولده) — أى الرؤساء وأصحاب الأموال والأولاد . (ووُلْده) مكّىّ وعراقىّ غير عاصم . وهو جمع ولد، كأسد وأسد — (إلّا خسارا) فى الآخرة .

[3] معطوف على (لم يزده) . وجمع الضمير وهو راجع إلى (من) لأنّه فى معنى الجمع . والماكرون هم الرؤساء . ومكرهم احتيالهم فى الدين ، وكيدهم لنوح ، وتحريش الناس على أذاه ، وصدّهم عن الميل إليه .

[4] عظيما . وهو أكبر من الكُبّار . وقرئ به . وهو أكبر من الكبير .

[5] (وقالوا) أى الرؤساء لسفلتهم (لا تذرنّ آلهتكم) على العموم أى عبادتها (ولا تذرنّ ودّا) — بفتح الواو وضمّها . وهو قراءة نافع . لغتان . صنم على صورة رجل — (ولا سواعا) — هو على صورة امرأة — (ولا يغوث) — هو على صورة أسد — (ويعوق) — هو على صورة فرس . وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل إن كانا عربيّين ، وللتعريف والعجمة إن كانا أعجميّين — (ونسرا) هو على صورة نسر . أى هذه الأصنام الخمسة على الخصوص . وكأنّها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم . فخصّوها بعد العموم . وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب . فكان ودّ لكلب ، وسواع لهمدان ، ويغوث لمَذْحِج ، ويعوق لمُراد ، ونسر لحمير . وقيل هى أسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلمّا ماتوا صوّروهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى العبادة . فلمّا طال الزمان قال لهم إبليس إنّهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم .

وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا[1] وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا[2] ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا[3] فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا[4] ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا[5] ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا[6] ﴿٢٧﴾

---

(١) (وقد أضلّوا) أى الأصنام كقوله (إنّهنّ أضللن كثيرا من الناس) . أو الرؤساء .

(٢) عطف على (ربّ إنّهم عصونى) على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد (قال) وبعد الواو النائبة عنه . ومعناه (قال نوح ربّ إنّهم عصونى) (و) قال (لا تزد الظالمين) — أى قال هذين القولين . وهما فى محلّ النصب لأنّهما مفعولا (قال) — (إلّا ضلالا) هلاكا . كقوله (ولا تزد الظالمين إلّا تبارا) .

(٣) (ممّا خطاياهم) — أبوعمرو . أى ذنوبهم — (أغرقوا) بالطوفان (فأدخلوا نارا) عظيمة . وتقديم (ممّا خطيئاتهم) لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان ، وإدخالهم فى النيران ، إلّا من أجل خطيئاتهم . وأكّد هذا المعنى بزيادة (ما) . وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا . فإنّ كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وإن كانت كبراهنّ . والفاء فى (فأدخلوا) للإيذان بأنّهم عذّبوا بالإحراق عقيب الإغراق . فيكون دليلا على إثبات عذاب القبر .

(٤) (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله .

(٥) أى أحدا يدور فى الأرض . وهو فيعال من الدور . وهو من الأسماء المستعملة فى النفى العامّ .

(٦) (إن تذرهم) ولا تهلكهم(يضلّوا عبادك) يدعوهم إلى الضلال (ولا يلدوا إلّا فاجرا كفّارا) إلّا من إذا بلغ فجر وكفر . وإنّما قال ذلك لأنّ الله تعالى أخبره بقوله (لن يؤمن من قومك إلّا من قد آمن) .

رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ (١) وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ (٢) وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٣) ﴿٢٨﴾

(١) وكانا مسلمين . واسم أبيه لمك . واسم أمّه شمخاء . وقيل هما آدم وحوّاء . وقرئ (ولولدىّ) يريد ساما وحاما .

(٢) (ولمن دخل) منزلى أو مسجدى أو سفينتى (مؤمنا) لأنّه علم أنّ من دخل بيته مؤمنا لا يعود إلى الكفر (وللمؤمنين والمؤمنات) إلى يوم القيامة . خصّ أوّلا من يتّصل به لأنّهم أولى وأحقّ بدعائه ثمّ عمّ المؤمنين والمؤمنات .

(٣) أى (ولا تزد) الكافرين (إلّا تبارا) هلاكا فأهلكوا . قال ابن عباس رضى الله عنهما : دعا نوح عليه السلام بدعوتين إحداهما للمؤمنين بالمغفرة ، وأخرى على الكافرين بالتبار . وقد أجيبت دعوته فى حقّ الكفار بالتبار . فاستحال ألّا تستجاب دعوته فى حقّ المؤمنين. واختلف فى صبيانهم حين أغرقوا . فقيل أعقم الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يكن معهم صبىّ حين أغرقوا . وقيل : علم الله براءتهم فأهلكوا بغير عذاب . والله أعلم .

سورة الجنّ مكّيّة

وهى ثمان وعشرون آية



قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ[1] ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا[2] ﴿١﴾

(١) (قل) يا محمد لأمّتك (أوحى إلىّ أنّه) أنّ الأمر والشأن . أجمعوا على فتح (أنّه) لأنّه فاعل (أوحى)، و (أن لو استقاموا. وأنّ المساجد) للعطف على (أنّه استمع) فأن مخففة من الثقيلة ، و (أن قد أبلغوا) لتعدّى يعلم إليها ، وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء و بعد القول نحو (فإنّ له نار جهنّم . وقالوا إنّا سمعنا) لأنّه مبتدأ محكىّ بعد القول . واختلفوا فى فتح الهمزة وكسرها من (أنّه تعالى جدّ ربّنا) إلى (وأنّا منّا المسلمون) ففتحها شامىّ وكوفىّ غير أبى بكر ، عطفا على (أنّه استمع) أو على محلّ الجارّ والمجرور فى (آمنّا به) تقديره صدّقناه وصدّقنا أنّه تعالى جدّ ربّنا (وأنّه كان يقول سفيهنا) إلى آخرها . وكسرها غيرهم عطفا على (إنّا سمعنا) وهم يقفون على آخر الآيات .

(٢) (استمع نفر) جماعة من الثلاثة إلى العشرة (من الجنّ) جنّ نصيبين (فقالوا) لقومهم حين رجعوا إليهم من استماع قراءة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى صلاة الفجر: (إنّا سمعنا قرآنا عجبا) عجيبا بديعا مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحّة معانيه. والعجب ما يكون خارجا عن العادة . وهو مصدر وضع موضع العجيب .

يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا (١) ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا (٢) مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا (٤) ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (٥) ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) ﴿٦﴾

(١) يدعو إلى الصواب ، أو إلى التوحيد والإيمان (فآمنّا به) بالقرآن . ولما كان الإيمان به إيمانا بالله و بوحدانيّته و براءة من الشرك ، قالوا (ولن نشرك بربّنا أحدا) من خلقه . وجاز أن يكون الضمير فى (به) لله تعالى لأنّ قوله (بربّنا) يفسّره .

(٢) عظمته . يقال جدّ فلان فى عينى أى عظم . ومنه قول عمر أو أنس : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا . أى عظم فى عيوننا .

(٣) (ما اتّخذ) زوجة (ولا ولدا) كما يقول كفّار الجنّ والإنس .

(٤) (وأنّه كان يقول) جاهلنا أو إبليس — إذ ليس فوقه سفيه — (على الله شططا) كفرا لبعده عن الصواب . من شطّت الدار ، أى بعدت . أو قولا يجوز فيه عن الحقّ . وهو نسبة الصاحبة والولد إليه . والشطط مجاوزة الحدّ فى الظلم وغيره .

(٥) قولا (كذبا) أو مكذوبا فيه . أو نصب على المصدر إذ الكذب نوع من القول أى كان فى ظنّنا أنّ أحدا لن يكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد إليه . فكنّا نصدّقهم فيما أضافوا إليه حتّى تبيّن لنا بالقرآن كذبهم .

(٦) كان الرجل من العرب إذا نزل بمخوف من الأرض قال أعوذ بسيّد هذا الوادى من سفهاء قومه — يريد كبير الجنّ — فقال (وأنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم) أى زاد الإنس الجنّ باستعاذتهم بهم (رهقا) طغيانا وسفها وكبرا بأن قالوا سدنا الجنّ والإنس أو فزاد الجنّ الإنس (رهقا) إثما لاستعاذتهم بهم . وأصل الرهق غشيان المحظور .

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا[1] ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ[2] فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا[3] وَشُهُبًا[4] ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا[5] ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا[6] ﴿١٠﴾

---

(١) وأنّ الجنّ (ظنّوا كما ظننتم) يأهل مكّة (أن لن يبعث الله أحدا) بعد الموت . أى أنّ الجنّ كانوا ينكرون البعث كإنكاركم ثمّ بسماع القرآن اهتدوا وأقرّوا بالبعث . فهلّا أقررتم كما أقرّوا !

(٢) طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها . واللمس المسّ . فاستعير للطلب لأنّ الماسّ طالب متعرّف .

(٣) جمعا أقوياء من الملائكة يحرسون. جمع حارس . ونصب على التمييز . وقيل الحرس اسم مفرد فى معنى الحرّاس ، كالخدم فى معنى الخدّام ، ولذا وصف بشديد . ولو نظر إلى معناه لقيل شدادا .

(٤) جمع شهاب أى كواكب مضيئة .

(٥) (وأنّا كنّا نقعد) من السماء قبل هذا (مقاعد للسمع) لاستماع أخبار السماء . يعنى كنّا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث (فمن يستمع) يرد الاستماع بعد المبعث (يجد له) لنفسه (شهابا رصدا) صفة لشهابا بمعنى الراصد . أى يجد شهابا راصدا له ولأجله . أو هو اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم . وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع . والجمهور على أنّ ذلك لم يكن قبل مبعث محمد صلّى الله عليه وسلّم . وقيل كان الرجم فى الجاهليّة . ولكن الشياطين كانت تسترق السمع فى بعض الأوقات فمنعوا من الاستراق أصلا بعد مبعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

(٦) (أ) عذاب (أريد بمن فى الأرض) بعدم استراق السمع (أم أراد بهم ربّهم رشدا) خيرا ورحمة .

وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ[1] كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا[2] ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ[3] وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا[4] ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا[5] ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ[6] فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا[7] ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا[8] ﴿١٥﴾

---

(١) (وأنّا منّا) الأبرار المتّقون (ومنّـا) قوم (دون ذلك) فحذف الموصوف . وهم المقتصدون فى الصلاح غير الكاملين فيه . أو أرادوا غير الصالحين .

(٢) بيـان للقسمة المذكورة أى كنّا ذوى مذاهب متفرّقة أو أديان مختلفة . والقـدد جمع قدّة وهى القطعة من قددت السير أى قطعته .

(٣) أيقنّا (أن لن نعجز الله) لن نفوته (فى الأرض) حال . أى لن نعجزه كائنين (فى الأرض) أينما كنّا فيها .

(٤) مصـدر فى موضع الحال . أى (ولن نعجزه) هاربين منها إلى السماء . وهذه صفة الجنّ وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم .

(٥) (لمّـا سمعنا) القرآن (آمنّا به) بالقرآن أو بالله (فمن يؤمن بربّه فـ) هو (لا يخاف) — مبتدأ وخبر — (بخسا) نقصا من ثوابه (ولا رهقا) أى ولا ترهقه ذلّة . من قوله (وترهقهم ذلّة) ، قوله (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلّة) . وفيه دليل على أنّ العمل ليس من الإيمان .

(٦) (منّا) المؤمنون (ومنّا القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحقّ . قسط جار . وأقسط عدل .

(٧) طلبوا هدى . والتحرّى طلب الأحرى أى الأولى .

(٨) (فكانوا) فى علم الله (لجهنّم حطبا) وقودا . وفيه دليل على أنّ الجنّىّ الكافر يعذّب فى النار . ويتوقّف فى كيفية ثوابهم .

وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا[1] ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا[2] ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا[3] ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا[4] ﴿١٩﴾

---

(١) (أن) مخفّفة من الثقيلة . يعنى وأنّه . وهى من جملة الموحى . أى أوحى إلىّ أنّ الشأن (لو استقاموا) أى القاسطون (على الطريقة) طريقة الإسلام (لأسقيناهم ماء غدقا) كثيرا . والمعنى لوسّعنا عليهم الرزق — وذكر الماء الغدق لأنّه سبب سعة الرزق — (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خوّلوا منه .

(٢) (ومن يعرض عن) القرآن أو التوحيد أو العبادة (يسلكه) — بالياء عراقىّ غير أبى بكر — يدخله (عذابا صعدا) شاقّا . مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا . فوصف به العذاب لأنّه يتصعّد المعذّب أى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه . ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تصعّدنى شىء ما تصعّدتنى خطبة النكاح . أى ما شقّ علىّ .

(٣) من جملة الموحى . أى أوحى إلىّ (أنّ المساجد) أى البيوت المبنيّة للصلاة فيها (لله) . وقيل معناه : (و) لـ(أنّ المساجد لله فلا تدعوا) على أنّ اللام متعلّقة بلا تدعوا . أى (فلا تدعوا مع الله أحدا) فى المساجد لأنّها خالصة لله ولعبادته . وقيل المساجد أعضاء السجود وهى الجبهة واليدان والركبتان والقدمان .

(٤) (لمّا قام) محمد عليه السلام إلى الصلاة . وتقديره (و) أوحى إلىّ (أنّه لمّا قام عبد الله يدعوه) يعبده ويقرأ القرآن — ولم يقل نبىّ الله أو رسول الله لأنّه من أحبّ الأسماء إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، ولأنّه لمّا كان واقعا فى كلامه صلّى الله عليه وسلّم عن نفسه جىء به على ما يقتضيه التواضع ، أو لأنّ عبادة عبد الله لله ليست بمستبعد حتّى يكونوا عليه لبدا — (كادوا) كاد الجنّ (يكونون عليه لبدا) جماعات — جمع لبدة — تعجّبا ممّا رأوا من عبادته ، واقتداء أصحابه به ، وإعجابا بما تلاه من القرآن. لأنّهم رأوا ما لم يروا مثله .

قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا(١) ۝ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا(٢) ۝ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ(٣) وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا(٤) ۝ إِلَّا بَلَٰغًا(٥) مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ(٦)

(١) (قل إنّما أدعوا ربّى) وحده — (قال) غير عاصم وحمزة — (ولا أشرك به أحدا) فى العبادة . فلم تتعجّبون وتزدحمون علىّ ؟

(٢) (قل إنّى لا أملك لكم) مضرّة (ولا رشدا) نفعا. أو أراد بالضرّ الغىّ بدليل قراءة أبىّ (غيّا ولا رشدا) . يعنى لا أستطيع أن أضرّكم وأن أنفعكم . لأنّ الضارّ والنافع هو الله .

(٣) لن يدفع عنّى عذابه أحد إن عصيته كقول صالح عليه السلام (فمن ينصرنى من الله إن عصيته) .

(٤) ملتجأ .

(٥) استثناء من (لا أملك) . أى (لا أملك لكم ضرّا ولا رشدا) — (إلّا بلاغا من الله) . و (قل إنّى لن يجيرنى) اعتراض لتأكيد نفى الاستطاعة عن نفسه و بيان عجزه . وقيل (بلاغا) بدل من (ملتحدا) . أى (لن أجد من دونه) منجى (إلّا) أن أبلّغ عنه ما أرسلنى به . يعنى لا ينجينى إلّا أن أبلّغ عن الله ما أرسلت به فإنّ ذلك ينجينى . وقال الفرّاء هـذا شرط وجزاء وليس باستثناء . و إن منفصلة من لا وتقديره إن لا أبلّغ بلاغا . أى إن لم أبلّغ لم أجد من دونه ملتجأ ولا مجيرا لى كقولك إن لا قياما فقعودا . والبلاغ فى هذه الوجوه بمعنى التبليغ . و (من) ليست بصلة للتبليغ . لأنّه يقال بلّغ عنه . إنّما هى بمنزلة (من) فى (براءة من الله) أى (بلاغا) كائنا (من الله) .

(٦) عطف على (بلاغا) . كأنّه قيل (لا أملك لكم) إلّا التبليغ والرسالات . أى إلّا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا لقوله إليه ، وأن أبلّغ رسالته التى أرسلنى بها بلا زيادة ونقصان.

وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا (١) ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢) ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا (٣) ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ (٤)

(١) (ومن يعص الله ورسوله) فى ترك القبول لما أنزل على الرسول — لأنّه ذكر على أثر تبليغ الرسالة — (فإنّ له نار جهنّم خالدين فيها أبدا). وحّد فى قوله (له) وجمع فى (خالدين) للفظ (من) ومعناه .

(٢) يتعلّق بمحذوف دلّت عليه الحال . كأنّه قيل لا يزالون على ماهم عليه (حتّى إذا رأوا ما يوعدون) من العذاب (فسيعلمون) عند حلول العذاب بهم (من أضعف ناصرا وأقلّ عددا) أهم أم المؤمنون. أى الكافر لا ناصر له يومئذ، والمؤمن ينصره الله وملائكته وأنبياؤه.

(٣) ما أدرى (أقريب ماتوعدون) من العذاب (أم يجعل له ربّى) — وبفتح الياء حجازىّ وأبو عمرو — (أمدا) غاية بعيدة . يعنى أنّكم تعذّبون قطعا . ولكن لا أدرى أهو حالّ أم مؤجّل .

(٤) (عالم) خبر مبتدأ . أى هو (عالم الغيب فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه أحدا) من خلقه (إلّا من ارتضى من رسول) إلّا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ليكون إخباره عن الغيب معجزة له . فإنّه يطلعه على غيبه ماشاء . و (من رسول) بيان لمن ارتضى. والولىّ إذا أخبر بشىء فظهر فهو غير جازم عليه . ولكنّه أخبر بناء على رؤياه أو بالفراسة . على أنّ كلّ كرامة للولىّ فهى معجزة للرسول . وذكر فى التأويلات : قال بعضهم فى هذه الآية دلالة تكذيب المنجّمة . وليس كذلك فإنّ فيهم من يصدق خبره . وكذلك المتطبّبة يعرفون طبائع النبات . وذا لايعرف بالتأمّل . فعلم بأنّهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره وبقى علمه فى الخلق .

فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا(١) ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ(٢) وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا(٣) ﴿٢٨﴾

(١) يدخل (من بين يديه) يدى الرسول (ومن خلفه رصدا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين و يعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتّى يبلّغ الوحى .

(٢) (ليعلم) الله (أن قد أبلغوا) أى الرسل (رسالات ربّهم) كاملة بلا زيادة ولا نقصان إلى المرسل إليهم . أى ليعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده أنّه يوجد . وحّد الضمير فى (من بين يديه) للفظ (من) ، و جمع فى (أبلغوا) لمعناه .

(٣) (وأحاط) الله (بما لديهم) بما عند الرسل من العلم (وأحصى كلّ شىء عددا) من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار . فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه ؟و (عددا) حال. أى وعلم كلّ شىء معدودا محصورا . أو مصدر فى معنى إحصاء. والله أعلم

سورة المزّمّل صلّى الله عليه وسلّم مكّيّة

وهى تسع عشرة آية بصرىّ وثمان عشرة شامىّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ[1] وَرَتِّلِ[2] ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا[3] ۝

(١) أى المتزمّل . وهو الذى تزمّل فى ثيابه . أى تلفّف بها . بادغام التاء فى الزاى . وكان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم نائما بالليل متزمّلا فى ثيابه . فأمر بالقيام للصلاة بقوله (قم الليل إلّا قليلا نصفه) — بدل من (الليل) . و (إلّا قليلا) استثناء من قوله نصفه — تقديره (قم) نصف الليل (إلّا قليلا) من نصف الليل (أو انقص) من النصف — بضم الواو، غير عاصم وحمزة — (قليلا) إلى الثلث (أو زد عليه) على النصف إلى الثلثين. والمراد التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقلّ من نصف الليل على البتّ، و بين أن يختار أحد الأمرين . وهما النقصان من النصف والزيادة عليه. و إن جعلت (نصفه) بدلا من (قليلا) كان مخيّرا بين ثلاثة أشياء بين قيام نصف الليل تامّا و بين قيام الناقص منه و بين قيام الزائد عليه. و إنّما وصف النصف بالقلّة بالنسبة إلى الكلّ. و إلّا فإطلاق لفظ القليل ينطلق على مادون النصف. ولهذا قلنا إذا أقرّ أنّ لفلان عليه ألف درهم إلّا قليلا أنّه يلزمه أكثر من نصف الألف .

(٢) بيّن وفصّل. من الثغر المرتّل أى المفلّج الأسنان. وكلام رتل بالتحريك. أى مرتّل. وثغر رتل أيضا إذا كان مستوى البنيان . أو اقرأ على تؤدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف و إشباع الحركات .

(٣) هو تأكيد فى إيجاب الأمر به وأنّه لا بدّ منه للقارئ .

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (١) ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ (٢) اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا (٣) وَأَقْوَمُ قِيلًا (٤) ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٥) ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ (٦) اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ (٧) إِلَيْهِ

(١) سننزل عليك (قولا ثقيلا) أى القرآن لما فيه من الأوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقّة ثقيلة على المكلّفين . أو (ثقيلا) على المنافقين . أو كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف .

(٢) بالهمز سوى ورش . قيام الليل ، عن ابن مسعود رضى الله عنه . فهو مصدر من نشأ إذا قام ونهض ، على فاعلة كالعافية . أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث . أو ساعات الليل لأنّها تنشأ ساعة فساعة. وكان زيد العابدين رضى الله عنه يصلّى بين العشاءين ويقول : هذه ناشئة الليل .

(٣) (وِطاءً) وفاقا ، شامىّ وأبو عمرو . أى يواطئ فيها قلب القائم لسانه . وعن الحسن أشدّ موافقة بين السرّ والعلانية ، لانقطاع رؤية الخلائق . غيرهما (وطأ) أى أثقل على المصلّى من صلاة النهار لطرد النوم فى وقته ، من قوله صلّى الله عليه وسلّم " اللّهم اشدد وطأتك على مضر " .

(٤) وأشدّ مقالا وأثبت قراءة لهدوّ الأصوات وانقطاع الحركات .

(٥) (إنّ لك فى النهار) تصرّفا وتقلّبا فى مهمّاتك وشواغلك ، ففرّغ نفسك فى الليل لعبادة ربّك . أو فراغا طويلا لنومك وراحتك .

(٦) ودم على ذكره فى الليل والنهار . وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم .

(٧) انقطع إلى عبادته عن كلّ شىء ، والتبتّل الانقطاع إلى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره . وقيل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله .

تَبْتِيلًا (١) ۝ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ (٢) فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٣) ۝ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ (٤) وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (٥) ۝ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (٦) ۝ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (٧) ۝

(١) فى اختلاف المصدر زيادة تأكيد . أى بتّلك الله . فتبتّل تبتيلا . أو جىء به مراعاة لحقّ الفواصل .

(٢) (ربّ) بالرفع. أى هو (ربّ). أو مبتدأ خبره (لا إله إلّا هو) . و بالجرّ شامىّ وكوفىّ غير حفص، بدل من (ربّك). وعن ابن عباس رضى الله عنهما على القسم بإضمار حرف القسم نحو الله لأفعلنّ . وجوابه (لا إله إلّا هو) كقولك والله لا أحد فى الدار إلّا زيد .

(٣) وليّا وكفيلا بما وعدك من النصر . أو إذا علمت أنّه ملك المشرق والمغرب وأن لا إله إلّا هو (فاتّخذه) كافيا لأمورك . وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد أن عرفت فى تفويض الأمور إلى الواحد القهّار إذ لا عذر لك فى الانتظار بعد الإقرار .

(٤) (واصبر على ما يقولون) فىّ من الصاحبة والولد ، وفيك من الساحر والشاعر .

(٥) جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافأة . وقيل هو منسوخ بآية القتال .

(٦) أى كلهم إلىّ فأنا كافيهم . (والمكذّبين) — رؤساء قريش — مفعول معه . أو عطف على (ذرنى) أى دعنى وإيّاهم . (أولى النعمة) التنعّم . و بالكسر الإنعام . و بالضم المسرّة . (ومهّلهم) إمهالا (قليلا) إلى يوم بدر أو إلى يوم القيامة .

(٧) (إنّ لدينا) للكافرين فى الآخرة (أنكالا) قيودا ثقالا — جمع نِكْل — (وجحيما) نارا محرقة (وطعاما ذا غصّة) أى الذى ينشب فى الحلوق فلا ينساغ . يعنى الضريع والزّقّوم (وعذابا أليما) يخلص وجعه إلى القلب . وروى أنّه صلّى الله عليه وسلّم قرأ هذه الآية فصعق . وعن الحسن أنّه أمسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه . ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه . وكذلك الليلة الثالثة . فأخبر ثابت البنانى وغيره فجاءوا فلم يزالوا به حتّى شرب شربة من سويق .

يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا (١) ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا (٢) ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا (٣) يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا (٤) ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ (٥)

(١) (يوم) منصوب بما فى (لدينا) من معنى الفعل. أى استقرّ للكفّار (لدينا) كذا وكذا (يوم ترجف الأرض والجبال) أى تتحرّك حركة شديدة (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا — من كثب الشيء إذا جمعه. كأنّه فعيل بمعنى مفعول — (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه.

(٢) (إنّا أرسلنا إليكم) يا أهل مكّة (رسولا) يعنى محمدا عليه السلام (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) أى ذلك الرسول — إذ النكرة إذا أعيدت معرفة كان الثانى عين الأوّل — (فأخذناه أخذا وبيلا) شديدا غليظا. وإنّما خصّ موسى وفرعون لأنّ خبرهما كان منتشرا بين أهل مكّة لأنّهم كانوا جيران اليهود.

(٣) (يوما) مفعول (تتّقون). أى (فكيف تتّقون) عذاب يوم كذا (إن كفرتم)؟. أو ظرف. أى (فكيف) لكم التقوى فى يوم القيامة (إن كفرتم) فى الدنيا؟ أو منصوب بـ(كفرتم) على تأويل جحدتم. أى كيف (تتّقون) الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء؟ لأنّ تقوى الله خوف عقابه.

(٤) (يجعل الولدان) — صفة لـ(يوما). والعائد محذوف أى فيه — (شيبا) من هوله وشدّته. وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذرّيتك. وهو جمع أشيب. وقيل هو على التمثيل للتهويل. يقال لليوم الشديد: يوم يشيب نواصى الأطفال.

(٥) وصف لليوم بالشدّة أيضا. أى (السماء) على عظمها وإحكامها تنفطر به، أى تنشقّ، فما ظنك بغيرها من الخلائق؟ والتذكير على تأويل السماء بالسقف. أو (السماء) شيء (منفطر). وقوله (به) أى بيوم القيامة. يعنى أنّها تنفطر لشدّة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به.

كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا(١) ۝ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا(٢) ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ(٣) وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ(٤) وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ(٥) وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ(٦) فَتَابَ عَلَيْكُمْ(٧)

---

(١) (كان وعده) — المصدر مضاف إلى المفعول، وهو اليوم؛ أو إلى الفاعل، وهو الله عزّ وجلّ — (مفعولا) كائنا .

(٢) (إنّ هذه) الآيات الناطقة بالوعيد (تذكرة) موعظة (فمن شاء اتّخذ إلى ربّه سبيلا) أى فمن شاء اتّعظ بها واتّخذ سبيلا إلى الله بالتقوى والخشية .

(٣) (تقوم) أقلّ — فاستعير الأدنى وهو الأقرب للأقلّ . لأنّ المسافة بين الشيئين إذا دنت قلّ ما بينهما من الأحياز ، وإذا بعدت كثر ذلك — (من ثلثى الليل) بضمّ اللام سوى هشام .

(٤) منصوبان — عطف على (أدنى) — مكّىّ وكوفىّ . ومن جرّهما عطف على (ثلثى) .

(٥) (وطائفة) — عطف على الضمير فى (تقوم) وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل — (من الذين معك) . أى ويقوم ذلك المقدار جماعة من أصحابك .

(٦) أى ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما إلّا الله وحده . وتقديم اسمه عزّ وجلّ مبتدأ مبنيّاً عليه (يقدّر) هو الدالّ على أنّه مختصّ بالتقدير . ثمّ إنّهم قاموا حتّى انتفخت أقدامهم . فنزل (علم أن لن تحصوه) لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير إلّا بشدّة ومشقّة وفى ذلك حرج .

(٧) نخفّف عليكم وأسقط عنكم فرض قيام الليل .

فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُواْ (١) مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ (٢) وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا (٣)

---

(١) (فاقرءوا) — فى الصلاة . والأمر للوجوب . أو فى غيرها . والأمر للندب — (ماتيسّر) عليكم (من القرآن) . روى أبو حنيفة عن أبى هريرة رضى الله عنه أنّه قال "من قرأ مائة آية فى ليلة لم يكتب من الغافلين . ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين" . وقيل أراد بالقرآن الصلاة لأنّه بعض أركانها . أى فصلّوا ماتيسّر عليكم ولم يتعذّر من صلاة الليل . وهذا ناسخ للأوّل . ثمّ نسخ هذا بالصلوات الخمس . ثمّ بيّن الحكمة فى النسخ وهى تعذّر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال (علم أن سيكون منكم) — أى أنّه مخفّفة من الثقيلة . والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها — (مرضى) فيشقّ عليهم قيام الليل (وآخرون يضربون فى الأرض) يسافرون (يبتغون) — حال من ضمير (يضربون) — (من فضل الله) رزقه بالتجارة أو طلب العلم (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) . سوّى بين المجاهد والمكتسب ، لأنّ كسب الحلال جهاد . قال ابن مسعود رضى الله عنه "أيّما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء" . وقال ابن عمر رضى الله عنهما "ماخلق الله موتة أموتها بعد القتل فى سبيل الله أحبّ إلىّ من أن أموت بين شعبتى رحل أضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله" .

(٢) كرّر الأمر بالتيسير لشدّة احتياطهم .

(٣) (وأقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة (وأقرضوا الله) — بالنوافل . والقرض لغة القطع . فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه إلى غيره . وكذا المتصدّق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى . وإنّما أضافه إلى نفسه لئلّا يمنّ على الفقير فيما يتصدّق به عليه . وهذا لأنّ الفقير معاون له فى تلك القربة فلا يكون له عليه منّة بل المنّة للفقير عليه — (قرضا حسنا) من الحلال بالإخلاص .

وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا[1] وَأَعْظَمَ أَجْرًا[2] وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[3] ﴿٢٠﴾

(١) (تجدوه) أى ثوابه — وهو جزاء الشرط — (عند الله هو خيرا) ممّا خلفتم وتركتم. فالمفعول الثانى لتجدوه (خيرا) و (هو) فصل. وجاز وإن لم يقع بين معرفتين لأنّ "أفعل من" أشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف.

(٢) وأجزل ثوابا.

(٣) (واستغفروا الله) من السيّئات والتقصير فى الحسنات (إنّ الله غفور) يستر على أهل الذنب والتقصير (رحيم) يخفّف عن أهل الجهد والتوفير. وهو على ما يشاء قدير. والله أعلم.

سورة المدّثر صلّى الله عليه وسلّم مكّيّة

وهى ستّ وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ [1] ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ [2] ﴿٣﴾

(١) روى جابر أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال " كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنّك رسول الله . فنظرت عن يمينى و يسارى فلم أر شيئا . فنظرت إلى فوقى . فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض " — يعنى الملك الذى ناداه — " فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثّرونى دثّرونى " فدثّرته خديجة . فجاء جبريل وقرأ (يأيّها المدّثّر) أى المتلفّف بثيابه — من الدثار . وهو كلّ ما كان من الثياب فوق الشعار . والشعار الثوب الذى يلى الجسد . وأصله المتدثّر . فأدغم . — (قم) من مضجعك . أو (قم) قيام عزم وتصميم (فأنذر) فحذّر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا . أو فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد . وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتمّ فتغطّى بثوبه مفكّرا كما يفعل المغموم . فقيل له يأيّها الصارف أذى الكفّار ، عن نفسك بالدثار ، قم فاشتغل بالإنذار ، وإن آذاك الفجّار .

(٢) واختصّ ربّك بالتكبير . وهو التعظيم . أى لا يكبر فى عينك غيره ، وقل عند ما يعروك من غير الله : الله أكبر . وروى أنّه لمّا نزل قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم "الله أكبر" فكبّرت خديجة وفرحت وأيقنت أنّه الوحى . وقد يحمل على تكبير الصلاة . ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنّه قيل وما كان فلا تدع تكبيره .

وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (١) وَٱلرُّجْزَ (٢) فَٱهْجُرْ (٣) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٤) وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ (٥) فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (٦) ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ (٧)

---

(١) (وثيابك فطهر) بالماء عن النجاسة لأنّ الصلاة لاتصحّ إلّا بها. وهى الأولى فى غير الصلاة. أو فقصّر مخالفة للعرب فى تطويلهم الثياب وجرّهم الذيول. إذ لا يؤمن معه إصابة النجاسة. أو طهّر نفسك مما يستقذر من الأفعال. يقال فلان طاهر الثياب إذا وصفوه بالنقاء من المعايب، وفلان دنس الثياب للغادر. ولأنّ من طهّر باطنه يطهّر ظاهره.

(٢) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص. وغيرهم بالكسر. العذاب. والمراد ما يؤدّى إليه.

(٣) أى ثبت على هجره لأنّه كان بريئا منه.

(٤) بالرفع. وهو منصوب المحلّ على الحال. أى لاتعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا. أو طالبا أكثر ممّا أعطيت فإنّك مأمور بأجلّ الأخلاق وأشرف الآداب. وهو من منّ عليه إذا أنعم عليه. وقرأ الحسن (تستكثر) بالسكون جوابا للنهى.

(٥) ولوجه الله فاستعمل الصبر على أوامره ونواهيه وكلّ مصبور عليه ومصبور عنه.

(٦) (فإذا) نفخ فى الصور — وهى النفخة الأولى. وقيل الثانية — (فذلك) — إشارة إلى وقت النقر. وهو مبتدأ — (يومئذ) — مرفوع المحلّ بدل من ذلك — (يوم عسير) خبر. كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير. والفاء فى (فإذا) للتسبيب وفى (فذلك) للجزاء. كأنّه قيل اصبر على أذاهم. فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه. والعامل فى (فإذا) مادلّ عليه الجزاء. أى (فإذا نقر فى الناقور) عسر الأمر (على الكافرين). وأكّد بقوله (غير يسير) ليؤذن بأنّه يسير على المؤمنين. أو (عسير) لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا.

(٧) أى كله إلىّ. يعنى الوليد بن المغيرة. وكان يلقّب فى قومه بالوحيد. (ومن خلقت) معطوف، أو مفعول معه.

وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝
وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا(١) ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ(٢) ۝ كَلَّآ(٣) إِنَّهُۥ
كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا(٤) ۝ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا(٥) ۝ إِنَّهُۥ فَكَّرَ
وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(٦) ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝

(١) (وحيدا) حال من الياء فى (ذرنى). أى ذرنى وحدى معه فإنّى أكفيك أمره. أو من التاء فى (خلقت) أى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد. أو من الهاء المحذوفة، أو من (من) أى خلقته منفردا بلا أهل ولا مال ثمّ أنعمت عليه (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا. أو ممدودا بالنماء. وكان له الزرع والضرع والتجارة. وعن مجاهد كان له مائة ألف دينار. وعنه أنّ له أرضا بالطائف لا ينقطع ثمرها (وبنين شهودا) حضورا معه بمكّة لغناهم عن السفر. وكانوا عشرة أسلم منهم خالد وهشام وعمارة (ومهّدت له تمهيدا) وبسطت له الجاه والرياسة فأتممت عليه نعمتى الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا.

(٢) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه فيرجو أن أزيد فى ماله وولده من غير شكر. وقال الحسن (أن أزيد) أن أدخله الجنّة فأوتيه مالا وولدا كما قال (لأوتينّ مالا وولدا).

(٣) ردع له وقطع لرجائه. أى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم. فلم يزل بعد نزول الآية فى نقصان من المال والجاه حتّى هلك.

(٤) (إنّه كان) للقرآن (عنيدا) معاندا جاحدا. وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كأنّ قائلا قال لم لا يزاد؟ فقيل إنّه جحد آيات المنعم وكفر بذلك نعمته. والكافر لا يستحقّ المزيد.

(٥) سأغشيه (صعودا) عقبة شاقّة المصعد. وفى الحديث الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثمّ يهوى فيه كذلك أبدا.

(٦) تعليل للوعيد كأنّ الله تعالى عاجله بالفقر والذلّ، بعد الغنى والعزّ، لعناده، ويعاقبه فى الآخرة بأشدّ العذاب لبلوغه بالعناد غايته وتسميته القرآن سحرا. يعنى (إنّه فكّر) ماذا يقول فى القرآن (وقدّر) فى نفسه ما يقوله وهيّأه (فقتل) لعن (كيف قدّر) تعجيب من تقديره (ثمّ قتل كيف قدّر) كرّر للتأكيد. و (ثمّ) يشعر بأنّ الدعاء الثانى أبلغ من الأوّل.

ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ[١] ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ[٢] ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ[٣] سَقَرَ[٤] ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ[٥] ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ[٦] ﴿٢٨﴾

(١) (ثمّ نظر) فى وجوه الناس ، أو فيما قدّر (ثمّ عبس) قطّب وجهه (وبسر) زاد فى التقبّض والكلوح (ثمّ أدبر) عن الحقّ (واستكبر) عنه أو عن مقامه وفى مقاله . و (ثمّ نظر) عطف على (فكّر وقدّر) والدعاء اعتراض بينهما. و إيراد (ثمّ) فى المعطوفات لبيان أنّ بين الأفعال المعطوفة تراخيا .

(٢) (فقال) ما (هذا إلّا سحر يؤثر) يروى عن السحرة (إن هذا إلّا قول البشر) . روى أنّ الوليد قال لبنى مخزوم : "والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ، ولا من كلام الجنّ . إنّ له لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنّ أعلاه لمثمر ، وإنّ أسفله لمغدق ، وإنّه يعلو وما يعلى" . فقالت قريش "صبأ والله الوليد" . فقال أبو جهل — وهو ابن أخيه — "أنا أكفيكموه" . فقعد إليه حزينا وكلّمه بما أحماه . فقام الوليد فأتاهم . فقال "تزعمون أنّ محمدا مجنون . فهل رأيتموه يخنق ؟ وتقولون إنّه كاهن . فهل رأيتموه قطّ يتكهّن ؟ وتزعمون أنّه شاعر. فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قطّ ؟ وتزعمون أنّه كذّاب . فهل جرّبتم عليه شيئا من الكذب؟" فقالوا فى كلّ ذلك "اللهم لا" . ثمّ قالوا "فما هو ؟" ففكّر فقال "ما هو إلّا ساحر. أما رأيتموه يفرّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ؟ وما الذى يقوله إلّا سحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل" . فارتجّ النادى فرحا وتفرّقوا متعجّبين منه . وذكر الفاء دليل على أنّ هذه الكلمة لمّا خطرت بباله نطق بها من غير تلبّث . ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لأنّ الثانية جرت مجرى التوكيد للأولى .

(٣) سأدخله . بدل من (سأرهقه صعودا) .

(٤) علم لجهنم . ولم ينصرف للتعريف والتأنيث .

(٥) تهويل لشأنها .

(٦) أى هى (لا تبقى) لحما (ولا تذر) عظما . أو (لا تبقى) شيئا يبقى فيها إلّا أهلكته (ولا تذر) ه هالكا بل يعود كما كان .

لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (١) ۝ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٢) ۝ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ (٣) لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا (٤)

(١) خبر مبتدأ محذوف . أى هى (لواحة للبشر) جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد . أى مسوّدة للجلود ومحرقة لها .

(٢) على سقر ، أى يلى أمرها (تسعة عشر) ملكا . عند الجمهور . وقيل : صنفا من الملائكة. وقيل : صفّا . وقيل : نقيبا .

(٣) أى (وما جعلنا) خزنتها (إلّا ملائكة) لأنهم خلاف جنس المعذّبين فلا تأخذهم الرأفة والرقّة لأنّهم أشدّ الخلق بأسا . فللواحد منهم قوة الثقلين . (وما جعلنا عدّتهم) تسعة عشر (إلّا فتنة) أى ابتلاء واختبارا (للذين كفروا) ، حتّى قال أبو جهل لمّا نزلت (عليها تسعة عشر) : — "ما يستطيع كلّ عشرة منكم أن يأخذوا واحدا منهم وأنتم الدهم ؟!". فقال أبو الأشدّ — وكان شديد البطش : "أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين". فنزلت (وما جعلنا أصحاب النار إلّا ملائكة) أى وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون .

وقالوا فى تخصيص الخزنة بهذا العدد، مع أنّه لا يطلب فى الأعداد العلل : — إن ستّة منهم يقودون الكفرة إلى النار، وستّة يسوقونهم، وستة يضربونهم بمقامع الحديد، والآخر خازن جهنّم. وهو مالك. وهو الأكبر. وقيل: فى سقر تسعة عشر دركا. وقد سلّط على كلّ درك ملك وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب . وعلى كلّ لون ملك موكّل . وقيل : إنّ جهنّم تحفظ بما تحفظ به الأرض من الجبال. وهى تسعة عشر. وإن كان أصلها مائة وتسعين إلّا أنّ غيرها يتشعب عنها .

(٤) (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لأنّ عدّتهم تسعة عشر فى الكتابين. فإذا سمعوا بمثلها فى القرآن أيقنوا أنّه منزّل من الله (و يزداد الذين آمنوا) بمحمّد — وهو عطف على (ليستيقن) — (إيمانا) لتصديقهم بذلك ، كما صدّقوا سائر ما أنزل. أو يزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب

كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ (١) وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ (٢) وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣)

أولئك (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) هذا عطف أيضا. وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الإيمان. إذ الاستيقان وازدياد الإيمان دالاّن على انتفاء الارتياب، ثم عطف على (ليستيقن) أيضا (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) نفاق (والكافرون) المشركون. فإن قلت النفاق ظهر فى المدينة والسورة مكّيّة. قلت معناه (وليقول المنافقون) الذين يظهرون فى المستقبل بالمدينة بعد الهجرة (والكافرون) بمكّة: — (ماذا أراد الله بهذا مثلا) ؟ وهذا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب. وذا لايخالف كون السورة مكّيّة. وقيل المراد بالمرض الشكّ والارتياب لأنّ أهل مكّة كان أكثرهم شاكّين. و (مثلا) تمييز لهذا، أو حال منه، كقوله (هذه ناقة الله لكم آية). ولمّا كان ذكر العدد فى غاية الغرابة، وأنّ مثله حقيق بأن تسير به الركبان سيرها بالأمثال سمّى مثلا. والمعنى أىّ شيء أراد الله بهذا العدد العجيب؟ وأىّ معنى أراد فى أن جعل الملائكة تسعة عشر لاعشرين؟ وغرضهم إنكاره أصلا، وأنّه ليس من عند الله، وأنّه لو كان من عند الله لمـا جاء بهذا العدد الناقص .

(١) الكاف نصب. و (ذلك) إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى. أى مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى — يعنى إضلال المنافقين والمشركين حتّى قالوا ما قالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة فى ذلك — (يضلّ الله من يشاء) من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (ويهدى من يشـاء) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء . وفيه دليل خلق الأفعال ووصف الله بالهداية والإضلال .

(٢) لمّـا قال أبو جهل لعنه الله أما لربّ محمد أعوان إلاّ تسعة عشر ، نزل (وما يعلم جنود ربّك) لفرط كثرتها (إلاّ هو) فلا يعزّ عليه تميم الخزنة عشرين . ولـكن له فى هـذا العدد الخاصّ حكمة لا تعلمونها .

(٣) متّصل بوصف سقر . و (هى) ضميرها أى (وما) سقر وصفتها (إلاّ ذكرى للبشر) أى تذكرة للبشر . أو ضمير الآيات التى ذكرت فيها .

كَلَّا[1] وَٱلْقَمَرِ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۝ إِنَّهَا لَإِحْدَى
ٱلْكُبَرِ[2] ۝ نَذِيرًا[3] لِّلْبَشَرِ ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝
كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ[4] ۝ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ[5] ۝ فِى جَنَّـٰتٍ[6]

(١) إنكار — بعد أن جعلها ذكرى — أن تكون لهم ذكرى لأنّهم لايتذكّرون .

(٢) (والقمر) — أقسم به لعظم منافعه — (والليل إذ أدبر) — نافع وحفص وحمزة و يعقوب وخلف. وغيرهم (إذا دَبَر) ودَبَر بمعنى أدبر . ومعناهما ولّى ذهب. وقيل (أدبر) ولّى ومضى، و(دَبَر) جاء بعد النهار — (والصبح إذا أسفر) أضاء. وجواب القسم (إنّها) إنّ سقر (لإحدى الكبر) هي جمع الكبرى أي (لإحدى) البلايا أو الدواهي (الكبر). ومعنى كونها إحداهنّ أنّها من بينهنّ واحدة في العظم لانظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال . وهي إحدى النساء .

(٣) (نذيرا) تمييز من (إحدى) . أي (إنّها لإحدى) الدواهي إنذارا . كقولك هي إحدى النساء عفافا . وأبدل من (للبشر) ، (لمن شاء منكم) — بإعادة الجارّ — (أن يتقدّم) إلى الخير (أو يتأخّر) عنه . وعن الزجّاج إلى ما أمر وعمّا نهى .

(٤) هي ليست بتأنيث رهين في قوله (كلّ امرئ بما كسب رهين) لتأنيث النفس . لأنّه لو قصدت الصفة لقيل رهين . لأنّ فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكّر والمؤنّث. و إنّما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنّه قيل (كلّ نفس بما كسبت) رهن . والمعنى (كلّ نفس) رهن بكسبها عند الله غير مفكوك .

(٥) أي أطفال المسلمين لأنّهم لا أعمال لهم يرهنون بها . أو إلّا المسلمين فإنّهم فكّوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحقّ .

(٦) أي هم (في جنّات) لا يكتنه وصفها .

يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ(١) ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(٢) ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ(٣) ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ(٤) ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ(٥) ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾

---

(١) يسأل بعضهم بعضا عنهم . أو يتساءلون غيرهم عنهم .

(٢) (ما) أدخلكم فيها . ولا يقال لا يطابق قوله (ماسلككم) — وهو سؤال للمجرمين — قوله (يتساءلون عن المجرمين) وهو سؤال عنهم ، و إنما يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ماسلككم ، لأنّ (ماسلككم) ليس ببيان للتساؤل عنهم . و إنّما هو حكاية قول المسئولين عنهم . لأنّ المسئولين يلقون إلى السائلين ماجرى بينهم و بين المجرمين فيقولون قلنالهم (ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلّين) . إلّا أنّه اختصر كما هو نهج القرآن . وقيل (عن) زائدة .

(٣) (قالوا لم نك من المصلّين) أى لم نعتقد فرضيّتها (ولم نك نطعم المسكين) كما يطعم المسلمون (وكنّا نخوض مع الخائضين) الخوض الشروع فى الباطل ، أى نقول الباطل والزور فى آيات الله (وكنّا نكذّب بيوم الدين) الحساب والجزاء (حتّى أتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) من الملائكة والنبيين والصالحين لأنّها للمؤمنين دون الكافرين . وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين . فى الحديث "إنّ من أمّتى من يدخل الجنّة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر" .

(٤) (فما لهم عن) التذكير وهو العظة أى القرآن (معرضين) مولّين . حال من الضمير نحو مالك قائما .

(٥) (كأنّهم حمر) — أى حمر الوحش . حال من الضمير فى (معرضين) — (مستنفرة) شديدة النفار كأنّها تطلب النفار من نفوسها — و بفتح الفاء مدنىّ وشامىّ أى استنفرها غيرها — (فرّت من قسورة) حال . وقد معها مقدّرة . والقسورة الرماة أو الأسد . فعولة من القسر . وهو القهر والغلبة . شبّهوا فى إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدّت فى نفارها .

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (١) ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ (٢) ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ (٣) ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (٤) ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ (٥) إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ (٦) هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ (٧) ﴿٥٦﴾

(١) (بل يريد كلّ امرئ منهم أن يؤتى) قراطيس تنشر وتقرأ. وذلك أنّهم قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم لن نتبعك حتّى تأتى كلّ واحد منا بكتب من السماء عنوانها من ربّ العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر فيها باتّباعك. ونحوه قوله (لن نؤمن لرقيّك حتّى تنزّل علينا كتابا نقرؤه) . وقيل : قالوا إن كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كلّ رجل منّا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار .

(٢) (كلّا) ردع لهم عن تلك الإرادة وزجر عن اقتراح الآيات. ثمّ قال (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف .

(٣) ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة . وقال إنّ القرآن (تذكرة) بليغة كافية .

(٤) أى (فمن شاء) أن يذكره ولا ينساه فعل فإنّ نفع ذلك عائد إليه .

(٥) وبالتاء نافع ويعقوب .

(٦) إلّا وقت مشيئة الله أو إلّا بمشيئة الله .

(٧) فى الحديث (هو أهل) أن يتّقى (وأهل) أن يغفر لمن اتّقاه والله أعلم .

سورة القيامة مكّيّة

وهى أربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ[1] ﴿٣﴾

[1] (لا أقسم بيوم القيامة) أى أقسم ، عن ابن عباس . و (لا) صلة كقوله (لئلا يعلم) وقوله

* فى بئرِ لاحُورٍ سَرَى وما شعر * وكقوله .

تذكّرت ليلى فاعترتنى صبابة وكاد ضمير القلب لا يتقطّعُ

وعليه الجمهور . وعن الفرّاء (لا) ردّ لإنكار المشركين البعث كأنّه قيل : ليس الأمر كما تزعمون ثمّ قيل : أقسم بيوم القيامة . وقيل أصله (لأقسم) كقراءة ابن كثير ، على أنّ اللام للابتداء ، و (أقسم) خبر مبتدأ محذوف . أى لأنا أقسم . ويقوّيه أنّه فى الإمام بغير الألف . ثمّ أشبع فظهر من الإشباع ألف. وهذا اللام يصحبه نون التأكيد فى الأغلب وقد يفارقه. (ولا أقسم بالنفس اللوّامة) الجمهور على أنّه قسم آخر . وعن الحسن : أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوّامة . فهى صفة ذمّ ، وعلى القسم صفة مدح . أى النفس المتّقية التى تلوم على التقصير فى التقوى . وقيل هى نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التى خرجت به من الجنّة . وجواب القسم محـذوف . أى لتبعثنّ . دليله (أيحسب الإنسان) أى الكافر المنكر للبعث (أن لن نجمع عظامه) بعد تفرقها ورجوعها رفاتا مختلطا بالتراب .

بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ[1] ۝ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ[2] أَمَامَهُۥ[3] ۝ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ[4] ۝ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ[5] ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ[6] ۝

---

(١) (بلى) أوجبت ما بعد النفى . أى (بلى) نجمعها (قادرين) حال من الضمير فى نجمع . أى نجمعها (قادرين) على جمعها و إعادتها كما كانت . أو (قادرين على أن نسوّى) أصابعه كما كانت فى الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها . فكيف بكبار العظام ؟

(٢) عطف على (أيحسب) فيجوز أن يكون مثله استفهاما .

(٣) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان .

(٤) (يسأل) متى (يوم القيامة) سؤال متعنّت مستبعد لقيام الساعة .

(٥) (فإذا برق البصر) تحيّر فزعا — و بفتح الراء ، مدنىّ . شخص — (وخسف القمر) وذهب ضوءه أو غاب — من قوله (فخسفنا به) . وقرأ أبو حيوة بضمّ الخاء — (وجمع الشمس والقمر) أى جمع بينهما فى الطلوع من المغرب . أو جمعا فى ذهاب الضوء . أو يجمعان فيقذفان فى البحر فيكون نار الله الكبرى (يقول الإنسان) الكافر أو المؤمن أيضا من الهول (يومئذ أين المفرّ) هو مصدر . أى الفرار من النار . وقرأ الحسن بكسر الفاء . وهو يحتمل المصدر والمكان .

(٦) (كلّا) ردع عن طلب المفرّ (لا وزر) لا ملجأ . (إلى ربّك) خاصّة (يومئذ المستقرّ) مستقرّ العباد . أو موضع قرارهم من جنّة أو نار ، مفوّض ذلك لمشيئته ، من شاء أدخله الجنّة ، ومن شاء أدخله النار .

يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١) بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ (٢) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ (٣) لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (٤) فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ (٥) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٦)

---

(١) يخبر (بما قدّم) من عمل عمله (وأخّر) ما لم يعمله .

(٢) شاهد. والهاء للمبالغة كعلّامة. أو أنثه لأنّه أراد به جوارحه إذ جوارحه تشهد عليه. أو هو حجّة على نفسه. والبصيرة الحجة. قال الله تعالى (قد جاءكم بصائر من ربّكم). وتقول لغيرك أنت حجة على نفسك و بصيرة . رفع بالابتداء وخبره (على نفسه) تقدّم عليه . والجملة خبر (الإنسان) كقولك زيد على رأسه عمامة. والبصيرة على هذا يجوز أن يكون الملك الموكّل عليه.

(٣) أرخى ستوره . والمِعْذار الستر . وقيل ولو جاء بكلّ مَعذِرة ماقبلت منه . فعليه من يكذب عذره . والمعاذير ليس بجمع معذرة لأنّ جمعها معاذر . بل هى اسم جمع لها . ونحوه المناكير فى المنكر .

(٤) (لا تحرّك) بالقرآن (لسانك لتعجل به) بالقرآن . وكان صلّى الله عليه وسلّم يأخذ فى القراءة قبل فراغ جبريل كراهة أن يتفلّت منه . فقيل له (لاتحرّك) لسانك بقراءة الوحى ما دام جبريل يقرأ (لتعجل به) لتأخذه على عجلة ؛ ولئلا يتفلّت منك . ثمّ علّل النهى عن العجلة بقوله (إنّ علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) و إثبات قراءته فى لسانك. والقرآن القراءة . ونحوه : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) .

(٥) أى(فإذا) قرأه عليك جبريل — فجعل قراءة جبريل قراءته — (فاتّبع قرآنه)أى قراءته عليك (ثمّ إنّ علينا بيانه) إذا أشكل عليك شىء من معانيه .

(٦) ردع عن إنكار البعث . أو ردع لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن العجلة و إنكار لها عليه. وأكّده بقوله (بل تحبّون العاجلة) كأنّه قيل بل أنتم يابنى آدم لأنّكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون فى كلّ شىء، ومن ثمّ (تحبّون العاجلة) الدنيا وشهواتها (وتذرون الآخرة) الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها . والقراءة فيهما بالتاء ، مدنىّ وكوفىّ .

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ[١] ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ[٢] ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ[٣] ﴿٢٥﴾ كَلَّا[٤] إِذَا بَلَغَتِ[٥] التَّرَاقِيَ[٦] ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ[٧] رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ[٨] ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ[٩] ﴿٢٩﴾

---

(١) (وجوه)هى وجوه المؤمنين (يومئذ ناضرة) حسنة ناعمة (إلى ربّها ناظرة)بلا كيفيّة ولا جهة ولا ثبوت مسافة.وحمل النظر على الانتظار لأمر ربّها أو لثوابه ،لايصح.لأنّه يقال نظرت فيه أى تفكّرت . ونظرته انتظرته . ولا يعدّى بإلى إلاّ بمعنى الرؤية . مع أنّه لا يليق الانتظار فى دار القرار .

(٢) كالحة شديدة العبوسة وهى وجوه الكفار .

(٣) تتوقّع (أن يفعل بها) فعل هو فى شدّته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر .

(٤) ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة . كأنّه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبّهوا على ما بين أيديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون إلى الأجلة التى تبقون فيها مخلّدين.

(٥) أى الروح . وجاز وإن لم يجر لها ذكر ، لأنّ الآية تدلّ عليها .

(٦) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال . جمع ترقوة .

(٧) يقف حفص على (من) وقيفة . أى قال حاضرو المحتضر بعضهم لبعض : أيّكم يرقيه ممّا به ؟ من الرقية ، من حدّ ضرب . أو هو من كلام الملائكة أيّكم يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ من الرقىّ ، من حدّ علم .

(٨) أيقن المحتضر (أنّه الفراق) أنّ هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة .

(٩) التوت ساقاه عند موته . وعن سعيد بن المسيّب هما ساقاه حين تلفّان فى أكفانه . وقيل شدّة فراق الدنيا بشدّة إقبال الآخرة ، على أنّ الساق مثل فى الشدّة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : هما همّان همّ الأهل والولد ، وهمّ القدوم على الواحد الصمد .

إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ(١) ۝ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ(٢) ۝ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ(٣) ۝ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ(٤) ۝ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى(٥) ۝ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ(٦) ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً(٧) فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ(٨) ۝ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝

(١) هو مصدر ساقه . أى مساق العباد إلى حيث أمر الله إمّا إلى الجنّة أو إلى النار .

(٢) (فلا صدّق) بالرسول والقرآن (ولا صلّى) الإنسان — فى قوله (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه) — (ولكن كذّب) بالقرآن (وتولّى) عن الإيمان . أو (فلا صدّق) ماله يعنى فلا زكّاه .

(٣) يتبختر . وأصله يتمطّط . أى يتمدّد . لأنّ المتبختر يمدّ خطاه . فأبدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة .

(٤) بمعنى ويل لك . وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره ، كرّر للتأكيد . كأنّه قال ويل لك فويل لك ثمّ ويل لك فويل لك . وقيل ويل لك يوم الموت ، وويل لك فى القبر ، وويل لك حين البعث ، وويل لك فى النار .

(٥) (أيحسب) الكافر (أن يترك) مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى ؟

(٦) بالياء ، ابن عامر وحفص . أى يراق المنى فى الرحم . وبالتاء يعود إلى النطفة .

(٧) أى صار المنى قطعة دم جامد بعد أربعين يوما .

(٨) (فخلق) الله منه بشرا سويّا (فجعل منه) من الإنسان (الزوجين الذكر والأنثى) أو من المنىّ الصنفين . (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) أليس الفعّال لهذه الأشياء بقادر على الإعادة ؟ وكان صلّى الله عليه وسلّم إذا قرأها يقول "سبحانك ، بلى" . والله أعلم .

سورة الإنسان مكيّة

وهى إحدى وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ(١) نَّبْتَلِيهِ(٢) فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا(٣) ﴿٢﴾

(١) قد مضى (على الإنسان) آدم عليه السلام (حين من الدهر) أربعون سنة مصوّرا قبل نفخ الروح فيه (لم يكن شيئا مذكورا) لم يذكر اسمه ولم يدر ما يراد به. لأنّه كان طينا يمرّ به الزمان . ولو كان غير موجود لم يوصف بأنّه قد أتى عليه حين من الدهر . ومحلّ (لم يكن شيئا مذكورا) النصب على الحال من (الإنسان) . أى أتى عليه (حين من الدهر) غير مذكور .(إنّا خلقنا الإنسان) أى ولد آدم — وقيل الأوّل ولد آدم أيضا . و (حين من الدهر) على هذا مدّة لبثه فى بطن أمّه إلى أن صار شيئا مذكورا بين الناس —(من نطفة أمشاج) نعت أو بدل منها . أى (من نطفة) قد امتزج فيها المـاءان. ومشجه ومزجه بمعنى . و (نطفة أمشاج) كبرمة أعشار. فهو لفظ مفرد غير جمع . ولذا وقع صفة للفرد .

(٢) حال أى خلقناه مبتلين . أى مريدين ابتلاءه بالأمر والنهى له .

(٣) ذا سمع و بصر .

إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ[1] إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا[2] ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ[3] يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا[4] ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ[5]

(١) بيّنا له طريق الهدى بأدلّة العقل والسمع .

(٢) (إمّا شاكرا) مؤمنا (وإمّا كفورا) كافرا، حالان من الهاء فى (هديناه) . أى إن شكر وكفر فقد هديناه السبيل فى الحالين . أو من (السبيل) أى عرّفناه السبيل (إمّا) سبيلا (شاكرا وإمّا) سبيلا (كفورا) . ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز .

(٣) لمّا ذكر الفريقين أتبعهما ما أعدّ لهما فقال : (إنّا أعتدنا للكافرين سلاسل) — جمع سلسلة . بغير تنوين ، حفص ومكّى وأبو عمرو وحمزة.(و)به ليناسب (أغلالا وسعيرا) إذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب ، غيرهم — (وأغلالا) جمع غُلّ (وسعيرا) نارا موقدة. وقال: (إنّ الأبرار) — جمع برّ أو بارّ كرّب وأرباب وشاهد وأشهاد . وهم الصادقون فى الإيمان، أو الذين لا يؤذون الذرّ ولا يضمرون الشرّ — (يشربون من كأس) خمر — فنفس الخمر تسمّى كأسا.وقيل الكأس الزجاجة إذا كان فيها خمر — (كان مزاجها)ما تمزج به (كافورا) ماء كافور . وهو اسم عين فى الجنّة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده (عينا) بدل منه (يشرب بها عباد الله) أى منها أو الباء زائدة أو هو محمول على المعنى أى يلتذّ بها أو يروى بها . وإنّما قال أوّلا بحرف (من) وثانيا بحرف الباء لأنّ الكأس مبتدأ شربهم وأوّل غايته . وأمّا العين فبها يمزجون شرابهم فكأنّه قيل يشرب عباد الله بها الخمر .

(٤) يجرونها حيث شاءوا من منازلهم (تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم .

(٥) (يوفون) بما أوجبوا على أنفسهم. وهو جواب من عسى أن يقول ما لهم يرزقون ذلك ؟ والوفاء بالنذر مبالغة فى وصفهم بالتوفّر على أداء الواجبات لأنّ من وفى بما أوجبه على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى .

وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (١) ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا (٢) ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا (٣) يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (٤) ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا (٥) ﴿١٢﴾

(١) (كان شرّه) شدائده (مستطيرا) منتشرا، من استطار الفجر .

(٢) أى (ويطعمون الطعام على) حبّ الطعام من الاشتهاء والحاجة إليه أو على حبّ الله (مسكينا) فقيرا عاجزا عن الاكتساب (ويتيما) صغيرا لا أب له (وأسيرا) مأسورا مملوكا أو غيره . ثمّ عللوا إطعامهم فقالوا (إنّما نطعمكم لوجه الله) أى لطلب ثوابه — أو هو بيان من الله عزّ وجلّ عمّا فى ضمائرهم لأنّ الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم و إن لم يقولوا شيئا — (لا نريد منكم جزاء) هديّة على ذلك (ولا شكورا) ثناء . وهو مصدر كالشكر .

(٣) أى إنّا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة . أو (إنّا نخاف من ربّنا) فنتصدّق لوجهه حتّى نأمن من ذلك الخوف .

(٤) وصف اليوم بصفة أهله من الأشقياء نحو نهارك صائم . والقمطرير الشديد العبوس الذى يجمع ما بين عينيه .

نزلت فى علىّ وفاطمة وفضّة جارية لها : لمّا مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما نذروا صوم ثلاثة أيّام . فاستقرض علىّ رضى الله عنه من يهودىّ ثلاثة أصوع من الشعير فطحنت فاطمة رضى الله عنها كلّ يوم صاعا وخبزت فآثروا بذلك ثلاث عشايا على أنفسهم مسكينا ويتيما وأسيرا ولم يذوقوا إلّا الماء فى وقت الإفطار .

(٥) صانهم من شدائده (ولقّاهم) أعطاهم بدل عبوس الفجّار (نضرة) حسنا فى الوجوه (وسرورا) فرحا فى القلوب (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على الإيثار (جنّة) بستانا فيه ما كل هنىء (وحريرا) ملبسا بهيّا .

مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١) ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا (٢) وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا (٣) تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ (٤) وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا (٥) تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾

(١) (متّكئين) — حال من هم فى (جزاهم) — (فيها) فى الجنّة (على الأرائك) الأسرّة — جمع الأريكة — (لا يرون) — حال من الضمير المرفوع فى (متكئين) — غير رائين (فيها) فى الجنّة (شمسا ولا زمهريرا) لأنّه لا شمس فيها ولا زمهرير. فظلّها دائم وهواؤها معتدل لا حرّ شمس يحمى ولا شدّة برد تؤذى. وفى الحديث هواء الجنّة سجسج لا حرّ ولا قرّ. فالزمهرير البرد الشديد . وقيل القمر . أى الجنّة مضيئة لا يحتاج فيها إلى شمس وقمر .

(٢) قريبة منهم ظلال أشجارها . عطفت على (جنّة). أى (و) جنّة أخرى (دانية عليهم ظلالها) . كأنّهم وعدوا بجنّتين لأنّهم وصفوا بالخوف — بقوله (إنّا نخاف من ربّنا) — (ولمن خاف مقام ربّه جنّتان) .

(٣) سخّرت للقائم والقاعد والمتكئ . وهو حال من (دانية) أى تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها عليهم . أو معطوفة عليها أى (ودانية عليهم ظلالها) ومذلّلة (قطوفها) ثمارها . جمع قِطْف .

(٤) أى يدير عليهم خدمهم كئوس الشراب . والآنية جمع إناء وهو وعاء الماء .

(٥) (وأكواب) أى من فضّة — جمع كوب. وهو إبريق لا عروة له — (كانت قوارير) — كان تامّة — أى كوّنت فـ (كانت قوارير) بتكوين الله. نصب على الحال — (قوارير من فضّة) أى مخلوقة من فضّة فهى جامعة لبياض الفضّة وحسنها ، وصفاء القوارير وشفيفها ، حيث يرى ما فيها من الشراب من خارجها . قال ابن عباس رضى الله عنهما قوارير كلّ أرض من تربتها . وأرض الجنّة فضّة . قرأ نافع والكسائىّ وعاصم فى رواية أبى بكر بالتنوين فيهما ، وحمزة وابن عامر وأبو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما ، وابن كثير بتنوين الأوّل. والتنوين

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا[1] ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ[2] مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا[3] ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا[4] ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ[5] ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ

فى الأوّل لتناسب الآى المتقدّمة والمتأخّرة ، وفى الثانى لإتباعه الأوّل. والوقف على الأوّل قد قيل . ولا يوثق به لأنّ الثانى بدل من الأوّل . (قدّروها تقديرا) صفة لـ(قوارير من فضّة) أى أهل الجنة قدّروها على أشكال مخصوصة فجاءت كما قدّروها تكرمة لهم أو السقاة جعلوها على قدر رىّ شاربها. فهى ألذّ لهم وأخفّ عليهم . وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض .

(١) (ويسقون) أى الأبرار (فيها) فى الجنة (كأسا) خمرا (كان مزاجها زنجبيلا عينا) - بدل من (زنجبيلا) - (فيها) فى الجنّة (تسمّى) تلك العين (سلسبيلا) . سمّيت العين (زنجبيلا) لطعم الزنجبيل فيها، والعرب تستلذّه وتستطيبه ؛ و(سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها . قال أبو عبيدة ماء سلسبيل أى عذب طيّب .

(٢) غلمان ينشّئهم الله لخدمة المؤمنين. أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدما لأهل الجنّة.

(٣) لا يموتون (إذا رأيتهم حسبتهم) لحسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم (لؤلؤا منثورا) . وتخصيص المنثور لأنّه أزين فى النظر من المنظوم .

(٤) (ثمّ) ظرف. أى فى الجنّة. وليس لرأيت مفعول ظاهر ولا مقدّر ليشيع فى كلّ مرئىّ. تقديره (وإذا) اكتسبت الرؤية فى الجنّة (رأيت نعيما) كثيرا (وملكا كبيرا) واسعا . يروى أنّ أدنى أهل الجنّة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه . وقيل ملك لا يعقبه هلك . أو لهم فيها ما يشاءون أو تسلّم عليهم الملائكة ويستأذنون فى الدخول عليهم .

(٥) (عاليهم) بالنصب على أنّه حال من الضمير فى (يطوف عليهم) . أى (يطوف عليهم ولدان) عاليا للطوف عليهم (ثياب) . وبالسكون ، مدنىّ وحمزة ، على أنّه مبتدأ خبره (ثياب سندس). أى ما يعلوهم من ملابسهم (ثياب سندس) رقيق الديباج (خضر) جمع أخضر (وإستبرق) غليظ . برفعهما ؛ حملا على الثياب ، نافع وحفص . وبجرّهما ؛ حمزة وعلىّ ، حملا على (سندس) . وبرفع الأوّل وجرّ الثانى أو عكسه ، غيرهم .

وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ (١) وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ (٢) شَرَابٗا طَهُورًا (٣) ﴿ ﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا (٤) ﴿ ﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿ ﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا (٥) ﴿ ﴾

---

(١) (وحلّوا) — عطف على (ويطوف) — (أساور من فضّة). وفى سورة الملائكة (يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا). قال ابن المسيّب "لا أحد من أهل الجنّة إلّا وفى يده ثلاثة أسورة واحدة من فضّة وأخرى من ذهب وأخرى من لؤلؤ".

(٢) أضيف إليه تعالى للتشريف والتخصيص. وقيل إنّ الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون لقد طال أخذنا من الوسائط. فإذا هم بكاسات تلاقى أفواههم بغير أكفّ من غيب إلى عبد.

(٣) ليس برجس كخمر الدنيا. لأنّ كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثمّ. أو لأنّه لم يعصر فتمسّه الأيدى الوضرة وتدوسه الأقدام الدنسة.

(٤) يقال لأهل الجنّة (إنّ هذا) النعيم (كان لكم جزاء) لأعمالكم (وكان سعيكم مشكورا) محمودا مقبولا مرضيّا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والأسير (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا).

(٥) تكرير الضمير بعد إيقاعه اسما لإنّ، تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقرّ فى نفس النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه إذا كان هو المنزّل لم يكن تنزيله مفرّقا إلّا حكمة وصوابا. ومن الحكمة الأمر بالمصابرة (فاصبر لحكم ربّك) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الأذيّة وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكّة (ولا تطع منهم) من الكفرة للضجر من تأخير الظفر (آثما) راكبا لما هو إثم داعيا لك إليه (أو كفورا) فاعلا لما هو كفر داعيا لك إليه. لأنّهم إمّا أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل ما هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر. فنهى أن يساعدهم على الأوّلين دون الثالث. وقيل الآثم عتبة، لأنّه كان ركّابا للمآثم والفسوق، والكفور الوليد، لأنّه كان غاليا فى الكفر والجحود. والظاهر أنّ المراد كلّ آثم وكافر. أى لا تطع أحدهما وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه فقد نهى عن طاعتهما معا ومتفرّقا. ولو كان بالواو لجاز أن يطيع أحدهما لأنّ الواو للجمع فيكون منهيا عن طاعتهما معا لا عن طاعة أحدهما. وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه كان عن طاعتهما جميعا أنهى. وقيل (أو) بمعنى ولا. أى ولا تطع آثما ولا كفورا.

وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا[1] ۝ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا[2] ۝ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ[3] وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا[4] ۝ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ[5] إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا[6] ۝

---

(١) صلّ له (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصلّ صلاة العشائين (وسبّحه ليلا طويلا) أى تهجّد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه .

(٢) (إنّ هؤلاء) الكفرة (يحبّون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة(ويذرون وراءهم) قدّامهم أو خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا لا يعبئون به . وهو يوم القيامة. لأنّ شدائده تثقل على الكفّار .

(٣) (وشددنا) أحكمنا (أسرهم) خلقهم ، عن ابن عباس رضى الله عنهما والفرّاء .

(٤) أى (إذا شئنا) إهلاكهم أهلكناهم و (بدّلنا أمثالهم) فى الخلقة ممن يطيع .

(٥) (إنّ هذه) السورة (تذكرة) عظة (فمن شاء اتّخذ إلى ربّه سبيلا) بالتقرب إليه بالطاعة له واتّباع رسوله (وماتشاءون) اتّخاذ السبيل إلى الله- و بالياء، مكّى وشامى وأبو عمرو- (إلّا أن يشاء الله). محلّه النصب على الظرف أى إلّا وقت مشيئة الله. و إنّما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره ذلك. وقيل هو لعموم المشيئة فى الطاعة والعصيان والكفر والإيمان فيكون حجة لنا على المعتزلة.

(٦) (إنّ الله كان عليما) بما يكون منهم من الأحوال ، (حكيما) مصيبا فى الأقوال والأفعال ، (يدخل من يشاء) وهم المؤمنون (فى رحمته) جنّته لأنّها برحمته تنال . وهو حجّة على المعتزلة لأنّهم يقولون قد شاء أن يدخل كلّا فى رحمته لأنّه شاء إيمان الكلّ. والله تعالى أخبر أنّه يدخل من يشاء فى رحمته وهو الذى علم منه أنّه يختار الهدى. (والظّالمين) الكافرين-لأنّهم وضعوا العبادة فى غير موضعها - نصب بفعل مضمر يفسّره (أعدّلهم عذابا أليما)، نحو أوعد وكافأ.

سورة المرسلات مكّيّة

وهى خمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (١) ﴿٦﴾

(١) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهنّ بأوامره، فعصفن فى مضيهنّ، و بطوائف منهم نشرن أجنحتهنّ فى الجوّ عند انحطاطهنّ بالوحى، أو نشرن الشرائع فى الأرض، أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين، ففرقن بين الحقّ والباطل، فألقين (ذكرا) إلى الأنبياء عليهم السلام (عذرا) للمحقّين (أو نُذُرا) للمبطلين. أو أقسم برياح عذاب أرسلهنّ، فعصفن، و برياح رحمة نشرن السحاب فى الجوّ، ففرقن بينه — كقوله (و يجعله كسفا) — فألقين (ذكرا) إمّا (عذرا) للذين يعتذرون الى الله بتو بتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله فى الغيث و يشكرونها، و إمّا (نذرا) للذين لا يشكرون و ينسبون ذلك إلى الأنواء. وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية. (عرفا) حال. أى متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا. أو مفعول له. أى أرسلن للإحسان والمعروف. و(عصفا) و(نشرا) مصدران. (أو نُذُرا) أبو عمرو وكوفىّ غير أبى بكر وحمّاد. والعذر والنذر مصدران من عذر إذا محا الإساءة ومن أنذر إذا خوّف، على فُعْل كالكفر والشكر. وانتصابهما على البدل من (ذكرا)؛ أو على المفعول له.

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (١) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٢) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٣) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (٤) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (٥) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (٦) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٩) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٠) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١١)

(١) إنّ الذى توعدونه من مجيء يوم القيامة (لواقع) لكائن نازل لا ريب فيه . وهو جواب القسم . ولا وقف الى هنا لوصل الجواب بالقسم .

(٢) محيت أو ذهب بنورها . وجواب (فإذا) محذوف . والعامل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه . و (النجوم) فاعل فعل يفسّره (طمست) .

(٣) فتحت فكانت أبوابا .

(٤) قلعت من أما كنها .

(٥) أى (وقّتت) كقراءة أبى عمرو . أبدلت الهمزة من الواو . ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم .

(٦) أخرت وأمهلت . وفيه تعظيم لليوم ، وتعجيب من هوله . والتأجيل من الأجل ، كالتوقيت من الوقت .

(٧) بيان ليوم التأجيل . وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق .

(٨) تعجّب آخر وتعظيم لأمره .

(٩) (ويل) مبتدأ — وإن كان نكرة . لأنّه فى أصله مصدر منصوب سادّ مسدّ فعله ولكنّه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للدعوّ عليه . ونحوه (سلام عليكم) — (يومئذ) ظرفه (للمكذّبين) بذلك اليوم ، خبره .

(١٠) الأمم الخالية المكذّبة .

(١١) مستأنف بعد وقف وهو وعيد لأهل مكّة . أى (ثمّ) نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين . لأنّهم كذّبوا مثل تكذيبهم .

كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (١) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٣) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ (٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا (٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٧) ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٨)

(١) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل بالمجرمين) بكلّ من أجرم .

(٢) (للمكذّبين) بما أوعدنا .

(٣) (ألم نخلقكم من ماء) حقير وهو النطفة (فجعلناه) أى الماء (فى قرار مكين) مقر يتمكّن فيه . وهو الرحم . ومحلّ (إلى قدر معلوم) الحال أى مؤخّرا إلى مقدار من الوقت (معلوم) قد علمه الله وحكم به . وهو تسعة أشهر أو ما فوقها أو ما دونها .

(٤) (فقدّرنا) ذلك تقديرا (فنعم القادرون) فنعم المقدّرون له نحن . أو (فقدرنا) على ذلك (فنعم القادرون) عليه نحن . والأوّل أحقّ لقراءة نافع وعلىّ بالتشديد ، ولقوله (من نطفة خلقه فقدّره) .

(٥) (للمكذّبين) بنعمة الفطرة .

(٦) (كفاتا) من كفت الشيء إذا ضمّه وجمعه . وهو اسم ما يكفت ، كقولهم الضمام لما يضم . وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كأنّه قيل كافتة (أحياء وأمواتا) . أو بفعل مضمر يدلّ عليه (كفاتا) وهو تكفت . أى تكفت (أحياء) على ظهرها (وأمواتا) فى بطنها . والتنكير فيهما للتفخيم . أى تكفت (أحياء) لا يعدّون (وأمواتا) لا يحصرون .

(٧) (وجعلنا فيها) جبالا ثوابت (شامخات) عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ للمكذّبين) بهذه النعمة .

(٨) أى يقال للكافرين يوم القيامة سيروا إلى النار التى كنتم بها تكذّبون .

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ(٢) ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ(٣) ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ(٤) ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ(٥) ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ(٦) ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ(٧) ﴿٣٥﴾

---

(١) تكرير للتوكيد .

(٢) دخان جهنّم .

(٣) يتشعّب لعظمه ثلاث شعب . وهكذا الدخان العظيم يتفرّق ثلاث فرق .

(٤) (لا ظليل) نعت (ظلّ) . أى لا مظلّ من حرّ ذلك اليوم وحرّ النار (ولا يغنى) فى محلّ الجرّ . أى وغير مغن لهم (من) حرّ (اللهب) شيئا .

(٥) أى النار (ترمى بشرر) هو ما تطاير من النار (كالقصر) فى العظم . وقيل هو الغليظ من الشجر . الواحدة قصرة . (كأنّه جمالة) كوفىّ غير أبى بكر . جمع جمل . (جمالات) غيرهم. جمع الجمع . (صفر) جمع أصفر . أى سود تضرب إلى الصفرة . وشبّه الشرر بالقصر ، لعظمه وارتفاعه ، و بالجمال للعظم والطول واللون .

(٦) (ويل يومئذ للمكذّبين) بأنّ هذه صفتها .

(٧) وقرئ بنصب اليوم . أى (هذا) الذى قصّ عليكم واقع يومئذ . وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله (ثمّ إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون) فقال فى ذلك اليوم مواقف : فى بعضها يختصمون ، وفى بعضها لا ينطقون . أو (لا ينطقون) بما ينفعهم . فجعل نطقهم كلا نطق .

وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (١) ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢) ۝ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۝ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣) ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤) ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٥) ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٦) ۝ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٧) ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٨) ۝

---

(١) (ولا يؤذن لهم) فى الاعتذار (فيعتذرون) عطف على (يؤذن) منخرط فى سلك النفى أى لا يكون لهم إذن واعتذار .

(٢) (ويل يومئذ للمكذّبين) بهذا اليوم .

(٣) (هذا يوم الفصل) بين المحقّ والمبطل والمحسن والمسىء بالجزاء . (جمعناكم) يامكذّبى محمّد (والأولين) والمكذّبين قبلكم . (فإن كان لكم كيد) حيلة فى دفع العذاب (فكيدون) فاحتالوا علىّ بتخليص أنفسكم من العذاب . والكيد متعدّ تقول كدت فلانا إذا احتلت عليه.

(٤) (ويل يومئذ للمكذّبين) بالبعث .

(٥) (إنّ المتّقين) من عذاب الله (فى ظلال) جمع ظلّ (وعيون) جارية فى الجنّة (وفوا كه مما يشتهون) أى لذيذة مشتهاة. (كلوا واشربوا) - فى موضع الحال من ضمير (المتّقين) فى الظرف الذى هو (فى ظلال) . أى هم مستقرّون (فى ظلال) مقولا لهم ذلك - (هنيئا بما كنتم تعملون) فى الدنيا (إنّا كذلك نجزى المحسنين) فأحسنوا تجزوا بهذا .

(٦) (ويل يومئذ للمكذّبين) بالجنّة .

(٧) (كلوا وتمتّعوا) - كلام مستأنف خطاب للمكذّبين فى الدنيا على وجه التهديد كقوله (اعملوا ماشئتم) - (قليلا) لأنّ متاع الدنيا قليل (إنّكم مجرمون) كافرون أى أنّ كلّ مجرم يأكل ويتمتّع أيّاما قلائل ثمّ يبقى فى الهلاك الدائم .

(٨) (ويل يومئذ للمكذّبين) بالنعم .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ (١) ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢) ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ (٣) ﴿٥٠﴾

(١) (وإذا قيل لهم) اخشعوا لله وتواضعوا إليه بقبول وحيه واتّباع دينه ودعوا هـذا الاستكبار (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرّون على استكبارهم . أو (إذا قيل لهم) صلّوا لا يصلّون .

(٢) (ويل يومئذ للمكذّبين) بالأمر والنهى .

(٣) (فبأىّ حديث) بعد القرآن (يؤمنون)؟ أى إن لم يؤمنوا بالقرآن مع أنّه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماويّة فبأى كتاب بعده يؤمنون ؟ والله أعلم .

سورة ٱلنبأ مكّيّة

وهى أربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ(١) يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ(٢) ۝ كَلَّا(٣) سَيَعْلَمُونَ(٤) ۝ ثُمَّ كَلَّا(٥) سَيَعْلَمُونَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ(٦)

(١) أصله (عن ما). وقرئ بها. ثمّ أدغمت النون فى الميم فصار (عمّا) وقرئ بها. ثمّ حذفت الألف تخفيفا لكثرة الاستعمال فى الاستفهام. وعليه الاستعمال الكثير. وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه لأنّه تعالى لا تخفى عليه خافية.

(٢) (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا. أو يسألون غيرهم من المؤمنين. والضمير لأهل مكّة. كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء. (عن النبأ العظيم) أى البعث. وهو بيان للشأن المفخّم. وتقديره (عمّ يتساءلون)؟ يتساءلون (عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون) فمنهم من يقطع بإنكاره ومنهم من يشكّ. وقيل الضمير للمسلمين والكافرين. وكانوا جميعا يتساءلون عنه. فالمسلم يسأل ليزداد خشية، والكافر يسأل استهزاء.

(٣) ردع عن الاختلاف أو التساؤل هزؤا.

(٤) وعيد لهم بأنّهم سوف يعلمون عيانا أنّ ما يتساءلون عنه حقّ.

(٥) كرّر الردع للتشديد. و (ثمّ) يشعر بأنّ الثانى أبلغ من الأوّل وأشدّ.

(٦) لمّا أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من أضيف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة؟ فلم تنكرون قدرته على البعث وما هو إلّا اختراع كهذه الاختراعات؟ أو قيل لهم لم فعل هذه الأشياء والحكيم لا يفعل عبثا وإنكار البعث يؤدّى إلى أنّه عابث فى كلّ ما فعل؟

مِهَٰدٗا ۝ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ۝ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ۝ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ۝ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ۝ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا (١) ۝ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا (٢) ۝ يَوۡمَ يُنفَخُ (٣)

---

(١) (ألم نجعل الأرض) فراشا فرشناها لكم حتى سكنتموها ، (والجبال أوتادا) للأرض لئلا تميد بكم ، (وخلقناكم أزواجا) ذكرا وأنثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا لأعمالكم، وراحة لأبدانكم — والسبت القطع — (وجعلنا الليل لباسا) سترا يستركم عن العيون إذا أردتم إخفاء مالا تحبّون الاطّلاع عليه ، (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلّبون فى حوائجكم ومكاسبكم ، (وبنينا فوقكم سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة . أى محكمة قويّة لا يؤثّر فيها مرور الزمان ، أو غلاظا غلظ كلّ واحدة مسيرة خمسمائة عام (وجعلنا سراجا وهّاجا) مضيئا وقّادا . أى جامعا للنور والحرارة . والمراد الشمس (وأنزلنا من المعصرات) أى السحائب إذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر — ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض. أو الرياح لأنّها تنشئ السحاب وتدرّ أخلافه فيصحّ أن تجعل مبدأ للإنزال. وقد جاء أنّ الله تعالى يبعث الرياح فتحمل المـاء من السماء إلى السحاب — (ماء ثجّاجا) منصبّا بكثرة (لنخرج به) بالمـاء (حبّا) كالبرّ والشعير(ونباتا) وكلأ (وجنّات) بساتين (ألفافا) ملتفّة الأشجار . واحدها لِفّ كجذع وأجذاع، أو لفيف كشريف وأشراف.أو لا واحد له كأوزاع. أو هى جمع الجمع . فهى جمع لُفّ . واللُفّ جمع لَفّاء وهى شجرة مجتمعة. ولا وقف من (ألم نجعل) إلى (ألفافا) . والوقف الضرورىّ على (أوتادا) و (معاشا) .

(٢) (إنّ يوم الفصل) بين المحسن والمسيء والمحقّ والمبطل (كان ميقاتا) وقتا محدودا ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء أو ميعادا للثواب والعقاب .

(٣) بدل من (يوم الفصل) أو عطف بيان .

فِى ٱلصُّورِ(١) فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا(٢) ۝ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ(٣) فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا(٤) ۝ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا(٥) ۝ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا(٦) ۝

(١) فى القرن .

(٢) حال . أى جماعات مختلفة . أو أمما كلّ أمّة مع رسولها .

(٣) خفيف، كوفىّ. أى شقّت لنزول الملائكة .

(٤) فصارت ذات أبواب وطرق وفروج وما لها اليوم من فروج .

(٥) (وسيّرت الجبال) عن وجه الأرض (فكانت سرابا) أى هباء تخيّل الشمس أنّه ماء.

(٦) (إنّ جهنّم كانت) طريقا عليه ممرّ الخلق — فالمؤمن يمرّ عليها والكافر يدخلها . وقيل المرصاد الحدّ الذى يكون فيه الرصد . أى هى حدّ الطاغين الذى يرصدون فيه للعذاب، وهى مآبهم. أو هى مرصاد لأهل الجنّة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأنّ مجازهم عليها — للكافرين مرجعا (لابثين) ماكثين — حال مقدّرة من الضمير فى (للطاغين). حمزة: — (لَبِثين). واللَّبِث أقوى. إذ اللابث من وجد منه اللُّبْث و إن قلّ، واللَّبِث من شأنه اللبث والمقام فى المكان — (فيها) فى جهنّم (أحقابا) — ظرف جمع حُقُب. وهو الدهر. ولم يرد به عدد محصور. بل الأبد كلّما مضى حُقُب تبعه آخر إلى غير نهاية. ولا يستعمل الحقب والحِقْبة إلّا إذا أريد تتابع الأزمنة وتواليها . وقيل الحقب ثمانون سنة. وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب(*) بعد عشرين سنة (لابثين فيها أحقابا) — (لايذوقون فيها بردا ولا شرابا) أى غير ذائقين. حال من ضمير (لابثين) . فإذا انقضت هذه الأحقاب التى عذّبوا فيها بمنع البرد والشراب بدّلوا بأحقاب أخر فيها عذاب آخر. وهى أحقاب بعد أحقاب لا انقطاع لها . وقيل هو من حقب عامنا إذا قلّ مطره وخيره ، وحقب فلان إذا أخطأه الرزق ، فهو حقب و جمعه أحقاب . فينتصب

(*) قوله فأجاب الخ يتدبر .

جَزَآءً وِفَاقًا ۞ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا[١] ۞ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا[٢] ۞ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ۞ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا[٣] ۞ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۞ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ۞ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۞ وَكَأْسًا دِهَاقًا[٤] ۞ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۞

حالاً عنهم . أى لابثين فيها حقبين جهدين ، و (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) تفسير له . وقوله (إلّا حميا وغسّاقا) استثناء منقطع أى (لايذوقون) فى جهنّم أو فى الأحقاب (بردا) رَوْحا ينفّس عنهم حرّ النار — أو نوما . ومنه منع البرد البرد — (ولا شرابا) يسكّن عطشهم ، ولكن يذوقون فيها (حميا) ماء حارّا يحرق ما يأتى عليه (وغسّاقا) ماء يسيل من صديدهم . و بالتشديد كوفىّ غير أبى بكر .

(١) جوز و (جزاء وفاقا) موافقا لأعمالهم. مصدر بمعنى الصفة أو ذا وفاق. ثمّ استأنف معلّلا فقال (إنّهم كانوا لا يرجون حسابا) لا يخافون محاسبة الله إيّاهم. أو لم يؤمنوا بالبعث فيرجوا حسابا.

(٢) تكذيبا . وفعّال فى باب فعّل كلّه فاش .

(٣) (وكلّ) نصب بمضمر يفسّره (أحصيناه كتابا) مكتوبا فى اللوح . حال ، أو مصدر فى موضع إحصاء . أو أحصينا فى معنى كتبنا . لأنّ الإحصاء يكون بالكتابة غالبا. وهذه الآية اعتراض لأنّ قوله (فذوقوا) مسبّب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات. أى (فذوقوا) جزاءكم — والالتفات شاهد على شدّة الغضب — (فان نزيدكم إلّا عذابا) . فى الحديث هذه الآية أشدّ ما فى القرآن على أهل النار .

(٤) (مفازا) مفعل من الفوز يصلح مصدرا ، أى نجاة من كلّ مكروه ، وظفرا بكلّ محبوب . ويصلح للمكان ، وهو الجنّة . ثم أبدل منه بدل البعض من الكلّ فقال (حدائق) بساتين فيها أنواع الشجر المثمر — جمع حديقة — (وأعنابا) كروما — عطف على (حدائق)— (وكواعب) نواهد (أترابا) لدات مستويات فى السنّ (وكأسا دهاقا) مملوءة (لا يسمعون فيها) فى الجنّة — حال من ضمير خبر (إنّ) — (لغوا) باطلا (ولا كذابا) الكسائىّ خفيف بمعنى مكاذبة . أى لا يكذب بعضهم بعضا أو لا يكاذبه .

جَزَآءً[1] مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً[2] حِسَابًا[3] ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا[4] ﴿٣٧﴾ يَوْمَ[5] يَقُومُ ٱلرُّوحُ[6] وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا[7] لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا[8] ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ[9]

(١) (جزاء) مصدر . أى جزاهم (جزاء من ربك) .

(٢) مصدر أو بدل من (جزاء) .

(٣) صفة . يعنى كافيا . أو على حسب أعمالهم .

(٤) (ربِّ — الرحمنِ) بجرهما، ابن عامر وعاصم، بدلا من (ربك) . ومن رفعهما فـ(ربُّ) خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره (الرحمنُ) . أو (الرحمنُ) صفته و (لا يملكون) خبر . أوهما خبران . والضمير فى (لايملكون) لأهل السموات والأرض ، وفى (منه خطابا) لله تعالى. أى لايملكون الشفاعة من عذابه تعالى إلّا بإذنه. أولا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى خوفا .

(٥) (يوم) إن جعلته ظرفا لـ(لا يملكون) لا تقف على (خطابا) و إن جعلته ظرفا لـ(لا يتكلّمون) تقف .

(٦) جبريل ، عند الجمهور . وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا أعظم منه .

(٧) حال أى مصطفين .

(٨) (لا يتكلّمون) أى الخلائق ثمّ خوفا (إلّا من أذن له الرحمن) فى الكلام أو الشفاعة (وقال صوابا) حقّا بأن قال المشفوع له لاإله إلّا الله فى الدنيا . أو لا يؤذن إلّا لمن يتكلّم بالصواب فى أمر الشفاعة .

(٩) الثابت وقوعه .

فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا[١] ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا[٢] يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ[٣] يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا[٤] ﴿٤٠﴾

(١) (فمن شاء اتّخذ إلى ربّه) مرجعا بالعمل الصالح .

(٢) (إنّا أنذرناكم) أيها الكفّار (عذابا قريبا) فى الآخرة لأنّ ما هو آت قريب .

(٣) (يوم ينظر) الكافر — لقوله (إنّا أنذرناكم عذابا قريبا) — (ما قدمت يداه) من الشرّ — لقوله (وذوقوا عذاب الحريق . ذلك بما قدّمت أيديكم) وتخصيص الأيدى لأنّ أكثر الأعمال تقع بها، وإن احتمل ألّا يكون للأيدى مدخل فيما ارتكب من الآثام — (ويقول الكافر) وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذمّ . أو (المرء) عامّ . وخص منه الكافر. و (ماقدّمت يداه) ما عمل من خير وشرّ. أو هو المؤمن لذكر الكافر بعده. وماقدم من خير. و (ما) استفهاميّة منصوبة بـ(قدّمت) أى (ينظر) أىّ شىء (قدّمت يداه)؟ أو موصولة منصوبة بـ(ينظر) يقال نظرته يعنى نظرت إليـه . والراجع من الصلة محـذوف أى (ما قدّمته) ـه .

(٤) (يا ليتنى كنت ترابا) فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلّف. أو (ليتنى كنت ترابا) فى هذا اليوم فلم أبعث . وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلّف حتّى يقتصّ للجّماء من القرناء . ثم يردّه ترابا فيودّ الكافر حاله . وقيل الكافر إبليس يتمنّى أن يكون كآدم مخلوقا من التراب ليثاب ثواب أولاده المؤمنين . والله أعلم .

سورة النّازعات مكّيّة

وهى ستّ وأربعون آية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا[1] ۝

(١) لا وقف إلى هنا . ولزم هنا لأنه لو وصل لصار (يوم) ظرف (المدبّرات) وقد انقضى تدبير الملائكة فى ذلك اليوم . أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الأرواح من الأجساد (غرقا) أى إغراقا فى النزع — أى تنزعها من أقاصى الأجساد من أناملها ومواضع أظفارها — و بالطوائف التى تنشطها أى تخرجها — من نَشَط الدلو من البئر إذا أخرجها — و بالطوائف التى تسبح فى مضيها — أى تسرع — فتسبق إلى ما أمروا به فتدبّر (أمرا) من أمور العباد ممّا يصلحهم فى دينهم أو دنياهم كما رسم لهم . أو بخيل الغزاة التى تنزع فى أعنّتها نزعا تغرق فيه الأعنّة لطول أعناقها لأنّها عراب ، والتى تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب — من قولك ثور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد — والتى تسبح فى جريها فتسبق إلى الغاية فتدبّر أمر الغلبة والظفر. و إسناد التدبير إليها لأنّها من أسبابه . أو بالنجوم التى تنزع من المشرق إلى المغرب — و إغراقها فى النزع أن تقطع الفلك كلّه حتّى تنحطّ فى أقصى الغرب — والتى تخرج من برج إلى برج، والتى تسبح فى الفلك من السيّارة فتسبق فتدبّر أمرا من علم الحساب. وجواب القسم محذوف وهو لتبعثنّ ، لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة .

يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾
أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ(١) ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
نَّخِرَةً(٢) ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ(٣) ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ(٤) ﴿١٣﴾

(١) (يوم) تتحرك (الراجفة) حركة شديدة — والرجف شدّة الحركة. (الراجفة) النفخة الأولى . وصفت بما يحدث بحدوثها لأنّها تضطرب بها الأرض حتى يموت كلّ من عليها — (تتبعها) — حال عن (الراجفة) — (الرادفة) النفخة الثانية لأنّها تردف الأولى . وبينهما أربعون سنة . والأولى تميت الخلق ، والثانية تحييهم . (قلوب) قلوب منكرى البعث (يومئذ واجفة) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب . وانتصاب (يوم ترجف) بما دلّ عليه (قلوب يومئذ واجفة) أى (يوم ترجف) وجفت القلوب . وارتفاع (قلوب) بالابتداء . و (واجفة) صفتها . (أبصارها) ، أى أبصار أصحابها (خاشعة) ذليلة لهول ما ترى ، خبرها .

(٢) (يقولون) أى منكرو البعث فى الدنيا ، استهزاء و إنكارا للبعث : — (أئنا لمردودون فى الحافرة) استفهام بمعنى الإنكار . أى أنردّ بعد موتنا إلى أوّل الأمر ، فنعود أحياء كما كنّا ؟ والحافرة الحالة الأولى. يقال لمن كان فى أمر فخرج منه ثمّ عاد إليه : — رجع إلى حافرته. أى إلى حالته الأولى . و يقال النقد عند الحافرة. أى عند الحالة الأولى. وهى الصفقة. أنكروا البعث ثمّ زادوا استبعادا فقالوا (أئذا كنّا عظاما نخرة) بالية . (ناخرة) كوفىّ غير حفص وفعل أبلغ من فاعل. يقال نخر العظم فهو نخر وناخر. والمعنى أنردّ إلى الحياة بعد أن صرنا عظاما بالية؟ و (إذا) منصوب بمحذوف وهو نبعث .

(٣) (قالوا) أى منكرو البعث : — (تلك) رجعتنا (إذاً كرّة خاسرة) رجعة ذات خسران أو خاسر أصحابها . والمعنى أنّها إن صحّت و بعثنا فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها . وهذا استهزاء منهم .

(٤) متعلّق بمحذوف . أى لا تحسبوا تلك الكرّة صعبة على الله عزّ وجلّ فإنّها سهلة هيّنة فى قدرته فما هى إلّا صيحة واحدة . يريد النفخة الثانية . من قولهم زجر البعير إذا صاح عليه .

فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (١) ۝ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (٢) ۝ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (٣) ۝ اذْهَبْ (٤) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٥) ۝ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (٦) ۝ فَأَرَىٰهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٧) ۝ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝

(١) (فإذا هم) أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا فى جوفها. وقيل الساهرة أرض بعينها بالشأم إلى جنب بيت المقدس. أو أرض مكّة. أو جهنّم.

(٢) استفهام يتضمّن التنبيه على أنّ هذا ممّا يجب أن يشيع والتشريف للخاطب به.

(٣) حين (ناداه ربّه بالواد المقدّس) المبارك المطهّر (طوى) اسمه.

(٤) على إرادة القول.

(٥) تجاوز الحدّ فى الكفر والفساد.

(٦) (هل لك) ميل (إلى أن) تتطهّر من الشرك والعصيان، بالطاعة والإيمان؟ وبتشديد الزاى حجازىّ. (وأهديك إلى ربّك) وأرشدك إلى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فتخشى). لأنّ الخشية لا تكون إلّا بالمعرفة. قال الله تعالى (إنّما يخشى الله من عباده العلماء) أى العلماء به. وعن بعض الحكماء "اعرف الله. فمن عرف الله، لم يقدر أن يعصيه طرفة عين". فالخشية ملاك الأمر. من خشى الله أتى منه كلّ خير، ومن أمن اجترأ على كلّ شرّ. ومنه الحديث "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل". بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض، كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا؟ وأردفه الكلام الرقيق، ليستدعيه باللطف فى القول، ويستنزله بالمداراة عن عتوّه، كما أمر بذلك فى قوله تعالى (فقولا له قولا ليّنا).

(٧) أى فذهب فأرى موسى فرعون العصا — أو العصا واليد البيضاء. لأنّهما فى حكم آية واحدة — (فكذّب) فرعون موسى والآية الكبرى، وسمّاهما ساحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى (ثمّ أدبر) تولّى عن موسى (يسعى) يجتهد فى مكايدته. أو لمّا رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسرع فى مشيته وكان طيّاشا خفيفا.

فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ[1] ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ[2] ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ[3] ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا[4] ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ[5] ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا[6] ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا[7] ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ[8] ﴿٣٣﴾

(١) فجمع السحرة وجنده (فنادى) فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه (فقال أنا ربكم الأعلى) لا رب فوقى . وكانت لهم أصنام يعبدونها .

(٢) عاقبه الله عقوبة (الآخرة والأولى). والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم . ونصبه على المصدر . لأنّ أخذ بمعنى نكّل . كأنّه قيل نكل الله به (نكال الآخرة) أى الإحراق (والأولى) أى الإغراق . أو (نكال) كلمتيه (الآخرة) — وهى (أنا ربّكم الأعلى) — (والأولى) وهى (ما علمت لكم من إله غيرى) وبينهما أربعون سنة ، أو ثلاثون أو عشرون .

(٣) (إنّ فى ذلك) المذكور (لعبرة لمن يخشى) الله .

(٤) (أأنتم) يامنكرى البعث (أشدّ خلقا) أصعب خلقا و إنشاء (أم السماء)؟ مبتدأ محذوف الخبر . أى (أم السماء) أشدّ خلقا . ثمّ بيّن كيف خلقها فقال : (بناها) أى الله . ثمّ بيّن البناء فقال : (رفع سمكها) أعلى سقفها . وقيل جعل مقدار ذهابها فى سمت العلوّ رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسوّاها) فعدّلها مستوية بلا شقوق ولا فطور (وأغطش ليلها) أظلمه (وأخرج ضحاها) أبرز ضوء شمسها . وأضيف الليل والشمس إلى السماء لأنّ الليل ظلمتها ، والشمس سراجها .

(٥) بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوّة فدحيت من مكّة بعد خلق السماء بألفى عام .

(٦) فسّر البسط فقال : (أخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) كلأها . ولذا لم يدخل العاطف على (أخرج) . أو (أخرج) حال بإضمار قد .

(٧) (والجبال أرساها) أثبتها . وانتصاب (الأرض) و (الجبال) بإضمار دحا وأرسى على شريطة التفسير .

(٨) فعل ذلك تمتيعا (لكم ولأنعامكم) .

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ(١) ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ(٢) مَا سَعَىٰ(٣) ۝ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ(٤) ۝ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ(٥) ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ(٦) ۝ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا(٧) ۝

(١) الداهية العظمى التى تطمّ على الدواهى، أى تعلو وتغلب . وهى النفخة الثانية ، أو الساعة التى يساق فيها أهل الجنّة إلى الجنّة وأهل النار إلى النار .

(٢) بدل من (إذا جاءت) . أى إذا رأى أعماله مدوّنة فى كتابه تذكّرها وكان قد نسيها .

(٣) مصدرية أى سعيه . أو موصولة .

(٤) وأظهرت لكلّ راء لظهورها ظهورا بيّنا .

(٥) (فأما) ــ جواب (فإذا) . أى إذا (جاءت الطامّة)، فإنّ الأمر كذلك ــ (من طغى) جاوز الحدّ فكفر (وآثر الحيوة الدنيا) على الآخرة باتّباع الشهوات (فإنّ الجحيم هى المأوى) المرجع . أى مأواه والألف واللام بدل من الإضافة. وهذا عند الكوفيين. وعند سيبويه وعند البصريين (هى المأوى) له .

(٦) أى (من) علم أنّ له مقاما يوم القيامة لحساب ربّه (ونهى النفس) الأمّارة بالسوء (عن الهوى) المؤذى . أى زجرها عن اتّباع الشهوات ــ وقيل هو الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها . والهوى ميل النفس إلى شهواتها ــ (فإنّ الجنّة هى المأوى) أى المرجع .

(٧) متى إرساؤها أى إقامتها . يعنى متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ؟

فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ[1] ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا[2] ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا[3] ﴿٤٦﴾

[1] فى أىّ شىء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلّمهم به ؟ أى ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شىء. كقولك ليس فلان من العلم فى شىء. وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتّى نزلت. فهو على هذا تعجّب من كثرة ذكره لها . أى أنّهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها. (إلى ربّك منتهاها) منتهى علمها متى تكون لا يعلمها غيره . أو (فيم) إنكار لسؤالهم عنها. أى (فيم) هذا السؤال؟ ثمّ قال (أنت من ذكراها) أى إرسالك وأنت آخر الأنبياء علامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها. ولا يبعد أن يوقف على هذا على (فيم). وقيل (فيم أنت من ذكراها) متّصل بالسؤال . أى (يسألونك عن الساعة أيّان مرساها) ويقولون أين أنت من ذكراها ؟ ثمّ استأنف فقال (إلى ربّك منتهاها) .

[2] أى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة. وإنّما بعثت لتنذر من أهوالها من يخاف شدائدها. (منذر) منوّن، يزيد وعبّاس .

[3] (كأنّهم يوم يرونها) أى الساعة (لم يلبثوا) فى الدنيا (إلّا عشيّة أو ضحاها) أى ضحى العشية. استقلّوا مدّة لبثهم فى الدنيا لما عاينوا من الهول . كقوله (لم يلبثوا إلّا ساعة من نهار) وقوله (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) . وإنّما صحّت إضافة الضحى إلى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما فى نهار واحد. والمراد أنّ مدّة لبثهم لم تبلغ يوما كاملا. ولكن أحد طرفى النهار عشيته أو ضحاه . والله أعلم .

سورة عبس مكّيّة

وهى اثنتان وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ (٤)

(١) (عبس) كلح أى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم (وتولّى) أعرض (أن جاءه) لأن جاءه — ومحلّه نصب لأنّه مفعول له . والعامل فيه (عبس) أو (تولّى) على اختلاف المذهبين — (الأعمى) عبد الله بن أمّ مكتوم. وأمّ مكتوم أمّ أبيه. وأبوه شريح بن مالك . أتى النبيّ صلّى الله عليه وسلم وهو يدعو أشراف قريش إلى الإسلام . فقال يارسول الله علّمنى مما علّمك الله . وكرّر ذلك، وهو لا يعلم تشاغله بالقوم . فكره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قطعه لكلامه، وعبس وأعرض عنه . فنزلت . فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكرمه بعدها ، ويقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربّى، واستخلفه على المدينة مرّتين .

(٢) وأىّ شىء يجعلك داريا بحال هذا الأعمى ؟ (لعلّه يزّكّى) لعلّ الأعمى يتطهّر بما يسمع منك من دنس الجهل . وأصله يتزكّى فأدغمت التاء فى الزاى. وكذا (أو يذّكّر) يتّعظ (فتنفعه) — نصبه عاصم غير الأعشى ، جوابا للعلّ . وغيره رفعه عطفا على (يذّكّر) — (الذكرى) ذكراك أى موعظتك أى إنّك لا تدرى ما هو مترقّب منه من تزكّ أو تذكّر . ولو دريت لما فرط ذلك منك .

أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ[1] ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ[2] ﴿١٠﴾ كَلَّآ[3] إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ[4] ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ[5] ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ[6] ﴿١٦﴾

(١) أى من كان غنيًا بالمال (فأنت له تصدّى) تتعرّض بالإقبال عليه حرصا على إيمانه — (تصّدّى) بإدغام التاء فى الصاد، حجازىّ — (وما عليك ألّا يزّكّى) وليس عليك بأس فى ألّا يتزكّى بالإسلام . إن عليك إلّا البلاغ .

(٢) (وأمّا من جاءك) يسرع فى طلب الخير (وهو يخشى) الله ، أو الكفّار أى أذاهم فى إتيانك، أو الكبوة كعادة العميان (فأنت عنه تلهّى) تتشاغل . وأصله تتلهّى. وروى أنّه ما عبس بعدها فى وجه فقير قطّ ولا تصدّى لغنى . وروى أنّ الفقراء فى مجلس الشورى كانوا أمراء .

(٣) ردع . أى لا تعد إلى مثله .

(٤) إنّ السورة أو الآيات (تذكرة) موعظة يجب الاتّعاظ بها والعمل بموجبها .

(٥) (فمن شاء) أن يذكره (ذكره) وذكّر الضمير لأنّ التذكرة فى معنى الذكر والوعظ . والمعنى فمن شاء الذكر ألهمه الله تعالى إيّاه .

(٦) (فى صحف) صفة لتذكرة. أى أنّها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح. أو خبر مبتدأ محذوف . أى هى (فى صحف) عند الله (مرفوعة) فى السماء ، أو مرفوعة القدر والمنزلة (مطهّرة).عن مس غير الملائكة ، أو عمّا ليس من كلام الله تعالى (بأيدى سفرة) كتبة — جمع سافر أى الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح — (كرام) على الله أو عن المعاصى (بررة) أتقياء جمع بارّ .

قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (٢) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٣) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٤) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٥) كَلَّا (٦) لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٧) فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٨) أَنَّا (٩) صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (١٠)

(١) لعن الكافر ، أو هو أمية ، أو عتبة (ما أكفره) استفهام توبيخ . أى أى شىء حمله على الكفر ؟ أو هو تعجب . أى ما أشد كفره .

(٢) (من أى شىء) حقير (خلقه) ؟ وهو استفهام ، ومعناه التقرير . ثم بين ذلك الشىء فقال (من نطفة خلقه فقدره) على ما يشاء من خلقه .

(٣) نصب السبيل بإضمار يسر . أى ثم سهل له سبيل الخروج من بطن أمه . أو بين له سبيل الخير والشر .

(٤) جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له . قبر الميت ، دفنه . وأقبره الميت ، أمره بأن يقبره ومكنه منه .

(٥) أحياه بعد موته .

(٦) ردع للإنسان عن الكفر .

(٧) لم يفعل هذا الكافر ما أمره الله به من الإيمان .

(٨) لما عدد النعم فى نفسه من ابتداء حدوثه إلى آن انتهائه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال (فلينظر الإنسان إلى طعامه) الذى يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره .

(٩) بالفتح ، كوفى ، على أنه بدل اشتمال من الطعام . و بالكسر ، على الاستئناف ، غيرهم .

(١٠) يعنى المطر من السحاب .

ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝ (١) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝ (٢) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ (٣) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝ (٤) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ (٥) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ (٦) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝ (٧)

---

(١) (ثم شققنا الأرض شقا) بالنبات (فأنبتنا فيها حبا) كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به (وعنبا) ثمرة الكرم — أى الطعام والفاكهة — (وقضبا) رُطبة — سمى بمصدر قضبه أى قطعه، لأنه يقضب مرة بعد مرة — (وزيتونا ونخلا وحدائق) بساتين (غلبا) غلاظ الأشجار — جمع غلباء — (وفاكهة) لكم (وأبا) مرعى لدوابكم (متاعا) مصدر. أى منفعة (لكم ولأنعامكم).

(٢) (فإذا جاءت الصاخة) صيحة القيامة لأنها تَصُخّ الآذان أى تُصمّها. وجوابه محذوف لظهوره. (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) لتبعات بينه و بينهم، أو لاشتغاله بنفسه (وصاحبته) وزوجته (و بنيه). بدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أحب. قيل أول من يفر من أخيه هابيل، ومن أبويه إبراهيم، ومن صاحبته نوح ولوط، ومن ابنه نوح. (لكل امرئ منهم يومئذ شأن) فى نفسه (يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به ويشغله عن غيره.

(٣) مضيئة، من قيام الليل، أو من آثار الوضوء.

(٤) أى أصحاب هذه الوجوه — وهم المؤمنون — ضاحكون مسرورون.

(٥) (عليها) غبار

(٦) يعلو الغبرة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه.

(٧) أهل هذه الحالة (هم الكفرة) فى حقوق الله (الفجرة) فى حقوق العباد. ولما جمعوا الفجور إلى الكفر، جمع إلى سواد وجوههم الغبرة. والله أعلم.

سورة التكوير مكّيّة

وهى تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ (٢) ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) ۝ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ (٤) عُطِّلَتْ (٥) ۝ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٦) ۝

(١) ذهب بضوئها . من كوّرت العمامة إذا لففتها . أى يلفّ ضوءها لفّا فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق. وارتفاع الشمس بالفاعليّة . ورافعها فعل مضمر يفسّره (كوّرت) لأنّ إذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط .

(٢) تساقطت .

(٣) (سيّرت) عن وجه الأرض وأبعدت . أو (سيّرت) فى الجوّ تسيير السحاب .

(٤) جمع عشراء . وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر . ثمّ هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة .

(٥) أهملت . عطّلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم ، وكانوا يحبسونها إذا بلغت هذه الحالة لعزّتها عندهم و يعطّلون ما دونها . (عطلت) بالتخفيف ، عن اليزيدىّ .

(٦) جمعت من كلّ ناحية . قال قتادة يحشر كلّ شىء حتّى الذباب للقصاص . فإذا قضى بينها ردّت ترابا فلا يبقى منها إلّا ما فيه سرور لبنى آدم كالطاوس ونحوه . وعن ابن عباس رضى الله عنهما "حشرها موتها". يقال إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم : حشرتهم السنة.

وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ [1] ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ [2] ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ [3] سُئِلَتْ [4] ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ [5] ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ [6] ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ [7] ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ [8] ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ [9] ﴿١٣﴾

(١) (سُجِرت) مكّيّ و بصريّ . من سجر التنّور إذا ملاءه بالحطب . أى ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتّى تعود بحرا واحدا . وقيل ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار .

(٢) قرنت كلّ نفس بشكلها : الصالح مع الصالح فى الجنّة ، والطالح مع الطالح فى النار . أو قرنت الأرواح بالأجساد . أو بكتبها وأعمالها . أو نفوس المؤمنين بالحور العين ، ونفوس الكافرين بالشياطين .

(٣) المدفونة حية . وكانت العرب تئد البنات خشية الإملاق ، وخوف الاسترقاق .

(٤) (سئلت) سؤال تلطّف، لتقول "بلا ذنب قتلت"، أو لتدلّ على قاتلها. أو هو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله (أ أنت قلت للناس) الآية .

(٥) و بالتشديد يزيد . وفيه دليل على أنّ أطفال المشركين لا يعذّبون ، وعلى أنّ التعذيب لا يكون بلا ذنب.

(٦) (نشّرت) فتحت .وبالتخفيف مدنىّ وشامىّ وعاصم وسهل ويعقوب . والمراد صحف الأعمال . تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثمّ تنشر إذا حوسب . ويجوز أن يراد (نشرت) بين أصحابها . أى فرّقت بينهم .

(٧) قال الزجّاج : قلعت كما يقلع السقف

(٨) (سُعِرت) أوقدت ايقادا شديدا ، وبالتشديد ، شامىّ ومدنىّ وعاصم غير حماد ويحيى ، للمبالغة .

(٩) (أزلفت) أدنيت من المتقين كقوله (وأزلفت الجنّة للمتّقين غير بعيد) .

فهذه اثنتا عشرة خصلة ستّ منها فى الدنيا والباقية فى الآخرة ، ولا وقف مطلقا من أوّل السورة إلى (ما أحضرت) لأنّ عامل النصب فى (إذا الشمس) وفيما عطف عليه ، جوابها وهو (علمت نفس) أى كلّ نفس.ولضرورة انقطاع النفس على كلّ آية جوّز الوقف.

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ (١) ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢) ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ (٣) بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ (٤) ﴿٢٣﴾

---

(١) من خير وشرّ .

(٢) (فلا أقسم) — لا زائدة — (بالخنّس) بالرواجع — بينا ترى النجم فى آخر البرج إذ كرّ راجعا إلى أوّله — (الجوار) السيّارة (الكنّس) الغيّب — من كنس الوحش إذا دخل كناسه . قيل هى الدرارىّ الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر، وترجع حتّى تختفى تحت ضوء الشمس. فخنوسها رجوعها. وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس. وقيل هى جميع الكواكب — (والليل إذا عسعس) ، أقبل بظلامه ، أو أدبر ، فهو من الأضداد (والصبح إذا تنفّس) امتدّ ضوءه . ولمّا كان إقبال الصبح يلازمه الرَّوح والنسيم، جعل ذلك نفَسا له مجازا . وجواب القسم (إنّه) أى القرآن (لقول رسول) — أى جبريل عليه السلام . وإنّما أضيف القرآن إليه لأنّه هو الذى نزل به — (كريم) عند ربّه (ذى قوّة) قدرة على ما يكلّف لا يعجز عنه ولا يضعف (عند ذى العرش) عند الله (مكين) ذى جاه ومنزلة — ولمّا كانت حال المكانة على حسب حال المكين، قال (عند ذى العرش) ليدلّ على عظم منزلته ومكانته — (مطاع ثمّ) أى فى السموات يطيعه من فيها — أو عند ذى العرش أى عند الله : يطيعه ملائكته المقرّبون يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه — (أمين) على الوحى (وما صاحبكم) يعنى محمدا صلّى الله عليه وسلّم (بمجنون) كما تزعم الكفرة . وهو عطف على جواب القسم .

(٣) رأى محمد جبريل عليهما السلام على صورته .

(٤) بمطلع الشمس .

وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ (١) ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ (٢) ۝ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٣) ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ (٤) ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٥) ۝

---

(١) (وما) محمّد على الوحى بخيل . من الضنّ وهو البخل . أى لا يبخل بالوحى كما يبخل الكهان رغبة فى الحُلْوان بل يعلّمه كما علّم ولا يكتم شيئا ممّا علّم. (بظنين) مكّىّ وأبو عمرو وعلىّ. أى بمتّهم فينقص شيئا ممّا أوحى إليه أو يزيد فيه . من الظنّة . وهى التُهْمَة .

(٢) (وما) القرآن (بقول شيطان رجيم) طريد . وهو كقوله (وما تنزلت به الشياطين) أى ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع و يوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة .

(٣) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادّة اعتسافا أوذهابا فى بُنَيّات الطريق : أين تذهب؟ مثّلت حالهم بحاله فى تركهم الحقّ وعدولهم عنه إلى الباطل . وقال الزجاج . معناه فأىّ طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التى بيّنت لكم ؟ وقال الجنيد : (فأين تذهبون) عنّا وإن من شئ إلّا عندنا ؟ .

(٤) ما القرآن إلّا عظة للخلق (لمن شاء منكم) — بدل من العالمين — (أن يستقيم). أى القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة . يعنى أنّ الذين شاءوا الاستقامة بالدخول فى الإسلام هم المنتفعون بالذكر . فكأنّه لم يوعظ به غيرهم و ان كانوا موعوظين جميعا .

(٥) (وما تشاءون) الاستقامة (إلّا أن يشاء الله ربّ العالمين) مالك الخلق أجمعين .

سورة الانفطار مكّيّة

وهى تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (١) ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ (٢) مَا غَرَّكَ (٣) بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ (٤) فَعَدَلَكَ (٥) ۝

(١) (إذا السماء) انشقّت (وإذا الكواكب) تساقطت (وإذا البحار) فتح بعضها إلى بعض وصارت البحار بحرا واحدا (وإذا القبور) بحثت وأخرج موتاها . وجواب إذا (علمت نفس) أى كلّ نفس برّة وفاجرة (ما قدّمت) ما عملت من طاعة (وأخرت) وتركت فلم تعمل ، أو (ما قدّمت) من الصدقات (و) ما (أخّرت) من الميراث .

(٢) قيل الخطاب لمنكرى البعث .

(٣) أىّ شيء خدعك حتّى ضيعت ما وجب عليك مع كرم ربّك حيث أنعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل ؟ وعنه عليه السلام حين تلاها : "غرّه جهله". وعن عمر رضى الله عنه : "غرّه حمقه". وعن الحسن : "غرّه شيطانه". وعن الفضيل : "لو خوطبت أقول غرّتنى ستورك المرخاة". وعن يحيى بن معاذ . "أقول غرّنى برّك بى سالفا وآنفا" .

(٤) فجعلك مستوى الخلق سالم الأعضاء .

(٥) (فعدّلك) فصيّرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع ولا بعض الأعضاء أبيض و بعضها أسود ، أو جعلك معتدل الخلق تمشى قائما لا كالبهائم . وبالتخفيف كوفىّ . وهو بمعنى المشدّد . أى عدل بعض أعضائك ببعض حتّى اعتدلت . فكنت معتدل الخلقة متناسبا .

فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ (١) كَلَّا (٢) بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾ (٣) إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ (٤) يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ (٥)

(١) (ما) مزيد للتوكيد . أى (ركّبك) فى أىّ صورة اقتضتها مشيئته من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر . ولم تعطف هـذه الجملة كما عطف ما قبلها لأنّها بيان لـ(عدلك) . والجارّ يتعلّق بـ (ركّبك) على معنى وضعك فى بعض الصـور ومكّنك فيها . أو بمحذوف . أى (ركّبك) حاصلا فى بعض الصور .

(٢) ردع عن الغفلة عن الله تعالى .

(٣) (بل تكذّبون بالدين) أصلا . وهو الجزاء أودين الإسلام. فلا تصدّقون ثوابا ولا عقابا (وإنّ عليكم لحافظين) أعمالكم وأقوالكم من الملائكة (كراما كاتبين) . يعنى أنّكم تكذّبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها (يعلمون ما تفعلون) لا يخفى عليهم شىء من أعمالكم. وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وأنّه عند الله من جلائل الأمور . وفيه إنذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتّقين . وعن الفضيل أنّه كان إذا قرأها قال ما أشدّها من آية على الغافلين .

(٤) (إنّ) المؤمنين (لفى نعيم) الجنّة (وإنّ) الكفّار (لفى) النار (يصلونها يوم الدين) يدخلونها يوم الجزاء (وماهم عنها بغائبين) أى لا يخرجون منها كقوله تعالى (وماهم بخارجين منها) . ثمّ عظّم شأن يوم القيامة فقال: (وما أدراك ما يوم الدين ثمّ ما أدراك ما يوم الدين) فكرّر للتأكيد والتهويل ، وبيّنه بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أى لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه . وإنّما تملك الشفاعة بالإذن. (يوم) بالرفع مكّىّ وبصرىّ. أى هو (يوم) أو بدل من (يوم الدين) . ومن نصب فبإضمار اذكر أو باضمار يدانون لأنّ الدين يدلّ عليه .

(٥) أى لا أمر إلاّ لله تعالى وحده فهو القاضى فيه دون غيره .

سورة المطفّفين

مختلف فيها : وهى ستّ وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ[1] ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ[2] يُخْسِرُونَ[3] ﴿٣﴾

(١) (ويل) مبتدأ خبره (للمطفّفين) للذين يبخسون حقوق الناس فى الكيل والوزن (الذين إذا اكتالوا على النـاس يستوفون) أى إذا أخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامّة . ولمـّا كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرّهم ويتحامل فيه عليهم أبدل (على) مكان من للدلالة على ذلك . ويجوز أن يتعلّق (على) بـ(يستوفون). ويقدّم المفعول على الفعل لإفادة الاختصاص أى يستوفون على الناس خاصّة . وقال الفرّاء من وعلى يعتقبان فى هذا الموضع لأنّه حقّ عليه . فإذا قال اكتلت عليك فكأنّه قال أخذت ما عليك . وإذا قال اكتلت منك فكأنّه قال استوفيت منك . وإنّمـا لم يقل أو اتزنوا كما قيل (أو وزنوهم) اكتفاء . ويحتمل أنّ المطفّفين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلّا بالمكاييل لتمكّنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لأنّهم يدعدعون ويحتالون فى الملء . وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكّنهم من البخس فى النوعين .

(٢) والضمير المنصوب راجع إلى الناس . أى كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجـار وأوصل الفعل .

(٣) ينقصون . يقال خسر الميزان وأخسره .

أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ (١) لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ يَوۡمَ (٢) يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٣) كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ (٤) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ

(١) يعنى يوم القيامة . أدخل همزة الاستفهام على لا النافية توبيخا . وليست (ألا) هـذه للتنبيه . وفيه إنكار وتعجيب عظيم من حالهم فى الاجتراء على التطفيف . كأنهم لايخطرون ببالهم ولا يخمّنون تخمينا أنّهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرّة . ولو ظنّوا أنّهم يبعثون ما نقصوا فى الكيل والوزن . وعن عبد الملك بن مروان أنّ أعرابيّا قال له" لقد سمعت ما قال الله فى المطفّفين"، أراد بذلك أنّ المطفّف قـد توجّه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به ، "فما ظنّك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن" ؟

(٢) نصب بمبعوثون .

(٣) لأمره وجزائه . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنّه قرأ هذه السورة . فلمّا بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده .

(٤) (كلّا) ردع وتنبيه . أى ردعهم عمّا كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ، ونبّههم على أنّه ممّا يجب أن يتاب عنه ويندم عليه . ثمّ أتبعه وعيد الفجّار على العموم، فقال (إنّ كتاب الفجّار) صحائف أعمالهم (لفى سجّين وما أدراك ما سجّين كتاب مرقوم) . فإن قلت قد أخبر الله تعالى من كتاب الفجّار بأنّه فى سجّين وفسّر سجّينا بكتاب مرقوم . فكأنّه قيل إنّ كتابهم فى كتاب مرقوم ، فما معناه ؟ قلت سجّين كتاب جامع هو ديوان الشرّ دوّن الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجنّ والإنس . وهو كتاب مرقوم مسطور بيّن الكتابة ، أو مُعلَم يعلم من رآه أنّه لا خير فيه، من رقْم الثياب علامتها . والمعنى أنّ ما كتب من أعمال الفجّار مثبت فى ذلك الديوان . وسمّى سجّينا فعّيلا من السجن وهو الحبس والتضييق ، لأنّه سبب الحبس والتضييق فى جهنّم ، أو لأنّه مطروح تحت الأرض السابعة فى مكان وحْش مظلم ، وهو مسكن إبليس وذرّيّته . وهو اسم علم منقول من وصف كحاتم ، منصرف لوجود سبب واحد وهو العلميّة فحسب .

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ[1] ﴿١٣﴾ كَلَّا[2] بَلْ[3] رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ[4] ﴿١٤﴾ كَلَّآ[5] إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ[6] ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ[7] ﴿١٦﴾

(١) (ويل) يوم يخرج المكتوب (للمكذّبين الذين يكذّبون بيوم الدين) الجزاء والحساب. (وما يكذّب) بذلك اليوم (إلّا كلّ) مجاوز للحدّ مكتسب للإثم (إذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الأوّلين) أى أحاديث المتقدّمين. وقال الزجّاج (أساطير) أباطيل واحدها أسطورة مثل أحدوثة وأحاديث.

(٢) ردع للمعتدى الأثيم عن هذا القول.

(٣) نفى لما قالوا. ويقف حفص على (بل) وقيفة.

(٤) غطّاها كسبهم. أى غلب على قلوبهم حتّى غمرها (ما كانوا يكسبون) من المعاصى. وعن الحسن: الذنب بعد الذنب حتّى يسودّ القلب. وعن الضحّاك: الرين موت القلب. وعن أبى سليمان: الرين والقسوة زماما الغفلة ودواؤهما إدمان الصوم. فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الإدام.

(٥) ردع عن الكسب الرائن على القلب.

(٦) (إنّهم عن) رؤية (ربّهم يومئذ لمحجوبون) لممنوعون. والحجب المنع. قال الزجّاج فى الآية دليل على أنّ المؤمنين يرون ربّهم وإلّا لا يكون التخصيص مفيدا. وقال الحسين ابن الفضل: كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده، حجبهم فى العقبى عن رؤيته. وقال مالك ابن أنس رحمه الله: لمّا حجب أعداءه فلم يروه، تجلّى لأوليائه حتّى رأوه. وقيل: (عن) كرامة (ربّهم) لأنّهم فى الدنيا لم يشكروا نعمه، فيئسوا فى الآخرة عن كرامته مجازاة. والأوّل أصحّ لأنّ الرؤية أقوى الكرامات، فالحجب عنها دليل الحجب عن غيرها.

(٧) (ثمّ إنّهم) بعد كونهم محجوبين عن ربّهم لداخلون النار.

ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (١) ۝ كَلَّآ (٢) إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ (٣) لَفِى عِلِّيِّينَ (٤) ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (٥) ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ (٦) ۝ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (٧) ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ (٨) يَنظُرُونَ (٩) ۝ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ (١٠) ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ (١١)

(١) أى (هذا) العذاب هو (الذى كنتم) تكذّبون به فى الدنيا وتنكرون وقوعه .

(٢) ردع عن التكذيب .

(٣) ما كتب من أعمالهم . والأبرار المطيعون الذين لا يطفّفون و يؤمنون بالبعث لأنّه ذكر فى مقابلة (الفجّار) و بيّن الفجّار بأنّهم المكذّبون بيوم الدين. وعن الحسن: البرّ الذى لا يؤذى الذرّ .

(٤) هو علم لديوان الخير الذى دوّن فيه كلّ ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين . منقول من جمع علّى فعّيل من العلو. سمّى به لأنّه سبب الارتفاع إلى أعالى الدرجات فى الجنّة، أو لأنّه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له .

(٥) ما الذى أعلمك يا محمّد (ما علّيون) أىّ شىء هو ؟

(٦) تحضره الملائكة . قيل يشهد عمل الأبرار مقرّبو كلّ سماء إذا رفع .

(٧) تنعّم فى الجنان .

(٨) الأسرّة فى الحجال .

(٩) (ينظرون) إلى كرامة الله ونعمه وإلى أعدائهم كيف يعذّبون .

(١٠) بهجة التنعّم وطراوته .

(١١) شراب خالص لا غشّ فيه .

مَّخْتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ(١) وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ(٢) ۝
وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ(٣) ۝ عَيْنًا(٤) يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ(٥) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ(٦) ۝ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ(٧) ۝ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ(٨) ۝

(١) تختم أوانيه بمسك بدل الطين الذى يختم به الشراب فى الدنيا. أمر الله تعالى بالختم عليه إكراما لأصحابه . أو (ختامه مسك) مقطعه رائحة مسك . أى توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه . (خاتمه) على .

(٢) (وفى) الرحيق أو النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون. وذا إنّما يكون بالمسارعة إلى الخيرات ، والانتهاء عن السيّئات .

(٣) ومزاج الرحيق (من تسنيم) هو علم لعين بعينها سمّيت بالتسنيم — الذىهو مصدر سنّمه إذا رفعه — لأنّها أرفع شراب فى الجنّة. أو لأنّها تأتيهم من فوق وتنصبّ فى أوانيهم .

(٤) حال أو نصب على المدح .

(٥) أى (يشرب) منها (المقربون). عن ابن عبّاس وابن مسعود رضى الله عنهم : يشربها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين .

(٦) (إنّ الذين) كفروا (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) فى الدنيا استهزاء بهم .

(٧) يشير بعضهم إلى بعض بالعين طعنا فيهم وعيبا لهم . قيل جاء علىّ رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا أترون هذا الأصلع ؟ فنزلت قبل أن يصل علىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

(٨) أى إذا رجع الكفّار إلى منازلهم (انقلبوا فكهين) متلذّذين بذكرهم والسخرية منهم. وقرأ غير حفص (فاكهين) أى فرحين .

وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ [1] ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ [2] ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ [3] ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ [4] ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ [5] ﴿٣٦﴾

---

(١) (و إذا) رأى الكافرون المؤمنين (قالوا إنّ هؤلاء لضالّون) أى خدع محمّد هؤلاء فضلّوا وتركوا اللّذات، لما يرجونه فى الآخرة من الكرامات. فقد تركوا الحقيقة بالخيال، وهذا هو عين الضلال.

(٢) (وما) أرسل الكفّار على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أحوالهم و يرقبون أعمالهم. بل أمروا بإصلاح أنفسهم. فاشتغالهم بذلك أولى بهم من تتبّع غيرهم وتسفيه أحلامهم.

(٣) أى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفّار يضحكون) كما ضحكوا منهم هنا مجازاة.

(٤) حال. أى (يضحكون) منهم ناظرين إليهم و إلى ماهم فيه من الهوان والصغار، بعد العزّة والاستكبار، وهم (على الأرائك) آمنون. وقيل يفتح للكفّار باب إلى الجنّة فيقال لهم هلمّوا إلى الجنّة فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم.

(٥) هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا إذا فعل بهم ماذكر؟ والله أعلم.

سورة الانشقاق مكّيّة

وهى خمس وعشرون آية



إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ[1] ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ[2]

(١) (إذا السماء)تصدّعت وتشقّقت (وأذنت لربّها) سمعت وأطاعت وأجابت ربّها إلى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع (وحقّت) وحقّ لها أن تسمع وتطيع لأمر الله إذ هى مصنوعة مربوبة لله تعالى (وإذا الأرض مدّت) بسطت وسوّيت باندكاك جبالها وكلّ أمت فيها (وألقت ما فيها) ورمت ما فى جوفها من الكنوز والموتى (وتخلّت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شىء فى باطنها كأنّها تكلّفت أقصى جهدها فى الخلو ــ يقال تكرّم الكريم إذا بلغ جهده فى الكرم وتكلّف فوق ما فى طبعه ــ (وأذنت لربّها) فى إلقاء ما فى بطنها وتخلّيها (وحقّت) وهى حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع. وحذف جواب (إذا) ليذهب المقدّر كلّ مذهب، أو اكتفاء بما علم بمثلها من سورتى التكوير والانفطار، أو جوابه ما دلّ عليه (فملاقيه) . أى (إذا السماء انشقّت،) لاقى الإنسان كدحه .

(٢) خطاب للجنس .

إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾

(١) (إنّك) جاهد (إلى) لقاء (ربك) وهو الموت وما بعده من الحال الممثّلة باللقاء. وضمير (فملاقيه) للكدح وهو جهد النفس فى العمل والكدّ فيه حتّى يؤثّر فيها. والمراد جزاء الكدح إن خيرا فخير وإن شرّا فشرّ. وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح. يدلّ عليه قوله (فأمّا من أوتى كتابه) أى كتاب عمله (بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا هينا وهو أن يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيّئات. وفى الحديث " من يحاسب يعذّب" فقيل فأين قوله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا)؟ قال "ذلكم العرض. من نوقش فى الحساب عذّب".

(٢) (وينقلب) إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين، أو إلى فريق المؤمنين، أو (إلى أهله) فى الجنّة من الحور العين (مسرورا) فرحا.

(٣) قيل تغلّ يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

(٤) يقول ياثبوراه. والثبور الهلاك.

(٥) (ويَصْلَى) — عراقىّ غير علىّ — (سعيرا) أى ويدخل جهنّم.

(٦) (إنّه كان) فى الدنيا (فى أهله) معهم (مسرورا) بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث. قيل: — " كان لنفسه متابعا، وفى مراتع هواه راتعا ".

(٧) (إنّه ظنّ أن لن) يرجع إلى ربّه تكذيبا بالبعث. قال ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت تفسيره حتّى سمعت أعرابيّة تقول لبنتها "حورى" أى ارجعى.

بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا (١) ۝ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (٢) ۝ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣) ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ (٤) ۝ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٥) ۝

---

(١) (بلى) إيجاب لما بعد النفى فى (لن يحور). أى (بلى) ليحورن (إنّ ربّه كان به) و بأعماله (بصيرا) لا يخفى عليه . فلا بدّ أن يرجعه و يجازيه عليها .

(٢) فأقسم بالبياض بعد الحمرة أو الحمرة (والليل وما وسق) جمع وضمّ — والمراد ما جمعه من الظلمة والنجم . أو ما عمل فيه من التهجّد وغيره — (والقمر إذا اتّسق) اجتمع وتمّ بدرا — افتعل من الوسق — (لتركبُنّ) أيها الناس على إرادة الجنس (طبقا عن طبق) حالا بعد حال كلّ واحدة مطابقة لأختها فى الشدّة والهول . والطبق ما طابق غيره . يقال ما هذا بطبق لذا أى لا يطابقه . ومنه قيل للغطاء الطبق . ويجوز أن يكون جمع طبقة وهى المرتبة . من قولهم هو على طبقات . أى (لتركبنّ) أحوالا بعد أحوال هى طبقات فى الشدّة بعضها أرفع من بعض . وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها . ومحلّ (عن طبق) نصب على أنّه صفة لـ(طبقا) أى (طبقا) مجاوزا لطبق . أو حال من الضمير فى (لتركبنّ) أى (لتركبنّ طبقا) مجاوزين لطبق . وقال مكحول فى كلّ عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه. وبفتح الباء مكّيّ وعليّ وحمزة . والخطاب له عليه السلام . أى (طبقا) من طباق السماء بعد (طبق) أى فى المعراج .

(٣) (فمالهم) فى ألّا يؤمنوا .

(٤) لا يخضعون .

(٥) (بل الذين كفروا يكذّبون) بالبعث والقرآن (والله أعلم بما يوعون) بما يجمعون فى صدورهم و يضمرون من الكفر وتكذيب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . أو بما يجمعون فى صحفهم من أعمال السوء و يدّخرون لأنفسهم من أنواع العذاب .

فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (١) ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ (٢) لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٣) ۝

(١) أخبرهم خبرا يظهر أثره على بشرتهم .

(٢) استثناء منقطع .

(٣) أى غير مقطوع أو غير منقوص والله أعلم .

سورة البروج مكّيّة

وهى اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ[1] أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾

---

(١) (والسماء ذات البروج) — هى البروج الاثنا عشر. وقيل النجوم . أو عظام الكواكب — (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد) فى ذلك اليوم (ومشهود) فيه . والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلّهم ، وبالمشهود فيه ما فى ذلك اليوم من عجائبه . وطريق تنكيرهما إمّا ما فى قوله (علمت نفس ما أحضرت) كأنّه قيل ماأفرطت كثرته من شاهد ومشهود . وإمّا للإبهام فى الوصف كأنّه قيل (وشاهد ومشهود) لا يكتنه وصفهما . وقد كثرت أقاويل المفسّرين فيهما. فقيل محمد ويوم القيامة. أو عيسى وأمّته لقوله (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم). أو أمّة محمد وسائر الأمم . أو الحجر الأسود والحجيج. أو الأيّام والليالى وبنو آدم ، للحديث "مامن يوم إلّا وينادى أنا يوم جديد، وعلى مايفعل فىّ شهيد . فاغتنمنى ، ولو غابت شمسى لم تدركنى إلى يوم القيامة". أو الحفظة وبنو آدم . أو الله تعالى والخلق لقوله تعالى (وكفى بالله شهيدا). أو الأنبياء ومحمد عليهم السلام. وجواب القسم محذوف يدلّ عليه (قتل أصحاب الأخدود) أى لعن . كأنّه قيل أقسم بهذه الأشياء أنّهم ملعونون — يعنى كفّار قريش — كما لعن أصحاب الأخدود . وهو جمع خدّ أى شقّ عظيم فى الأرض . روى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه كان لبعض الملوك ساحر . فلمّا كبر ضمّ إليه غلاما ليعلّمه السحر . وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه . فرأى فى طريقه ذات يوم دابّة قد حبست الناس . فأخذ حجرا فقال . "اللّهم إن كان الراهب

ٱلنَّارِ[1] ذَاتِ ٱلْوَقُودِ[2] ۝ إِذْ[3] هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ[4] ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ[5] ۝

أحبّ إليك من الساحر فاقتلها " فقتلها . فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص . وعمى جليس للملك فأبرأه. فأبصره الملك فسأله " من ردّ عليك بصرك ؟ ." فقال" ربّى " فغضب . فعذّبه فدلّ على الغلام فعذّبه فدلّ على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقدّ بالمنشار . وأبى الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا. فذهب به إلى قرقور فلجّجوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا . فقال للملك : " لست بقاتلى حتّى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول بسم الله ربّ الغلام ثمّ ترمينى به ".فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه فمات. فقال الناس" آمنّا بربّ الغلام" فقيل للملك " نزل بك ما كنت تحذره " فخدّ أخدودا وملأها نارا فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتّى جاءت امرأة معها صبىّ فتقاعست أن تقع فيها فقال" يا أمّاه اصبرى فإنّك على الحقّ" فألقى الصبىّ وأمّه فيها .

(١) بدل اشتمال من (الأخدود)

(٢) وصف لها بأنّها عظيمة لها مايرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس .

(٣) ظرف لـ (قتل) أى لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها .

(٤) أى (إذ) الكفّار على مايدنو منهـا من حافات الأخدود . جلوس على الكراسىّ .

(٥) أى (و) الكفّار (على مايفعلون بالمؤمنين) من الإحراق (شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك أنّ أحدا منهم لم يفرّط فيما أمر به وفوّض إليه من التعذيب .

وفيه حثّ للمؤمنين على الصبر وتحمّل أذى أهل مكّة .

وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟[(١)] بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[(٢)] وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ[(٣)] ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ[(٤)] ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ[(٥)] لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾

(١) وما عابوا (منهم) وما أنكروا إلّا الإيمان كقوله :

* ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم *

وقوله :

ما نقموا من بنى أميّة إلّا * لا أنّهم يحلمون إن غضبوا

وقرئ (نقموا) بالكسر . والفصيح هو الفتح .

(٢) ذكر الأوصاف التى يستحقّ بها أن يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه ، حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه (الذى له ملك السموات والأرض) فكلّ من فيهما تحقّ عليه عبادته والخشوع له ، تقريرا لأنّ ما نقموا منهم هو الحقّ الذى لا ينقمه إلّا مبطل ، وأنّ الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم .

(٣) وعيد لهم . يعنى أنّه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه .

(٤) يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصّة ، وبالذين آمنوا المطروحين فى الأخدود . والمعنى (إنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) عذّبوهم بالنار وأحرقوهم (ثمّ لم) يرجعوا عن كفرهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنّم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) فى الدنيا لما روى أنّ النار انقلبت عليهم فأحرقتهم . ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أى بلوهم بالأذى على العموم ، والمؤمنين المفتونين ، وأنّ للفاتنين عذابين فى الآخرة لكفرهم ولفتنتهم .

(٥) أى الذين صبروا على تعذيب الأخدود . أو هو عامّ .

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ[١] ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ[٢] ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ[٣] ٱلْوَدُودُ[٤] ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ[٥] ٱلْمَجِيدُ[٦] ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ[٧] ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ[٨] ﴿٢٠﴾

---

(١) البطش الأخذ بالعنف . فإذا وصف بالشدّة فقد تضاعف وتفاقم . والمراد أخذ الظلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام .

(٢) أى يخلقهم ابتداء ثمّ يعيدهم بعد أن صيّرهم ترابا . دلّ باقتداره على الإبداء والإعادة على شدّة بطشه . أو أوعد الكفرة بأنّه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذّبوا بالإعادة .

(٣) الساتر للعيوب العافى عن الذنوب .

(٤) المحبّ لأوليائه . وقيل الفاعل لأهل الطاعة مايفعله الودود من إعطائهم ما أرادوا .

(٥) خالقه ومالكه .

(٦) وبالجرّ حمزة وعلىّ على أنّه صفة للعرش . ومجد الله عظمته . ومجد العرش علوّه وعظمه .

(٧) (فعّال) — خبر مبتدأ محذوف — (لما يريد) تكوينه . فيكون فيه دلالة خلق أفعال العباد .

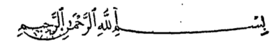
(٨) أى قد (أتاك) خبر الجموع الطاغية فى الأمم الخالية (فرعون وثمود) بدل من الجنود. وأراد بفرعون إيّاه وآله . والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل ومانزل بهم لتكذيبهم . (بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) واستيجاب للعذاب ولا يعتبرون بالجنود لا لخفاء حال الجنود عليهم لكن يكذّبونك عنادا (والله من ورائهم محيط) أى عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه . والإحاطة بهم من ورائهم مثل . لأنّهم لايفوتونه كما لا يفوت الشىء المحيط به .

بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ[1] ۝

[1] (بل) هذا الذى كذّبوا به (قرآن مجيد) شريف عالى الطبقة فى الكتب وفى نظمه وإعجازه ليس كما يزعمون أنه مفترى وأنّه أساطير الأوّلين (فى لوح محفوظ) من وصول الشياطين. (محفوظٌ) نافع صفة للقرآن. أى من التغيير والتبديل. واللوح عند الحسن شىءٌ يلوح للملائكة فيقرءونه. وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درّة بيضاء، طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب، قلمه نور، وكلّ شئ فيه مسطور. مقاتل: هو على يمين العرش. وقيل أعلاه معقود بالعرش وأسفله فى حجر ملك كريم. والله أعلم.

سورة الطارق مكّيّة

وهى سبع عشرة آية



وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾
إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ[(1)] ﴿٤﴾

(1) عظّم قدر السّماء فى أعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنّة فأقسم بها و بالطارق . والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التى يرجم بها لعظم منفعتها . ثمّ فسّره بالنجم الثاقب أى المضىء كأنّه يثقب الظلام فينفذ فيه . ووصف بالطارق لأنّه يبدو بالليل كما يقال للآتى ليلا طارق. أو لأنّه يطرق الجنّىّ أى يصكّه . وجواب القسم (إن كلّ نفس لمّا عليها حافظ). (لمّا) إن كانت مشدّدة بمعنى إلّا كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون (إن) نافية أى ما (كلّ نفس) إلّا (عليها حافظ) . وإن كانت مخفّفة كقراءة غيرهم فتكون (إن) مخفّفة من الثقيلة . أى (إن كلّ نفس) لعليها (حافظ) يحفظها من الآفات أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها فإذا استوفى ذلك مات. وقيل هو كاتب الأعمال. فما زائدة . واللام فارقة بين النافية والخفيفة . و (حافظ) مبتدأ و (عليها) الخبر . والجملة خبر (كلّ) وأيّتهما كانت فهى ممّا يتلقّى به القسم .

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ[1] ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ[2] ۝ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ[3] ۝ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ[4] ۝ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ[5] ۝

---

(١) لمّا ذكر أنّ على كلّ نفس حافظا أمره بالنظر فى أوّل أمره ليعلم أنّ من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولا يملى على حافظه إلّا ما يسرّه فى عاقبته . و(ممّ خلق) استفهام — أى من أىّ شىء خلق ؟ — جوابه (خلق من ماء دافق) . والدفق صبّ فيه دفع والدفق فى الحقيقة لصاحبه . والإسناد إلى الماء مجاز . وعن بعض أهل اللغة دفقت الماء دفقا صببته . ودفق الماء بنفسه أى انصبّ . ولم يقل من ماءين لامتزاجهما فى الرحم واتّحادهما حين ابتدئ فى خلقه .

(٢) من بين صلب الرجل وترائب المرأة . وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة . وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة .

(٣) إنّ الخالق ، لدلالة (خلق) عليه . ومعناه إنّ الذى خلق الإنسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على إعادته خصوصا (لقادر) لبيّن القدرة لا يعجز عنه كقوله " إنّى لفقير " أى لبيّن الفقر . ونصب (يوم تبلى) — أى تكشف — برجعه أو بمضمر دلّ عليه قوله (رجعه) . أى يبعثه (يوم تبلى السرائر) ما أسرّ فى القلوب من العقائد والنيّات وما أخفى من الأعمال .

(٤) (فما) للإنسان (من قوّة) فى نفسه على دفع ما حلّ به (ولا ناصر) يعينه ويدفع عنه .

(٥) أى المطر . وسمّى به لعوده كلّ حين .

وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ (١) ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ (٢) ﴿١٤﴾
إِنَّهُمْ (٣) يَكِيدُونَ كَيْدًا (٤) ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا (٥) ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٦)
أَمْهِلْهُمْ (٧) رُوَيْدًا (٨) ﴿١٧﴾

(١) هو ما تتصدّع عنه الأرض من النبات .

(٢) إنّ القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحقّ والباطل كما قيل له فرقان (وما هو بالهزل) باللعب والباطل. يعنى أنّه جدّ كلّه ومن حقّه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا فى الصدور معظّما فى القلوب يرتفع به قارئه وسامعه أن يلمّ بهزل أو يتفكّه بمزاح .

(٣) يعنى مشركى مكّة .

(٤) يعملون المكايد فى إبطال أمر الله و إطفاء نور الحقّ .

(٥) وأجازيهم جزاء كيدهم باستدراجى لهم من حيث لا يعلمون. فسمّى جزاء الكيد كيدا كما سمّى جزاء الاعتداء والسيّئة اعتداء وسيّئة و إن لم يكن اعتداء وسيّئة. ولا يجوز إطلاق هذا الوصف على الله تعالى إلّا على وجه الجزاء كقوله (نسوا الله فنسيهم) (يخادعون الله وهو خادعهم) (الله يستهزئ بهم) .

(٦) أى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به .

(٧) أنظرهم . فكرّر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير .

(٨) مهلا يسيرا . ولا يتكلّم بها إلّا مصغّرة . وهى من رادت الريح ترود رودا تحرّكت حركة ضعيفة .

سورة الأعلى مكّيّة

وهى تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً (٥) أَحْوَىٰ (٦) ﴿٥﴾

(١) نزّه ذاته عمّا لا يليق به — والاسم صِلة — وذلك كأن يفسّر (الأعلى) بمعنى العلوّ الذى هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلوّ فى المكان . وقيل " قل سبحان ربّى الأعلى " . وفى الحديث لمّا نزلت قال عليه السلام اجعلوها فى سجودكم .

(٢) أى (خلق) كلّ شىء (فسوّى) خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على إحكام واتّساق ، دلالة على أنّه صادر عن عالم حكيم . أو سوّاه على ما فيه منفعة ومصلحة .

(٣) أى (قدّر) لكلّ حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع به . أو (فهدى) وأضلّ . ولكن حذف وأضلّ اكتفاء بقوله (يضلّ من يشاء ويهدى من يشاء) . (قدّر) على.

(٤) أنبت ما ترعاه الدوابّ .

(٥) يابسا هشيا .

(٦) أسود . ف (أحوى) صفة ل (غثاء) .

سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ(١) إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ(٢) ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ(٣) ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ(٤) ٱلذِّكْرَىٰ(٥) ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى(٦) ﴿١١﴾

(١) سنعلمك القرآن حتّى لا تنساه (إلّا ماشاء الله) أن ينسخه . وهذا بشارة من الله لنبيّه أن يحفظ عليه الوحى حتّى لا ينفلت منه شيء إلّا ماشاء الله أن ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته . وسأل ابن كيسان النحوى جنيدا عنه فقال (فلاتنسى) العمل به فقال مثلك يصدر . وقيل قوله (فلا تنسى) على النهى . والألف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا . أى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه (إلّا ماشاء الله) أن ينسيكه برفع تلاوته .

(٢) أى إنّك تجهر بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة التفلّت والله يعلم جهرك معه وما فى نفسك ممّا يدعوك إلى الجهر . أو ما تقرأ فى نفسك مخافة النسيان . أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وما بطن من أحوالكم .

(٣) معطوف على (سنقرئك) وقوله (إنّه يعلم الجهر وما يخفى) اعتراض . ومعناه ونوفّقك للطريقة التى هى أيسر وأسهل . يعنى حفظ الوحى . وقيل للشريعة السمحة التى هى أيسر الشرائع أو نوفّقك لعمل الجنّة .

(٤) عظ بالقرآن .

(٥) جواب (إن) مدلول قوله (فذكّر) . قيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم . وقيل هو أمر بالتذكير على الإطلاق كقوله (فذكّر إنّما أنت مذكّر) غير مشروط بالنفع .

(٦) سيتّعظ ويقبل التذكرة (من يخشى) الله وسوء العاقبة (ويتجنّبها) ويتباعد عن الذكرى فلا يقبلها (الأشقى) الكافر أو الذى هو أشقى الكفرة لتوغّله فى عداوة رسول الله . قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة .

ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ[1] ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ[2] ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ[3] ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا[4] ۝ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ[5] ۝ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ[6] ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ[7] ۝

(١) (الذى) يدخل نار جهنّم — والصغرى نار الدنيا — (ثمّ لايموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة يتلذّذ بها . وقيل بـ (ثمّ) لأنّ الترجّح بين الحياة والموت أفظع من الصلى . فهو متراخ عنه فى مراتب الشدّة .

(٢) نال الفوز (من تزكّى) تطهّر من الشرك ، أو تطهّر للصلاة، أو أدّى الزكاة. تفعّل من الزكاة كتصدّق من الصدقة .

(٣) وكبّر للافتتاح (فصلّى) الخمس . و به يحتجّ على وجوب تكبيرة الافتتاح ، وعلى أنّها ليست من الصلاة ، لأنّ الصلاة عطفت عليها ، وهو يقتضى المغايرة ؛ وعلى أنّ الافتتاح جائز بكلّ اسم من أسمائه عزّ وجلّ . وعن ابن عباس رضى الله عنهما " ذكر معاده ووقوفه بين يدى ربّه فصلّى له". عن الضحاك " (وذكر اسم ربّه) فى طريق المصلّى (فصلّى) صلاة العيد".

(٤) (بل تؤثرون الحياة الدنيا) على الآخرة فلا تفعلون ما به تفلحون . والمخاطب به الكافرون . دليله قراءة أبى عمرو (يؤثرون) بالياء .

(٥) أفضل فى نفسها وأدوم .

(٦) (هذا) إشارة إلى قوله (قد أفلح) إلى (أبقى). أى أنّ معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف . أو إلى ما فى السورة كلّها . وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسيّة فى الصلاة لأنّه جعله مذكورا فى تلك الصحف مع أنّه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة .

(٧) بدل من (الصحف الأولى) . وفى الأثر . وفى صحف إبراهيم " ينبغى للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه " .

سورة الغاشية مكيّة

وهى ستّ وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ[١] أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ[٢] ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ[٣] ۝

(١) بمعنى قد .

(٢) الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها . يعنى القيامة . وقيل النار . من قوله (وتغشى وجوههم النار) .

(٣) أى وجوه الكفّار — وإنّما خصّ الوجه لأنّ الحزن والسرور إذا استحكما فى المرء أثّرا فى الوجه — (يومئذ) يوم إذ غشيت (خاشعة) ذليلة لما اعترى أصحابها من الخزى والهوان (عاملة ناصبة) تعمل فِى النار عملا تتعب فيه وهو جرّها السلاسل والأغلال وخوضها فى النار كما تخوض الإبل فى الوحل وارتقاؤها دائبة فى صعود من نار وهبوطها فى حدور منها . وقيل عملت فى الدنيا أعمال السوء والتذّت بها وتنعّمت فهى فى نصب منها فى الآخرة . وقيل هم أصحاب الصوامع . ومعناه أنّها خشعت لله وعملت ونصبت فى أعمالها من الصوم الدائب ، والتهجّد الواصب . (تصلى نارا حامية) تدخل نارا قد أحميت مددا طويلة فلا حرّ يعدل حرّها . (تُصلى) أبو عمرو وأبو بكر . (تسقى من عين آنية) من عين ماء قد انتهى حرّها . والتأنيث

لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ [١] ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ [٢] نَّاعِمَةٌ [٣] ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ [٤] ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ [٥] ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً [٦] ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ [٧] ۝ فِيهَا سُرُرٌ [٨] مَّرْفُوعَةٌ [٩] ۝

فى هذه الصفات والأفعال راجع الى الوجوه . والمراد أصحابها بدليل قوله (ليس لهم طعام إلّا من ضريع)وهو نبت يقال له الشبرق . فإذا يبس فهو ضريع . وهو سمّ قاتل . والعذاب ألوان والمعذّبون طبقات . فمنهم أكلة الزّقوم . ومنهم أكلة الغسلين . ومنهم أكلة الضريع . فلا تناقض بين هذه الآية و بين قوله (ولا طعامٌ إلّا من غسلين) .

[١] (لا يسمن) — مجرور المحل لأنه وصف (ضريع) — (ولا يغنى من جوع) . أى منفعتا الغذاء منتفيتان عنه . وهما إماطة الجوع و إفادة السمن فى البدن .

[٢] وصف وجوه المؤمنين . ولم يقل ووجوه لأنّ الكلام الأوّل قد طال وانقطع .

[٣] متنعّمة فى لين العيش .

[٤] رضيت بعملها وطاعتها لما رأت ما أدّاهم إليه من الكرامة والثواب .

[٥] من علوّ المكان أو المقدار .

[٦] (لا تسمع) يا مخاطب أو الوجوه (فيها لاغية) أى لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو . لا يتكلّم أهل الجنّة إلّا بالحكمة وحمد الله على مارزقهم من النعيم الدائم . (لا يُسمع فيها لا غيةٌ) مكّىّ وأبو عمرو . (لا تُسمع فيها لاغيةٌ) نافع .

[٧] أى عيون كثيرة كقوله (علمت نفس) .

[٨] جمع سرير

[٩] من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ماخوّله ربّه من الملك والنعيم .

وَأَكْوَابٌ[١] مَّوْضُوعَةٌ[٢] ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ[٣] ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ[٤] مَبْثُوثَةٌ[٥] ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ[٦] ﴿٢٠﴾

---

(١) جمع كوب . وهو القدح . وقيل آنية لا عروة لها .

(٢) (موضوعة) بين أيديهم ليتلذّذوا بها بالنظر إليها . أو موضوعة على حافات العيون معدّة للشرب .

(٣) وسائد (مصفوفة) بعضها إلى جنب بعض مساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جاس على مسْوَرة واستند إلى الأخرى .

(٤) وبسط عراض فاخرة . جمع زَرْبيّة .

(٥) مبسوطة أو مفرّقة فى المجالس .

(٦) لمّا أنزل الله تعالى هذه الآيات فى صفة الجنّة وفسّر النبىّ عليه السلام بأنّ ارتفاع السرر يكون مائة فرسخ ، والأكواب الموضوعة لا تدخل فى حساب الخلق لكثرتها ، وطول النمارق كذا ، وعرض الزرابىّ كذا ، أنكر الكفّار وقالوا " كيف يصعد على هذا السرير ، وكيف تكثر الأكواب هذه الكثرة ، وطول النمارق هذا الطول ، وبسط الزرابىّ هذا الانبساط ، ولم نشاهد ذلك فى الدنيا ؟ " فقال الله تعالى (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) طويلة ثمّ تبرك حتّى تركب أو يحمل عليها ثمّ تقوم . فكذا السرير يطأطئ للمؤمن كما يطأطئ الإبل ، (وإلى السماء كيف رفعت) رفعا بعيدا المدى بلا إمساك وعمد ، ثمّ نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل فى حساب الخلق فكذلك الأكواب ، (وإلى الجبال كيف نصبت) نصبا ثابتا فهى راسخة لا تميل مع طولها فكذا النمارق ، (وإلى الأرض كيف سطحت) سطحها بتمهيد وتوطئة فهى كلّها بساط واحد تنبسط من الأفق إلى الأفق فكذا الزرابىّ . ويجوز أن يكون المعنى (أفلا ينظرون إلى) هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتّى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا إنذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدّوا للقائه . وتخصيص هذه

فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ(١) ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ(٢)(٣) ۝ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ(٤) ۝ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ(٥) ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم(٦) ۝

الأربعة باعتبار أنّ هـذا خطاب للعرب وحثّ لهم على الاستدلال . والمرء إنّما يستدلّ بما تكثر مشاهدته له . والعرب تكون فى البوادى ونظرهم فيها إلى السماء والأرض والجبال . والإبل أعزّ أموالهم ، وهم لها أكثر استعمالا منهم لسائر الحيوانات ، لأنّها تجمع جميع المآرب المطلوبة من الحيوان وهى النسل والدرّ والحمل والركوب والأكل بخلاف غيرها ، ولأنّ خلقها أعجب من غيرها : فإنّه سخرها منقادة لكلّ من اقتادها بأزمّتها لا تعازّ ضعيفا ولا تمانع صغيرا ، وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار ، وجعلها بحيث تبرك حتّى تحمّل عن قرب ويسر ثمّ تنهض بما حملت وتجرّها إلى البلاد الشاحطة. وصبّرها على احتمال العطش حتّى إن ظِمْأها ليرتفع إلى العشر فصاعدا ، وجعلها ترعى كلّ نابت فى البرارى ممّا لا يرعاه سائر البهائم .

(١) (فذكّر) هم بالأدلة ليتفكّروا فيها .

(٢) ليس عليك إلّا التبليغ .

(٣) بمسلّط . كقوله(وما أنت عليهم بجبّار) . (بمصيطر) مدنىّ و بصرىّ وعلىّ وعاصم .

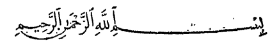
(٤) الاستثناء منقطع . أى لست بمستول عليهم. ولكن من تولّى منهم و كفر بالله فإنّ لله الولاية عليه والقهر فهو يعذّبه العذاب الأكبر . وهو عذاب جهنّم . وقيل هو استثناء من قوله (فذكّر) . أى (فذكّر ـــ ـــ إلّا من) انقطع طمعك من إيمانه و (تولّى) فاستحقّ (العذاب الأكبر) . وما بينهما اعتراض .

(٥) رجوعهم . وفائدة تقديم الظرف التشديد فى الوعيد وأنّ إيابهم ليس إلّا إلى الجبّار المقتدر على الانتقام .

(٦) (ثمّ إنّ علينا حسابهم) فنحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها جزاء أمثالهم.و(على) لتأكيد الوعيد لا للوجوب . إذ لا يجب على الله شىء .

سورة الفجر مكّيّة

وهى تسع وعشرون آية



وَٱلْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ (٣) وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) (٥)

(١) أقسم بالفجر وهو الصبح كقوله (والصبح إذا أسفر) . أو بصلاة الفجر .

(٢) عشر ذى الحجة . أو العشر الأول من المحرّم . أو الآخر من رمضان . وإنّما نكّرت لزيادة فضيلتها .

(٣) شفع كلّ الأشياء ووترها . أو شفع هذه الليالى ووترها . أو شفع الصلاة ووترها . أو يوم النحر لأنّه اليوم العاشر ويوم عرفة لأنّه اليوم التاسع . أو الخلق والخالق . (والوِتر) حمزة وعلىّ . وبفتح الواو غيرهما وهما لغتان . فالفتح حجازىّ . والكسر تميمىّ .

(٤) بعد ما أقسم بالليالى المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال (والليل) . قيل أريد به ليلة القدر .

(٥) (إذا) يمطى . وياء (يسر) تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة . وسأل واحد الأخفش عن سقوط الياء . فقال لا حتّى تخدمنى سنة . فسأله بعد سنة فقال "الليل لا يسرى ، إنّما يسرى فيه . فلمّا عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة" . وقيل معنى (يسرى) يسرى فيه كما يقال ليل نائم أى ينام فيه .

هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ (١) ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ (٢) ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾

(١) أى (هل) فيما أقسمت به من هذه الأشياء (قسم) أى مقسم به (لذى) عقل؟ سمى به لأنّه يحجر عن التهافت فيما لاينبغى كما سمّى عقلا ونهية لأنّه يعقل و ينهى. يريد هل تحقّق عنده أن تعظم هذه الأشياء بالإقسام بها ؟ أو (هل فى) إقسامى بها إقسام (لذى حجر)؟ أى هل هو قسم عظيم يؤكّد بمثله المقسم عليه ؟ أو (هل فى) القسم بهذه الأشياء (قسم) مقنع (لذى) عقل ولبّ ؟ والمقسم عليه محذوف . وهو قوله ليعذبنّ . يدلّ عليه قوله (ألم تر) إلى قوله (فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب) .

(٢) ذكر تعذيب الأمم التى كذّبت الرسل فقال (ألم) تعلم يامحمّد علما يوازى العيان فى الإيقان؟ وهو استفهام تقرير . قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، عاد . كما يقال لبنى هاشم . ثمّ قيل للأوّلين منهم عاد الأولى — والإرم تسمية لهم باسم جدّهم — ولمن بعدهم عاد الأخيرة . فإرم عطف بيان لعاد و إيذان أنّهم عاد الأولى القديمة . وقيل إرم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها . ويدلّ عليه قراءة ابن الزبير (بعاد إرم) على الإضافة . وتقديره بعاد أهل إرم كقوله (واسأل القرية) . ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث . و (ذات العماد) إذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنّهم كانوا بدويّين أهل عمد أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة . وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى أنّها ذات أساطين . وروى أنّه كان لعاد ابنان شدّاد وشديد . فملكا وقهرا ثمّ مات شديد وخلص الأمر لشدّاد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنّة فقال أبنى مثلها فبنى إرم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة . وكان عمره تسعمائة سنة . وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضّة وأساطينها من الزبرجد والياقوت . وفيها أصناف الأشجار والأنهار . ولمّا تمّ بناؤها سار إليها بأهل مملكته . فلمّا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا . وعن عبد الله بن قلابة أنّه خرج فى طلب إبل له فوقع عليها فحمل ماقدر عليه ممّا ثمّ . وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقصّ عليه . فبعث إلى كعب فسأله فقال هى إرم ذات العماد . وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال . يخرج فى طلب إبل له . ثمّ التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل .

ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ [1] ۝ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ [2] ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ [3] ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ [4] ۝ ٱلَّذِينَ [5] طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ [6] ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ [7] ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ [8] ۝

(١) أى مثل عاد فى قوتهم وطول قامتهم . كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع . أو لم يخلق مثل مدينة شدّاد فى جميع بلاد الدنيا .

(٢) قطعوا صخر الجبال واتّخذوا فيها بيوتا . قيل أوّل من نحت الجبال والصخور ثمود . وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلّها من الحجارة .

(٣) بوادى القرى .

(٤) أى ذى الجنود الكثيرة . وكانت لهم مضارب كثيرة يضربونها إذا نزلوا . وقيل كان له أوتاد يعذّب الناس بها كما فعل بآسية .

(٥) فى محلّ النصب على الذمّ . أو الرفع على هم (الذين) . أو الجرّ على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون .

(٦) تجاوزوا الحدّ (فى البلاد فأكثروا فيها الفساد) بالكفر والقتل والظلم .

(٧) مجاز عن إيقاع العذاب بهم على أبلغ الوجوه . إذ الصبّ يشعر بالدوام ، والسوط بزيادة الإيلام . أى عذّبوا عذابا مؤلما دائما .

(٨) هو المكان الذى يترقّب فيه الرّصَد . مفعال من رصده . وهذا مثل لإرصاده العباد وأنّهم لا يفوتونه وأنّه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه إن خيرا فخير وإن شرّا فشرّ .

فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ [١] كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ [٢] وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾

---

(١) (فقدَر عليه رزقه) ضيّق عليه وجعله بمقدار بلغته. (فقدّر) شامىّ و يزيد . أى الواجب لمن ربّه بالمرصاد أن يسعى للعاقبة ولا تهمّه العاجلة . وهو قد عكس . فإنّه إذا امتحنه ربّه بالنعمة والسعة ليشكر قال "ربّى أكرمنى" أى فضّلنى بما أعطانى . فيرى الإكرام فى كثرة الحظّ من الدنيا . وإذا امتحنه بالفقر فقدر عليه رزقه ليصبر قال "ربّى أهاننى" فيرى الهوان فى قلّة الحظّ من الدنيا لأنّه لا تهمّه إلّا العاجلة وما يلذّه وينعمه فيها . فردّ عليه زعمه بقوله (كلّا) أى ليس الإكرام والإهانة فى كثرة المال وقلّته . بل الإكرام فى توفيق الطاعة ، والإهانة فى الخذلان . وقوله تعالى (فيقول) خبر المبتدأ الذى هو (الإنسان) ودخول الفاء لما فى (أمّا) من معنى الشرط . والظرف المتوسّط بين المبتدأ والخبر فى تقدير التأخير . كأنّه قيل . (فأمّا الإنسان) فقائل ربّى أكرمنى وقت الابتلاء . وكذا (فيقول) الثانى خبر لمبتدأ تقديره (وأمّا) هو (إذا ما ابتلاه) ربّه . وسمّى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لأنّ كلّ واحد منهما اختبار للعبد . فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر . وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع . ونحوه قوله تعالى (ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة) . وإنما أنكر قوله "ربّى أكرمنى" مع أنّه أثبته بقوله (فأكرمه) لأنّه قاله على قصد خلاف ماصحّحه الله عليه وأثبته وهو قصده أنّ الله أعطاه ما أعطاه إكراما له لاستحقاقه كقوله (إنّما أوتيته على علم عندى) وإنّما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه . (ربّىَ) حجازىّ وأبو عمرو .

(٢) أى بل هناك شرّ من هذا القول . وهو أنّ الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدّون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالمبرّة وحضّ أهله على طعام المسكين .

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ۝ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝ (١)
كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا
صَفًّا ۝ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ
وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۝ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۝ (٢)

---

(١) أى (وتأكلون) الميراث (أكلا لمّا) ذا لمّ — وهو الجمع بين الحلال والحرام . وكانوا لا يورّثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم — (وتحبّون المال) — يقال حبّه وأحبّه بمعنى — (حبّا جمّا) كثيرا شديدا مع الحرص ومنع الحقوق . (يكرمون ولا يحضّون ويأكلون ويحبّون) بصرىّ

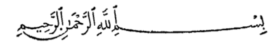
(٢) (كلّا) ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم. ثمّ أتى بالوعيد وذكر تحسّرهم على ما فرّطوا فيه حين لا تنفع الحسرة فقال : (إذا دكّت الأرض) إذا زلزلت (دكّا دكّا) دكّا بعد دكّ أى كرّر عليها الدكّ حتّى عادت هباء منبثّا (وجاء ربّك) — تمثيل لظهور آيات اقتداره، وتبيين آثار قهره وسلطانه . فإنّ واحدا من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصّه . وعن ابن عبّاس "أمره وقضاؤه" — (والملك صفّا صفّا) أى ينزل ملائكة كلّ سماء فيصطفّون صفّا بعد صفّ محدقين بالجنّ والإنس (وجيء يومئذ بجهنّم) — قيل إنّها برّزت لأهلها كقوله (وبرّزت الجحيم للغاوين) وقيل هو مجرى على حقيقته . ففى الحديث يؤتى بجهنّم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كلّ زمام سبعون ألف ملك يجرّونها — (يومئذ يتذكّر الإنسان) أى يتّعظ (وأنّى له الذكرى) ومن أين له منفعة الذكرى ؟ (يقول ياليتنى قدّمت لحياتى) هذه . وهى حياة الآخرة. أى ياليتنى قدّمت الأعمال الصالحة فى الحياة الفانية لحياتى الباقية .

فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ (١)

(١) أى لا يتولّى عذاب الله أحد لأنّ الأمر لله وحده فى ذلك اليوم (ولا يوثق) بالسلاسل والأغلال (وثاقه أحد) . قال صاحب الكشّاف "لا يعذّب أحد أحدا كعذاب الله ولا يوثق أحد أحدا كوثاق الله". (لا يعذَّب ولا يوثَق) على. وهى قراءة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ورجع اليها أبو عمرو فى آخر عمره . والضمير يرجع إلى الإنسان الموصوف وهو الكافر . وقيل هو أبىّ ابن خلف . أى (لا يعذَّب) أحد مثل عذابه (ولا يوثَق) بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده . ثمّ يقول الله تعالى للمؤمن إكراما له كما كلّم موسى عليه السلام أو يكون على لسان ملك (يأيّتهـا النفس المطمئنّة) الآمنـة التى لا يستفزّها خوف ولا حزن . وهى النفس المؤمنة . أو المطمئنّة إلى الحقّ التى سكّنها ثلج اليقين فلا يخالجها شكّ . ويشهد للتفسير الأوّل قراءة أبىّ (يأيّتها النفس الآمنة المطمئنّة) — وإنّما يقال لها عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنّة — (ارجعى إلى) موعد (ربّك) أو ثواب ربّك (راضية) من الله بمـا أوتيت (مرضيّة) عند الله بمـا عملت (فادخلى فى عبادى) فى جملة عبادى الصالحين فانتظمى فى سلكهم (وادخلى جنّتى) معهم . وقال أبو عبيدة أى مع عبادى أو بين عبادى أى خواصّى كما قال (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) . وقيل النفس الروح . ومعناه (فادخلى فى) أجساد (عبادى) كقراءة عبد الله بن مسعود (فى جسد عبدى) . ولمّـا مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل فى نعشه . فلمّا دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها . قيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب . وقيل فى خبيب الذى صلبه أهل مكّة . وقيل هى عامّة فى المؤمنين إذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب .

سورة البلد مكّيّة

وهى عشرون آية



لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ (١) ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٢) ﴿٣﴾

(١) أقسم سبحانه بالبلد الحرام و بما بعده على أنّ الانسان خلق مغمورا فى مكابد المشاق. واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وأنت حلّ بهذا البلد) أى ومن المكابدة أنّ مثلك على عظم حرمتك يستحلّ بهذا البلد يعنى مكّة كما يستحلّ الصيد فى غير الحرم . عن شرحبيل يحرّمون أن يقتلوا بها صيدا و يستحلّون إخراجك وقتلك . وفيه تثبيت لرسول الله و بعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكّة وتعجيب من حالهم فى عداوته. أو سلى رسول الله بالقسم ببلده على أنّ الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد . واعترض بأنّ وعده فتح مكّة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال (وأنت حلّ بهـذا البلد) أى (وأنت حلّ) به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر . وذلك أنّ الله تعالى فتح عليـه مكّة وأحلّها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلّت له فأحلّ ماشاء وحرّم ماشاء : قتل ابن خَطَل وهو متعلّق بأستار الكعبة ، ومِقْيَس بن صُبَابة وغيرهما . وحرّم دار أبى سفيان ونظير قوله (وأنت حلّ) فى الاستقبال قوله (إنّك ميّت وإنّهم ميتون) .وكفاك دليلا على أنّه للاستقبال أنّ السورة مكّيّة بالاتّفاق . وأين الهجرة من وقت نزولها ؟ فما بال الفتح ؟

(٢) هما آدم وولده. أو كلّ والد وولده . أو إبراهيم وولده. (وما) بمعنى من أو بمعنى الذى.

لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ (١) ﴿﴾ أَيَحْسَبُ (٢) أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿﴾ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿﴾ ثُمَّ (٣) كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) جواب القسم .

(٢) مشقّة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة . وعن ذى النون "لم يزل مربوطا بحبل القضاء مدعوّا إلى الائتمار والانتهاء" .

(٣) الضمير لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكابد منهم ما يكابد . ثمّ قيل هو أبو الأشدّ . وقيل الوليد بن المغيرة . والمعنى أيظنّ هذا الصنديد القوىّ فى قومه المتضعّف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه . ثمّ ذكر ما يقوله فى ذلك اليوم وأنّه (يقول أهلكت مالا لبدا) أى كثيرا . جمع لبدة . وهو ما تلبّد أى كثر واجتمع . يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهليّة يسمّونها مكارم ومعالى . (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق ما ينفق رياء وافتخارا . يعنى أنّ الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا . ثمّ ذكر نعمه عليه فقال (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيّات (ولسانا) يعبّر به عمّا فى ضميره (وشفتين) يستر بهما ثغره ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ (وهديناه النجدين) طريقى الخير والشرّ المفضيين إلى الجنّة والنار . وقيل الثديين . (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فكّ رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثمّ كان من الذين آمنوا) يعنى فلم يشكر تلك الأيادى والنعم بالأعمال الصالحة من فكّ الرقاب أو إطعام اليتامى والمساكين ثمّ بالإيمان الذى هو أصل كلّ طاعة وأساس كلّ خير . بل غمط النعم وكفر بالمنعم . والمعنى أنّ الإنفاق على هذا الوجه مرضىّ نافع عند الله لا أن يهلك ماله لبدا

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) (١) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) (٢) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠) (٣)

فى الرياء والفخار . وقلّما تستعمل لا مع الماضى إلّا مكرّرة . وإنّما لم تكرّر فى الكلام الأفصح لأنّه لمّا فسّر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنّه أعاد "لا" ثلاث مرّات وتقديره فلا فكّ رقبة ولا أطعم مسكينا ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدّة ومشقّة والقُحْمة الشدّة . بجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما فى ذلك من معاناة المشقّة ومجاهدة النفس . وعن الحسن " عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوّه الشيطان " . والمراد بقوله (ما العقبة) ما اقتحامها ومعناه أنّك لم تدركنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله . وفكّ الرقبة تخليصها من الرقّ والإعانة فى مال الكتابة (فكَّ رقبةً أو أطْعَمَ) مكّىّ وأبو عمرو وعلىّ ، على الإبدال من (اقتحم العقبة) . وقوله (وما أدراك ما العقبة) اعتراض غيرهم (فكُّ رقبةٍ أو إطعامٌ) على اقتحامها (فكُّ رقبة أو إطعام) والمسغبة المجاعة . والمقربة القرابة . والمتربة الفقر مفعلات من سغب إذا جاع وقرب فى النسب — يقال فلان قرابتى وذو مقربتى — وترب إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب فيكون مأواه المزابل . ووصف اليوم بذى مسغبة كقولهم همّ ناصب أى ذو نصب ومعنى (ثمّ كان من الذين آمنوا) أى داوم على الإيمان . وقيل (ثمّ) بمعنى الواو. وقيل إنّما جاء بثمّ لتراخى الإيمان وتباعده فى الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا فى الوقت . إذ الإيمان هو السابق على غيره ولايثبت عمل صالح إلّا به .

(١) (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات والمحن التى يبتلى بها المؤمن (وتواصوا) بالتراحم فيما بينهم .

(٢) أى الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب الميمنة . (والذين كفروا بآياتنا) بالقرآن أو بدلائلنا (هم أصحاب المشأمة) أصحاب الشمال . والميمنة والمشأمة اليمين والشمال . أواليمن والشؤم . أى الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهنّ .

(٣) و بالهمزة أبو عمرو وحمزة وحفص . أى مطبقة . من أوصدت الباب وآصدته إذا أطبقته وأغلقته والله أعلم .

سورة الشمس مكّيّة

وهى خمس عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا (١) ۝ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا (٢) ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا (٣) ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا (٤) ۝ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٥) ۝

(١) وضوئها إذا أشرقت وقام سلطانها .

(٢) تبعها فى الضياء والنور . وذلك فى النصف الأوّل من الشهر يخلف القمر الشمس فى النور .

(٣) جلّى الشمس وأظهرها للرائين . وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه . لأنّ الشمس تنجلى فى ذلك الوقت تمام الانجلاء . وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقوله (ما ترك على ظهرها من دابّة) .

(٤) يستر الشمس فتظلم الآفاق .

(٥) (ما) مصدريّة — فى (والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سوّاها) أى وبنائها وطَحْوِها أى بسطها وتسوية خلقها فى أحسن صورة — عند البعض . وليس بالوجه لقوله (فألهمها) لما فيه من فساد النظم . والوجه أن تكون موصولة وإنّما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفيّة كأنّه قيل (والسماء) والقادر العظيم الذى بناها (ونفس) والحكيم الباهر الحكمة الذى سوّاها . وإنّما نكّرت النفس لأنّه أراد نفسا خاصّة من بين النفوس وهى

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (١) ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (٢) ﴿١٠﴾

نفس آدم . كأنه قال وواحدة من النفوس . أو أراد كلّ نفس . والتنكير للتكثير كما فى (علمت نفس) .

والواو الأولى فى نحو هذا للقسم بالاتّفاق . وكذا الثانية عند البعض . وعند الخليل الثانية للعطف.لأنّ إدخال القسم على القسم قبل تمام الأوّل لا يجوز. ألا ترى أنّك لو جعلت موضعها كلمة الفاء أو ثمّ لكان المعنى على حاله . وهما حرفا عطف . فكذ الواو . ومن قال إنّها للقسم احتجّ بأنّها لو كانت للعطف لكان عطفا على عاملين لأنّ قوله (والليل) — مثلا — مجرور بواو القسم. و (إذا يغشى) منصوب بالفعل المقدّر الذى هو أقسم. فلو جعلت الواو فى (والنهار إذا تجلّى) للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جرّا ، و (إذا تجلّى) معطوفا على (إذا يغشى) نصبا . فصار كقولك إنّ فى الدار زيدا والحجرة عمرا . وأجيب بأنّ واو القسم تنزّل منزلة الباء والفعل حتّى لم يجز إبراز الفعل معها . فصارت كأنّها العاملة نصبا وجرّا ، وصارت كعامل واحد له عملان . وكلّ عامل له عملان يجوز أن يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتّفاق . نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملهما . فكذا هنا .

(١) فأعلمها طاعتها ومعصيتها أفهمها أنّ أحدهما حسن والاخر قبيح .

(٢) (قد أفلح) — جواب القسم . والتقدير لقد أفلح.قال الزجّاج صار طول الكلام عوضا عن اللام . وقيل الجواب محذوف . وهو الأظهر تقديره ليدمدمنّ الله عليهم — أى على أهل مكّة — لتكذيبهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما دمدم على ثمود لأنّهم كذّبوا صالحا . وأمّا (قد أفلح) فكلام تابع لقوله (فألهمها فجورها وتقواها) على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم فى شيء — (من زكّاها) طهّرها الله وأصلحها وجعلها زاكية . (وقد خاب من دسّاها) أغواها الله . قال عكرمة " أفلحت نفس زكّاها الله . وخابت نفس أغواها الله ". ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد. والتدسية النقص والإخفاء بالفجور. وأصل دسّى دسّس. والياء بدل من السين المكرّرة .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ (١) ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا (٢) ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ (٣) نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا (٤) ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ (٥) فَعَقَرُوهَا (٦) فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم (٧) بِذَنۢبِهِمْ (٨) فَسَوَّىٰهَا (٩) ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا (١٠) ﴿١٥﴾

(١) بطغيانها إذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم .

(٢) حين قام بعقر الناقة (أشقاها) أشقى ثمود قُدَار بن سالف وكان أشقر أزرق قصيرا. و (إذ) منصوب بـ (كذّبت) أو بالطغوى .

(٣) صالح عليه السلام .

(٤) نصب على التحذير. أى احذروا عقرها (وسقياها) ؛ كقوله الأسد الأسد .

(٥) (فكذّبوه) فيما حذّرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا .

(٦) أى الناقة أسند الفعل إليهم وإن كان العاقر واحدا ، لقوله (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) ، لرضاهم به .

(٧) أهلكهم هلاك استئصال .

(٨) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة .

(٩) فسوّى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم .

(١٠) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة. أى فعل ذلك غير خائف أن تلحقه تبعة من أحد كما يخاف من يعاقب من الملوك لأنّه فعل فى ملكه وملكه (لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون). (فلا يخاف) مدنىّ وشامىّ .

سورة الليل مكّيّة

وهى إحدى وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) ۞ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ (٣) ۞ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) ۞ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ (٥) ۞

(١) المغشىّ إمّا الشمس من قوله (والليل إذا يغشاها)، أو النهار من قوله (يغشى الليل النهار)، أو كلّ شىء يواريه بظلامه من قوله (إذا وقب) .

(٢) ظهر بزوال ظلمة الليل .

(٣) والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد .

(٤) جواب القسم. إنّ عملكم لمختلف . وبيان الاختلاف فيما فصّل على أثره .

(٥) (فأمّا من أعطى) حقوق ماله (واتّقى) ربّه فاجتنب محارمه (وصدّق بالحسنى) بالملّة الحسنى وهى ملّة الإسلام أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنّة أو بالكلمة الحسنى وهى لا إله إلّا الله (فسنيسّره لليسرى) فسنهيّئه للخلّة اليسرى وهى العمل بما يرضاه ربّه. (وأمّا من بخل) بماله (واستغنى) عن ربّه فلم يتّقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذّب بالحسنى) بالإسلام أو الجنّة (فسنيسّره للعسرى) للخلّة المؤدّية إلى النار فتكون الطاعة أعسر شىء عليه وأشدّ . أو سمّى طريقة الخير باليسرى لأنّ عاقبتها اليسر وطريقة الشرّ بالعسرى لأنّ عاقبتها العسر . أو أراد بهما طريق الجنّة والنار .

وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ (١) ۝ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ (٢) ۝ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ (٣) ۝

---

(١) ولم ينفعه ماله إذا هلك. و (تردّى) تفعّل من الردى وهو الهلاك. أو (تردّى) فى القبر أو فى قعر جهنّم أى سقط .

(٢) (إنّ علينا) الإرشاد إلى الحقّ بنصب الدلائل و بيان الشرائع (و إنّ لنا للآخرة والأولى) فلا يضرّنا ضلال من ضلّ ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى . أو أنّهما لنا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ الطريق .

(٣) خوّفتكم (نارا) تتلهّب لا يدخلها للخلود فيها (إلّا) الكافر (الذى كذّب) الرسل وأعرض عن الإيمان وسيبعد منها المؤمن (الذى يؤتى ماله) للفقراء (يتزكّى) من الزكاء. أى يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة . أو يتفعّل من الزكاة . و (يتزكّى) إن جعلته بدلا من (يؤتى) فلا محلّ له لأنّه داخل فى حكم الصلة . والصلات لا محلّ لها . وإن جعلته حالا من الضمير فى (يؤتى) فمحلّه النصب . قال أبو عبيدة (الأشقى) بمعنى الشقىّ وهو الكافر. و (الأتقى) بمعنى التقىّ وهو المؤمن لأنّه لا يختصّ بالصلى أشقى الأشقياء ، ولا بالنجاة أتقى الأتقياء. و إن زعمت أنّه نكّر النار فأراد نارا مخصوصة بالأشقى فما تصنع بقوله (وسيجنّبها الأتقى) لأنّ التقىّ يجنّب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصّة . وقيل الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ فى صفتيهما فقيل الأشقى وجعل مختصّا بالصلى كأنّ النار لم تخلق إلّا له ، وقيل الأتقى وجعل مختصّا بالنجاة كأنّ الجنّة لم تخلق إلّا له. وقيل هما أبو جهل وأبو بكر. وفيه بطلان زعم المرجئة لأنّهم يقولون لا يدخل النار إلّا كافر.

وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ [1] ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ [2] ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ [3] ﴿٢١﴾

---

(١) أى (وما لأحد) عند الله نعمة يجازيه بها إلّا أن يفعل فعلا يبتغى به وجه ربّه فيجازيه عليه .

(٢) هو الرفيع بسلطانه المنيع فى شأنه و برهانه . ولم يرد به العلو من حيث المكان . فذا آية الحدثان .

(٣) موعد بالثواب الذى يرضيه و يقرّ عينه .وهو كقوله تعالى لنبيّه عليه السلام (ولسوف يعطيك ربّك فترضى) .

سورة الضحى مكّيّة

وهى إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ (١) ۝

(١) (والضحى) المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس . و إنّما خصّ وقت الضحى بالقسم لأنّها الساعة التى كلّم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجّدا . أو النهار كلّه لمقابلته بالليل فى قوله (والليل إذا سجى) سكن . والمراد سكون الناس والأصوات فيه . وجواب القسم (ما ودّعك ربّك وما قلى) ماتركك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبّك . والتوديع مبالغة فى الودع لأنّ من ودّعك مفارقا فقد بالغ فى تركك . روى أنّ الوحى تأخّر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أيّاما . فقال المشركون إنّ محمدا ودّعه ربّه وقلاه . فنزلت . وحذف الضمير من (قلى) كحذفه من الذاكرات فى قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) يريد والذاكراته . ونحوه (فآوى . فهدى . فأغنى) . وهو اختصار لفظىّ لظهور المحذوف . (وللآخرة خير لك من الأولى) أى ما أعدّ الله لك فى الآخرة من المقام المحمود ، والحوض المورود ، والخير الموعود ، خير ممّا أعجبك فى الدنيا . وقيل وجه اتّصاله بما قبله أنه لمّا كان فى ضمن نفى التوديع والقلى أنّ الله مواصلك بالوحى إليك وأنّك حبيب الله ،

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (١) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٢)

ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ، أخبره أنّ حاله فى الآخرة أعظم من ذلك لتقدّمه على الأنبياء وشهادة أمّته على الأمم وغير ذلك . (ولسوف يعطيك ربّك) فى الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (فترضى) . ولمّا نزلت قال صلّى الله عليه وسلّم إذًا لا أرضى قطّ وأحد من أمّتى فى النار .

واللام الداخلة على (سوف) لام الابتداء المؤكّدة لمضمون الجملة . والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك ونحوه (لأقسم) فيمن قرأ كذلك لأنّ المعنى لأنا أقسم . وهذا لأنّها إذا كانت لام قسم لا تدخل على المضارع إلّا مع نون التوكيد . فيتعيّن أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل إلّا على المبتدأ والخبر . فلا بدّ من تقديره مبتدأ وخبر كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشّاف . وذكر صاحب الكشف هى لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لأنّ النون إنّما تدخل ليؤذن أنّ اللام لام القسم لا لام الابتداء . وقد علم انّه ليس للابتداء لدخولها على (سوف) لأنّ لام الابتداء لا تدخل على سوف . وذكر أنّ الجمع بين حرفى التأكيد والتأخير يؤذن بأن العطاء كائن لا محالة وإن تأخّر .

(١) عدّد عليه نعمه من أوّل حاله ليقيس المرتقب من فضل الله على ما سلف منه لئلّا يتوقّع إلّا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقلّ صبره فقال : (ألم يجدك يتيما) وهو من الوجود الذى بمعنى العلم . والمنصوبان مفعولاه . والمعنى ألم تكن يتيما حين مات أبواك فآواك إلى عمّك أبى طالب وضمّك إليه حتّى كفلك وربّاك .

(٢) أى (وجدك) غير عالم ولا واقف على معالم النبوّة وأحكام الشريعة وما طريقه السمع (فهدى) فعرّفك الشرائع والقرآن . وقيل ضلّ فى طريق الشأم حين خرج به أبو طالب فردّه إلى القافلة . ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حقّ ووقوع فى غىّ . فقد كان عليه الصلاة والسلام من أوّل حاله إلى نزول الوحى عليه معصوما من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان .

وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ (١) ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٢) ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ (٣) ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (٤) ﴿١١﴾

---

(١) (ووجدك) فقيرا فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم .

(٢) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه .

(٣) فلا تزجره . فابذل قليلا أو ردّ جميلا . وعن السدّىّ المراد طالب العلم إذا جاءك فلا تنهره .

(٤) أى حدّث بالنبوّة التى آتاك الله. وهى أجلّ النعم . والصحيح أنّها تعمّ جميع نعم الله عليه . ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع . والله أعلم .

سورة ألم نشرح مكّية

وهى ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)

(١) استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد إثبات الشرح فكأنّه قيل شرحنا لك صدرك . ولذا عطف عليه (وضعنا) اعتبارا للمعنى . أى فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم حتّى وسع هموم النبوّة ودعوة الثقلين . فأزلنا عنه الضيق والحرج الذى يكون مع العمى والجهل . وعن الحسن " ملئ حكمة وعلما " .

(٢) وخفّفنا عنك أعباء النبوّة والقيام بأمرها . وقيل هو زلّة لا تعرف بعينها . وهى ترك الأفضل مع إتيان الفاضل . والأنبياء يعاتبون بمثلها . ووضعه عنه أن غفر له . والوزر الحمل الثقيل .

(٣) أثقله حتّى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض .

(٤) ورفع ذكره أن قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والأذان والإقامة والخطب والتشهّد وفى غير موضع من القرآن (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول . ومن يطع الله ورسوله . والله ورسوله أحقّ أن يرضوه) وفى تسميته رسول الله ونبىّ الله . ومنه ذكره فى كتب الأوّلين .

وفائدة (لك) ما عرف فى طريقة الإبهام والإيضاح لأنّه يفهم بقوله (ألم نشرح لك) أنّ ثمّ مشروحا ثمّ أوضح بقوله (صدرك) ماعلم مبهما ، وكذلك (لك ذكرك) و (عنك وزرك) .

فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا[١] ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ[٢] ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب[٣] ﴿٨﴾

---

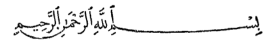
(١) أى (فإنّ مع) الشدّة التى أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين (يسرا) بإظهارى إيّاك عليهم حتّى تغلبهم. وقيل كان المشركون يعيّرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتّى سبق إلى وهمه أنّهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله. فذكّره ما أنعم به عليه من جلائل النعم. ثمّ قال (إنّ مع العسر يسرا) كأنّه قال خوّلناك ما خوّلناك فلا تيئس من فضل الله (فإنّ مع العسر) الذى أنتم فيه (يسرا). وجىء بلفظ (مع) لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة فى التسلية ولتقوية القلوب. وإنّما قال عليه الصلاة والسلام عند نزولها "لن يغلب عسر يسرين"، لأنّ العسر أعيد معرّفا فكان واحدا. لأنّ المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الأولى. واليسر أعيد نكرة. والنكرة إذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الأولى. فصار المعنى (إنّ مع العسر) يسرين. قال أبو معاذ يقال إنّ مع الأمير غلاما إن مع الأمير غلاما. فالأمير واحد ومعه غلامان. وإذا قال إن مع أمير غلاما وإن مع الأمير الغلام، فالأمير واحد والغلام واحد. وإذا قيل إنّ مع أمير غلاما وإن مع أمير غلاما، فهما أميران وغلامان. كذا فى شرح التأويلات.

(٢) أى إذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد فى عبادة الربّ. وعن ابن عباس رضى الله عنهما (فإذا فرغت) من صلاتك فاجتهد فى الدعاء. واختلف أنّه قبل السلام أو بعده. ووجه الاتّصال بما قبله أنّه لمّا عدّد عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلى وقتا من أوقاته منها. فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى.

(٣) واجعل رغبتك إليه خصوصا ولا تسأل إلّا فضله متوكّلا عليه (وعلى الله فليتوكّل المؤمنون).

سورة والتين مكّيّة

وهى ثمانى آيات



وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ[1] ۝

(١) أقسم بهما لأنّهما عجيبان من بين الأشجار المثمرة . روى أنّه أهدى لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه " كلوا . فلو قلت إنّ فاكهة نزلت من الجنّة لقلت هذه . لأنّ فاكهة الجنّة بلا عجم فكلوها فإنّها تقطع البواسير وتنفع من النقرس " وقال : " نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيّب الفم ويذهب بالحفرة " وقال " هى سواكى وسواك الأنبياء قبلى ". وعن ابن عباس رضى الله عنهما " هو تينكم هذا وزيتونكم هذا " وقيل هما جبلان بالشام منبتاهما .(وطورسينين) أضيف الطور وهو الجبل إلى سينين وهى البقعة ونحو سينون بيرون فى جواز الإعراب بالواو والياء ، والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب . (وهذا البلد) يعنى مكّة (الأمين) ، من أمن الرجل أمانة فهو أمين . وأمانته أنّه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه . ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهرفيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والأولياء. فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه. والطور المكان الذى نودى منه موسى . ومكّة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ، ومولد نبيّنا ومبعثه صلوات الله عليهم أجمعين . أو الأولان قسم بمهبط الوحى على عيسى ، والثالث على موسى ، والرابع على محمد عليه الصلاة والسلام . وجواب

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (١) ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ (٢) ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ (٣) ﴿٨﴾

القسم (لقد خلقنا الإنسان)-وهو جنس- (فى أحسن تقويم) فى أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه (ثمّ رددناه أسفل سافلين) أى ثمّ كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السويّة أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا . يعنى أقبح من قبح صورة . وهم أصحاب النار . أو أسفل من سفل من أهل الدركات . أو (ثمّ رددناه) بعد ذلك التقويم والتحسين (أسفل) من سفل فى حسن الصورة والشكل حيث نكّسناه فى خلقه فقوّس ظهره بعد اعتداله ، وابيضّ شعره بعد سواده ، وتشنّن جلده ، وكلّ سمعه وبصره ، وتغيّر كلّ شىء منه . فمشيه دليف ، وصوته خفات ، وقوّته ضعف ، وشهامته خرف .

(١) دخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللغتين . والاستثناء على الأوّل متّصل ، وعلى الثانى منقطع . أى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاقّ والقيام بالعبادة .

(٢) الخطاب للإنسان على طريقة الالتفات . أى فما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع ، والبرهان الساطع ، بالجزاء . والمعنى أنّ خالق الإنسان من نطفة ، وتقويمه بشرا سويّا ، وتدريجه فى مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوى ، ثمّ تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر ، لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق ، وأنّ من قدر على خلق الإنسان على هذا كلّه لم يعجز عن إعادته . فما سبب تكذيبك بالجزاء؟ أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . أى فمن ينسبك إلى الكذب بعد هذا الدليل؟ فما بمعنى من .

(٣) وعيد للكفّار وأنّه يحكم عليهم بما هم أهله . وهو من الحكم والقضاء . والله أعلم .

سورة العلق مكّيّة

وهى تسع عشرة آية

عن ابن عباس ومجاهد هى أوّل سورة نزلت . والجمهور على أنّ الفاتحة أوّل مانزل ثمّ سورة القلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ [1] خَلَقَ الْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ [2] اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ [3] الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ

(١) محلّ (باسم ربّك) النصب على الحال. أى (اقرأ) مفتتحا (باسم ربّك) كأنّه قيل قل بسم الله ثمّ اقرأ.ولم يذكر لخلق مفعولا لأنّ المعنى (الذى) حصل منه الخلق واستأثر به لاخالق سواه . أو تقديره خلق كلّ شىء فيتناول كلّ مخلوق لأنّه مطلق فليس بعض المخلوقات بتقديره أولى من بعض .وقوله (خلق الإنسان) تخصيص للإنسان بالذكرمن بين مايتناوله الخلق لشرفه . ولأنّ التنزيل إليه . و يجوز أن يراد (الذى خلق) الإنسان . إلاّ أنّه ذكر مبهما . ثمّ مفسّرا تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته .

(٢) إنّما جمع ولم يقل من علقة لأنّ الإنسان فى معنى الجمع .

(٣) (وربّك الأكرم) الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كلّ كريم . ينعم على عباده النعم ، ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه . وكأنّه ليس وراء التكرّم بإفادة الفوائد العلميّة تكرّم حيث قال (الذى علّم) الكتابة (بالقلم علّم الإنسان مالم يعلم)

كَلَّآ(١) إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ(٢) ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ(٣) ٱسْتَغْنَىٰٓ(٤) ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ(٥) ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم(٦) بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾

فدلّ على كمال كرمه بأنّه علم عباده مالم يعلموا ، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ونبّه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة . وما دوّنت العلوم، ولا قيّدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأوّلين ، ولا كتب الله المنزلة ، إلّا بالكتابة. ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا . ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلّا أمر القلم والخطّ لكفى به .

(١) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه ، و إن لم يذكر ، لدلالة الكلام عليه .

(٢) نزلت فى أبى جهل إلى آخر السورة .

(٣) أن رأى نفسه. يقال فى أفعال القلوب رأيتنى وعلمتنى . ومعنى الرؤية العلم . ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين .

(٤) هو المفعول الثانى .

(٥) تهديد للإنسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات . و(الرجعى) مصدر بمعنى الرجوع . أى إنّ رجوعك إلى ربّك فيجازيك على طغيانك .

(٦) أى (أرأيت) أبا جهل (الذى ينهى) محمدا عن الصلاة (إن كان) ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله، أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد ، (أرأيت إن) كان ذلك الناهى مكذّبا بالحقّ متولّيا عنه كما نقول نحن (ألم يعلم بأنّ الله يرى) ويطّلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب حاله . وهذا وعيد. وقوله (الذى ينهى) مع الجملة الشرطيّة مفعولا (أرأيت) . وجواب الشرط محذوف تقديره (إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى) ألم يعلم بأنّ الله يرى . وإنّما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى . وهذا كقوله إن أكرمتك أتكرمنى. و(أرأيت) الثانية مكرّرة زائدة للتوكيد .

كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١) ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (٢) ﴿١٦﴾
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (٣) ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا (٤) لَا تُطِعْهُ (٥) وَاسْجُدْ (٦) وَاقْتَرِب (٧) ﴿١٩﴾

(١) (كلّا) ردع لأبى جهل عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الأصنام . ثمّ قال (لئن لم ينته) عمّا هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنّه بها إلى النار . والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدّة . وكتبها فى المصحف بالألف على حكم الوقف. واكتفى بلام العهد عن الإضافة للعلم بأنّها ناصية المذكور .

(٢) (ناصية) بدل من الناصية. و إنّما وصفت بالكذب والخطأ بقوله (كاذبة خاطئة) على الإسناد المجازىّ . وهما لصاحبها حقيقة . وفيه من الحسن والجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب خاطئ .

(٣) النادى المجلس الذى يجتمع فيه القوم . والمراد أهل النادى . روى أنّ أبا جهل مرّ بالنبىّ عليه السلام وهو يصلّى فقال ألم أنهك ؟ فأغلظ له رسول الله عليه السلام . فقال أتهدّدنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا ؟ فنزل. والزبانية لغة الشُّرَط . الواحد زِبْنِية . من الزبن . وهو الدفع . والمراد ملائكة العذاب . وعنه عليه السلام "لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا".

(٤) ردع لأبى جهل .

(٥) أى أثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله (فلا تطع المكذّبين) .

(٦) ودم على سجودك . يريد الصلاة .

(٧) وتقرّب إلى ربّك بالسجود . فإنّ أقرب ما يكون العبد إلى ربّه إذا سجد . كذا الحديث والله أعلم .

سورة القدر مكّيّة

وقيل مدنيّة وهى خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ (١) ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٢) ﴿٣﴾

(١) عظّم القرآن حيث أسند إنزاله إليه دون غيره . وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه . ورفع مقدار الوقت الذى أنزله فيه . روى أنّه أنزل جملة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا . ثمّ كان ينزله جبريل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى ثلاث وعشرين سنة . ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها . والقدر بمعنى التقدير . أو سمّيت بذلك لشرفها على سائر الليالى . وهى ليلة السابع والعشرين من رمضان . كذا روى أبو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن زرّأن أبيّ بن كعب كان يحلف على ليلة القدر أنّها ليلة السابع والعشرين من رمضان . وعليه الجمهور . ولعلّ الداعى إلى إخفائها أن يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لموافقتها . وهذا كإخفاء الصلاة الوسطى ، واسمه الأعظم، وساعة الإجابة فى الجمعة ، ورضاه فى الطاعات ، وغضبه فى المعاصى . وفى الحديث " من أدركها يقول اللهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّى " .

(٢) أى لم تبلغ درايتك غاية فضلها. ثمّ بيّن له ذلك بقوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر. وسبب ارتفاع فضلها إلى هذه الغاية مايوجد فيها من تنزّل الملائكة والروح، وفصل كلّ أمر حكيم. وذكر فى تخصيص هذه المدّة أنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام ذكر رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر. فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم. فأعطوا ليلة هى خير من مدّة ذلك الغازى .

تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ[1] ۝ سَلَٰمٌ هِيَ[2] حَتَّىٰ مَطْلَعِ[3] ٱلْفَجْرِ ۝

(١) (تنزّل الملائكة) إلى السماء الدنيا أو إلى الأرض (والروح) جبريل، أو خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلّا تلك الليلة. أو الرحمة - (فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر) أى تنزل (من) أجل (كلّ أمر) قضاه الله لتلك السنة إلى قابل. وعليه وقف.

(٢) ماهى إلّا سلامة. خبر ومبتدأ. أى لا يقدّر الله فيها إلّا السلامة والخير. ويقضى فى غيرها بلاء وسلامة. أو ماهى إلّا سلام لكثرة ما يسلّمون على المؤمنين. قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلّا سلّموا عليه فى تلك الليلة. وقد حرم من السلام الذين كفروا.

(٣) أى إلى وقت طلوع الفجر. بكسر اللام حمزة وعلىّ وخلف. والله أعلم.

سورة البيّنة

مختلف فيها . وهى ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) ۝ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ (٢) يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٣) ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٤) ۝ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٥) ۝

(١) (لم يكن الذين كفروا) بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم (من أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى — وأهل الرجل أخصّ الناس به وأهل الإسلام من يدين به — (والمشركين) عبدة الأصنام (منفكّين) منفصلين عن الكفر — وحذف لأنّ صلة الذين تدلّ عليه — (حتّى تأتيهم البيّنة) الحجّة الواضحة. والمراد محمّد صلّى الله عليه وسلّم. يقول: لم يتركوا كفرهم حتّى يبعث محمّد صلّى الله عليه وسلّم . فلمّا بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض .

(٢) أى محمّد عليه السلام . وهو بدل من البيّنة .

(٣) يقرأ عليهم قراطيس (مطهّرة) من الباطل .

(٤) فى الصحف مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحقّ والعدل .

(٥) فمنهم من أنكر نبوّته بغيا وحسدا. ومنهم من آمن. وإنّما أفرد أهل الكتاب بعد ما جمع أوّلا بينهم و بين المشركين لأنّهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم . فإذا وصفوا بالتفرّق عنه كان من لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف .

وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ (١) ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ (٢) ۝ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ (٣) تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ (٤) ۝

---

(١) (وما أمروا) يعنى فى التوراة والإنجيل (إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين) من غير شرك ونفاق (حنفاء) مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الأديان الباطلة (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) أى دين الملّة القيّمة .

(٢) نافع يهمزهما . والقرّاء على التخفيف . والنبيّ والبريّة مما استمرّ الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل. وقوله (خير البريّة) يدلّ على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لأنّ البريّة الخلق . واشتقاقها من برأ الله الخلق . وقيل اشتقاقها من البرا . وهو التراب . ولو كان كذلك لما قرءوا البريئة بالهمز . كذا قال الزجّاج .

(٣) إقامة .

(٤) (رضى الله عنهم) بقبول أعمالهم (ورضوا عنه) بثوابها. (ذلك) الرضا (لمن خشى ربّه) . والله أعلم .

سورة الزلزلة

مختلف فيها . وهى ثمانى آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا[1] ۝

(١) أى (إذا) حركت (الأرض زلزالها) الشديد الذى ليس بعده زلزال — وقرئ بفتح الزاى . فالمكسور مصدر . والمفتوح اسم — (وأخرجت الأرض أثقالها) كنوزها وموتاها — جمع ثِقْل وهو متاع البيت . جعل ما فى جوفها من الدفائن أثقالا لها — (وقال الإنسان مالها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها — وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها أحياء ، فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع كما يقولون (من بعثنا من مرقدنا) . وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث . فأما المؤمن فيقول (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) — (يومئذ) بدل من (إذا) . وناصبها (تحدث) . أى (تحدث) الخلق (أخبارها) لحذف أول المفعولين لأن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق . قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشر . وفى الحديث " تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها " .

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا[1] ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا[2] لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ[3] ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ[4] خَيْرًا[5] يَرَهُۥ[6] ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ[7] ﴿٨﴾

(١) أى (تحدّث أخبارها) بسبب إيحاء ربّك (لها) أى إليها وأمره إيّاها بالتحديث .

(٢) يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف (أشتاتا) بيض الوجوه آمنين ، وسود الوجوه فزعين . أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرّق بهم طريقا الجنّة والنار .

(٣) أى جزاء أعمالهم .

(٤) نملة صغيرة .

(٥) تمييز .

(٦) أى ير جزاءه .

(٧) قيل هذا فى الكفّار والأوّل فى المؤمنين . ويروى أنّ أعرابيا أخّر (خيرا يره) فقيل له قدّمت وأخّرت فقال .

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنّه كلا جانبى هرشى لهنّ طريق

وروى أنّ جدّ الفرزدق أتاه عليه السلام ليستقرئه . فقرأ عليه هذه الآية . فقال حسبى حسبى . وهى أحكم آية . وسمّيت الجامعة . والله أعلم .

سورة العاديات

مختلف فيها . وهى إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ [1] ۝

[1] أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح — والضبح صوت أنفاسها إذا عدون . عن ابن عباس رضى الله عنهما أنّه حكاه فقال " أح أح " . وانتصاب (ضبحا) على يضبحن — (فالموريات) تورى نار الحباحب — وهى ماينقدح من حوافرها — (قدحا) قادحات صاكّات بحوافرها الحجارة — والقدح الصكّ . والإيراء إخراج النار . تقول قدح أورى وقدح فأصلد. وانتصب (قدحا) بما انتصب به (ضبحا) — (فالمغيرات) تغير على العدو فى وقت الصبح (فأثرن به نقعا) فهيّجن بذلك الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت (جمعا) من جموع الأعداء . ووسطه بمعنى توسّطه. وقيل الضمير لمكان الغارة ، أو للعدو الذى دلّ عليه (والعاديات) . وعطف (فأثرن) على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لأنّ المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن . وجواب القسم (إنّ الإنسان لربّه لكنود) لكفور . أى إنّه لنعمة ربّه خصوصا لشديد الكفران . وإنّ الإنسان على كنوده (لشهيد) . يشهد على نفسه . أو إنّ الله على كنوده لشاهد ، على سبيل الوعيد .

وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ[1] ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ[2] ﴿١١﴾

---

(١) (وإنّه) لأجل حبّ المال لبخيل ممسك . أو إنه لحبّ المال لقوىّ وهو لحبّ عبادة الله ضعيف .

(٢) (أفلا يعلم) الإنسان (إذا بعثر) بعث (مافى القبور) من الموتى — و (ما) بمعنى مَن — (وحصّل ما فى الصدور) ميز ما فيها من الخير والشرّ (إنّ ربّهم بهم يومئذ لخبير) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر ؟ وخصّ يومئذ بالذكر وهو عالم بهم فى جميع الأزمان لأنّ الجزاء يقع يومئذ . والله أعلم .

سورة القارعة مكّيّة

وهى ثمانى آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ[(١)] ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ[(٢)] ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ[(٣)] ﴿٥﴾

(١) (القارعة) مبتدأ . و (ما) مبتدأ ثان . (القارعة) خبره . والجملة خبر المبتدأ الأول وكان حقه ما هى . وإنّما كرّر تفخيما لشأنها .

(٢) أى أىّ شيء أعلمك ما هى ومن أين علمت ذلك .

(٣) (يوم) نصب بمضمر دلّت عليه القارعة . أى تقرع (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث). شبّههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلّة والتطاير إلى الداعى من كلّ جانب كما يتطاير الفراش إلى النار . وسمّى فراشا لتفرّشه وانتشاره . وشبّه الجبال بالعهن — وهو الصوف المصبّغ ألوانا — لأنّها ألوان (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها) ؛ وبالمنفوش منه لتفرّق أجزائها .

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ[1] ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌ[2] ۝

---

[1] (فأمّا من ثقلت موازينه) باتّباعهم الحقّ — وهى جمع موزون . وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله . أو جمع ميزان . وثقلها رجحانها — (فهو فى عيشة راضية) ذات رضا أو مرضيّة . (وأمّا من خفّت موازينه) باتّباعه الباطل فمسكنه ومأواه النار . وقيل للأوى أمّ على التشبيه . لأنّ الأمّ مأوى الولد ومفزعه .

[2] الضمير يعود إلى هاوية. والهاء للسكت. ثمّ فسّرها فقال (نار حامية) بلغت النهاية فى الحرارة . والله أعلم.

سورة التكاثر مكّيّة

وهى ثمانى آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ(١) ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ(٢) ۝ كَلَّا(٣) سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(٤) ۝ كَلَّا(٥) لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ(٦) ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ(٧) ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا(٨) عَيْنَ ٱلْيَقِينِ(٩) ۝ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ(١٠) ۝

(١) شغلكم التبارى فى الكثرة والتباهى بها فى الأموال والأولاد عن طاعة الله .

(٢) حتّى أدرككم الموت على تلك الحال أو حتّى زرتم المقابر وعدّدتم من فى المقابر من موتاكم.

(٣) ردع وتنبيه على أنّه لا ينبغى للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همّه ولا يهتمّ بدينه .

(٤) (سوف تعلمون) عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثمّ كلّا سوف تعلمون) فى القبور .

(٥) تكرير الردع للإنذار والتخويف .

(٦) جواب (لو) محذوف. أى (لو تعلمون) ما بين أيديكم (علم اليقين) علم الأمر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور لما ألهاكم التكاثر أو لفعلتم ما لا يوصف. ولكنّكم ضلّال جهلة .

(٧) هو جواب قسم محذوف. والقسم لتوكيد الوعيد. (لترون) بضم التاء شامىّ وعلىّ .

(٨) كرّره معطوفا بثمّ تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل. أو الأوّل بالقلب والثانى بالعين.

(٩) أى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته .

(١٠) (ثمّ لتسألنّ يومئذ عن) الأمن والصحّة فيم أفنيتموها، عن ابن مسعود رضى الله عنه . وقيل عن التنعّم الذى شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه . وعن الحسن "ما سوى كِنٍّ يؤويه ، وأثواب تواريه ، وكسرة تقوّيه" . وقد روى مرفوعا . والله أعلم .

سورة العصر مكّيّة

وهى ثلاث آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ (١)

(١) أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى (والصلاة الوسطى صلاة العصر) فى مصحف حفصة . ولأنّ التكليف فى أدائها أشقّ لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم . أو أقسم بالعشىّ كما أقسم بالضحى لما فيها من دلائل القدرة . أو أقسم بالزمان لما فى مروره من أصناف العجائب . وجواب القسم (إنّ الإنسان لفى خسر) أى جنس الإنسان لفى خسران من تجاراتهم (إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإنّهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا (وتواصوا بالحقّ) بالأمر الثابت الذى لا يسوغ إنكاره وهو الخير كلّه من توحيد الله وطاعته واتّباع كتبه ورسله (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده . (وتواصوا) فى الموضعين فعل ماض معطوف على ماض قبله . والله أعلم .

سورة الهمزة مكّيّة

وهى تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ (١) لُّمَزَةٍ (٢) ﴿١﴾ الَّذِي (٣) جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٤) ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٥) ﴿٣﴾ كَلَّا (٦) لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٧) ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٨) ﴿٥﴾

(١) (ويل) مبتدأ خبره (لكلّ همزة) أى الذى يعيب الناس من خلفهم .

(٢) أى من يعيبهم مواجهة . وبناء فعلة يدلّ على أنّ ذلك عادة منه . قيل نزلت فى الأخنس بن شريق . وكانت عادته الغيبة والوقيعة . وقيل فى أميّة بن خلف . وقيل فى الوليد. و يجوز أن يكون السبب خاصّا والوعيد عامّا ليتناول كلّ من باشر ذلك القبيح .

(٣) بدل من كلّ . أو نصب على الذم .

(٤) (جمّع) شامىّ وحمزة وعلىّ مبالغة . وهو مطابق لقوله (وعدّده) أى جعله عدّة لحوادث الدهر .

(٥) أى تركه خالدا فى الدنيا لا يموت . أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذى أخلد صاحبه فى النعيم . فأمّا المال فما أخلد أحدا فيه .

(٦) ردع له عن حسبانه .

(٧) (لينبذنّ) الذى جمع (فى) النار التى شأنها أن تحطّم كلّ ما يلقى فيها .

(٨) تعجيب وتعظيم .

نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ (١) ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم (٢) مُّؤْصَدَةٌ (٣) ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ (٤) مُّمَدَّدَةٍ (٥) ﴿٩﴾

(١) خبر مبتدأ محذوف . أى هى (نار الله الموقدة) نعتها (التى تطّلع على الأفئدة) يعنى أنّها تدخل فى أجوافهم حتّى تصل إلى صدورهم وتطلع أفئدتهم وهى أوساط القلوب . ولا شىء فى بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ولا أشدّ ألما منه بأدنى أذى يمسّه. فكيف إذا اطّلعت عليه نار جهنّم واستولت عليه ؟ وقيل خصّ الأفئدة لأنّها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة . ومعنى اطّلاع النار عليها أنّها تشتمل عليها .

(٢) أى النار أو الحطمة .

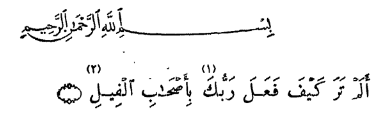
(٣) مطبقة .

(٤) بضمتين كوفىّ غير حفص. الباقون (فى عَمَد) وهما لغتان فى جمع عماد كإهاب وأهب وحمار وحمر .

(٥) أى تؤصد عليهم الأبواب وتمدّد على الأبواب العمد استيثاقا فى استيثاق . فى الحديث " المؤمن كيّس فطن ، وقّاف متثبّت لا يعجل، عالم ورع . والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب الليل لا يبالى من أين اكتسب وفيم أنفق " والله أعلم .

سورة الفيل مكّيّة

وهى خمس آيات



(١) (كيف) فى موضع نصب بـ(فعل) لا بـ(ألم تر) لما فى (كيف) من معنى الاستفهام. والجملة سدّت مسدّ مفعولى (تر). وفى (ألم تر) تعجيب أى عجّب الله نبيّه من كفر العرب، وقد شاهدت هذه العظمة من آيات الله. والمعنى أنّك رأيت آثار صنع الله بالحبشة وسمعت الأخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة.

(٢) روى أنّ أبرهة بن الصبّاح ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشىّ، بنى كنيسة بصنعاء وسمّاها القُلّيس وأراد أن يصرف إليها الحاجّ. فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فخرقها فأغضبه ذلك. وقيل أجّجت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمنّ الكعبة. فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود — وكان قويّا عظيما — واثنا عشر فيلا غيره. فلما جاء المُغَمَّس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع. فأبى وعبّأ جيشه وقدّم الفيل. وكانوا كلّما وجّهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجّهوه إلى اليمن هرول فأرسل الله طيرا مع كلّ طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة. فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كلّ حجر اسم من يقع عليه ففرّوا وهلكوا. وما مات أبرهة حتى انصدع صدره عن قلبه. وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتّى بلغ النجاشى فقصّ عليه القصّة فلمّا أتمّها وقع عليه الحجر فخرّ ميّتا بين يديه. وروى أنّ أبرهة أخذ

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (١) ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٢) ۝
تَرْمِيهِم (٣) بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥) ۝

لعبد المطلب مائتى بعير تخرج إليه فيها. فعظم فى عينه وكان رجلا جسيما وسيما. وقيل هذا سيّد قريش وصاحب عير مكّة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رءوس الجبال. فلمّا ذكر حاجته قال سقطت من عينى . جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وشرفكم فى قديم الدهر فألهاك عنه ذود أخذ لك . فقال أنا ربّ الإبل وللبيت ربّ سيحميه .

(١) فى تضييع و إبطال. يقال ضلّل كيده إذا جعله ضالّا ضائعا . وقيل لامرئ القيس الملك الضلّيل لأنّه ضلّل ملك أبيه أى ضيّعه . يعنى أنّهم كادوا البيت أوّلا ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاجّ إليه فضلّل كيدهم بإيقاع الحريق فيه. وكادوه ثانيا بإرادة هدمه فضلّل كيدهم بإرسال الطير عليهم .

(٢) حزائق الواحدة إبّالة . قال الزجّاج جماعات من ههنا و جماعات من ههنا .

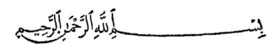
(٣) وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه (يرميهم) أى الله أو الطير. لأنّه اسم جمع مذكّر. و إنّما يؤنّث على المعنى .

(٤) هو معرّب من "سنك كل" وعليه الجمهور . أى الآجر .

(٥) زرع أكله الدود .

سورة قريش مكية

وهى أربع آيات



لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١)

(١) متعلّق بقوله (فليعبدوا). أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين. ودخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط. أى إنّ نعم الله عليهم لاتحصى. فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة. أو بما قبله أى (فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش) يعنى أنّ ذلك الإتلاف، لهذا الإيلاف. وهذا كالتضمين فى الشعر وهو أن يتعلّق معنى البيت بالذى قبله تعلّقا لا يصحّ إلّا به. وهما فى مصحف أبىّ سورة واحدة بلا فصل. ويروى عن الكسائى ترك التسمية بينهما. والمعنى أنّه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتّى ينتظم لهم الأمن فى رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم. وقيل المعنى اعجبوا (لإيلاف قريش). (لإلاف قريش) شامىّ أى لمؤالفة قريش. وقيل يقال ألفته ألفا وإلافا. وقريش ولد النضر بن كنانة. سمّوه بتصغير القِرش. وهو دابّة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق إلّا بالنار. والتصغير للتعظيم. فسمّوه بذلك لشدّتهم ومنعتهم تشبيها بها. وقيل من القَرْش وهو الجمع والكسب لأنّهم كانوا كسّابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد.

إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ (١) ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾
ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٢) ﴿٤﴾

---

(١) أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه. ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولا به. وأراد رحلتي الشتاء والصيف. فأفرد لأمن الإلباس. وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون. وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم.

(٢) التنكير في (جوع) و (خوف) لشدتهما. يعني (أطعمهم) بالرحلتين (من جوع) شديد كانوا فيه قبلهما (وآمنهم من خوف) عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف من بلدهم ومسايرهم. وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة (وآمنهم من) خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم. وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه السلام.

سورة الماعون

مختلف فيها . وهى سبع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

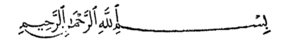
أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝

(١) أى هل (رأيت الذى يكذّب) بالجزاء من هو؟ إن لم تعرفه (فذلك) الذى يكذّب بالجزاء هو (الذى يدعّ اليتيم) أى يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى و يردّه ردّا قبيحا بزجر وخشونة (ولا) يبعث أهله (على) بذل (طعام المسكين). جعل علم التكذيب بالجزاء، منع المعروف، والإقدام على إيذاء الضعيف. أى لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشى الله وعقابه ولم يقدم على ذلك. فحين أقدم عليه دلّ أنّه مكذّب بالجزاء. ثمّ وصل به قوله (فو يل للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون و يمنعون الماعون) يعنى بهذا المنافقين. أى لا يصلّونها سرّا لأنّهم لا يعتقدون وجوبها و يصلّونها علانية رياء. وقيل (فو يل) للمنافقين (الذين) يدخلون أنفسهم فى جملة المصلّين صورة وهم غافلون عن صلاتهم وأنّهم لا يريدون بها قربة إلى ربّهم ولا تأدية لفرض. فهم يخفضون و يرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون، و يظهرون للناس أنّهم يؤدّون الفرائض، و يمنعون الزكاة

وما فيه منفعة. وعن أنس والحسن قالا "الحمد لله الذى قال (عن صلاتهم) ولم يقل فى صلاتهم" لأنّ معنى "عن" أنّهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلّة التفات إليها. وذلك فعل المنافقين. ومعنى "فى" أنّ السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس. وذلك لايخلو عنه مسلم. وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقع له السهو فى صلاته فضلا عن غيره. والمراءاة مفاعلة من الإراءة لأن المرائى يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به. ولا يكون الرجل مرائيا بإظهار الفرائض. فمن حقّها الإعلان بها لقوله صلّى الله عليه وسلّم "ولا غمّة فى فرائض الله". والإخفاء فى التطوّع أولى. فإن أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا. والماعون الزكاة. وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما يتعاور فى العادة بين الناس من القدر والدلو والمِقْدَحة ونحوها. وعن عائشة رضى الله عنها الماء والنار والملح. والله أعلم.

سورة الكوثر مكيّة

وهى ثلاث آيات



إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ(١) ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ(٢) ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ(٣) ۝

(١) هو فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة . وقيل هو نهر فى الجنّة أحلى من العسل، وأشدّ بياضا من اللبن ، وأبرد من الثلج ، وألين من الزبد . حافتاه الزبرجد ، وأوانيه من فضّة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما "هو الخير الكثير" . فقيل له إنّ ناسا يقولون هو نهر فى الجنّة ، فقال هو من الخير الكثير .

(٢) فاعبد ربّك، الذى أعزّك بإعطائه وشرّفك وصانك من منن الخلق، مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله (وانحر) لوجهه و باسمه إذا نحرت مخالفا لعبدة الأوثان فى النحر لها .

(٣) أى من أبغضك من قومك بمخالفتك لهم (هو الأبتر) المنقطع عن كلّ خير لا أنت . لأنّ كلّ من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك . وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كلّ عالم وذاكر إلى آخر الدهر . يبدأ بذكر الله و يثنّى بذكرك . ولك فى الآخرة مالا يدخل تحت الوصف . فمثلك لا يقال له أبتر . إنّما الأبتر هو شانئك المنسىّ فى الدنيا والآخرة . قيل نزلت فى العاص بن وائل. سمّاه الأبتر. والأبتر الذى لا عقب له . وهو خبر إنّ . و (هو) فصل .

سورة الكافرون مكّيّة

وهى ست آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ (١) ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٢) ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٣) ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ (٤) ﴿٦﴾

(١) المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنّهم لا يؤمنون . روى أنّ رهطا من قريش قالوا : يامحمد هلمّ فاتّبع ديننا ونتّبع دينك . تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة. فقال معاذ الله أن أشرك به غيره . قالوا : فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك . فنزلت . فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فأيسوا .

(٢) أى لست فى حالى هذه عابدا (ما تعبدون ولا أنتم عابدون) الساعة (ما أعبد) يعنى الله .

(٣) ولا أعبد فيما أستقبل من الزمان (ماعبدتم ولا أنتم) فيما تستقبلون (عابدون ما أعبد). وذكر بلفظ (ما) لأنّ المراد به الصفة أى لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحقّ . أو ذكر بلفظ (ما) ليتقابل اللفظان . ولم يصحّ فى الأوّل (من) وصحّ فى الثانى (ما) بمعنى الذى .

(٤) لكم شرككم ولى توحيدى . وبفتح الياء نافع وحفص . وروى أنّ ابن مسعود رضى الله عنه دخل المسجد والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم جالس فقال له : نابذ ياابن مسعود. فقرأ (قل يأيّها الكافرون). ثمّ قال له فى الركعة الثانية : أخلص. فقرأ (قل هو الله أحد). فلمّا سلّم قال: ياابن مسعود سل تجب . والله أعلم .

سورة النصر مدنيّة

وهى ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا(١) جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ(٢) ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ(٣) فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ(٤) إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

(١) منصوب بسبّح وهو لما يستقبل . والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوّة . وروى أنها نزلت فى أيّام التشريق بمنى فى حجّة الوداع .

(٢) النصر الإعانة والإظهار على العدوّ . والفتح فتح البلاد . والمعنى نصر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على العرب أو على قريش وفتح مكّة ، أو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم .

(٣) هو حال من الناس على أنّ (رأيت) بمعنى أبصرت أو عرفت ، أو مفعول ثان على أنّه بمعنى علمت .

(٤) (أفواجا) حال من فاعل (يدخلون). وجواب إذا (فسبّح). أى (إذا جاء نصر الله) إيّاك على من ناواك وفتح البلاد ورأيت أهل اليمن يدخلون فى ملّة الإسلام جماعات كثيرة بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين (فسبّح بحمد ربّك) فقل سبحان الله حامدا له أو فصلّ له (واستغفره) تواضعا وهضما للنفس أو دم على الاستغفار (إنّه كان) ولم يزل (توّابا) التوّاب الكثير القبول للتوبة ، وفى صفة العباد الكثير الفعل للتوبة . ويروى أنّ عمر رضى الله عنه لمّا سمعها بكى . وقال الكمال دليل الزوال وعاش رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعدها سنتين . والله أعلم .

سورة أبى لهب مكيّة

وهى خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ[1] ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ[2] ﴿٢﴾

(١) التباب الهلاك . ومنه قولهم "أشابّة أم تابّة" أى هالكة من الهرم . والمعنى هلكت يداه — لأنّه فيما يروى أخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — (وتبّ) وهلك كلّه . أو جعلت يداه هالكتين ، والمراد إهلاك جملته كقوله (بما قدّمت يداك) ، ومعنى (وتبّ) وكان ذلك وحصل ، كقوله :

جزانى جزاه الله شرّ جزائه * جزاء الكلاب العاويات . وقد فعل

وقد دلّت عليه قراءة ابن مسعود رضى الله عنه(وقد تبّ). روى أنّه لمّا نزل (وأنذر عشيرتك الأقربين) رقى الصفا . وقال ياصباحاه . فاستجمع إليه الناس من كلّ أوب فقال عليه الصلاة والسلام : — يابنى عبد المطلب ! يابنى فهر ! إن أخبرتكم أنّ بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى ؟ قالوا نعم . قال فإنّى نذير لكم بين يدى الساعة . فقال أبو لهب تبّا لك . ألهذا دعوتنا ؟ فنزلت . و إنّما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها دون الاسم أو لكراهة اسمه . فاسمه عبد العزّى . أو لأنّ مآله إلى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته (أبى لهب) مكّى .

(٢) (ما) للنفى (وما كسب) مرفوع . وما موصولة أو مصدريّة . أى ومكسوبه أو وكسبه. أى لم ينفعه ماله الذى ورثه من أبيه والذى كسبه بنفسه . أو ماله التالد والطارف . وعن ابن عباس رضى الله عنهما (ما كسب) ، ولده . وروى أنّه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخى حقّا فأنا أفتدى منه نفسى بمالى وولدى .

سَيَصْلَىٰ نَارًا[(1)] ذَاتَ لَهَبٍ[(2)] ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ[(3)] حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ[(4)] ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ[(5)] ﴿٥﴾

(1) سيدخل . (سيصلى) البرجمى عن أبى بكر . والسين للوعيد . أى هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته .

(2) توقّد .

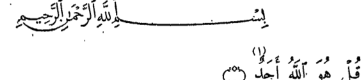
(3) هى أمّ جميل بنت حرب أخت أبى سفيان .

(4) كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وقيل كانت تمشى بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس . ونصب عاصم (حمّالة الحطب) على الشتم . وأنا أحبّ هذه القراءة . وقد توسّل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بجميل من أحبّ شتم أمّ جميل . وعلى هذا يسوغ الوقف على (امرأته) لأنّها عطفت على الضمير فى (سيصلى) أى سيصلى هو وامرأته . والتقدير أعنى (حمّالة الحطب) . والباقون بالرفع على أنّها خبر (وامرأته)، أوهى (حمّالة) .

(5) حال أو خبر آخر . والمسد الذى فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما . والمعنى (فى جيدها حبل) ممّا مسد من الحبال وأنّها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطّابون، تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطّابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما فى بيت العزّ والشرف وفى منصب الثروة والجدة . والله أعلم .

سورة الإخلاص

أربع آيات مكّيّة عند الجمهور . وقيل مدنيّة عند أهل البصرة



قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ[1] ﴿١﴾

(١) (هو) ضمير الشأن . و(الله أحد) هو الشأن . كقولك هو زيد منطلق . كأنّه قيل: الشأن هذا وهو أنّ الله واحد لا ثانى له . ومحلّ (هو) الرفع على الابتداء . والخبر هو الجملة . ولا يحتاج إلى الراجع . لأنّه فى حكم المفرد فى قولك زيد غلامك فى أنّه هو المبتدأ فى المعنى . وذلك أنّ قوله (الله أحد) هو الشأن الذى (هو) عبارة عنه . وليس كذلك زيد أبوه منطلق فإنّ زيد والجملة يدلّان على معنيين مختلفين . فلا بدّ ممّا يصل بينهما . عن ابن عباس رضى الله عنهما قالت قريش يا محمد صف لنا ربّك الذى تدعونا إليه فنزلت . يعنى الذى سألتمونى وصفه (هو الله) تعالى . وعلى هذا (أحد) خبر مبتدأ محذوف أى هو (أحد) . وهو بمعنى واحد . وأصله وحد . فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا . والدليل على أنّه واحد من جهة العقل أنّ الواحد إمّا أن يكون فى تدبير العالم وتخليقه كافيا أو لا . فإن كان كافيا كان الآخر ضائعا غير محتاج إليه . وذلك نقص . والناقص لا يكون إلها . وإن لم يكن كافيا فهو ناقص . ولأنّ العقل يقتضى احتياج المفعول إلى فاعل والفاعل الواحد كاف . وما وراء الواحد فليس عدد أولى من عدد . فيفضى ذلك إلى وجود أعداد لا نهاية لها . وذا محال . فالقول بوجود إلهين محال . ولأنّ أحدهما إمّا أن يقدر على أن يستر شيئا من أفعاله عن الآخر أو لا يقدر . فإن قدر لزم كون المستور عنه جاهلا . وإن لم يقدر لزم كونه عاجزا . ولأنّا لو فرضنا معدوما ممكن الوجود فإن لم يقدر واحد منهما على إيجاده كان كلّ واحد منهما عاجزا . والعاجز لا يكون إلها . وإن قدر أحدهما دون الآخر فالآخر لا يكون إلها . وإن قدرا جميعا فإمّا أن يوجداه بالتعاون فيكون كلّ واحد منهما

ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ(١) ۝ لَمْ يَلِدْ(٢) وَلَمْ يُولَدْ(٣) ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ(٤) ۝

محتاجا إلى إعانة الآخر فيكون كلّ واحد منهما عاجزا . وإن قدر كلّ واحد منهما على إيجاده بالاستقلال فإذا أوجده أحدهما فإمّا أن يبقى الثانى قادرا عليه وهو محال . وإن لم يبق فحينئذ يكون الأول مزيلا قدرة الثانى فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرّفه فلا يكون إلها . فإن قلت الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم أن يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا . قلنا الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا. وأمّا الشريك فما نفذت قدرته. بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تعجيزا .

(١) هو فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده. وهو السيّد المصمود إليه فى الحوائج . والمعنى (هو الله) الذى تعرفونه وتقرّون بأنّه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد لا شريك له . وهو الذى يصمدُ إليه كلّ مخلوق . ولا يستغنون عنه وهو الغنىّ عنهم .

(٢) (لم يلد) لأنّه لا يجانس حتّى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا . وقد دلّ على هذا المعنى بقوله (أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) .

(٣) لأنّ كلّ مولود محدث وجسم . وهو قديم لا أوّل لوجوده. إذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الواسطة بينهما . ولو كان حادثا لافتقر إلى محدث . وكذا الثانى والثالث . فيؤدّى إلى التسلسل وهو باطل. وليس بجسم لأنّه اسم للتركّب. ولا يخلو حينئذ من أن يتّصف كلّ جزء منه بصفات الكمال فيكون كلّ جزء إلها فيفسد القول به كما فسد بإلهين . أو غير متّصف بها بل بأضدادها من سمات الحدوث وهو محال .

(٤) ولم يكافئه أحد أى لم يماثله .

سألوه أن يصفه لهم فأوحى إليه ما يحتوى على صفاته تعالى . فقوله (هو الله) إشارة إلى أنّه خالق الأشياء وفاطرها. وفى طىّ ذلك وصفه بأنّه قادر عالم لأنّ الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية إحكام واتّساق وانتظام . وفى ذلك وصفه بأنّه حىّ لأنّ المتّصف بالقدرة والعلم لابدّ وأن يكون حيّا . وفى ذلك وصفه بأنّه سميع بصير مريد متكلّم إلى غير ذلك

من صفات الكمال إذ لو لم يكن موصوفا بهـا لكان موصوفا بأضدادها وهى نقائص وذا من أمارات الحدوث . فيستحيل اتّصاف القديم بهـا . وقوله (أحد) وصف بالوحدانيّة ونفى الشريك و بأنّه المتفرد بإيجـاد المعدومات والمتوحّد بعلم الخفيّات . وقوله (الصمد) وصف بأنّه ليس إلّا محتاجا إليه . و إذا لم يكن إلّا محتاجا إليه فهو غنىّ لا يحتاج إلى أحد . و يحتـاج إليه كلّ أحد . وقوله (لم يلد) نفى للشـبه والمجانسة . وقوله (ولم يولد) نفى للحدوث ووصف بالقدم والأوّلية . وقوله (ولم يكن له كفوا أحد) نفى أن يماثله شيء . ومن زعم أنّ نفى الكفء وهو المثل فى المـاضى لا يدلّ على نفيه للحال والكفّار يدّعونه فى الحال فقد تاه فى غيّه .لأنّه إذا لم يكن فيما مضى لم يكن فى الحال ضرورة. إذ الحادث لا يكون كفؤا للقديم . وحاصل كلام الكفرة يؤول إلى الإشراك والتشبيه والتعطيل . والسورة تدفع الكلّ كما قررنا .

واستحسن سيبو يه تقديم الظرف إذا كان مستقرّا أى خبرا ، لأنّه لمـّا كان محتاجا إليه قدّم ليعلم من أوّل الأمر أنّه خبر لا فضلة، وتأخيره إذا كان لغوا أى فضلة، لأنّ التأخير مستحقّ للفضلات . و إنّما قدّم فى الكلام الأفصح لأنّ الكلام سيق لنفى المكافأة عن ذات البارئ سبحانه . وهذا المعنى مصبّه ومركزه هو هذا الظرف فكان الأهمّ تقديمه .

وكان أبو عمرو يستحبّ الوقف على (أحد) ولا يستحبّ الوصل. قال عبد الوارث على هذا أدركنا القرّاء . و إذا وصل نوّن وكسر أو حذف التنوين كقراءة (عزير ابن الله) . (كفؤا) بسكون الفاء والهمزة ، حمزة وخلف (كفُوا) مثقّلة غير مهموزة ، حفص. الباقون مثقّلة مهموزة . وفى الحديث " من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن " لأنّ القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته ، وعلى الأوامر والنواهى ، وعلى القصص والمواعظ . وهذه السورة قد تجرّدت للتوحيد والصفات . فقد تضمّنت ثلث القرآن . وفيه دليـل شرف علم التوحيد . وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم . و يتّضع بضعته . ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته . وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه . فما ظنّك بشرف منزلته وجلالة محلّه . اللهم احشرنا فى زمرة العاملين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك. وسمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلا يقرأ (قل هو الله أحد) فقال "قد وجبت" فقيل يارسول الله ما وجبت ؟ قال " وجبت له الجنّة " .

سورة الفلق

مختلف فيها . وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) ۝ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) ۝

(١) أي الصبح أو الخلق أو هو واد في جهنّم أو جبّ فيها .

(٢) أي النار والشيطان . و (ما) موصولة والعائد محذوف . أو مصدريّة ويكون الخلق بمعنى المخلوق . وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه (من شرٍّ) بالتنوين . و (ما) على هذا مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجرّ بدل من (شرّ) أي شرّ خلقه أي من خالق شرّ . أو زائدة .

(٣) الغاسق الليل إذا اعتكر ظلامه . ووقوبه دخول ظلامه في كلّ شيء . وعن عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بيدي فأشار إلى القمر فقال : — "تعوّذي بالله من شرّ هذا فإنّه الغاسق إذا وقب" . ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده .

(٤) النفّاثات النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين . والنفث النفخ مع ريق . وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في إنكار تحقّق السحر وظهور أثره .

وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ[1] ﴿٥﴾

(١) أى إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه لأنّه إذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده . بل هو الضارّ لنفسه لاغتمامه بسرور غيره . وهو الأسف على الخير عند الغير .

والاستعاذة من شر هـذه الأشياء بعد الاستعاذة من شرّ ما خلق إشعار بأنّ شر هؤلاء أشدّ . وختم بالحسد ليعلم أنّه شرّها . وهو أوّل ذنب عصى الله به فى السماء من إبليس وفى الأرض من قابيل . وإنّما عرّف بعض المستعاذ منه ونكّر بعضه لأنّ كلّ نفّاثة شريرة . فلذا عرفت النفاثات ، ونكّر غاسق لأنّ كلّ غاسق لا يكون فيه الشرّ . إنّمـا يكون فى بعض دون بعض . وكذلك كلّ حاسد لا يضرّ . وربّ حسد يكون محمودا كالحسد فى الخيرات . والله أعلم .

سورة النـاس

مختلف فيها . وهى ستّ آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣)

(١) أى مربّيهم ومصلحهم .

(٢) مالكهم ومدبر أمورهم .

(٣) معبودهم .

ولم يكتف بإظهار المضاف إليه مرّة واحدة لأنّ قوله (ملك الناس إله الناس) عطف بيان ل(ربّ الناس). لأنّه يقال لغيره ربّ الناس وملك الناس وأما إله الناس فخاصّ لاشركة فيه. وعطف البيان للبيان فكان مظنّة للإظهار دون الإضمار. وإنّما أضيف الربّ إلى الناس خاصّة، وإن كان ربّ كلّ مخلوق ، تشريفا لهم ، ولأنّ كلّ الاستعاذة وقعت من شرّ الموسوس فى صدور الناس . فكأنّه قيل أعوذ من شرّ الموسوس إلى الناس بربّهم الذى يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم . وقيل أراد بالأوّل الأطفال ، ومعنى الربوبيّة يدلّ عليه ، وبالثانى الشباب ، ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدلّ عليه ، وبالثالث الشيوخ ، ولفظ الإله المنبئ عن العبادة يدلّ عليه ، وبالرابع الصالحين ، إذ الشيطان مولع بإغوائهم ، وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه .

مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ(١) ٱلْخَنَّاسِ(٢) ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ(٣) ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ(٤) ﴿٦﴾

(١) هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة . وأمّا المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال. والمراد به الشيطان. سمّى بالمصدر كأنّه وسوسة فى نفسه لأنّها شغله الذى هو عاكف عليه . أو أريد ذو الوسواس . والوسوسة الصوت الخفىّ .

(٢) الذى عادته أن يخنُس . منسوب إلى الخنوس وهو التأخّر كالعوّاج والبتّات . لما روى عن سعيد بن جبير " إذا ذكر الإنسان ربّه خنس الشيطان وولّى . و إذا غفل رجع ووسوس إليه " .

(٣) فى محلّ الجرّ على الصفة . أو الرفع أو النصب على الشتم . وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على (الخنّاس) .

(٤) بيان للذى يوسوس على أنّ الشيطان ضربان جنّىّ و إنسىّ كما قال (شياطين الإنس والجنّ) وعن أبى ذرّ رضى الله عنه أنّه قال لرجل هل تعوّذت بالله من شيطان الإنس ؟ روى أنّه عليه السلام سحر فمرض . فجاءه ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه ما باله ؟ فقال طُبّ. قال ومن طبّه قال لبيد بن أعصم اليهودىّ. قال و بم طبّه؟ قال بمشط و مشُاطة فى جُفّ طلعة تحت راعوفة فى بئر ذى أروان . فانتبه صلّى الله عليه وسلّم فبعث زبيرا وعليّا وعمّارا رضى الله عنهم فنزحوا ماء البئر وأخرجوا الجفّ فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه و إذا فيه وتر معقّد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر. فنزلت هاتان السورتان فكلّما قرأ جبريل آية انحلّت عقدة حتّى قام عليه السلام عند انحلال العقدة الأخيرة كأنّما نشط من عقال . وجعل جبريل يقول باسم الله أرقيك والله يشفيك من كلّ داء يؤذيك. ولهذا جوّزوا الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسريانيّة والعبرانيّة والهنديّة فإنّه لا يحلّ اعتقاده ولا اعتماد عليه. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا وأقوالنا ومن شرّ ما عملنا وما لم نعمل ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّدا عبده ورسوله ونبيّه وصفيّه أرسله (بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون) وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله مصابيح الأنام وأصحابه مفاتيح دار السلام آمين.

بتوفيق الله ومعونته قد تم طبع المجلد الثالث من " تفسير القرآن الجليل المسمى (بمدارك التنزيل وحقائق التأويل) تأليف الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي " بدار المطبعة الأميرية ببولاق مصر في اليوم العشرين من شهر رجب لسنة إحدى وستين وثلاثمائة وألف من الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، في عهد حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح " فاروق الأوّل " ملك مصر حفظه الله وأدامه ، وأيد ملكه وأسعد أيامه ، وأعزّ به الإسلام والمسلمين ، إنه سميع مجيب ؟

مدير المطبعة الأميرية

محمد زكي

المطبعة الأميرية ٣٧٨٥ و٣٧٨٦–١٩٤٠–٦٠٠٠

